بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : أحمد بن سعيد بن أحمد آل عزي الغامدي كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : الكتاب والسنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراة في تخصص : الكتاب والسنة

عنوان الأطروحة : ((الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية دراسة موضوعية))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٣/١٢/١٤٢٤هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : أ.د/ سليمان بن صادم السبيرة	الاسم : أ.د/ عبد الله بن علي الغامدي	الاسم : أ.د/ عبد الوهاب بن عبد العاطي عبد الله
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

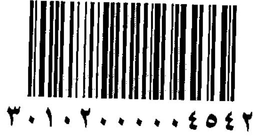
يعتمد

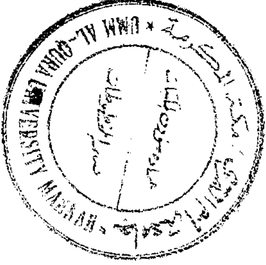
رئيس قسم

الاسم :

التوقيع : ١٦ / ٢

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .





المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
قسم الدراسات العليا

الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية

«دراسة موضوعية»

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة

إعداد الطالب

أحمد بن سعد بن أحمد آل غرم الغامدي

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور/ سليمان الصادق البيرة

١٤٢٢هـ

المجلد الأول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه رسالة علمية بعنوان: «**الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية دراسة موضوعية**» نلت بها درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى. وهي بحمدالله تعالى كريمة في لفظها ومعناها إذ الإحسان أعلى مراتب الدين، ولبه، وروحه وكماله، تقع في مجلدين كل مجلد يربوا على خمسمائة صفحة، اشتملت على مقدمة وبابين وخاتمة المقدمة وفيها: أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومنهج الدراسة، الباب الأول اشتمل على خمسة فصول هي: معنى الإحسان، ومصادره ومكانته، ومرتبته ودرجات المحسنين، وشروطه. والباب الثاني: اشتمل على خمسة فصول هي: أنواع الإحسان، وصوره، ووسائله، وثمراته، وصفات المحسنين، تحت كل فصل منهما مباحث ومطالب. وختمت الرسالة بأهم النتائج والتوصيات وفهارس تفصيلية للآيات والأحاديث والآثار والمراجع والموضوعات وقد تُوِجت هذه الرسالة بما يزيد على ألف ومائتي آية، ونحو ألف حديث بين صحيح وحسن، وأكثر من مائتين وخمسين أثرًا عن الصحابة رضي الله عنهم وعن غيرهم كما استفادت الرسالة من قرابة مائتين وخمسين مرجعًا من عيون الكتب ذات العلاقة.

وقد حرص الباحث أن يخاطب الشريحة الوسط من المسلمين بخطاب سلس سهل بعيد عن الألفاظ الغريبة والعبارات المعقدة، ليفتح الإحسان للمسلمين آفاقًا من الخير والصلاح تسبح فيه النفوس المؤمنة بربها عمرها، وتزكوا به أيما زكاء، وتترقى به مراقي الكمال مهما كان نشاطها في العبادة ورغبتها فيها، وأن تسير الحياة في تيسير ويسر، وسهولة وسعادة تشمل الفرد والمجتمع

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه

والحمدلله أولاً وآخرًا

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله المحسن الحق، الرَّافع الباسط، رب كل شيءٍ ومليكه، يعز من يشاء، بيده الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

والصلاة والسَّلام على رافع لواء الإحسان وإمام المحسنين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه رسالةٌ بعنوان «الإحسان في ضوء الكتاب والسنَّة النبوية، دراسة موضوعية». أتقدم بها إلى جامعة أم القرى (كلية الدعوة وأصول الدِّين، قسم الكتاب والسنة). لنيل درجة الدكتوراه. وموضوعها بحمد الله تعالى كريمٌ، في لفظه ومعناه جميعًا. وله أهميةٌ كبيرةٌ أبرز مَعَالِمِهَا الآتي:

١ـ أنَّ الإحسان أعلى مراتب الدِّين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (جعل النَّبي ﷺ الدِّين ثلاث درجات: أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليه الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنًا، ولا كل مسلم مؤمنًا.. [ثم قال:] وأمَّا الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام..»[(١)].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الإحسان، وهي لب الإيمان، وروحه، وكماله..»[(٢)].

ومع هذه المنزلة العالية، فإنَّ الله تعالى قد أمر بالإحسان، وكتبه في كلِّ شيءٍ، ورتب عليه أجورًا عظيمة.

٢ـ أنَّه قد ورد في القرآن الكريم في لفظة الإحسان، وما يتصرف منها ما يقارب مائتي آية بصيغ وأساليب عديدة، وأمَّا من حيث المعنى،

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٧ـ١٠).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم(٢/٤٧٩).

Abstract

Praise is due to Allah and peace and blessings of Allah be upon his messenger Mohammed and then:

This thesis, titled " Good-will in the Light of Qura'an and Prophetic Tradition, an Objective Study", is submitted to the College of Call to Islam and Principles of the Religion as a requirement of the doctoral degree. Thanks to Allah, this thesis is precious in its topic, for the Good-will resides on the peak of the religion and comprises its core and perfection. It falls into two major volumes each of which is composed of over five hundred pages which enclose an introduction two main sections, and a conclusion. It contains reasons behind choice of the study.

The first volume includes five chapters, they flow as, 1- the meaning of Good-will, 2- its resources, 3- its position in faith, 4- its levels and 5- kinds of good-doers, and contradictions of Good-will. The second volume is comprised of five chapters. They flow as 1- types of Good-will, 2- its forms, 3- its means, 4- its results, and 5- features of good doers. Each of the previous chapters includes themes and issues.

I conclude this thesis with the most important results and recommendations, detailed indexes of Qura'anic verses prophetic traditions, other traditions of the companions of the prophet, references, and subjects. I utilize more than one 1200 Qura'anic verses, and around 1000 fair and sound prophetic tradition, and more than 250 traditions of the companions of the prophet may Allah be pleased with them all. I also use more than 250 references.

The researcher aims to speak to Muslims who belong to the middle class, he avoids the use of strange and sophisticated phrases in order to let good-will open new horizons of good and righteousness for all believers to be purified and chastened, and let believe grow perfect in their souls no matter how active they are in worship. This will let them run their lives in ease and happiness that permeate the whole society.

May Allah guide every body to what pleases Him

Thanks to Allah all times and peace and blessings of Allah be upon his messenger, his family, and all his companions

فقد ورد أكثر من ذلك أضعافًا مضاعفة. كما جاءت هذه اللفظة وما يتصرف منها، وماله صلةٌ بها في مئات الأحاديث النبوية. وكل هذه الآيات والأحاديث تأمر به، وتنهى عن ضده، وتبين أنواعه وأحكامه، وما ينعم به أهلُه من الجزاء الحسن، في الدنيا والآخرة. وهذا القدر من النصوص الشرعية يبين أهميته، ويبرز مكانته السامية.

٣ـ أنَّ الحياة مع الإحسان، تسير في يسرٍ، وسهولةٍ وسعادة، تشمل الفرد والمجتمع.

٤ـ أنَّ الإحسان يفتح آفاقًا من الخير والبر والصلاح للنَّفس البشرية المؤمنة بربها تسبح فيه عمرها، وتزكو به أيما زكاء ، وتترقَّى به دائمًا مهما كان نشاطها في العبادة ورغبتها فيها، وحرصها على الفضائل؛ لأنَّ النفس البشرية إذا لم تجد ما ترتقي إليه صعب عليها الوقوف في منزلة ولربما تقهقرت إلى ماهو دون ذلك.

ولا شكَّ أنَّ لاختيار هذا الموضوع أسبابًا لعلَّ من أظهرها الآتي:

١ـ أنَّ هذا الموضوع مع جلالة قدره، لم أجد حسب علمي القاصر، من أفرده في قديمٍ أو حديثٍ بمؤلَّفٍ مستوعب، أو رسالةٍ علميةٍ مستقلَّة، مع وفرة مادته العلمية، فلعلَّه يسد بتوفيق الله تعالىٰ إعوازًا في المكتبة الإسلامية.

٢ـ أنَّ جملة من التجاوزات الدينية عند بعض المسلمين سببها الجهل بمرتبة الإحسان وثمراتها، فلعلَّ هذا الموضوع يكون شاحذًا للهمم حتَّى نصل إلى حقيقة الإحسان بإذن الله تعالى.

٣ـ أنَّ موضوع الإحسان غير قاصر على الأعمال القلبية في عبادة الله تعالى فقط كما هو متبادرٌ إلى الذهن، وإنَّما الإحسان وأنواعه وصوره واسعةٌ جدًّا في الكتاب والسنَّة النبوية.

٤ـ أنَّ في القرآن الكريم والسنَّة المطهرة صورًا مشرقةً من الإحسان، يجب أنْ تُجَلَّى للنَّاس لأخذ القدوة منها، والتربية على منوالها.

٥ـ أنَّنا بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى جملةٍ من الرسائل العلمية، تكون في

متناول عموم المسلمين، على اختلاف ثقافاتهم، تعالج قضاياهم وتهذب سلوكهم، ملتزمةً في ذلك المنهج العلمي الرصين، فعسى أنْ تكون هذه الرسالة بموضوعها النبيل، مسهمةً في هذا المضمار بجهدٍ طيبٍ إنْ شاء الله تعالى.

٦ـ ما يعود عليَّ شخصيًّا من بحث هذا الموضوع، والإفادة من توجيهاته.

هذا وقد سبقت دراسة نحو هذا الموضوع بعنوان: «الإحسان في القرآن والسنَّة، وتطبيقاتها التربوية من خلال منهج التوحيد، في مدارس المرحلة الابتدائية للبنات، في المملكة العربية السعودية، عبارة عن رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ـ كلية التربية ـ التربية الإسلامية المقارنة، تقدمت بها الباحثة: أسماء إبراهيم محمد السميري عام ١٤٠٩هـ.

غير أنَّ هذه الدراسة تربوية الاتجاه تعالج الجانب النسوي فقط في مرحلةٍ تعليمية محدَّدة، وعلى مستوى المملكة العربية السعودية، كما أنَّ البحث بعيد عن الدراسة المتخصصة في الكتاب والسنَّة.

وبعد النظر في الآيات الكريمات، والأحاديث النبوية، التي لها اتصالٌ بالموضوع، وضعت الخطة، وقد اشتملت على مقدمة وبابين وخاتمة.

المقدمة:

وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومنهج الدارسة.

الباب الأوَّل: معنى الإحسان، ومكانته، ومراتبه، وشروطه، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأوَّل: معنى الإحسان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإحسان في اللغة.

المبحث الثاني: تعريف الإحسان في الاصطلاح.

ويشتمل على بيان لفظ الإحسان ومشتقاته وما تدور حوله تلك

المادة ممَّا له صلةٌ بالموضوع من خلال ورودها في الكتاب والسنَّة في سياقات تتعددُ دلالاتها.

المبحث الثالث: في الألفاظ ذات الصلة بالإحسان ودلالاتها في مثل: الإتقان، والجمال.. وغيرها كل في مطلب مستقل.

الفصل الثاني: مصادر الإحسان، وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: صحيح المنقول.

المبحث الثاني: صحيح المعقول.

المبحث الثالث: منزلة العقل مع النقل وخطر استقلاله عنه.

الفصل الثالث: في مكانة الإحسان، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأوَّل: بيان مرتبته.

المبحث الثاني: في بيان النصوص الواردة في الدعوة إليه.

المبحث الثالث: في بيان النصوص الواردة في النَّهي عن ضده.

الفصل الرَّابع: في مرتبة الإحسان، ودرجات المحسنين، وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: مرتبة المشاهدة ومعناها.

المبحث الثاني: درجات المحسنين.

الفصل الخامس: في شروط الإحسان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحبث الأوَّل: الإخلاص.

المبحث الثاني: المتابعة.

المبحث الثالث: عبادة المؤمن الله تعالى كأنَّه يراه.

الباب الثاني: أنواع الإحسان، وصوره، ووسائله وثمراته، وصفات المحسنين، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأوَّل: أنواع الإحسان، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوَّل: إحسان الخالق عزَّوجل إلى المخلوق.

المبحث الثاني: إحسان الإنسان في عبادة الله تعالىٰ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: الإحسان الاعتقادي.

المطلب الرابع: الدعاء.

المبحث الرَّابع: في الكيفية التي يعرف بها من وصل إلى مرتبة الإحسان.

الفصل الثالث: صور الإحسان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: صور الإحسان المأثورة عن الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الثاني: صور الإحسان عن الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: صور الإحسان الأخرى.

الفصل الرَّابع: ثمرات الإحسان، وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: الثمرات الدنيوية.

المبحث الثاني: الثمرات الأخروية.

الفصل الخامس: صفات المحسنين، وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: الصفات الباطنة.

المبحث الثاني: الصفات الظاهرة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات، وقد ختمت الرسالة بالفهارس التفصيلية مثل:

١ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ـ فهرس الأحاديث.

٣ـ فهرس الآثار.

٤ـ فهرس المراجع.

٥ـ فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

كان منهجي في البحث على النحو الآتي:

١ـ جمعت الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، المتعلقة بالموضوع لفظًا ومعنى.

٢ـ بعد النظر في تفسير الآيات، وشرح الأحاديث قسمت الموضوع إلى أبوابٍ وفصولٍ، ومباحث وعناصر مترابطة، ووضعت كل

آيةٍ أو حديث في موضعه المناسب من هذه الأقسام.

٤ـ استخرجت الفوائد العلمية والدينية من دراسة النصوص الكريمة، وأثبتها في مواقعها من البحث، بعد صياغتها صياغةً حسنة.

٥ـ وعزوتها إلى سورها الكريمة ورقمها من كل سورة

٦ـ قمت بتخريج الأحاديث الشريفة الواردة في البحث، من كتب السنة الأصلية وحكمت عليها بأقوال الأئمة والعلماء السَّابقين، وما لم أجد لهم أقوالاً في ذلك قمت بدراسة السند، والحكم على الحديث أو الأثر بناء على ما وضعه أئمة هذا الشأن في قواعد الحديث.

٧ـ اكتفيت بالثابت من الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

٨ـ وثقت النقول، وعزوتها إلى قائليها، ومصادرها الأصلية، مبينًا مواضعها في هذه المراجع وكل نص تدخلت فيه بقليل أو كثير عزوته وأشرت إليه بلفظة «انظر».

٩ـ شرحت الألفاظ الغريبة التي وردت في البحث، وضبطت بالشكل ما يفتقر إلى الضبط احترازًا من الإيهام.

١٠ـ وضعت الفهارس التفصيلية، المستوعبة لما في الرِّسالة، تيسيرًا على القارىء، وخدمة لجوانب البحث العلمي.

وأسأل الله أن يوفق المؤهلين من علماء المسلمين لخدمة كتابه العزيز، وسنَّة نبيه محمد ﷺ، هذا وإنَّه لمن الاعتراف بالفضل، ورد الجميل إلى أهله، مجللاً بالشكر والعرفان، أنْ أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى، ممثلة في مديرها بالنيابة سعادة الأستاذ الدكتور: ناصر الصالح، وكلية الدعوة وأصول الدين، ممثلة في عميدها فضيلة الدكتور: عبدالله بن عمر الدميجي، ورئاسة قسم الكتاب والسنَّة، ممثلة في رئيسها فضيلة الدكتور: مطر الزهراني، وللمشرفين على هذه الرسالة، الَّذين كان مِسْكُ ختامِهِمْ، من تمكنت من الإفادة من علمه وتوجيهاته، وتجربته

الناجحة في البحث العلمي، فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان الصادق البيرة.

كما أتقدم بوافر الشكر والعرفان، لفضيلة الأستاذين المناقشين لهذه الرسالة

الأستاذ الدكتور:/ عبدالوهاب بن عبدالعاطي بن عبدالله

والأستاذ الدكتور:/ عبدالله بن علي الغامدي على ما بذلاه من جهد مشكور في تقويم هذه الرسالة وتقييمها.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الطالب/ أحمد بن سعد بن أحمد آل غرم الغامدي

الباب الأول
معنى الإحسان ومصادره ومكانته ومراتبه وشروطه

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: **معنى الإحسان**

الفصل الثاني: **مصادره**

الفصل الثالث: **مكانته**

الفصل الرابع: **مرتبته**

الفصل الخامس: **شروطه**



الفصل الأول
معنى الإحسان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **تعريف الإحسان في اللغة**

المبحث الثاني: **تعريف الإحسان في الاصطلاح**

المبحث الثالث: **الألفاظ ذات الصلة بالإحسان ودلالالتها**

المبحث الأول
تعريف الإحسان في اللغة

الإحسان: ضد الإساءة، مشتق من مادة (حَسُنَ): الحاء والسين والنون أصل واحد، وهو مصدر أَحْسَنَ يُحْسِن إِحْسَاناً، يتعدى بِنَفْسِهِ، فتكون الهمزة للصيرورة، تقول: أَحْسَنْتُ كذا، أي: أتيت بالفعلِ الحَسَنِ على وجه الإتقان والإحكام وصنع الجميل. وأَحْسَنَ الفعل: أتقنه وجوَّده وجَمَّله، وأَحْسَن الرجلُ: صار حسنًا أو دخل في شيء حَسَنٍ، فهو مُحْسِنٌ وهم مُحْسِنُوْنَ وهنَّ مُحْسِنَاتٌ.

ويتعدى بإلى، واللام، تقول: أَحْسَنْتُ إلى فلان، ولفلانٍ إذا أَوْصَلْت إليه النفع وأنعمت عليه وأكرمته وصنعت به الجميل.

ويتعدى بالباء، ومنه قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف، الآية: ١٠٠]. أي قد أحسن إليَّ.

والحَسَنُ: ما حَسُنَ من كل شيء. وهو يُحْسِنُ الشيء إحسانًا: أي يعمله. والتحسُّنُ: التجمل. وحَسُنَ الشيء يَحْسُنُ حسنًا: صار حسنًا جميلاً، ومؤنثه حَسَنَةٌ: وهي خلاف السيئة، يعبر بها عن كل مايسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والحُسْنُ: الجمال وضده القبح، وجُمِعَ الحُسْنُ والحَسَنَةُ على حِسَان، وحَسَّنْتُ الشيء: زَيَّنْتُه، ويستحسنه يَعُدُّه حسنًا، وأَحْسَنُ: أفعلُ تفضيل من الحُسْنِ. تقول: فلان أَحْسَنُ من فلان: إذا كان أفضلَ منه. والمَحَاسِنُ في الأعمال: ضد المساوىء، والحُسْنَى: ضد السُّوأَىٰ مؤنثُ الأحسن.

والفرق بين الحُسْنِ والحَسَنَةِ والحُسْنَى: أن الحُسْنَ يقال في الأعيان والأحداث. تقول: رجلٌ حَسَنٌ، وعملٌ حسَنٌ، وكذلك الحسنة إذا كانت وصفًا. تقول: أمرأة حَسَنَةٌ، وصلاة حَسَنَةٌ، وإذا كانت اسمًا فمتعارف في الأحداث، والحُسْنَى: لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان[1].

---

(١) انظر: الصحاح، للجوهري(٥/ ٢٠٩٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس(٢٦٢)، ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١/ ١٧٤)، ولسان العرب لابن منظور(١٣/ ١١٥، ١١٧)، والمعجم الوسيط مجمع اللغة العربية (١/ ١٧٤)، وتاج العروس للزبيدي (١٨/ ١٤٢)، والكليات (٥٣)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (١/ ٢٧٣)، وفتح الباري لابن حجر(١/ ١٢٠)، وتحفة الأحوذي (٧/ ٣٤٧) (بتصرف واختصار).

المبحث الثاني
تعريف الإحسان في الاصطلاح

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: **تعريف الإحسان في الاصطلاح**

المطلب الثاني: **استعمالات ما يتصرف عن لفظة الإحسان مما له صلة بالموضوع**

المطلب الثالث: **فيما يضاد الإحسان**

المطلب الأول
تعريف الإحسان في الاصطلاح

يختلف معنى الإحسان اصطلاحًا باختلاف القرائن والسياق الذي يرد فيه، وله معنيان:

المعنى الأول: أن يقترن الإحسان بشيء من حقوق الله تعالى وما يجب له من العبادة، فيكون المراد به ما عَرَّفه به النبي ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»[(١)]. والمعنى: عبادة المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والخشوع، والمراقبة والإتقان، حتى يغلب عليه مشاهدة الله تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه[(٢)].

ـ أنواع القرائن:

١ ـ اقتران الإحسان بالإيمان: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف، الآية: ٣٠] أي من أخلص منهم إيمانه وأتقن أعماله الصالحات على وجه الحضور والخشوع والمراقبة، حتى يغلب عليه مشاهدة الله تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [العنكبوت، الآية: ٧].

وفي الآية وصف للأعمال بالحُسن، والمعنى: كما أحسنوا أعمالهم على ماسبق بيان الإحسان جازاهم الله بأكثر مما عملوا وأجمل منه[(٣)].

٢ ـ اقتران الإحسان بالإسلام: قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة، الآية: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [النساء، الآية: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾ [لقمان، الآية: ٢٢]. والمحسن هو الذي يفعل الإحسان. والمراد هنا: من أخلص لله بالتوحيد وانقاد له بالطاعة[(٤)] حالة كونه محسنًا.

٣ ـ اقتران الإحسان بالتقوى: قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ

---

(١) صحيح مسلم ٣٨/١ (١) كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان.

(٢) انظر: فتح الباري (١/١٢١)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (١/١٢٥ـ ١٢٦)، ونضرة النعيم لصالح بن حميد وزملاه(٢/٦٧)(بتصرف).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/١٩٢، ٥/١٨) (بتصرف).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٧١٧).

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢]. أي الذين استجابوا لدعوة الله ورسوله إلى الخروج للجهاد لمن أحسن منهم بطاعته لرسول الله واتقى مخالفته أجر عظيم[١]. وأحسن الفعل إذا أتقنه وجوده وجمله والمعنى: كونهم مطيعين لله ورسوله متقين المخالفة لله تعالىٰ ورسوله ﷺ على وجه الإخلاص والاتقان في الاستجابه واتقاء المعصية كأنهم يرون الله تعالى. وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨﴾ [النساء، الآية: ١٢٨]. أي تعملوا الصلح الذي ليس فيه جور، وقيل هذا خطاب للأزواج، أي: وإن تحسنوا معها بالإقامة على الكراهية وتتقوا ظلمها حالة كونكم تفعلون ذلك وكأنكم تنظرون إلى الله تعالى على ماسبق في تعريف الإحسان، فإن الله تعالى مطلع على بواطن ماتخفون وما تعلنون ليجازيكم بها[٢].

وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾ [المائدة، الآية: ٩٣].

قال الطيبي رحمه الله: (المعنى أنه ليس المطلوب من المؤمنين الزهادة عن الملذات وتحريم الطيبات، وإنما المطلوب منهم الترقي في مدارج التقوى والإيمان إلى مراتب الإخلاص واليقين ومعارج القدس والكمال، وذلك بأن يثبتوا على الاتقاء عن الشرك، وعلى الإيمان بما يجب الإيمان به، وعلى الأعمال الصالحة لتحصل الاستقامة التامة التي يتمكن بها من الترقي إلى مرتبة المشاهدة ومعارج (أن تعبد الله كأنك تراه). وهو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ﴾ وبه ينتهي للزلفى عند الله ومحبته، والله يحب المحسنين)[٣].

قال القاسمي رحمه الله: (الإحسان المذكور في الآية: إما إحسان العمل، أو الإحسان إلى الخلق، أو إحسان المشاهدة المتقدم؛ ولا مانع من الحمل على الجميع)[٤].

ومقصوده بإحسان العمل إتقانه، والإحسان إلى الخلق الإنعام عليهم، وإحسان المشاهدة عبادة المؤمن ربه حتى كأنه يراه. ويمكن حمل الآية على

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي(١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥) (بتصرف).
(٢) انظر: معالم التنزيل (١/ ٣٨٨) (بتصرف).
(٣) محاسن التأويل (٦/ ٢١٤٨).
(٤) المرجع نفسه.

الأول والثالث دون الثاني لأمرين:

الأول: أن سياق الآيه ليس فيه إشارة للإنعام على الغير لا في السابق ولا في اللاحق.

الثاني: أن الإحسان مقترن هنا بالتقوى.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النحل، الآية: ٣٠].

أي لمن أحسن عمله على ماسبق بيان الإحسان مكافأة في هذه الدنيا حسنة يسرون بها من نعمة تنالهم في أنفسهم وأبدانهم وأحوالهم وذلك بسبب إحسانهم تقوى الله وعبادته، ولهم في الآخرة ماهو خير منها، وهي جنات عدن كما في الآية اللاحقة[(١)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل، الآية: ١٢٨] أي الذين هم فاعلون للإحسان.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر، الآية: ١٠].

أي: للذين أحسنوا اتقاءهم لله في الدنيا، مثوبة حسنة في الآخرة، لا يعرف كنهها إلا الله تعالى، فمن تعسر عليه القدرة على الإحسان في وطنه، فليهاجر إلى حيث يتمكن منه، ولا يعتذر عن التفريط في الإحسان بعدم مساعدة المكان فأرض الله واسعة. فمن كابد البلاء وهاجر الأوطان من أجل الإحسان وفاه الله أجره في الآخرة بغير مكيال[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر، الآية: ٣٣ ـ ٣٥] والمعنى يجزي الله المحسنين في تقواهم وأعمالهم بالمحاسن دون المساوىء[(٣)].

٤ ـ اقتران الإحسان بالعمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة، الآية: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ ﴾ [هود، الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل، الآية: ٩٦].

---

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (١٠/٣٧٩٨)، والمفردات للراغب (١١٧ ـ ١١٨).

(٢) انظر: محاسن التأويل (١٤/ ٥١٣٢) (بتصرف).

(٣) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٦٣).

وقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور، الآيتان: ٣٧ ـ ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف، الآية: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم، الآية: ٣١].

والمعنى: من أحسن عبادة ربه حتى كأنه يراه يُجْزَى أَجْرَ أَتْقَنِ عَمَلِهِ وأجوده، وإضافة الأحسن إلى مابعده ليست من إضافة المفضل إلى المفضل عليه، بل من إضافة الشيىء إلى بعضه قصدًا إلى التوضيح من غير اعتبار تفضيل[1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

والمعنى: تحروا فعل الإحسان والإتيان بكل ماهو حسن، ومن أجله الإنفاق في سبيل الله، وفيه تنبيه بإظهار المحبة للمحسنين على شرف منزلتهم وفضيلة أفعالهم[2].

٥ ـ أن يذكر الإحسان مفردًا إلا أنه من السياق يعرف اقترانه بالعمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٤].

اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية، وسببه بيان المراد بالاسم الموصول «الذي». فقيل المراد به مَنْ أحسن من قوم موسى، ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه «على الذين أحسنوا». قال أبو عبيدة: معناه على كل مَنْ أحسن، أي أتممنا فضيلة موسى عليه السلام بالكتاب على المحسنين، والمعنى: أظهرنا فضله عليهم، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وعلى هذا يكون الإحسان هنا بمعنى: إتقان الطاعة على وجه كأنه يرى الله تعالى.

وقيل المقصود بالاسم الموصول «الذي» ما، فيكون الذي أحسن هو موسى عليه السلام والتقدير آتيناه كتاب التوراة إتمامًا للنعمة عليه، لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر، وقيل الإحسان بمعنى العلم،

---

(١) انظر: فتح القدير (٤/٤٦٣) (بتصرف).

(٢) انظر: محاسن التأويل (٣/٤٨٢).

وأحسن بمعنى علم، ومعناه تمامًا على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة آتيناه الكتاب زيادة على ذلك.

وقيل المراد بالاسم الموصول «الذي» مَنْ أحسن وهو الله تعالى ومعناه: تمامًا مني على إحساني إلى موسى ويكون الإحسان هنا بمعنى الإنعام(1).

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس، الآية: ٢٦]. للذين أحسنوا النظر، فعرفوا مكر الدنيا وعاقبة الشهوات، فأعرضوا عنها وتوجهوا إلى الله تعالى، فعبدوه كأنهم يرونه، المثوبة الحسنى، وهي الجنة، وزيادة المثوبة وهي التفضل كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النساء، الآية: ١٧٣]. وأعظم أنواعها النظر إلى وجهه تعالى(2).

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء، الآية: ٧].

إن أحسنتم توبتكم وأعمالكم كأنكم ترون الله أحسنتم لأنفسكم وتفضلتم عليها بإبقاء الغلبة لها، والإمداد بالأموال والبنين وتكثير النفير(3).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف، الآيتان: ١٠٣ ـ ١٠٤]. يحسبون أنهم يعملون على مقتضى الإحسان في عبادة الله تعالى. والحال أنهم على ضلال وهم أهل الكفر والزيغ.

المعنى الثاني من معاني الإحسان:

أن لا يقترن بشيء من حقوق الله تعالى أو ما يجب له من الطاعة مطلقًا، فيكون المراد به: فعل ماينبغي فعله من المعروف. وهو ضربان:

أحدهما: الإنعام على الغير، بحيث يصير الغير حسنًا به، كإطعام الجائع، وتكون الهمزة هنا للتعدية.

والثاني: ما يصير الفاعل بسببه حسنًا بنفسه كمن عَلِمَ عِلْمًا محمودًا وعمل عملاً حسنًا، وتكون الهمزة هنا للصيرورة، ومنه قول علي رضي الله عنه: (الناس أبناء ما يحسنون). أي منسوبون إلى مايعلمون ويعملون من الأفعال الحسنة. وكلا الضربين متعلَّقُ المدح في العاجل والثواب في

---

(1) معالم التنزيل (٢/١١٨) (بتصرف شديد).

(2) انظر: محاسن التأويل (١٥/٣٣٤١ ـ ٣٣٤٢) (بتصرف).

(3) انظر: المصدر نفسه (١٠/٣٩٠٣).

الآجل. إذا صحبتهما النية الصالحة[1].

وممَّا يُستدل به على أن الإحسان إذا لم يقترن بشيء من حقوق الله تعالى أو مايجب له من الطاعة مطلقًا يكون بمعنى: فعل ماينبغي فعله من المعروف وصنع الجميل للنفس أو الغير.

قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء، الآية: ٣٦].

وفي الآية دلالة واضحة على الأمر بفعل المعروف والإنعام وصنع الجميل بالوالدين أولاً ثم ببقية الأصناف الثمانية.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء، الآية: ٨٦].

وأحسن هنا أفعل تفضيل من الحُسْنِ. ووجه الدلالة الأمر برد التحية بتحية أحسن منها وأجمل وهي الزيادة. وهذا إنعامٌ ومعروف وصنع جميل بالغير.

وهكذا في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة، الآية: ٨٣] أي قولوا أحسن الأقوال فالأول أفعل تفضيل والثاني قولوا قولاً حسنًا هكذا جاءت منكرة لتفيد التكثير والتعظيم.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٨].

أي أدوا إليه الدية بمعروف ليس فيه مماطلة ولا نقص.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٢].

وممَّا يستدل به من السنَّة:

ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْرٍ**، قال رجل: إن الرَّجل

---

(١) انظر: المفردات (١١٨)، والكليات (٥٣)، والتعريفات (٨٧) (بتصرف).

يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنةً، قال: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»**(١).

وفي الحديث الإحسان إلى النفس.

وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل يارسول الله مَنْ أحق الناس بحسن الصحبة قال: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك»(٢).

وفيه الإنعام على القرابة كل بحسب قربه.

وما روي عن عائشة زوج النبي ﷺ ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها فسألتني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليَّ النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبي ﷺ: **«من ابتليَ من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار»**(٣).

والإحسان إلى البنات الإنعام عليهن، بحسن الرعاية، والتربية وخصهن بذلك لمزيد حاجتهن له ولزهادة كثير من الناس فيهن.

وما رويَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يارسول الله إن لي قرابةً أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ وأحلُم عنهم ويجهلون عليَّ فقال: **«لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُم المَلَّ**(٤) **ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك»**(٥).

والإحسان إلى القرابة هو الإنعام عليهم وصنع الجميل بهم.

وما روي عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنا قعودًا بالأفنية نتحدث فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال: **«مالكم ولمجالس الصُّعُدَات**(٦) **اجتنبوا مجالس الصُّعُدَات فقلنا إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدث، قال: إمَّا لا فأدوا حقها: غض البصر ورد السلام وحسن الكلام»**(٧).

والكلام الحسن هو الجميل الطيب الذي هو نوع من الإنعام.

وما روي عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قَتَلْتُم**

(١) صحيح مسلم (١/ ٩٣) (٩١).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٩٧٤) (٢٥٤٨).
(٣) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٢٧) (٢٦٢٩).
(٤) المَلُّ: هو الرماد الحار. «النهاية» (٤/ ٣٦١).
(٥) صحيح مسلم (٣/ ١٩٨٢) (٢٥٥٨).
(٦) الصُّعُدَات: هي الطُّرُقُ «النهاية» (٣/ ٢٩).
(٧) صحيح مسلم (٢/ ١٧٠٣) (٢١٦١).

فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته، فَلْيُرِحْ ذبيحته»[(١)].

وفيه الإنعام وصنع الجميل بالغير حتى مع الحيوان حال ذبحه.

ـ ولا شكَّ أنَّ ثمة فرقًا بين الإحسان والإنعام:

فالإحسان أعم من الإنعام، لأن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول أحسنتُ إلى نفسي، وأحسنتُ إلى فلان، والإنعام لايكون إلا لغيره[(٢)].

ـ وفي الفرق بين الإحسان والحسنة:

يقول الراغب رحمه الله: الحسنة يعبر بها عن كل مايسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء، الآية: ٧٨]. أي خصب وسعة وظفر، أما الإحسان: فإنه يقال على وجهين أحدهما: الإحسان إلى النفس أو الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان في الفعل أو العمل، وعلى هذا قول الإمام علي رضي الله عنه ـ: «الناس أبناء مايحسنون» أي منسوبون إلى مايعملونه من الأفعال الحسنة[(٣)].

والعلاقة بين الأمرين واضحة لأن من يحسن إلى نفسه بإخلاص التوحيد والعبادة أو إلى غيره بالقول أو الفعل فإن ذلك يثمر له الحسنى، وهي الجنة، فالحسنة والإحسان كلاهما مأخوذان من الحُسْنِ الذي من شأنه أن يَسُرَّ من يتحلى به في الدنيا والآخرة[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم (٢/١٥٤٨) (١٩٥٥).

(٢) لسان العرب (١٣/١١٧).

(٣) انظر: المفردات (١١٧ ـ ١١٨).

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ لمجموعة من المختصين بإشراف د/ صالح بن حميد وغيره (٢/ ٧١).

المطلب الثاني
في استعمال مايتصرف مِنْ لفظة الإحسان مما له صلة بالموضوع

١ ـ حَسُنَ، وحَسُنَت: أي جَمُلَ وجَمُلتَ.

قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء، الآية: ٩٦].

والمعنى: جملت رفقتهم.

ووردت حسنت في القرآن الكريم في موضعين:

قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝٣١﴾ [الكهف، الآية: ٣١].

والمعنى: صارت حسنة جميلة.

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦﴾ [الفرقان، الآية: ٧٦].

والمعنى: زينت الجنة وجُمِّلت.

٢ ـ أَحْسَنَ: الهمزة للصيرورة. تقول أَحْسَنْت كذا: إذا أتيتَ بالفعل الحسن على وجه الإتقان والإحكام وصنع الجميل، وأحْسَنَ الفعل إذا أتقنه وجوّده وجمّله، وأحْسَنَ الرجل: صار حسنًا أو دخل في شيء حسن، فهو محسن وهم محسنون، وهن محسنات، أي يفعلون الإحسان متقنين مخلصين.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة، الآية: ٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أتقنه وأحكمه)[١]. وقال مقاتل رحمه الله: (علم كيف يخلق كل شيء، من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعمله)[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ﴾ [غافر، الآية: ٦٤]. أي أتقن صوركم وجملها.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين، الآية: ٤]. والمعنى: في أتقن قامة وأجمل صورة واعتدال[٣].

ومن السنة النبوية ماروي عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ لرجل: «كيف تقول في الصلاة، قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ٤٢٩).
(٢) معالم التنزيل (٣/ ٤٢٩).
(٣) انظر: فتح القدير(٥/ ٤٦٤).

الجنة وأعوذ بك من النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبي ﷺ: حولهما ندندن»[(١)].

وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً قرأ آيه وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها فجئت به النبي ﷺ فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال: كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»[(٢)].

٣ ـ أَحْسَنُ: أفعل تفضيل من الحسن بمعنى الجمال، وقد يحذف المفضل عليه لإرادة التعميم. والمعنى أكثر جمالاً.

ومنه قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٣٨]. الصبغة: الدين[(٣)]. والتفسير لا أحد أتقن وأجمل دينًا من دين الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء، الآية: ٥٩].

أي رد النزاع إلى الكتاب والسنة أجمل مآلاً وعاقبة[(٤)]، ويجوز: أجمل وأفضل من تأويلكم،[(٥)] والأول أرجح.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء، الآية: ٨٦]. والمعنى: ردوا التحية بأجمل منها. فإذا قيل لكم السلام عليكم، فقولوا: عليكم السلام ورحمة الله، وإذا قيل السلام عليكم ورحمة الله، فقولوا: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

وتأويل الآية: لا أحد أتقن وأجود وأجمل دينًا ممن استسلم لله بالتوحيد وانقاد له بالطاعة في كل وجهة حالة كونه متلبسًا بمرتبة الإحسان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة، الآية: ٥٠] ومعناه لا أحد أتقن وأجمل حكمًا من الله تعالى.

---

(١) سنن أبي داود (١/ ٥٠١) (٧٩٢) ابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٣/ ١٤٩) (٨٦٨) وإسناده صحيح وفيه الراوي المبهم من الصحابة وهو أبو هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٢٨٢) (٣٢٨٩).

(٣) انظر: معالم التنزيل (١/ ٨١).

(٤) المرجع السابق (١/ ٣٥٤).

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٢٥).

(٦) معالم التنزيل (١/ ٣٦٤) (بتصرف).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٢]، [الإسراء، الآية: ٣٤]. أي لاتقربوا مال اليتيم إلا بقرب هو أفضل القُرْب وأجمله والأتقن له وذلك بما فيه صلاحه وتثميره[١]. وعبر بقوله ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ﴾ عن قوله: ولا تعملوا في مال اليتيم؛ لأن النهي عن القرب فيه زيادة تَوَقٍّ وتحذير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٢١].

وفي الآية بعدما ذكر الله إحسان المجاهدين في سبيله من المهاجرين والأنصار وأنه لايضيع أجرهم بل هو مكتوب لهم يجازيهم به أفضل وأجمل وأجود ماكانوا يعملون وذلك بمضاعفة حسناتهم[٢]. أو بدخول الجنة.

وقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود، الآية: ٧]، [الملك، الآية: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف، الآية: ٧].

والمعنى: يختبرهم الله ويمتحنهم وهو أعلم أيهم أتقن وأفضل عملاً. وذلك بطاعته والورع عن محارمه تعالى[٣].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف، الآية: ٣].

والتأويل: نحن نقص عليك يا محمد أفضل القصص وأجمله وهي قصة يوسف عليه السلام خاصة، وسماها أحسن القصص لما فيها من العِبَرِ والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سِيَرِ الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد[٤].

وقال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل، الآية: ٩٦].

وتفسير الآيه أن الله تعالى يجزي الصابرين على الوفاء في السراء والضراء أجرًا أفضل من أجرهم وأجمل منه وذلك بمضاعفته أو بدخول

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١١٧).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٨٥).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٣١٦).
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٦٨ ـ ٦٩).

الجنة[1].

ومثلها قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل، الآية: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥]. أي ناظرهم يامحمد أو من يصلح له الخطاب أتقن المناظرة وأفضلها وأجملها، وذلك بأن تعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق[2].

وقال تعالى: ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الإسراء، الآية: ٣٥]. والمعنى زنوا بالعدل فإن ذلك أفضل عاقبة وأجود وأجمل مآلاً لكم[3].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٣].

وفي الآية أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا الخلَّةَ التي هي أفضل وأجمل حتى لاينزغ الشيطان بينهم[4].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [مريم، الآيتان: ٧٣، ٧٤].

وتأويل الآية: أن فقراء المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ كان فيهم فاقة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون أفخر ثيابهم، ويقولون لهم أي الفريقين خير منزلاً ومسكنًا وأجمل وأفضل مجلسًا نحن أم أنتم فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾. أي أهلكنا من هم أفضل متاعًا وأجود أموالاً وأجمل لباسًا وثيابًا ومنظرًا ونعمة منهم[5].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون، الآيات: ١٢ ـ ١٤].

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٦٨ ـ ٦٩) (بتصرف).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٧٤).
(٣) انظر: معالم التنزيل(٣/ ٩٩).
(٤) المصدر نفسه(٣/ ١٧٣) (بتصرف).
(٥) انظر: المصدر نفسه(٣/ ٢٥٧)، وفتح القدير(٣/ ٤٧٧).

ومعناه أن الله تعالى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال أتقن وأجود الصانعين المصورين المقدرين سبحانه وتعالى(١).

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون، ٩٦].

ومثلها قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت، الآية: ٣٤].

والمقصود ادفع بأفضل الخِلال وأجمل الخصال أذى المشركين وهي الصبر والإعراض والصفح عن أذاهم والكف عن مقاتلتهم. غير أن هذه الآية منسوخة في حق الكافرين بعد نزول آية السيف محكمة في حق المؤمنين(٢).

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور، الآية: ٣٦ ـ ٣٨]. والمراد من الآية أن الله يجزيهم بأفضل وأجمل ماعملوا وذلك حسبما وعدهم تعالى من مضاعفة الحسنات، ثم يتفضل عليهم بما فوق ذلك من الجزاء الموعود(٣).

وقال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان، الآية: ٢٤].

والمعنى: أن أصحاب الجنة يومئذ أفضل منزلاً وأجمل قائلة من هؤلاء المشركين المتكبرين، والقائلة هي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن هناك نوم(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان، الآية: ٣٣]. أي أتقن بيانًا وأجود تفصيلاً(٥).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت، الآية: ٧]. ومثلها قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف، الآية: ١٦].

أي نجزيهم بأجمل أعمالهم ونتقبل منهم أفضلها وأتقنها، والمراد: بأحسن هنا مجرد الوصف لا التفضيل لئلا يكون جزاؤهم بالحسن مسكوتًا

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٢٦٧)، وفتح القدير(٣/ ٤٩٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٢٩٦)، وفتح القدير (٤/ ٣٤).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٣١١)، وفتح القدير (٤/ ٧٠).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٣١٣) (بتصرف).

(٥) انظر: فتح القدير (٤/ ١٩٢)، (٥/ ١٨) (بتصرف).

عنه، وقيل اسم التفضيل على معناه والمراد به مايثاب عليه العبد من الأعمال. وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا وأجمل منه[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٦]. ومعنى الآيه: جادلوهم بالخصلة أو الخلّة التي هي أجمل وأجود الخلال والخصال، وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء اجابتهم إلى الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة، إلا الذين ظلموا منهم بعدم اعطاء الجزيه ونصب الحرب، فجادلوهم بالسيف[2].

وقال تعالى: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾ [الصافات، الآية: ١٢٥] البعل هو الصنم الذي كانوا يعبدونه، وفي الآية استفهام استنكاري توبيخي والتقدير كيف تعبدون صنمًا عملتموه ربًا وتتركون عبادة أتقن وأجود وأفضل من يقال له خالق: الله ربكم ورب آبائكم الأولين.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر، الآية: ٢٣].

وتأويل الآية: أن الله تعالى نزل أتقن الحديث وأجوده وأفضله، يشبه بعضه بعضًا في الجودة والإتقان والجمال، ويصدق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف[3].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥﴾ [الزمر، الآية: ٣٣ - ٣٥].

والمراد من الآية: أن ثواب من أحسن عبادة ربه حتى كأنه يراه أنْ يجزيه الله تعالى أجر من أتقن عمله وأجوده ولا يجزيه بالمساوىء، وإضافة الأحسن إلى مابعده ليست من إضافة المفضل إلى المفضل عليه، بل من إضافة الشيء إلى بعضه قصدًا إلى التوضيح من غير اعتبار تفضيل[4].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر، الآية: ٥٥].

والمعنى: التزموا طاعة الله تعالى واجتنبوا معصيته فإن في القرآن

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٤٠٤)، وفتح القدير (٤/ ٢٠٥).
(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٣٥)، وفتح القدير (٤/ ٤٠٩).
(٣) انظر: معالم التنزيل (٤/ ٦٦) (بتصرف).
(٤) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٦٣).

الكريم ذكر القبيح لتجتنبه، وذكر الأدون لئلا يرغب فيه، وذكر الأتقن والأجود والأفضل لتؤثره، وقيل أتقن وأجود ما أنزل الله تعالى إليكم من أخبار الأمم الماضية[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت، الآية: ٣٣].

والتفسير: لا أحد أفضل قولاً وأجود ممن دعا إلى طاعة الله عز وجل، حالة كونه يعمل الصالحات ويقول إنني من المسلمين. وقد أضيفت هذه الصفة إلى ضمير الغائب كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر، الآية: ١٨].

والمعنى: الذين يستمعون القرآن الكريم، وغيره، فيتبعون الأتقن والأجود والأجمل وهو القرآن، أو يستمعون القرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ فيتبعون الأبعد عن الشبهة وهو المحكم فيعملون به ويتركون المتشابه، وإلا فالقرآن والسنة كلاهما حسن، والمحكم منهما أحسن وأفضل لهم[2].

وقد أضيفت هذه الصفة إلى ضمير الغائبة كما في قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٥].

والمقصود بأحسنها هنا هو أتقنها الأبعد عن المتشابه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يحلون حلالها ويحرمون حرامها ويتدبرون أمثالها ويعملون بمحكمها، ويقفون عند متشابهها»[3].

والأمثلة من السنة على (أحسن) كثيرة، منها:

ماورد عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته بعد التشهد: «أحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ»[4].

٤ ـ حُسْن: وحسن الشيء جماله، والحسن الجمال، وضده القبح، وقد وردت لفظة (حُسْن) في القرآن الكريم في سبعة مواضع.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٤]. والمعنى أن الله تعالى عنده المرجع الحسن الجميل وهو الجنة، وذلك من إضافة الصفة إلى موصوفها[5].

وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران، الآية:

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٧٦)، ومعالم التنزيل (٤/ ٧٤)(بتصرف).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٥٩) (بتصرف شديد).
(٣) معالم التنزيل (٢/ ١٦٧).
(٤) سنن النسائي (٣/ ٥٨) (١٣١١)، وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن النسائي (١/ ٢٨٢) (١٢٤٣).
(٥) روح المعاني للألوسي (٣/ ١٠٠).

١٤٨]. والمقصود ثواب الآخرة الجميل، وهو الجنة[١].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٥].

أي: الثواب الجميل.

وقال تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد، الآية: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾ [صٓ، الآية: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩﴾ [صٓ، الآية: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ [الأحزاب، الآية: ٥٢].

وحسنهن: جمالهن.

ومن السنة:

ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى، ما لي لا ألعن من لعن النبيُّ ﷺ وهو في كتاب الله «وما آتاكم الرسول فخذوه»[٢].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث طويل وهو يخاطب حفصة رضي الله عنهما قال: «يابنيةُ لايغرنك هذه التي أعجبها حُسْنُهَا حُبُّ رسول الله ﷺ إياها يريد عائشة [رضي الله عنها]»[٣].

٥ ـ حَسَن: صفة مشبهة، بمعنى جميل مرغوب فيه.

قال الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ [آل عمران، الآية: ٣٧]. يعني مريم عليها السلام عندما تقبلها ربها بقبول جميل طيب جيث سلك بها سبيل السعداء، وأنبتها نباتًا جميلاً طيبًا فسوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان وكانت تنمو نموًا سريعًا[٤].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٥]. والمقصود: من ينفق المال الحلال الطيب المرغوب فيه في طاعة الله عز وجل محتسبًا ذلك طيبة به نفسه من غير مَنٍّ ولا أذى يضاعفه الله له أضعافًا كثيرة[٥].

وقال تعالى: ﴿۞وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ

---

(١) روح المعاني (٤/٨٦).
(٢) صحيح البخاري (٥/٢٢١٦) (٥٥٨٧).
(٣) صحيح البخاري (٤/١٦٨٨) (٤٦٢٩).
(٤) انظر: معالم التنزيل (١/٢٢٨) (بتصرف).
(٥) انظر: معالم التنزيل (١/١٦٨) (بتصرف).

عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة، الآية: ١٢].

والقرض الحسن هو الطيب الجميل المرغوب فيه، وذلك بإخراج الزكاة والنفقة على الأهل وغيرهما من أوجه البر[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال، الآية: ١٧].

والمعنى: لينعم الله تعالى على المؤمنين منه نعمة طيبة جميلة وعظيمة مرغوبًا فيها وذلك إما بالنصر أو الغنيمة أو هما معًا[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود، الآية: ٣].

أي: متاعًا طيبًا جميلاً ترغبونه، وذلك بأن يعيشكم عيشًا في دعة وأمن وسعة[(٣)].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود، الآية: ٨٨].

والرزق الحسن: هو الطيب الجميل الذي ترغبه النفوس، وذلك بأن يكون كثيرًا وحلالاً مع طيبه وجماله[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل، الآية: ٦٧].

أي: الطيب الجميل المرغوب فيه وهو الحلال[(٥)].

وقال تعالى: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل، الآية: ٧٥].

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٢/ ١٦) (بتصرف).
(٢) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٠٠) (بتصرف).
(٣) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٣١٤) (بتصرف).
(٤) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٣٣٥) (بتصرف).
(٥) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٦٢) (بتصرف).

هذا مثل المؤمن الذي أعطاه الله مالاً طيبًا جميلاً فعمل فيه بطاعة الله وانفقه في رضاء الله سرًا وجهرًا فأثابه الله تعالى عليه الجنة[١].

وقال تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف، الآية: ٢].

وهو الطيب الجميل الذي يرغبه كل أحد وهو الجنة[٢].

وقال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ [طه، الآية: ٨٦].

الوعد الحسن: هو الطيب الصادق الذي ترغب فيه النفوس وهو إعطاؤهم التوراة[٣]. وقال ابن كثير: أي كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة[٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الحج، الآية: ٥٨].

الرزق الحسن هو الطيب الجميل الذي ترغبه النفوس الذي لاينقطع أبدًا وهو الجنة[٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [القصص، الآية: ٦١].

أي وعدًا طيبًا جميلاً مرغوبًا فيه وهو الجنة[٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر، الآية: ٨].

والمراد من الآية: أفمن زُيِّنَ له سوء عمله حتى رأى الباطل القبيح حقًا جميلاً مرغوبًا فيه كمن هداه الله فرأى الحق الجميل حقًا والباطل القبيح باطلاً والاستفهام هنا للاستنكار والتوبيخ والتهكم[٧].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح، الآية: ١٦].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٦٤) (بتصرف).
(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/ ١١٩) (بتصرف).
(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/ ١٩١) (بتصرف).
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٩).
(٥) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٣٤٨) بتصرف.
(٦) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٣٨٨).
(٧) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٤٨٨).

[الحديد، الآية: ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١٨﴾ [الحديد، الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧﴾ [التغابن، الآية: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ [المزمل، الآية: ٢٠].

والمعنى من هذه الآيات واضح كما سبق.

٦ ـ حُسْنًا: أتى بالمصدر للمبالغة، أي أمرًا حسنًا يعني طيبًا جميلاً، أو حذف المضاف: أي ذا حُسْنٍ.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في خمسة مواضع:

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].

أي قولاً حُسْنًا أو ذا حُسْنٍ. جميلاً أو ذا جمال، والمراد: قولوا لهم القول الطيب الجميل وجاوبوهم بأحسن مايحبون[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦﴾ [الكهف، الآية: ٨٦].

أي فعلاً ذا حُسْنٍ على حذف المضاف أو على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة، أي فعلاً حسنًا جميلاً، والمراد بذلك الدعوة إلى الحق والرشاد إلى مافيه الفوز بالدرجات[٢].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾ [النمل، الآية: ١١].

المراد التوبة.

وقوال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت، الآية: ٨]. أي تعهدهما ومراعاة مايصلح لهما في كل شيء[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى، الآية: ٢٣].

أي نزد له في الحسنة وهي الطاعة حسنًا وجمالاً بمضاعفتها والإثابة عليها.

٧ ـ استحسن: تقول استحسن فلان الشيء إذا عده حسنًا.

عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال: وُلِدَ لرجل منا غلام فسمَّاه القاسم، فقالت الأنصار: لانكنيك أبا القاسم ولا ننعمك عينًا، فأتى

---

(١) انظر: معالم التنزيل (١/٣٠٨، ٣٠٩).
(٢) انظر: معالم التنزيل (١٦/ ٣٤).
(٣) انظر: معالم التنزيل (٢٠/ ١٣٨).

النبي ﷺ فقال: يارسول الله، وُلِدَ لي غلام، فسميته القاسم، فقالت الأنصار: لانكنيك أبا القاسم ولا ننعمك عينًا، فقال النبي ﷺ: «أحسنت الأنصار، سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، فإنما أنا القاسم»[1].

أي أن الرسول ﷺ استحسن فعل الأنصار وعده طيبًا جميلاً.

٨ ـ الحُسْنَيين: مثنى الحُسْنِ، بمعنى الجمال.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة، الآية: ٥٢].

والحسنيان في الآيه النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة[2].

٩ ـ الحِسان: جمع الحَسن والحَسَنَة.

قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن، الآية: ٧٠].

أي جميلات الخَلق والخُلق.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن، الآية: ٧٦].

يعني جميلات في الجنة.

١٠ ـ الحَسَنَة: مؤنث الْحَسَن، وقد وردت في القرآن الكريم بصيغة الإفراد ثمان وعشرين مرة، وثلاث مرات بصيغة جمع المؤنث السالم، ولها ستة معان هي على النحو الآتي:

أوّلاً: بمعنى: النصر والغنيمة[3]، لما في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران، الآية: ١٢٠]. وهذه ثمرة الإحسان المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

ثانيًا: من معانيها: المطر والخصب[4]، وهي ثمرة من ثمرات إحسان الله على عباده وتفضله عليهم، وذلك ما أشار إليه عز وجل بقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص، الآية: ٧٧].

ثالثًا: من معانيها: العافية[5]، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الرعد، الآية: ٦]. وهذه كسابقتها من ثمار إحسان الله

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١١٣٤) (٢٩٤٧).
(٢) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٥٣).
(٣) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٥٣).
(٤) التفسير الكبير (٣/ ٢٦٧).
(٥) معالم التنزيل (٣/ ٥).

تعالى على عباده برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

رابعًا: ومن معانيها: قول المعروف، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤]. وهذه ثمرة الإحسان بمعنى الفضل والعفو عن المسيىء مع المقدرة على عقوبته ولو بمثل ما فعل، وهو الإحسان المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٤].

خامسًا: ومن معانيها: فعل الخيرات، كما في قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٠]. وهذه ثمرة الإحسان إلى النفس بإعطائها ماوعد الله به المحسنين في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء، الآية: ٧]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات، الآيتان: ١٥ ـ ١٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: كانوا محسنين في أعمالهم[١].

سادسًا: ومن معانيها: الجمال إذا كانت صفة لموصوف لأنها مؤنث: حَسَن: تقول حَسُنَ الشيء يَحْسُنُ حُسْنًا: إذا صار حسنًا جميلاً. كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة، الآية: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥]. وفيه الإحسان إلى النفس باتباع ماهو جميل.

ومن هذا يتضح لنا الارتباط الكامل والعلاقة الجوهرية بين الإحسان بمعانيه كافة والحسنة في كل استعمالاتها في القرآن. فإذا كان الإحسان شجرة فالحسنة ثمرته، ولما كانت الشجرة طيبة كانت ثمرتها حلوة المذاق حسنة المنظر في الدنيا والآخرة[٢].

١١ ـ الحُسْنَى: مؤنث الأَحْسَن: والحسنى: ضد السُّوأَى وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا ولها أربعة معانٍ وهي:

الأول: من معانيها: البالغةُ في الحُسْنِ الغاية: وهو الجمال والكمال، ومنها أسماء الله الحسنى، أي البالغة في الحسن وهو الجمال والكمال الغاية.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٥).

(٢) معاني الحسنة مقتبسة من نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر، الآية: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه، الآية: ٨].

وقال تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء، الآية: ١١٠]. وفيه الإحسان في عبادة الله تعالى باعتقاد كمال أسماء الله وجلالها وأنها بالغة في الحسن الغاية لايشابهه فيها أحد وإن اشترك الخالق والمخلوق في بعض الأسماء فهو من باب القَدْرِ المشترك في التسمية لا المسمى قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم، الآية: ٦٥].

الثاني: من معانيها: الطيبة المستحسنة، وقد وصف الله تعالى كلماته بالحسنى لما فيها من الوعد بما يحبون ويستحسنون[1]. وهو وعد الله بني إسرائيل النصر والظفر والتمكين في أرض فرعون.

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٣٧]. وفيه إحسان الله إلى عباده المؤمنين.

الثالث: من معانيها: الفعلة الحسنة، أو الطريقة الخيرة: وهي التوسعة على أهل الضعف والعجز[2].

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٠٧] يعني المنافقين. وفي الآية أن ما كل مستحسن عقلاً وطبعًا بِحَسَنٍ مالم يوافق الشرع.

الرابع: من معانيها: الجنة، وهي عاقبة الحسنات. كما قال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس، الآية: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الليل، الآية: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الليل، الآية: ٩].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الرعد، الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ﴾ [الكهف، الآية: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم، الآية: ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء، الآية: ١٠١].

---

(١) روح المعاني (٩/ ٣٩).
(٢) معالم التنزيل (٢/ ٢٧٥).

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء، الآية: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النحل، الآية: ٦٢، الحديد، الآية: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت، الآية: ٥٠].

وبالجنة فسره النبي ﷺ كما في حديث صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وَتُنَجّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل». وبإسناد آخر وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس، الآية: ٢٦][1].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٦٣) (١٨١).

المطلب الثالث
فيما يضاد الإحسان؛ وهو الإساءة

أولاً: التعريف.

أ ـ الإساءة لغة:

مصدر أَسَاءَ يُسِيءُ، مأخوذ من مادة (س و أ) وهي من باب القبح، تقول رجل أَسْوَأُ: أي قبيح، وأمرأة سَوْآءُ: أي قبيحة ولذلك سميت السيئة سيئة، وسميت النار سُوأَىٰ لقبح منظرها، والسُّوءُ: الفجور والمنكر، ورجل سَوْءٍ: يعمل عمل سَوْءٍ، وأساء الرجل إساءة: خلاف أحسن. وأساء إليه: نقيض أحسن إليه. والسيئة: الخطيئة. والسَّوْأَةُ: العورة، والفاحشة[1].

وعلى هذا فالإساءةُ فِعْلُ السوءِ أو السيئةِ. أي القبيح، أو القبيحة.

ب ـ الإساءة اصطلاحًا:

فعل أمر قبيح يَغُمُّ الإنسان في أمور الدارين من الأحوال النفسية والبدنية والخارجية[2].

ثانيًا: أقسام السيئة، والإساءة.

أ ـ أقسام السيئة: قال الراغب رحمه الله: والحسنة والسيئة ضربان: أحدهما: بحسب اعتبار الشرع والفعل نحو المذكور في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٠].

والثاني: بحسب اعتبار الطبع وما يستخفه وما يستثقله نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف، الآية: ١٣١][3].

ب ـ أقسام الإساءة:

وهي تنقسم إلى أقسام، ولكل قسم أنواع:

القسم الأول: الإساءة القاصرة، وهي أنواع:

منها: التعرض لأذية الله تعالى، والتهاون بالصلاة، وقتل الرجل نفسه والأكل في آنية الذهب والفضة، وتقليد الجاهل، والتصوير، وغيرها مما تعود الإساءة فيه على الفاعل نَفْسِه دون غيره.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤٩٦)، والصحاح (٣/ ١١٢)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٨٨) ولسان العرب (١/ ٩٥) وما بعدها.

(٢) انظر: المفردات (٢٥٢).

(٣) انظر: المصدر نفسه (بتصرف يسير).

القسم الثاني: الإساءة المتعدية القولية والفعلية. وهي أنواع منها:

كذب الملوك، وزنا الشيوخ، وكبر الفقراء، وتكذيب الرسل عليهم السلام وسوء الأدب معهم، وأذية الوالدين، وأذية المؤمنين، وقطيعة الأرحام، وتبديل الوصايا، وإيثار الدنيا على الآخرة، وغيرها.

القسم الثالث: الإساءة الفعلية، وهي أنواع منها هجر المسلم، والإشاره بالسلاح على المسلم، والاحتكار، والخيانة، والمطل مع اليسار، والخلوة المحرمة، وأذية الدواب، وطرد الفقراء وغيرها.

القسم الرابع: الإساءة القولية، وهي أنواع منها: سب المسلم، وإفشاء السر، والطعن في الأنساب، والشفاعة فيما لا يجوز، والمجادلة عن الخائن، والفتيا بغير علم، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وتزكية النفس، سب الدهر وغيرها[1].

ثالثًا: معنى كلمة السوء، والسيئة، والسيئات في القرآن الكريم:

أ ـ معنى كلمة السوء:

وردت كلمة السوء في القرآن الكريم على أحد عشر وجهًا وهي كالآتي:

الوجه الأوَّل: بمعنى الشدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة، الآية: ٤٩]. يعني شدة العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد، الآية: ١٨].

الوجه الثاني: بمعنى العقْر، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٧٣]. يعني بعَقْرٍ أي لا تعقروها والعقر هو القتل.

الوجه الثالث: بمعنى الزنا، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف، الآية: ٥١]. أي من زنا، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم، الآية: ٢٨]. يعني ما كان زانيًا.

الوجه الرابع: بمعنى البرص، وذلك في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه، الآية: ٢٢]. يعني بيضاء من غير برص[2].

الوجه الخامس: بمعنى العذاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل، الآية: ٢٧]. يعني العذاب، وقوله

---

(١) انظر: شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعز بن عبدالسلام (٢٩٧ ـ ٣٣٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/١٢٨).

تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد، الآية: ١١]. يعني عذابًا.

الوجه السادس: بمعنى الشرك، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [النحل، الآية: ٢٨]. يعني الشرك، وقوله تعالى ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [النجم، الآية: ٣١]. يعني أشركوا.

الوجه السابع: بمعنى الشتم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة، الآية: ٢]. يعني الشتم، وقوله تعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء، الآية: ١٤٨]. يعني الشتم.

الوجه الثامن: بمعنى بئس، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد، الآية: ٢٥]. يعني بئس الدار يريد منازلهم.

الوجه التاسع: بمعنى الذَّنْب من المؤمن، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء، الآية: ١٧]. يعني الذنب، وكل ذنب من المؤمن فهو جهل منه.

الوجه العاشر: بمعنى الضُّر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٨]. يعني الضُّر وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل، الآية: ٦٢]. يعني الضر.

الوجه الحادي عشر: بمعنى القتل والهزيمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ [الأحزاب، الآية: ١٧]. يعني القتل والهزيمة(١).

ب ـ كلمة السيئة:

وردت السيئة في القرآن الكريم على أوجه متعددة:

الوجه الأول: بمعنى القتل والهزيمة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ [آل عمران، الآية: ١٢٠]. يعني القتل والهزيمة يوم أحد.

الوجه الثاني: بمعنى الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل، الآية: ٩٠]. يعني الشرك.

الوجه الثالث: بمعنى قحط المطر، والجدب، وقِلَّةِ النبات، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف، الآية: ١٣١]. يعني قحط المطر وقلة الخير والنبات.

الوجه الرابع: بمعنى العذاب في الدنيا، وذلك في قوله تعالى:

---

(١) انظر: التصاريف وتفسير القرآن ممَّا اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام(١٢١ ـ ١٢٤) وكشف السرائر في الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد (٥٨ ـ ٦١) (بتصرف).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الرعد، الآية: ٦]. يعني بالعذاب في الدنيا، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [النمل، الآية: ٤٦]. يعني بالعذاب في الدنيا.

الوجه الخامس: بمعنى الأذى وقول الفحش، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤]. يعني الشر من القول والأذى(١).

جـ ـ كلمة السيئات:

وردت لفظة السيئات في القرآن الكريم على خمسة أوجه وهي:

الوجه الأول: بمعنى الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [يونس، الآية: ٢٧]. يعني عملوا الشرك. وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء، الآية: ١٨]. يعني الشرك.

الوجه الثاني: بمعنى العذاب، كما قال تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر، الآية: ٥١]. يعني عذابًا بما عملوا من الشرك، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر، الآية: ٥١]. يعني العذاب بما عملوا من الشرك.

الوجه الثالث: بمعنى الضُّر، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف، الآية: ١٦٨]. يعني الضُّر.

الوجه الرابع: بمعنى الشَّر، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر، الآية: ٤٥]. يعني الشَّر الذي أرادوا بمؤمن آل فرعون.

الوجه الخامس: بمعنى الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود، الآية: ٧٨]. يعني الفاحشة فيأتون الرجال دون النساء(٢).

---

(١) انظر: التصاريف (١٢٥ـ ١٢٧)، وكشف السراء (٢٨٠).

(٢) انظر: كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر (٢٨٠)، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٣٦٢).

المبحث الثالث

في الألفاظ ذات الصلة بالإحسان، ودلالاتها

وفيه اثنا عشر مطلباً.

المطلب الأول: **في لفظة «فضل» وما يتصرف منها**

المطلب الثاني: **في لفظة «نعم» وما يتصرف منها**

المطلب الثالث: **في لفظة «خير» وما يتصرف منها**

المطلب الرابع: **في لفظة «جمل» وما يتصرف منها**

المطلب الخامس: **في لفظة «تقنى» وما يتصرف منها**

المطلب السادس: **في لفظة «صلح» وما يتصرف منها**

المطلب السابع: **في لفظة «المعروف» وما يتصرف منها**

المطلب الثامن: **في لفظة «كمل» وما يتصرف منها**

المطلب التاسع: **في لفظة «طاب» وما يتصرف منها**

المطلب العاشر: **في لفظة «البر» وما يتصرف منها**

المطلب الحادي عشر: **في لفظة «زين» وما يتصرف منها**

المطلب الثاني عشر: **في لفظة «التحبير» وما يتصرف منها**

المطلب الأول
في لفظة «فضل» وما يتصرف منها

أ ـ ما ورد منها في القرآن الكريم:

وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع ولها معنيان:

المعنى الأول: الإحسان، وهو ثلاثة أنواع.

النوع الأول: إحسان الله تعالى إلى الإنسان بالنعم. وهذا النوع ورد فيه سبع وتسعون آية من كتاب الله تعالى. سواء أكان بالفَضْل أو التفَضُّل أم التَفْضِيل، فإن فيها معنى الإحسان. من ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١﴾ [الإسراء، الآية: ٢١].

النوع الثاني: إحسان الإنسان في عبادة الله تعالى. وهذا النوع ورد في آية واحدة في سورة [هود، الآية: ٣] قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾.

قال البغوي رحمه الله: (يؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة)[1].

النوع الثالث: إحسان الإنسان إلى غيره. وورد هذا النوع في آيتين.

الأولى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٣٧﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٧].

قال البغوي رحمه الله: (حثهما جميعًا على الإحسان)[2].

والثانية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾ [النور، الآية: ٢٢].

وأولوا الفضل: هم أهل الزيادة في الإحسان، وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما قطع النفقة عن مسطح رضي الله عنه، بعد حادثة الإفك، فلما أنزلت الآية أعادها أبو بكر رضي الله عنه كما كانت. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وإن كان يندرج فيه اندراجًا

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٣١٤).

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٦٣).

أوليًا[1].

المعنى الثاني: المزية وادعاء الفضل: أي الزيادة. وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في ثلاث آيات منها:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٣٩]. قال مجاهد رحمه الله: أي (تخفيف من العذاب)[2].

وسوف يأتي مزيد إيضاح وشرح مفصل للمعنى الأول بأنواعه الثلاثة كل في موطنه المناسب إن شاء الله.

ب ـ ماورد في السنة النبوية عن لفظة (فَضَل) وما يتصرف منها:

أولاً: ماورد عن صيغة أفضل: أفعل التفضيل من الحُسْنِ بمعنى الجمال.

١ ـ أفضل الناس:

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حدثه قال: قيل يارسول الله: أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره[3].

٢ ـ أفضل الإسلام:

ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يارسول الله أي الإسلام أفضل قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[4].

٣ ـ أفضل الأعمال:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[5].

٤ ـ أفضل الأماكن للصلوات:

عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة قال: حسبت أنه قال: من حصير في رمضان فصلى فيها ليالي فصلى بصلاته ناس من أصحابه فلما علم بهم جعل يقعد فخرج إليهم فقال: قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٣٨).
(٢) فتح القدير (٢/ ٢٠٤).
(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٠٢٦) (٢٦٣٤).
(٤) صحيح البخاري (١/ ١٣) (١١).
(٥) صحيح البخاري (١/ ١٨) (٢٦).

فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة قال عفان: حدثنا وهيب حدثنا موسى سمعت أبا النضر عن بسر عن زيد عن النبي ﷺ[١].

٥ ـ أفضل أوقات الذكر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما العمل في أيام أفضل منها في هذه قالوا: ولا الجهاد قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**»[٢]. يعني عشر ذي الحجة، وبوب عليه البخاري بقوله: (فضل العمل في أيام التشريق).

٦ ـ أفضل أحوال المصلي:

ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعدًا فقال: «**إن صلى قائمًا فهو أفضل ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم ومن صلى نائمًا فله نصف أجر القاعد**»[٣].

٧ ـ أفضل الصيام في النافلة:

ـ عن عبدالله بن عمرو قال: أخبر رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ماعشت فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي قال: فإنك لا تستطيع ذلك فصم، وأفطر، وقم، ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: فصم يومًا وأفطر يومين قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: فصم يومًا وأفطر يومًا فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك فقال: النبي ﷺ: لا أفضل من ذلك[٤].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال: سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ فقال: أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم[٥].

ثانيًا: أفضل: بمعنى الزيادة والإحسان إلى الغير:

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: إحسان الله تعالى إلى الناس:

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٥٦) (٦٩٨).
(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٢٩) (٩٢٦).
(٣) صحيح البخاري (١/ ٣٧٥) (١٠٦٤).
(٤) صحيح البخاري (٣/ ٦٩٧) (١٨٧٥).
(٥) صحيح مسلم (١/ ٨٢١) (١١٦٣).

ـ الإحسان إلى المسلمين خاصة. ومنها:

١ ـ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ونحن كنا أكثر عملاً قال: قال الله عز وجل هل ظلمتكم من أجركم من شيء قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء[١].

٢ ـ أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مامن عبد يموت، له عند الله خير، يسره أن يرجع إلى الدنيا، وأن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فَيُقْتَلَ مرَّةً أخرى»[٢].

النوع الثاني: إحسان الإنسان إلى الإنسان والأحاديث كثيرة منها:

١ ـ عن أنس رضي الله عنه يقول أتانا رسول الله ﷺ في دارنا هذه فاستسقى فحلبنا له شاة لنا ثم شبته من ماء بئرنا هذه فأعطيته وأبو بكر عن يساره وعمر تجاهه وأعرابي عن يمينه فلما فرغ قال عمر هذا أبو بكر فأعطى الأعرابي فضله ثم قال الأيمنون الأيمنون ألا فيمنوا قال أنس فهي سنة فهي سنة ثلاث مرات[٣].

٢ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ما من مسلم يتوفي له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»**[٤].

النوع الثالث: الإحسان إلى النفس: وفيه أحاديث منها:

ـ سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن كسب الحجام فقال: احتجم رسول الله ﷺ حجمه أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام وكلم أهله فوضعوا عنه من خراجه وقال إن أفضل ما تداويتم به الحجامة أو هو من أمثل دوائكم حدثنا ابن أبي عمر حدثنا مروان يعني الفزاري عن حميد قال سئل أنس عن كسب الحجام فذكر بمثله غير أنه قال: **«إن أفضل ما تداويتم به الحجامة**

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٠٤) (٥٣٢).
(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٠٢٩) (٢٦٤٢).
(٣) صحيح البخاري (٢/ ٩٠٩) (٢٤٣٢).
(٤) صحيح البخاري (١/ ٤٢١) (١١٩١).

والقُسْط البحري[1] ولا تعذبوا صبيانكم بالغَمْز[2]»[3].

---

(١) القُسط البحري: العود. «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٦٠).

(٢) الغَمْز: هو الكبس «النهاية» (٣/ ٣٨٥).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٢٠٤) (١٥٧٧).

المطلب الثاني
في لفظة «نَعَم» وما يتصرف منها

أ ـ في القرآن الكريم:

قال ابن فارس رحمه الله: (النون والعين والميم فروعه كثيرة) وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفُّهٍ وطيب عيش وصلاح). ومنها النِعْمَةُ: وهي الحالة الحسنة[1].

وقد وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في القرآن الكريم في مائة وأربعة وأربعين موضعًا، وهي على النحو الآتي:

١ ـ (نِعْمَ): فِعْلٌ يفيد المدح بإزاء بئس في الذَّم[2]. وقد وردت ست عشرة مرة. منها قال الله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٦].

٢ ـ نِعِمَّا: أصلها نعم ما: أي نِعْمَتِ الخَصْلَةُ هي[3]. وورد في موضعين قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٧١]، واللفظ في سورة النساء/ ٥٨.

٣ ـ نَعَّمَهُ: يسَّر له العيش في رفاهية. ووردت في موضع واحد في سورة الفجر/ ١٥ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ١٥﴾.

٤ ـ أَنْعَم: الإنْعَامُ: إيصال الإحسان إلى الغير، ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين فإنه لا يقال أنعم على فرسه. والنِّعْمةُ: الحالة الحسنة وهي للجنس تقال للقليل والكثير[4].

وكل إنعام في القرآن فالمراد به: إحسان الله تعالى إلى الناس. وقد وردت أربعًا وثمانين مرة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء، الآية: ٨٣].

وجاء: (أَنْعَم، أَنْعَمتَ، أَنْعَمْنَا، أَنْعَمها: أي منحها، أَنْعُم: جمع نِعمة: وهي كل خير ديني أو دنيوي كالإيمان والمال والجاه وغيرها، أَنْعُمه، ناعِمَة: مُشْرِقة، نَعْماء: نعمة أي خير، نَعْمة: رفاهية وطيب عيش، النعيم:

---

(١) مقاييس اللغة (١٠٣٥)، المفردات (٥٢١).

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ١١١٠، المفردات (٢١).

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ١١١٠)، المفردات (٥٢١).

(٤) المفردات (٥٢٠).

كل مايستطاب ويستمتع به)[1].

وورد بمعنى إحسان الإنسان إلى الإنسان في آيتين: الأولى: في سورة الأحزاب/ ٣٧. في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾. والمنعم هنا هو النبي ﷺ والمنعم عليه هو زيد بن حارثة رضي الله عنه. أنعم عليه بالتربية والإعتاق[2].

والثانية: في سورة الشعراء/ ٢٢. في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول موسى عليه السلام لفرعون: كيف تمنُّ عليَّ بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن أُهين قومه ذُلَّ، فتعبيدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إليَّ[3].

٥ ـ الأَنْعَام: جمع نَعَم، والنَّعم: الإبل سميت بذلك لكون الإبل عند العرب أَعْظَم نِعْمةٍ، لكن الأنعام تقال: للإبل والبقر والغنم ولا يقال أنعام حتى يكون في جملتها الإبل[4]. وقد وردت هذه اللفظة وما في معناها في ست وثلاثين موضعًا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام، الآية: ١٤٢]

٦ ـ نَعَم: حرف جواب لإثبات ماقبله[5]. من لفظ النِّعْمةِ تقول: نَعَمْ ونُعْمةُ عين[6].

ووردت في أربعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ [الأعراف، الآية: ٤٤].

ب ـ من السنة النبوية:

أولاً: إنعام الله تعالى على الناس:

أ ـ في الدنيا:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثًا غير تمام**» فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ماسأل، فإذا قال العبد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (١١١٠ ـ ١١١٣).
(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٤٥٩).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٣٢٧).
(٤) المفردات (٥٢٠)، معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ١١١٠).
(٥) المفردات (٥٢١)، معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ١١١٢).
(٦) المفردات (٥٢١)، معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ١١١٢).

قال ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ قال مجدني عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي فإذا قال ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل فإذا قال ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال هذا لعبدي ولعبدي ماسأل»[١].

ب ـ إنعام الله على المسلمين في الآخرة:

ـ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا فذلك قوله عز وجل ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣﴾[٢].

ثانيًا: إحسان الإنسان إلى غيره:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثُمَامَةُ بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ماعندك ياثمامة؟ فقال عندي خير يامحمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ماشئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: ماعندك ياثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ماعندك ياثمامة؟ فقال: عندي ماقلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يامحمد والله ماكان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ماكان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ماكان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل: صبوت قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ[٣].

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٨٣٤) (٢٢٤٠).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢١٨٢) (٢٨٣٧).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٥٨٩) (٤١١٤).

المطلب الثالث
في لفظة «خَيْر» وما يتصرف منها[1]

أ ـ في القرآن الكريم:

وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في القرآن الكريم في مائة وستة وتسعين موضعًا. وهي ودلالاتها على النحو الآتي:

١ ـ اخْتَارَ: انتقى وأخذ خير الشيء، والخير مايرغب فيه الكل ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٥].

٢ ـ واخْتَرْتُكَ: انتقيتك واصطفيتك. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه، الآية: ١٣].

٣ ـ واخترناهم على العالمين: فضلناهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان، الآية: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص، الآية: ٦٨].

٤ ـ تَخَيَّرُون: تتخيرون: تختارون خير الشيء وتنتقونه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [القلم، الآية: ٣٨].

٥ ـ الأخيار: مفرده الخَيْر المخففة من الخيّر: صفة مشبهة، أو الخَيْر الذي هو أفعل تفضيل، وجمع على أفعال للزوم تخفيفه بحذْفِ الهمزة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [صَ، الآية: ٤٧، ٤٨].

٦ ـ واستعملت خَيْر، والمصدر منها، وما دخلت عليه أل التعريف ولها ثلاثة معان:

أ ـ بمعنى مافيه نفع وصلاح:

وذلك في ستة وثلاثين موضعًا.

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٥٨].

ب ـ بمعنى: ماهو أداة للنفع والصلاح كالمال والخيل. وورد ذلك في عشرة مواضع.

منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٥].

جـ ـ وجاء اسم تفضيل، وأصله أخير، حذفت همزته على خلاف القياس لكثرة الاستعمال. وذلك في مائة وعشرين موضعًا دون أن تدخل أل

---

(١) انظره في: معجم ألفاظ القرآن الكريم (٣٨٧ ـ ٣٨٩) (بتصرف واختصار).

التعريف عليه مثل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران، الآية: ١١٠].

٧ ـ خَيْرات: مفرده خَيْرة وهي الصالحة الفاضلة من النساء والأمور، وقد تكون مخففة من خَيِّرة، صفة مشبهة، وبهما قرىء قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن، الآية: ٧٠].

٨ ـ الخَيرات: مفرده الخيرة: الفاضلة من النساء والأمور. ووردت في تسعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة، الآية: ١٤٨].

٩ ـ الخِيَرة: ماكان لهم الخيرة: أي ماكان لهم أن يختاروا. ووردت في موضعين أحدهما قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص، الآية: ٦٨]، والآخر في الأحزاب/ ٣٦.

ب ـ من السنة النبوية:

وردت لفظة (خير) في السنة النبوية في أحاديث كثيرة وهي على أضرب:

الضرب الأول: ماجاء منها اسم تفضيل وأصله أخير بمعنى أنفع وأصلح، حذفت همزته على خلاف القياس لكثرة الاستعمال. وفيه الإحسان إلى النفس بفعل ماهو أنفع وأصلح من غيره. والأحاديث الواردة في هذه اللفظة كثيرة منها:

١ ـ أفضل الإسلام:

ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[1].

٢ ـ ركعتا الفجر أفضل من الدنيا ومافيها:

ـ عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»[2].

٣ ـ السجدة الواحدة أفضل من الدنيا وما فيها:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون**

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٣) (١٢).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٥١) (٧٢٥).

السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾[1]».

٤ ـ أفضل الصفوف:

ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[2].

٥ ـ من ذكر الله في ملأٍ ذكره في ملأٍ أفضل منه:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة»[3].

٦ ـ ذكر الله عند اتخاذ المضجع خير من الخادم:

ـ عن علي رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ماتلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله ﷺ أتى بسبي فأتته تسأله خادمًا فلم توافقه فذكرت لعائشة فجاء النبي ﷺ فذكرت ذلك عائشة له فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال ألا أدلكما على خير مما سألتماه إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين وسبحا ثلاثًا وثلاثين فإن ذلك خير لكما مما سألتماه[4].

٧ ـ تعلم آية من القرآن أحسن من ناقة عظيمة:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان، قلنا: نعم، قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات**[5] **عظام سمان**[6].

ـ عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٧٢) (٣٢٦٤).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٢٦) (٤٤٠).
(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٩٤) (٦٩٧٠).
(٤) صحيح البخاري (٣/ ١١٣٣) (٢٩٤٥).
(٥) خَلِفَاتٌ: واحده خَلِفَةٌ: بفتح الخاء وكسر اللام: الحامل من النوق. «انظر: النهاية (٢/ ٦٨)».
(٦) صحيح مسلم (١/ ٥٥٢) (٨٠٢).

يقول تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون[1] فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح الشأم فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون[2].

٨ ـ أقل مافي الجنة أفضل من الدنيا بكاملها:

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت مابينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها[3].

الضرب الثاني: بمعنى مافيه نفع وصلاح:

ومن ذلك:

أ ـ إحسان الله إلى أهل المصائب بالنفع والصلاح:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يصب منه»[4].

٢ ـ وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له[5].

ب ـ إحسان الإنسان إلى غيره:

من ذلك:

ـ عن أنس قال أولم النبي ﷺ بزينب فأوسع المسلمين خيرًا فخرج كما يصنع إذا تزوج فأتى حجر أمهات المؤمنين يدعو ويدعون له ثم انصرف فرأى رجلين فرجع لا أدري أخبرته أو أخبر بخروجهما[6].

الضرب الثالث: بمعنى ماهو أداة للنفع والصلاح:

ومن ذلك:

أ ـ الإحسان إلى النفس:

---

(١) يبِسُّون: بفتح أوله وضم الموحدة وبكسرها: معناه يسوقون دوابهم. فتح الباري ٤/ ٩٢.

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٦٦٣) (١٧٧٦).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٠٢٦) (٢٦٤٣).

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢١٣٨) (٥٣٢١).

(٥) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٩٥) (٢٩٩٩).

(٦) المصدر نفسه (٥/ ١٩٧٩) (٤٨٥٩).

عن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»[1].

ب ـ الإحسان إلى الغير:

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئًا، قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن يُنْظِرُوا المعسر ويتجوزوا عن الموسر قال: قال الله عز وجل: تجوزوا عنه[2].

وسيأتي باقي الأحاديث مما يندرج تحت الضربين الأخيرين في مواطنها من البحث إن شاء الله.

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١١٩٤) (١٥٦٠).

المطلب الرابع
في لفظة «جَمُلَ» وما يتصرف منها

جَمُل بمعنى حَسُن والجميل: الحسن الطيب. وأجمل: أفعل تفضيل من الجمال.

والجمال: البهاء والحُسْن.

وهو نوعان: أحدهما: جمال الخِلْقة وهو مايكون من الصفات الظاهرة وهذا أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائمًا، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر.

والثاني: جمال الخُلق وهو مايكون من الصفات الباطنة المحمودة وهذا أمر تدركه البصيرة المتأهلة بالشرع.

وهي نوعان: أحدها: ماتكون مصلحته عائدةً للإنسان ذاته مثل: الإخلاص في العبادة، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

والثاني: ماتكون مصلحته عائدة للإنسان وغيره. مثل: الحلم، والعدل، والعفو[(١)].

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن والسنة ولا يخرج المراد بها عن واحد مما سبق:

أ ـ القرآن الكريم:

جاءت هذه اللفظة وما يتصرف منها في ثمانية مواطن:

١ ـ قال الله تعالى بعد أن ذكر الأنعام: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [النحل، الآية: ٦] أي بهاءٌ وحسنٌ[(٢)].

٢، ٣ ـ وقال تعالى حكاية لقول يعقوب عليه السلام مع بنيه: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ﴾ [يوسف، الآية: ١٨].

أي صبرًا حسنًا طيبًا لاتبرم معه ولا شكوى[(٣)].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢٨].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾

---

(١) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ معجم اللغة العربية بمصر ـ (١/ ٢٤١، ٢٤٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٩، ٥٠) (بتصرف).

(٢) انظر: فتح القدير(٣/ ١٤٨).

(٣) انظر: المصدر نفسه(٣/ ١١).

[الأحزاب، الآية: ٤٩].

أي: طلاقًا مصحوبًا بإحسان وهو الذي لاضرر فيه[1] كما قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق، الآية: ٢].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [المعارج، الآية: ٥] أي صبرًا حسنًا طيبًا لاتبرم معه ولا جزع فيه ولا شكوى[2].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ [المزمل، الآية: ١٠] أي هجرًا حسنًا طيبًا لا أذى معه[3].

٨ ـ وقال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر، الآية: ٨٥] أي الحسن الطيب الذي لاعتب فيه[4]. [5]

ب ـ من السنة النبوية:

أولاً ـ ما جاء على صيغة أفعل التفضيل:

ـ أفضل الجهاد للنساء الحج المبرور:

ـ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قلت: يارسول الله ،ألا نغزو ونجاهد معكم، فقال: لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج حج مبرور فقالت عائشة فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ[6].

ثانيًا: أَجْمَل الشيء بمعنى أتقنه وأحسنه وصنع به الجميل:

١ ـ إتقان الأنبياء عليهم السلام وإحسانهم في الدعوة إلى الله تعالى:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين[7].

٢ ـ إحسان الصحابة رضي الله عنهم وصنعهم الجميل بالرسول ﷺ، واستحسان بعض الصحابة للنبيذ:

ـ عن بكر بن عبدالله المزني قال: كنت جالسًا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم

---

(١) انظر: فتح القدير(٣/ ٢٩١).
(٢) انظر: المصدر نفسه(٣/ ٢٨٩).
(٣) انظر: التفسير الكبير (٣٠/ ١٨١) (بتصرف شديد).
(٤) انظر: فتح القدير (٣/ ١٤١).
(٥) انظر فيما سبق: معجم ألفاظ القرآن الكريم (١/ ٢٤١، ٢٤٢).
(٦) صحيح البخاري (٢/ ٦٥٨ (١٧٦٢).
(٧) المصدر نفسه (٣/ ١٣٠٠ (٣٣٤٢).

تسقون النبيذ؟ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله مابنا من حاجة ولا بخل قدم النبي ﷺ على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال: أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ[1].

ثالثاً: الجميل: بمعنى الحسن:

١ ـ الله تعالى موصوف بالجمال:

ـ عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بَطَرُ الحق وَغَمْطُ الناس[2][3].

٢ ـ مشروعية تغيير الأسماء القبيحة إلى الجميلة الحسنة:

ـ عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «غير اسم عاصية وقال أنتِ جميلة»[4].

٥ ـ إحسان الله تعالى على أهل الجنة بزيادة الحسن والجمال:

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً**»[5].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٩٥٣) (١٣١٦).

(٢) بَطَرُ الحق: أن لا يراه حقًا، اللسان (٤/ ٦٩) وغمطُ الناس احتقارهم والازدراء بهم وما أشبه ذلك. (اللسان: ٧/ ٣٦٤).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٩٣) (٩١).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ١٦٨٦) (٢١٣٩).

(٥) صحيح مسلم (٣/ ٢١٧٨) (٢٨٣٣).

المطلب الخامس
في لفظة «تَقَنَ» وما يتصرف منها

ولا يوجد في القرآن الكريم إلا آية واحدة فيها لفظ (أتقن) وهي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل، الآية: ٨٨].

وأتقن الشيء: أحسنه وجوده وجمَّله وأحكمه.

قال القرطبي رحمه الله: (أي أحكمه، والإتقان الإحكام)[١].

وقال قتادة رحمه الله: (معناه: أحسن كل شيء)[٢].

وأما من السنة النبوية فلم أقف على حديث يحتج به فيه لفظة (تقن) أو ما يتصرف منها. والله أعلم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٦١).

(٢) المصدر السابق (١٣/ ١٦١).

المطلب السادس

في لفظة «صَلَحَ» وما يتصرف منها

ـ الصلاح: ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [محمد، الآية: ٢]، وقوبل في القرآن تارة بالفساد كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦]، وتارة بالسيئة كقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة، الآية: ١٠٢].

ـ وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحًا كقوله تعالى: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [الأحقاف، الآية: ١٥]، وتارة بإزالة مافيه من فساد بعد وجوده. كقوله تعالى: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [الأحزاب، الآية: ٧١]. وتارة يكون بالحكم له بالصلاح كقوله تعالى: ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾ [محمد، الآية: ٢].

ـ والصُّلْح: يختص بإزالة النِّفار بين الناس. يقال منه اصطلحوا، وتصالحوا، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات، الآية: ٩][1].

وقد وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في الكتاب والسنة في مواطن عدة:

أ ـ في الكتاب:

وردت في مائة وثمانين موطنًا:

ومنها ما يأتي:

١ ـ بمعنى حَسُن وما يتصرف منها: قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ [الرعد، الآية: ٢٣].

أي حَسُنَ عَمَلُهُ وخلقه. وحسن الشيء يحسن حسنًا: صار حسنًا جميلاً، والحُسْن: الجمال.

ـ وأَصْلَحَ أي أَحْسَنَ: وأحسن الفعل إذا أتقنه وجوده وجمله: في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ [المائدة، الآية: ٣٩]. أي أحسن إيمانه.

ـ أَصْلَحَا: أَحْسَنَا. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ۝١٦﴾ [النساء، الآية:

---

(١) انظر: المفردات (٢٩٢) بتصرف.

١٦].

أي أحسنا توبتهما وذلك بالإقلاع عن الفاحشة والعزم على عدم العود إليها والندم على اقترافها.

- أصلحنا: أَحْسَنَّا: قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء، الآية: ٩٠].

هذه الآية وردت في زكريا عليه السلام وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا﴾. أي أحسنا خَلْقَها بأن تكون ولودًا وخُلُقها بأن تكون حسنة الخُلُق بعد أن لم تكن كذلك من قبل[١].

- أصلحوا: أحسنوا:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾ [البقرة، الآية: ١٦٠]. أي أحسنوا توبتهم وذلك بالإقلاع عن كتمان البيان والهدى وهم العلماء والندم على مافات والعزم على عدم العود إليه والشروع في بيان الحق[٢].

- يُصْلِح: يُحْسِن:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس، الآية: ٨١].

أي: لا يُحْسِنُ عملهم وذلك بإفساد مادته وإبطال مفعوله.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب، الآية: ٧٠ - ٧١].

أي يُحسِنُ لكم أعمالكم وذلك بأن يجعلها حسنة جميلة.

- أَصْلِحْ: أَحْسِن.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤٢﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٢].

أي وأحسن الخلافة في قومي.

- إِصْلَاح: إحسان.

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٠﴾

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن(١١/ ٢٢٢) (بتصرف).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢/ ٧١- ٧٢).

[البقرة، الآية: ٢٢٠].

أي: إحسانكم بمخالطتهم ومخالطة أموالهم أفضل من عزلهم وعزل أموالهم[1].

- إصلاحًا: إحسانًا.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٨].

أي أرادوا إحسانًا. يعني البعولة[2].

- الإِصْلَاح: الإحسان.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود، الآية: ٨٨].

أي ما أريد إلا الإحسان ما استطعت.

- إِصْلَاحِها: إِحْسَانِها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦].

أي: لا تفسدوا في الأرض بعد أن أحسنها الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتقرير الشرائع[3].

- صَالِحٌ: لها معنيان:

أ - عمل صالح: حَسَنٌ.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٢٠].

أي كتب لهم به عمل حَسَنٌ.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود، الآية: ٤٦].

---

(١) انظر فتح القدير (١/ ٢٢٢).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١/ ١٥١).

(٣) انظر: فتح القدير (٢/ ٢١٣).

أي ليس من أهل دينك ولا ولايتك فهو ذو عمل غير حَسَنٍ. يؤيد ذلك قراءة ابن عباس رضي الله عنه وعروة وعكرمة ويعقوب والكسائي: ﴿عَمِلَ غَيرَ صالحٍ﴾. أي من الكفر والتكذيب[1].

ب ـ صالحٌ: رسول الله عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والرسل الصلاة والسلام وهو عربي من بني ثمود، دعا قومه إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وكانت معجزته الناقة، تَبِعَه نَفَرٌ من قومه، فاستضعفهم كفار قومه، وعقروا الناقة، فأخذتهم الصيحة.

قال الله تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف، الآية: ٧٧ ـ ٧٨].

ـ صَالِحًا: حَسَنًا.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ٦٢]. أي عمل عملاً حَسَنًا.

وقال تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٩].

صالحًا: أي حَسَنًا والمقصود بحسنه أن يكون بشرًا سويًا[2].

وقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٢].

أي عملاً حَسَنًا.

ـ الصالح: الحَسَن.

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر، الآية: ١٠].

أي العمل الحسن، ومعنى يرفعه: أي يرفعه الله، أو يرفع صاحبه، ويجوز أن يكون المعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب. والأولى أولى[3].

ـ صالح المؤمنين: خيرهم وأحسنهم وهم أبو بكر وعمر وعلي رضي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٢).

(٢) انظر: فتح القدير (٢/ ٢٧٤، ٢٧٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢١٠، ٢١٢).

الله عنهم وقيل صالح اسم جنس[1].

قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم، الآية: ٤].

ـ الصالحات: الأعمال الصالحة الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٥].

والمعنى: (يا محمد ﷺ بشر من صدقك أنك رسولي وأن ماجئت به من الهدى والنور من عندي، وحقق تصديقه ذلك قولاً بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه وأوحيتها في كتابي على لسانك عليه أن له جنات تجري من تحتها الأنهار)[2].

ـ الصالحون: جمع الصالح: وهو الذي يعمل الأعمال الصالحة أي الحسنة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ١٠٥].

وقال تعالى حكاية على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن، الآية: ١١].

ـ صَالِحَيْنِ: تثنية صالح: حَسَن.

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم، الآية: ١٠].

ـ صَالِحِينَ: جمع صَالح: حَسَن.

قال تعالى حكاية على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف، الآية: ٩].

ـ الصالحين: جمع الصالح: وهو من يعمل الأعمال الصالحة الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٣٠].

ـ المُصْلِحُ: المُحْسِنُ.

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٢٤).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ١٣٢).

﴿فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٠].

ـ مصلحون: محسنون.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود، الآية: ١١٧].

ـ المصلحين: المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٠].

ب ـ المعنى الثاني: من أَصْلَح: أزال الشقاق بين الناس. وهو عمل حَسَن.

ـ فأصلح: أزال الشقاق والنفار بين الناس.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٨٢].

ـ تصلحوا: تزيلوا الشقاق بين الناس.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٤].

والمعنى: (لا تجعلوا الله حاجزًا ومانعًا لما حلفتم عليه، بل يأتي الذي هو حسن ويكفر عن يمينه)[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء، الآية: ١٢٩].

ـ أصلحوا: أزيلوا الشقاق والنفار بين الناس.

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال، الآية: ١].

ـ صلحًا، الصلح: إزالة الشقاق.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء، الآية: ١٢٨].

ب ـ ورود لفظة (صَلَحَ) وما يتصرف منها في السنة المطهرة في مواطن كثيرة: ولها معنيان الأول بمعنى: حَسُنَ وما يتصرف منها: وهي على النحو الآتي:

---

(١) انظر: فتح القدير (١/ ٢٢٩).

١ ـ الصَّالح: هو الذي يعمل الأعمال الحسنة.

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة[١].

٢ ـ صَالِح: حسن وهو الذي يعمل الأعمال الحسنة.

ـ عن عائشة رضي الله عنها أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت السلاح قال من هذا قال سعد يارسول الله جئت أحرسك فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيطه قال أبو عبدالله وقالت عائشة قال بلال:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِـوَادٍ وَحَـوْلِـي إِذْخِـرٌ وَجَلِيـلُ

فأخبرت النبي ﷺ[٢].

ـ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ جهارًا غير سر يقول ألا إن آل أبي يعني فلانًا ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين[٣].

٣ ـ أَصْلِح: أَحْسِن.

ـ عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يقول اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر[٤].

٤ ـ يُصْلِح: يُحْسِن.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم[٥].

٥ ـ يَصْلُح: يَحْسُن.

ـ عن أبي سعيد الخدري أن وفد عبد القيس لما أتوا نبي الله ﷺ قالوا يانبي الله جعلنا الله فداءك ماذا يصلح لنا من الأشربة فقال لا تشربوا في النقير

---

(١) فتح القدير (١/ ١٣٤) (٣٤٢).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ٢٦٤٢) (٦٨٠٤).
(٣) صحيح مسلم: (١/ ١٩٧) (٢١٥).
(٤) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٨٧) (٢٧٢٠).
(٥) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٩٨) (٥٨٧٠).

قالوا يانبي الله جعلنا الله فداءك أو تدري ما النقير قال نعم الجِذْعُ يُنْقَرُ وسطه ولا في الدباء ولا في الحنتمة وعليكم بالمُوْكى[١][٢].

٦ ـ صالحون: جمع صالح وهو الذي يعمل العمل الحسن، والصالحة الحسنة.

ـ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفسًا فجعل يسأل هل له من توبة فأتى راهبًا فسأله فقال ليست لك توبة فقتل الراهب ثم جعل يسأل ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قوم صالحون فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فنأى بصدره ثم مات فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي[٣].

٧ ـ الصالحة: الحسنة.

ـ عن أُمِّ أبي قتادة عن النبي ﷺ قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم فليتعوذ منه وليبصق عن شماله فإنها لا تضره[٤].

المعنى الثاني: بمعنى إزالة الشقاق والنفار، وهي على النحو الآتي:

١ ـ صَالَحَ: أزال الشقاق والنِّفار.

ـ عن عمرو بن عوف وهو حليف بني عامر بن لؤي وكان شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ أخبره أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجرح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله ﷺ قَدْ صَالَحَ أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا أجل يارسول الله قال فأبشروا وأملوا مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم[٥].

٢ ـ يُصْلِحُ: يزيل الشقاق والنفار.

---

(١) الدباء: القرع اليابس، أي الوعاء منه المطلي بالزفت، والحنتمة: نوع من الجرار، والموكي: السقاء الرقيق الذي يوكى أي يربط فوه بالوكاء وهو الخيط. شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٨٥، ١٩٥).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٠) (١٨).

(٣) صحيح مسلم (٣/ ٢١١٩) (٢٧٦٦).

(٤) صحيح البخاري (٣/ ١١٩٨) (٣١١٨).

(٥) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٧٣) (٢٩٦١).

ـ عن أمِّ كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا[1].

٣ ـ يَصْطَلِحَا: يزيلا النفار والشقاق بينهما.

ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أَنظروا هٰذين حتى يصطلحا أنظروا هٰذين حتى يصطلحا أَنظروا هٰذين حتى يصطلحا[2].

وبقية الأحاديث سوف تأتي في مظانها من البحث إن شاء الله.

(١) صحيح البخاري (٢/ ٩٥٨) (٢٥٤٦).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٩٨٧) (٢٥٦٥).

المطلب السابع
في لفظة «المعروف» وما يتصرف منها

أولاً: القرآن الكريم.

وقد وردت فيه في أربعين موضعًا.

١ ـ العُرْف: بمعنى المعروف[١]. من الإحسان[٢]: وهو اسم لكل فعل يعرف بالشرع والعقل حُسْنُه[٣]. قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٩]. قال عطاء رحمه الله: يعني لا إلـٰهَ إلاَّ الله[٤].

وتقوى الله في الحلال والحرام، وصلة الأرحام، وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار[٥]. إلا أن الآية عامة في كل ماعرف بالشرع والعقل حُسْنُهُ. كما قال جعفر الصادق رحمه الله: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[٦].

٢ ـ معروف:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣١].

أي: تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم. وذلك بأن لا يراجعها حتى تَبِيْنَ بالعدة[٧].

٣ ـ المعروف:

قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٨].

أي بمطالبة جميلة ليس فيها تعنيف[٨].

٤ ـ مَعْرُوفًا:

قال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢٠).
(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٥٧).
(٣) المفردات (٣٤٣).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢٠).
(٥) المرجع نفسه (٧/ ٢١٨ ـ ٢١٩).
(٦) المرجع نفسه (٧/ ٢١٩).
(٧) انظر: الكشاف (١/ ٣٦٦).
(٨) المصدر نفسه (١/ ٣٣٣).

﴿مَعْرُوفًا﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٥].

أي طيبًا حسنًا من غير رفث ولا فُحْشٍ وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا كأن يقول أحدكم إني في مثلك لراغب[١].

٥ ـ مَعْرُوفَة: مؤنث معروف.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور، الآية: ٥٣].

(أي بالمعروف من غير حلف ولا إقْسَام كما يطيع المؤمنون الله ورسوله بغير حلف، فكونوا أنتم مثلهم)[٢].

ثانيًا ـ السنة النبوية ومنها:

١، ٢ ـ معروف، المعروف:

ـ عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك»[٣].

---

(١) انظر: الكشاف (١/٣٧٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٤٧٩).

(٣) سنن الترمذي (٤/٣٤٧)(١٩٧٠). وقال رحمه الله: هذا حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/٨٣٧) (٤٥٥٧).

المطلب الثامن
في لفظة «كَمُلَ» وما يتصرف منها

والكمال: التمام[1].

أولاً: في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة، الآية: ٣].

أي أتممت لكم بيان الحلال والحرام فلم ينزل بعد نزول هذه الآية حلال ولا حرام[2].

وفيه إحسان الله على عباده بإتمام النعمة عليهم.

ثانيًا: من السنة النبوية:

١ ـ كَمُلَ:

ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكْمُلْ من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[3][4].

٢ ـ أَكْمَلُ: بمعنى أتم وأَجْمَل.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم خُلُقًا»[5].

---

(١) لسان العرب (١١/٥٩٨).

(٢) انظر: فتح القدير (٢/١٢).

(٣) الثريد: إدام الخبز بالحم. فتح الباري (٧/١٠٨).

(٤) صحيح البخاري (٣/١٢٥٢) (٣٢٣٠).

(٥) سنن الترمذي (٣/٤٥٧) (١١٦٢). وقال رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٦٦) (١٢٣٢).

المطلب التاسع
في لفظة «طَابَ» وما يتصرف منها

يقال طَابَ الشيء يَطِيْبُ طَيْباً فهو طَيِّبٌ.

والطيب: خلاف الخبيث، وهو ما تستلذه الحواس والنفوس من الأطعمة والأشربة وغيرها مما هو جائز[1].

وقد وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في الكتاب والسنة، ومنها:

أولاً: ماورد في الكتاب العزيز:

١ ـ طاب: حَسُنَ[2].

قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء، الآية: ٣].

أي ما حَلَّ لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع والواو بمعنى أو[3].

٢ ـ طِبتم:

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر، الآية: ٧٣].

أي تجردتم من نقائص المعاصي ومن دنسها وطهرتم من خبث الخطايا وقبحها[4]. (والطيب من الإنسان من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال)[5].

٣ ـ طِبْنَ:

قال الله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾ [النساء، الآية: ٤].

أي: طابت نفوس الزوجات بالتنازل عن شيء من مهورهن بسماحة فكلوه هنيئًا مريئًا[6].

٤ ـ طُوبَى: الحسنى والخير أو: اسم من أسماء الجنة إشارة إلى كل مستطاب فيها من بقاء بلا فناء وعز بلا زوال وغنى بلا فقر، أو اسم شجرة في الجنة[7]. واللفظ محتمل للجميع.

---

(١) انظر: المفردات (٣٢١)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٣١).
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ٧٢٠).
(٣) معالم التنزيل (١/ ٣١٠).
(٤) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ٧٢٠)، والكشاف (٣/ ٤١١).
(٥) المفردات (٣٢٢).
(٦) انظر: معالم التنزيل (١/ ٣١١).
(٧) انظر: المفردات (٣٢٢)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ٧٢١).

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾ [الرعد، الآية: ٢٩].

٥ ـ طيبًا: أ ـ طاهرًا لا نجاسة به[١].

قال الله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء، الآية: ٤٣، المائدة، الآية: ٦].

ب ـ صالحًا لذيذًا.

قال الله تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة، الآية: ١٦٨].

٦ ـ الطيِّب:

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر، الآية: ١٠].

خص الكلم الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه، وهو يتناول كل كلام يتصف بكونه طيبًا حسنًا من ذكر للهِ تعالى، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتلاوة للقرآن وغير ذلك[٢].

٧ ـ طيبات.

قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝١٦٠﴾ [النساء، الآية: ١٦٠].

أي ماتستلذه النفس[٣]. والمراد بالذين هادوا هم اليهود.

٨ ـ طيباتكم:

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝٢٠﴾ [الأحقاف، الآية: ٢٠].

والمعنى: أنه يقال للكافرين يوم القيامة عندما لايجدون لهم حسنات توبيخًا وتقريعًا لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ أي تمتعتم بالطيبات المستلذة لكم في الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات المحرمة[٤].

٩ ـ طيبة:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ

---

(١) انظر: المفردات (٣٢٢)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ٧٢١).
(٢) انظر: فتح القدير (٤/ ٣٤١).
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم: (٢/ ٧٢١).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٣٣).

﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ١٥﴾ [سبأ، الآية: ١٥].
أي كثيرة الخير آمنة[١].

١٠ ـ الطيبون: جمع الطيب: وهو الصالح الذي تخلى عن الرذائل، وتحلى بالفضائل[٢].

قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور، الآية: ٢٦].

١١ ـ طيبين: مثله.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل، الآية: ٣٢].

١٢ ـ الطيبات: جمع الطيبة: وهي الحصَان العَفيفة الصالحة[٣].

قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور، الآية: ٢٦].

وقد سبق تأويل الآية.

ثانيًا: الأمثلة مما ورد في السنة:

١ ـ طَابَةٌ: هي المدينة النبوية مؤنث طاب بمعنى الطيِّب الطاهر سماها الرسول ﷺ بذلك لخلوصها من الشرك، وتطهيرها منه. وكان اسمها من قبل يثرب، والثَّرْبُ الفساد[٤].

ـ عن أبي حميد رضي الله عنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: «هذه طَابَةُ»[٥].

٢ ـ طيب: حسن.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عُقَدُهُ كلها فأصبح طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[٦].

٣ ـ طيبة: حسنة.

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفأل قال كلمة طيبة»[٧].

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ٧٢١).
(٢) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ٧٢٢).
(٣) المرجع نفسه.
(٤) انظر: لسان العرب (١/ ٥٦٧).
(٥) صحيح البخاري (٢/ ٦٦٢) (١٧٧٣).
(٦) صحيح البخاري (٣/ ١١٩٣) (٣٠٩٦).
(٧) صحيح البخاري (٥/ ٢١٧٨) (٥٤٤٠).

٤ ـ أَطْيَبُ: أَحْسَنُ.

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب مايجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته»[١].

٥ ـ طيِّبًا: حسنًا.

ـ عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: كان إذا رفع مَائِدَتَهُ قال: «الحمد لله كثيرًا طَيِّبًا مباركًا فيه غير مَكْفِيٍّ ولاَ مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغْنًى عنه ربُّنا»[٢].

٦ ـ الطيِّب: الحسن الحلال.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ماتصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كفِّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّهُ أو فَصِيلَه»[٣].

٧ ـ طوبى: الحسنى.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَعِسَ عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخَمِيصَةِ إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ طُوبَى لعبد آخد بعنان فرسه في سبيل الله أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغبَّرَةً قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في السَّاقةِ كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يُشَفَّع»[٤].

قال البخاري رحمه الله: طُوبى: فُعْلَى من كل شيء طَيِّبٍ، وهي ياء حولت إلى الواو، وهي من يَطِيبُ[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٢١٤) (٥٥٧٩) .
(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٧٨) (٥١٤٣) .
(٣) صحيح مسلم (١/ ٧٠٢) (١٠١٤).
(٤) صحيح البخاري (٣/ ١٠٥٧) (٢٧٣٠).
(٥) صحيح البخاري (٣/ ١٠٥٧) (٢٧٣٠).

المطلب العاشر
في لفظة «البرّ» وما يتصرف منها

وهي كلمة جامعة لكل صفات الخير، والإحسان[1].

وقد وردت في الكتاب والسنة في مواطن عدة:

أولاً: ورودها في القرآن الكريم:

١ ـ تَبَرُّوا:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٤].

معنى الآية: لا تجعلوا الحلف بالله سببًا مانعًا لكم من صلة الأرحام والإحسان في معاملتهم وتقوى الله تعالى. بل الواجب تكفير اليمين وإتيان البر والتقوى[2].

٢ ـ الأبرار: كثيرو الطاعة والإحسان، جمع بَرّ[3].

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٣].

أي في جملة الأبرار[4].

٣ ـ برًّا: محسنًا.

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم، الآية: ١٤].

يعني محسنًا إليهما واصلاً لهما والمراد به يحيى عليه السلام. وَبِرُّ الوالدين: التوسع في الإحسان إليهما وضده العقوق[5].

وقال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم، الآية: ٣٢].

أي عيسى عليه السلام.

٤ ـ البَرُّ: وله معنيان:

أ ـ اسم من أسماء الله تعالى: وهو العطوف على عباده ببره (أي إحسانه) ولطفه[6].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور،

---

(١) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم: (١/١٢٨)، والنهاية (١/١١٦).
(٢) انظر: معالم التنزيل (١/١٤٧ ـ ١٤٨).
(٣) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (١/١٢٨).
(٤) معالم التنزيل (١/٣٠٤).
(٥) المفردات (٣٨).
(٦) النهاية (١/١١٦).

الآية: ٢٨].

أي: كثير الإحسان[١].

ب ـ ما انبسط من سطح الأرض ولم يغطه الماء[٢].

قال الله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ﴾ [المائدة، الآية: ٩٦]

٥ ـ البِرُّ:

قال الله تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ﴾ [البقرة، الآية: ٤٤].

قال البغوي رحمه الله: (البِرُّ: كل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة)[٣].

٦ ـ بَرَرَة: جمع بار: وهو من يصدرُ عنه البر أي الإحسان والطاعة[٤].

قال الله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس، الآية: ١٥ ـ ١٦].

وهم الملائكة عليهم السلام.

ثانيًا: الأمثلة على ورود لفظة (البر) في السنة النبوية:

١ ـ بِرُّ:

ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **الصلاة على وقتها**، قلت: ثمَّ أي؟ قال: **ثم بِرُّ الوالدين**، قلت: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**، حدثني بهن ولو استزدته لزادني»[٥].

٢ ـ البِرّ:

ـ عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا**»[٦].

٣ ـ أَبَرُّ: أكثر برًا.

ـ عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الولد أهل وُدِّ أبيه**»[٧].

---

(١) فتح القدير (٥/ ٩٩).

(٢) انظر: اللسان (٤/ ٥٤).

(٣) معالم التنزيل (١/ ٩٩ ـ ١٠٠).

(٤) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (١/ ١٢٨).

(٥) صحيح البخاري (١/ ١٩٧) (٥٠٤) .

(٦) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٦١) (٥٧٤٣).

(٧) صحيح مسلم (٣/ ١٩٧٩) (٢٥٥٢).

المطلب الحادي عشر
في لفظة «زَيَّنَ» وما يتصرف منها

قال الراغب رحمه الله: (الزينة الحقيقية مالا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما مايزينه في حالةٍ دون حالة فهو من وجهٍ شين، والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه)(١).

أولاً: ماورد في القرآن الكريم:

١ ـ زَيَّنَ: بمعنى حَسَّنَ وجمَّل.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأنعام، الآية: ١٣٧].

والمعنى: ومثل ذلك التزيين الذي زينه الشيطان لهم في قسمة أموالهم بين الله وبين شركائهم زين لهم قتل أولادهم(٢).

٢ ـ زَيَّنَّا: حسنا وجمَّلنا.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنعام، الآية: ١٠٨].

وذلك بسبب كفرهم.

٣ ـ زَيَّنَّاهَا: حسناها وجملناها.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحجر، الآية: ١٦].

٤ ـ زيَّنَهُ: حَسَّنَه وجمله.

قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات، الآية: ٧].

٥ ـ زينوا: حَسَّنُوا وجملوا.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [فصلت، الآية: ٢٥].

---

(١) المفردات (٢٢٣).

(٢) فتح القدير (٢/ ١٦٥).

[فصلت، الآية: ٢٥].

أي حسنوا وجملوا لهم الأعمال القبيحة من الكفر والمعاصي.

٦ ـ زُيِّن: حُسِنَ وجُمِّلَ.

قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ [البقرة، الآية: ٢١٢].

٧ ـ لأُزَيِّنَنَّ: لأحببن السوء إلى الذين كفروا.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝﴾ [الحجر، الآية: ٣٩ ـ ٤٠].

والمعنى يقسم إبليس بإغواء الله له ليحسنن للناس المعاصي ويوقعهم فيها ماداموا في الدنيا أو يشغلهم بزينة الدنيا عن فعل ما أمرهم الله بلا فلا يلتفتون إلى غيرها[1].

٨ ـ ازَّيَّنَتْ: الأصل تزينت: تحسنت.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [يونس، الآية: ٢٤].

في الآية جعل (الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتحسنت بغيرها من ألوان الحسن)[2].

٩ ـ زِينَة: اسم لكل ما يُتَزَيَّنُ به[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝﴾ [الكهف، الآية: ٧].

١٠ ـ الزِّينَة:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝﴾ [طه، الآية: ٥٩].

المراد بيوم الزينة هو يوم العيد لأن الناس يتزينون فيه بلبس أحسن مايجدون واختيار موسى عليه السلام هذا اليوم دون غيره لأن الناس يتفرغون فيه من أعمالهم ويجتمعون فيه وذلك أدعى لرؤية آيات الله وقبول الحق[4].

١١ ـ زِينَةَ الله:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٣٣).

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم (١/ ٥٤٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٥٠).

[الأعراف، الآية: ٣٢].

أي ما أوجده الله مما يتجمل به الناس من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن الثمينة التي لم يرد فيها نهي. وكذا الجواهر[١].

١٢ ـ زينة الحياة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف، الآية: ٢٨].

والمعنى: اجلس يامحمد أو من يصلح له الخطاب مع أهل الصلاح وإن كانوا فقراء ضعفاء ولا تجاوزهم إلى غيرهم تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة[٢].

١٣ ـ زينة القوم:

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ [طه، الآية: ٨٧].

المراد بالزينة هنا: الحُليّ[٣]. والمعنى: أن السامري قال لهم حين استبطأ القوم رجوع موسى عليه السلام: إنما احتبس عنكم لأجل ماعندكم من الحلي الذي أخذتموه من آل فرعون عندما قذفهم البحر إلى الساحل وكانت الغنائم عليهم حرامًا، فجمعوه ودفعوه إليه، فرمى به في النار وصاغ لهم منه تمثالاً كالعجل ثم ألقى عليه قبضة من أثر جبريل عليه السلام فصار الهواء يدخل من مقدمته ويخرج من مؤخرته فيسمع له صوت كخوار العجل[٤].

١٤ ـ زِينَتَكُم:

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟﴾ [الأعراف، الآية: ٣١].

والمعنى: البسوا أفضل ماتجدون من الثياب عند كل مسجد لطواف وصلاة، وقد كانت بعض قبائل العرب تطوف بالبيت عراة فأمرهم الله أن يواروا العورة[٥].

١٥ ـ زِيْنَتَه:

قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

---

(١) انظر: فتح القدير (٢/ ٢٠٠).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٣١، ١٣٣).
(٣) فتح القدير (٣/ ٣٨٠).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٠).
(٥) انظر: معالم التنزيل (٢/ ١٣١).

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١﴾ [القصص، الآية: ٧٩ ـ ٨١].

والمعنى أن قارون وقد آتاه الله مالاً كثيرًا لم يؤمن بموسى عليه السلام، بل اتخذ ماله أَشَرًا وَبَطَرًا على الناس حتى وصل به الحال أن خرج عليهم في كامل زينته من المال واللباس والحشم والخدم تعاليًا عليهم وإضلالاً لهم، وسرعان ما استجاب الغوغاء من قومه الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة، متمنين مثلما أوتي، معللين ذلك بحسن حظه من دون موسى عليه السلام ومن آمن معه، غير أن أهل العلم ممن آمن بموسى عليه السلام سرعان ماحذروهم عذاب الله ونقمته وأن ما أعده الله للصالحين في الجنة خير فاصبروا على طاعة الله تنالوا النعيم في الجنة وبينما هم كذلك فاجأهم أمر الله تعالى حيث خسف بقارون وداره الأرض فلم ينصره أحد ممن حوله من حشمه وخدمه ولم يستطع نصر نفسه وعند ذلك بان الحق لمن أعجبوا به وأيقنوا أن الأرزاق من عند الله وحمدوا الناصحين لهم، مؤثرين السلامة من الخسف، موقنين عدم فلاح الكافرين.

١٦ ـ زِيْنَتَهَا:

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ [هود، الآية: ١٥].

المراد من الآية: من جعل نيته وقصده بعمل الخير الحياة الدنيا وما يزينها ويحسنها من الصحة والأمن والسعة في الرزق وارتفاع الحظ ونفاذ القول ونحوه فإن شاء الله حصل له ذلك لقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء، الآية: ١٨][١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٠﴾ [القصص، الآية: ٦٠].

والمعنى: أن المشركين كانوا يتبجحون على المسلمين بكثرة الأموال ووفرة النعيم في حين كان أكثر المسلمين فقراء ضعفاء فأخبر الله تعالى المشركين أن ماتتحسنون به هو متاع ينتفع به زمانًا ثم يزول وأن ما أعده في الآخرة للمؤمنين من النعيم المقيم خير منه[٢].

---

(١) انظر: فتح القدير (٢/ ٤٨٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٢٠/ ١٥٤).

١٧ ـ زِينَتَهُنَّ:

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور، الآية: ٣١].

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (الزينة زينتان: فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب)(١).

ثانيًا: الأمثلة من السنة النبوية:

١ ـ زَانَهُ: حَسَّنَهُ وجمَّله.

ـ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلاَ زَانَهُ ولا ينزع من شيء إلا شانه»(٢).

٢ ـ زِينَتِها:

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال إني ممَّا أخاف عليكم من بعدي مايُفْتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها. . الحديث»(٣).

والمراد بذلك: الأموال والأولاد والزوجات والمراكب وغيرها مما يحسن به الإنسان من متاع الدنيا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٥٤).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٠٤) (٢٥٩٤).

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٥٣٢) (١٣٩٦).

المطلب الثاني عشر
في لفظة «التَّحبِيْر» وما يتصرف منها

أولاً: ما ورد في القرآن الكريم:

- تُحبرون:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٦٩ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزخرف، الآية: ٦٩ - ٧٠].

أي: تنعمون وتسرون[1].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥﴾ [الروم، الآية: ١٥].

ثانيًا: الأمثلة على ماورد في السنة.

١ - الْحِبَرَةُ: ثياب مزينة من كتان أو قطن.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ الْحِبَرَة»[2].

٢ - عن أبي هريرة: أن الناس قالوا: **«يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر». [الحديث بطوله وفيه]: «فإذا قام إلى الجنَّة انفهقت[3] له الجنَّة، فرأىٰ ما فيها من الحبرة والسرور»[4].**

قال ابن الأثير رحمه الله: الحَبْرة بالفتح: النعمة وسعة العيش، وكذلك الحبور. والحِبْرُ: بالكسر وقد يفتح: أثر الجمال والهيئة الحسنة، وحبرت الشيء تحبيرًا إذا حسنته[5].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم (١٦/ ٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢١٨٩) (٥٤٧٥).

(٣) انفهقت له: انفتحت واتسعت له. انظر: النهاية (٣/ ٤٨٣).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٧٠٤) (٧٠٠٠).

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٢٧).

الفصل الثاني
مصادر الإحسان

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **صحيح المنقول**

المبحث الثاني: **صحيح المعقول**

المبحث الثالث: **منزلة العقل مع النقل وخطر استقلال العقل عن النقل**

تمهيد

الإحسان كغيره من مراتب الدين في مصادره التي يصدر عنها ويستند إليها وله مصدران. الأول صحيح المنقول، والثاني صحيح المعقول. وسوف يُفْرَدُ كل واحد منهما في مبحث مستقل.

وهذان المصدران كل منهما يدل على صاحبه لا ينفيه عنه، فالمنقول بحاجة عند الاستدلال به على الأحكام الشرعية حسنًا أو قبحًا إلى المعقول، كما أن المعقول لا يعتبر حكمًا شرعيًا على شيء بالحسن أو القبح إلا إذا استند إلى المنقول، وعند التحقيق فإن المصادر راجعة إلى المنقول لأنه هو الذي صحح الاعتماد عليها[1].

والقرآن الكريم يدل على أنَّ الحكم لله وحده دون سواه، حيث قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام، الآية: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الأنعام، الآية: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد، الآية: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل، الآية: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر، الآية: ٧].

---

(١) انظر: أصول الفقه للخضري (٢٠٧) (بتصرف).

المبحث الأول

صحيح المنقول

والمراد بالصحيح: ماتوفرت فيه شروط الصحة على ماوضعه أئمة النقل من أصول وقواعد يعرف بها.

والمراد بالمنقول هو مايعرف عن طريق السمع والنقل مما ليس للرأي فيه مجال. وهو القرآن الكريم والسنة النبوية.

أقسام صحيح المنقول:

المنقول إلينا قسمان:

القسم الأول: القرآن الكريم:

تعريفه: لغة: مصدر كالغفران وسمي قرآنًا لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض[1].

واصطلاحًا: هو كلام الله المعجز الذي نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله محمد ﷺ بلسان عربي مبين، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، المحفوظ من التغيير والتحريف[2].

ـ منزلته:

القرآن الكريم هو أعظم الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، وأجمعها للعلوم قاطبة، وآخرها نزولاً إلى أهل الأرض، جعله الله هداية ونورًا لعباده، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء، الآية: ٩].

قال القرطبي رحمه الله: (أي أَسدُّ وأعدل وأصوب)[3].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء، الآية: ١٧٤].

وما ذاك إلا لأن المتكلم به حقيقة هو الله تعالى، وحسبك بالله عالمًا بما يصلح لخلقه. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك، الآية: ١٤].

ـ شموليته:

لم يترك القرآن الكريم خيرًا في العاجل والآجل إلا ودل عليه ورغب

---

(١) اللسان (١/ ١٢٨، ١٢٩).

(٢) انظر: مناهل العرفان (١/ ٢١).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٢٥).

فيه ورتب عليه الثواب الجزيل، وما من شر في العاجل والآجل إلا وبغضه، وحذر منه ورتب عليه العقاب.

والإنسان في هذه الدنيا متقلب في جميع أحواله بين أحوال ثلاث تكفل القرآن بحفظها ووصياتها والدفاع عنها وهي:

أ ـ الضروريات: ومعناها (ما لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وفوتِ حياةٍ وفي الأخرى فوتِ النجاةِ والنعيمِ والرجوع بالخسران المبين)[1].

(ومجموع هذه الضروريات خمس: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا إنَّها مراعاة في كل ملَّة)[2].

ب ـ الحاجيات: ومعناها (ما مايفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة بفوت المطلوب)[3]. مثل اللباس، والمسكن وغيرهما.

جـ ـ التحسينيات: ومعناها (الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق) وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات (راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين)[4].

مثل صلة الرحم، وحسن الجوار، وإكرام الضيف. وغيرها.

ـ عناية القرآن الكريم بالإحسان.

قد أولى القرآن الكريم الإحسان عناية كبرى وذلك من خلال الأمر به والنهي عن ضده وما أعده للمحسنين من الثواب وما أعده للمسيئين من العقاب، في مائة وست وتسعين آية وأما الألفاظ ذات الصلة بالموضوع فأضعاف ذلك كل ذلك بيان للمسلمين على أهمية الإحسان عمومًا.

ـ الأمثلة على عناية القرآن الكريم بالإحسان:

أولاً: الإحسان من صفات الرحمن عز وجل:

قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) الموافقات للشاطبي (٢/ ٤ـ٥).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

[المائدة، الآية: ٥٠].

ثانيًا: الإحسان صفة من صفات الأنبياء وصالحي المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات، الآية: ١١٣].

ثالثًا: أمر الله عز وجل بالإحسان:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].

رابعًا: عاقبة الإحسان:

أ ـ معية الله تعالى للمحسنين بالحفظ والنصر والتأييد والتمكين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل، الآية: ١٢٨].

ب ـ حب الله تعالى للمحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

جـ ـ جزاء الإحسان في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة، الآية: ١١٢].

القسم الثاني: السنة النبوية:

تعريفها: لغة: هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة(١).

واصطلاحًا: يطلق لفظ السنة على كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية(٢).

ـ مكانتها:

تأتي السنة النبوية في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم مصدرًا من مصادر الإحسان.

وقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكَلِم وفواتحه وخواتمه واختصر له الكلام اختصارًا حتى بَهَرَ البلغاء واعجز الفصحاء وأفحم الخطباء من قريش وغيرها

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٢٢٥).

(٢) انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/ ١، ٦ ـ ٧).

من قبائل العرب. وكان إذا تكلم يَعُدُّ السامعُ كلامه، يكرره ثلاثًا ليحفظ ويفهم، ويرفع صوته ليسمع عنه.

كما أحاط ﷺ بلسان العرب قاطبة فلا واردة إلا ومناخها عنده، ولا شاردة إلا وخطامها بيده، تخير من الألفاظ أعذبها ومن الجمل أسلسها، ومن المعاني أوضحها حتى غدت عباراته عقدًا يتلألأ بلاغة وفصاحة وبيانًا.

- حفظها:

مامن شك أن السنة النبوية هي الشارحة للقرآن الكريم والمبينة لأحكامه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل، الآية: ٤٤].

لذلك حض النبي ﷺ أصحابه على حفظها وتدوينها ومدارستها ونشرها والذب عن حياضها، وهم قوم أذكياء أزكياء أقوياء بررة كأنما ادخر الله عقولهم وأفئدتهم للسنة النبوية فكانت خير وعاء لها حفظوها فأدوها كما سمعوا من غير زيادة أو نقصان.

وهكذا قيض الله لسنة رسوله ﷺ الأتقياء الأذكياء في كلِّ عصر ومصر من أمم لا تحصى اشتغلوا بها وميزوا صحيحها من سقيمها وفق قواعد حديثة لم يسمع التأريخ بأدق منها في ضبط الأخبار ومعرفة الرواة وأحوالهم، والناظر الآن في المكتبة الحديثية يدرك أن هذا النهج السديد محض حفظ من الله تعالى للسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

- حجيتها:

حظيت السنة النبوية من القداسة بماجعلها وحيًا آخر يجب العمل بها والتحاكم إليها والتسليم لها كل ذلك أوضحه القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم، الآية: ٣ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء، الآية: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال، الآية: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر، الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾ [النور، الآية: ٥٦].

- وعن أبي رافع رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا أُلفِينَّ أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه،

فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[١].

ـ وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. . .»[٢].

ـ شمولها:

قد أحاطت السنة النبوية بالإنسان من كل ناحية حتى ولجت إلى سويداء قلبه فما من غمضة ولا ومضة ولا لحظة ولا خاطرة ولا حركة ولا سكنة إلا ولها فيها حكم.

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قيل: له قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخِرَاءَة، فقال: سلمان أجل، نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول وأن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»[٣].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ماترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه»[٤].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم»[٥].

قال ابن حبان: معنى (عندنا منه) يعني بأوامره ونواهيه وأخباره وأفعاله وإباحاته ﷺ[٦].

ـ عناية السنة النبوية بالإحسان:

اعتنت السنة النبوية بالإحسان أشد عناية فقد وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها وماله صلة بها في بضع مئات تأمر به وتنهى عن ضده وتبين ثوابه وعقاب مخالفيه وغير ذلك.

ـ الأمثلة:

أولاً: حقيقة الإحسان.

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس

---

(١) سنن أبي داود (٥/ ١٢) (٤٦٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧١٧٢).

(٢) سنن أبي داود (٥/ ١٠) (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٤٣).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٢٣) (٢٦٢).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٤٣٥) (٦٢٣٠).

(٥) صحيح ابن حبان (الإحسان) (١/ ٢٦٧)، (٢٦٨) (٦٥).

(٦) صحيح ابن حبان (الإحسان) (١/ ٢٦٧)، (٢٦٨) (٦٥).

فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، سأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رُعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي ﷺ قول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآيه [لقمان، الآية: ٣٤] ثم أدبر، فقال: «ردوه» فلم يروا شيئًا. فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»[(١)].

ثانيًا: شمول الإحسان والأمر به:

- عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»[(٢)] و(على) في قوله: «على كل شيء» بمعنى: إلى أو في، أي إلى كل شيء أو في كل شيء[(٣)].

ثالثًا: الإحسان إلى الوالدين:

- عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله. قال: «فهل من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلاهما. قال: «أفتبتغي الأجر من الله؟». قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[(٤)].

رابعًا: طرق معرفة المحسن:

- عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رجل لرسول الله ﷺ كيف لي أن أعلم إذا أحسنتُ وإذا أسأتُ؟ قال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: أَنْ قد أحسنت فقد أحسنت. وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت»[(٥)].

خامسًا: من ثمرات الإحسان:

- (عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رجل: يارسول الله،

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٧) (٥٠).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٥٤٨) (١٩٥٥).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٠).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ١٩٧٥) (٢٥٤٩).

(٥) سنن ابن ماجه (٢/ ١٤١٢) (٤٢٢٣). وفي الزوائد قال: إسناده حدث عبدالله بن مسعود هذا صحيح. رجاله ثقات. رواه ابن حبان في صحيحه من طريق عبدالرزاق به.

أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية، قال: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر»[1].

(١) صحيح البخاري (٦/٢٥٣٦ (٦٥٢٣).

المبحث الثاني
صحيح المعقول

ـ الصحيح: ضد السقيم وهو ما توافرت فيه شروط الصحة. وهي الخلو من العاهات والسلامة من الهوى والشهوات.

ـ المعقول: مايدركه العقل بالرأي والنظر عن طريق التفكير الموصل إلى علم أو غلبة ظن(١).

ـ العقل: هو العلم بالمدركات الضرورية.

مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل.

وهو نوعان: الأول: غريزي مُبْتَدَأٌ في النفوس كالعلم بأن الشيء لا يخلو من وجوده أو عدمه.

وما يدرك بالحواس الخمس كالشم والذوق والحرارة والبرودة وغيرها.

والثاني: مكتسب وهو مايدرك بطول التجربة، وفرط الذكاء وجودة الحدس، وصحة القريحة، وحسن البديهة(٢).

ـ صحيح المعقول: هو فكر العقل الخالي من العاهات السالم من الهوى والشهوات الموصل إلى علم أو غلبة ظن.

ـ أقسام المصادر العقلية:

تنقسم المصادر العقلية المتفق على صحتها إلى قسمين:

الأول: الإجماع:

ـ تعريفه:

لغة: الاتفاق، يقال: أجمع القوم على كذا إذا اتفقوا عليه، ويطلق على العزم المصمم ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾[يونس، الآية: ٧١](٣).

اصطلاحًا: هو اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ بعد وفاته على أمر من أمور الدين(٤).

ـ أقسامه:

---

(١) انظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (١/١٠٩).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (٢١ ـ ٢٣) (بتصرف).

(٣) مذكرة في أصول الفقه ـ للشنقيطي (١٧٩).

(٤) المصدر نفسه.

ينقسم الإجماع إلى قسمين:

الأول: القطعي وهو القولي المشاهد أو المنقول بعدد التواتر. وهو الصحيح الذي يعتبر حجة قاطعة.

الثاني: الظني كالسكوتي المنقول بالآحاد. وهو غير الصحيح ولا يعتبر حجة قاطعة[١].

- حجية الإجماع:

(إذا علم الإجماع فهو حجة قطعية. ومعنى ذلك أنه يُصَيِّرُ المسألة المجتهد فيها قطعية الحكم لا تصلح بعد ذلك أن تكون محلاً للنزاع ولا يلتفت لما خالفه من الأدلة الظنية وحجيته مأخوذة من استحالة الخطأ على الأمة بأسرها)[٢].

وقد تظافرت الأدلة القرآنية والنبوية على حجية الإجماع.

أولاً: الأدلة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء، الآية: ١١٥].

ووجه الاستدلال: أن في الآية التوعد على اتباع غير سبيل المؤمنين، وسبيلهم هو ما أجمعوا عليه)[٣].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران، الآية: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء، الآية: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى، الآية: ١٠].

ووجه الدلالة من الآيات: أن ما اتفقتم عليه فهو حق.

ثانيًا: الأدلة من السنة:

- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لايزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[٤].

أي ظاهرين بالحجة والبيان، ولا معنى للظهور إذا اختلفت.

وهناك أدلة أخرى لاتصح أعرضت عنها تفيد بألفاظ مختلفة مع اتفاق

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أصول الفقه - للخضري بك (٢٨٥).

(٣) مذكرة في أصول الفقه - للشنقيطي (١٧٩).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٦٧) (٦٨٨١).

المعنى عصمة هذه الأمة من الخطأ. وهذا حق كما تقرر ذلك من القرآن الكريم.

القسم الثاني: القياس.

- التعريف:

لغة: عبارة عن التقدير[١].

- اصطلاحًا: عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتعدية الحكم المنصوص عليه إلى غيره؛ وهو الجمع بين الأصل والفروع في الحكم[٢].

- أركان القياس:

أركان القياس أربعة وهي كالآتي:

١ - الأصل: وهو المشبه به.

٢ - الفرع: وهو المشبه.

٣ - العلة: وهي الوصف الجامع بين الفرع والأصل.

٤ - الحكم: وهو ماثبت للفرع بعد ثبوته لأصله. وهو ثمرة القياس[٣].

* الأدلة على حجية القياس:

إذا توافرت صحة القياس أصبح حجة ومصدرًا من مصادر الإحسان.

أولاً: الأدلة من الكتاب:

(قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ... الآيه﴾ [المائدة، الآية: ٩٥].

ثانيًا: الأدلة من السنة:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال: «نعم حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته. اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»[٤].

- وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «في بضع أحدكم صدقة، قالوا: يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيه أجر، فقال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه فيه وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال

---

(١) التعريفات للجرجاني (١٨١).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٨١).

(٣) إرشاد الفحول للشوكاني (٢٠٤).

(٤) صحيح البخاري (٢/٦٥٦) (١٧٥٤).

كان له أجر»[1].

قال ابن حبان رحمه الله: (هذا خبر أصل في المقايسات في الدين)[2].

- الأدلة من الإجماع:

قال ابن عقيل الحنبلي رحمه الله عن حجية القياس: (وقد بلغ التواتر المعنوي عن الصحابة [رضي الله عنهم] باستعماله وهو قطعي)[3].

وقال الرازي رحمه الله: (الإجماع هو الذي عوَّل عليه جمهور الأصوليين)[4].

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: (عندي أن المعتمد اشتهار العمل بالقياس في أقطار الأرض شرقًا وغربًا قرنًا بعد قرن عند جمهور الأمة إلا عند شذوذ متأخرين)[5].

---

(1) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٩/ ٤٧٥) (٤١٦٧).
(2) المصدر نفسه (٩/ ٤٧٥) (٤١٦٧).
(3) نقلاً عن إرشاد الفحول (٢٠٣).
(4) إرشاد الفحول (٢٠٣).
(5) المرجع نفسه (٢٠٣).

المبحث الثالث

منزلة العقل مع النقل، وخطر استقلال العقل عن النقل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **منزلة العقل مع النقل**

المطلب الثاني: **خطر استقلال العقل عن النقل**

المطلب الأول
منزلة العقل مع النقل

إن الشريعة الإسلامية حينما أباحت للعقل السليم النظر في تقرير حكم لم يرد فيه نص سمعي كان ذلك منها احترامًا للعقل وإثابة منها له على اجتهاده، إلا أن العقل له منزلة لابد أن يقف عندها.

قال الشاطبي رحمه الله: الأدلة العقلية إذا استعملت في هذا العلم وغيره فإنَّما تستعمل مركبة على الأدلة السمعية أو معينة في طريقها أو محققة لمناطها أو ما أشبه ذلك، لا مستقلة بالدلالة لأن النظر فيها نظر في أمر شرعي والعقل ليس بشارع، وهذا مبيَّن في علم الكلام، فإذا كان كذلك فالمعتمد بالقصد الأول الأدلة الشرعية)[1]. [ثم قال]: وإذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعًا ويتأخر العقل فيكون تابعًا، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر مايسرحه النقل[2]).

وهذا موطن اتفاق بين عموم المسلمين أن الحكم لله تعالى ليس لأحد غيره.

وأما موطن الخلاف فهل مُعَرِّفُ الحكم للمكلفين هم الرسل عليهم الصلاة والسلام فقط أم أن العقل يدرك حكم الله تعالى في الفعل بناء على مايدركه من حُسْنٍ فيه أو قُبْحٍ.

والحق (أنَّ من الصفات مايدرك بضرورة العقل، كحسن إنقاذ الغرقى والهلكى، وشكر المنعم، والصدق، وقبح الكفران للنعم، وإيلام البريء، والكذب.

ومنها مايدرك بنظر العقل، كحسن الصدق الذي ليس فيه ضرر، وقبح الكذب الذي ليس فيه نفع.

ومنها مايدرك بالسمع، كحسن الصلاة، والحج، وسائر العبادات لكن العقل لا يستقل بمعرفتها)[3].

وهنا نلحظ أن العقل الصحيح يقر حسن شكر المنعم، ويقبح إيلام البرىء، وهذا صواب إلا أنه لا يترتب على هذا التحسين أو التقبيح حكمٌ شرعيٌّ أمرًا أو نهيًا ثوابًا أو عقابًا لأن ذلك من خصائص الشارع الحكيم.

---

(١) الموافقات (١/ ١٣) (بتصرف).

(٢) الموافقات (١/ ٥٣).

(٣) أصول الفقه ـ لمحمد الخضري (٢٤).

وهذا هو الصواب القاطع أن معرفي حكم الله هم رسله عليهم الصلاة والسلام ولا خلاف بين النقل الصحيح، والعقل الصحيح هنا إلا أن تحسين النقل الصحيح وتقبيحه للأفعال معصوم، وتحسين العقل وتقبيحه غير معصوم، لأن العقول يطرأ عليها الفساد بمؤثر خارجي فتتغير أحكامها. كما أن التحسين والتقبيح ليس في طاقة كل العقول. وأما مايدرك بالسمع فلا يمكن للعقل الاستقلال بمعرفة حسنه أو قبحه من باب أولى[١].

والخلاصة أن منزلة العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد فوجب عليه اتباعه وعدم الامتنان عليه، لأن الخروج عليه اتباع للهوى فالعقل إذا لم يكن متبعًا للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة واتباع الهوى ضلال مبين[٢]. قال الله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص، الآية: ٢٦].

---

(١) انظر: الاعتصام (١/ ٥١) (بتصرف).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٨٢) (بتصرف).

المطلب الثاني
خطر استقلال العقل عن النقل

إذا استقل العقل عن النقل في تقرير الأحكام الشرعية جنح إلى الهوى قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص، الآية: ٥٠].

والهوى صاد عن الخير، وعدو يغتال العقل، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكًا، ومدخل الشر مسلوكًا. قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية، الآية: ٢٣].

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: قال: بالشهوات واللذات، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: بالتوبة، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: أي شككتم في الله، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾: قال: طول الأمل، ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: يعني الموت، ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد، الآية: ١٤]: يعني: الشيطان)[1].

ـ أسباب الهوى.

الأسباب التي يغلب بها الهوى على العقل سببان:

السبب الأول: قوة سلطانه.

يقوى سلطان الهوى على العقل بكثرة دواعيه، وذلك أن النفس البشرية قابلة للخير والشر، حتى إذا غلب عليها السوء أصبحت تأمر به وتنهى عن ضده، ومن هنا يستولي على العقل غلبة الهوى والشهوات، فيكِلُّ العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها، مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها، وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلى الشباب أغلب، لقوة شهواتهم وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم، وأنهم ربما جعلوا الشباب عذرًا لهم، عند ذلك تنقلب موازين العقل فتتبدل أحكامه حسنًا وقبحًا.

ـ والنجاة من ذلك: أن يعتصم العقل بالكتاب والسنة في إيقاظ النفس اللوامة، فيشعرها مافي عواقب الهوى، من شدة الضرر، وقبح الأثر، وكثرة الإجرام، وتراكم الآثام فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[2]. فأخبر أن

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٥٣) وقوله: طول الأمل عن محبوب الليثي. المرجع نفسه.

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢١٧٤) (٢٨٢٢).

الطريق إلى الجنة: باحتمال المكاره، والطريق إلى النار: باتباع الشهوات. فإذا استعصم العقل بالكتاب والسنة انقادت النفس له بما قد أُشْعِرَت من عواقب الهوى، لم يلبث الهوى أن يصير مدحورًا، بعد أن تعرف النفس مالها عند الله من الثناء الحسن والثواب الجزيل قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات، الآية: ٤٠ ـ ٤١].

وأما السبب الثاني: فهو أن يُخْفِيَ الهوى مَكْرَهُ، حتى يُمَوه أفعاله على العقل، فيتصور القبيح حسنًا، والضرر نفعًا، وله داعيان:

الأول: أن يكون للنفس ميل إلى ذلك الشيء فيَخْفَى عنها القبيح، لحسن ظنها، وتتصوره حسنًا، لشدة ميلها.

والثاني: استثقال الفكر في تمييز ما اشتبه، وطلب الراحة في اتباع مايسهل، حتى يظن أن ذلك أوفق أمريه، وأحمد حاليه، اغترارًا بأن الأسهل محمود، والأعسر مذموم.

ـ والنجاة من ذلك: أن يجعل فكر قلبه، حكمًا على نظر عينه، فإن العين رائد الشهوة، والشهوة من دواعي الهوى، والقلب رائد الحق، والحق من دواعي العقل.

قال العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه: إذا اشتبه عليك أمران، فدع أحبهما إليك. وخذ أثقلهما عليك.

خامسًا: الفرق بين الهوى والشهوة:

فرق مابين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول، واتفاقهما في الدلالة والمدلول، أن الهوى مختص بالآراء والاعتقادات، والشهوة مختصة بنيل المستلذات، فصارت الشهوة من نتائج الهوى، وهي أخص، والهوى أصل، وهو أعم.

ـ والنجاة من ذلك: سؤال الله أن يكفي العبد دواعي الهوى، ويصرف عنه سبل الردى ويجعل التوفيق له قائدًا، والعقل له مرشدًا ثم ليتدبر القرآن والسنة. فإذا ضم العبد هذه النجاة مع ماسبق كانت له السلامة والرشاد[1].

ـ نتائج استقلال العقل عن النقل:

ينتج عن استقلال العقل عن النقل في تقرير الأحكام الشرعية الاعتراض على أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى وذلك بالشبه الباطلة، والاعتراض على شرعه وأمره بالآراء والأقيسة الباطلة، والاعتراض على

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٩ ـ ٤٠) باختصار وتصرف.

حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الشيطانية، والاعتراض على السياسة الشرعية بالقوانين الوضعية والاعتراض على أفعال الله وقضائه وذلك بعدم التسليم والرضى.[1]

فجعلت كل طائفة قبالة دين الله وشرعه طاغوتًا يتحاكمون إليه.

* والحكم على هذه النتيجة:

أن كل من اعترض فلا يخلو إما أن يعارض أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة ففاعل ذلك خرج من ملة الإسلام ولا حظ له فيها. وإما أن يعارض أمرًا دون ذلك فيكون فاعل ذلك مرتكبًا بدعة وهي أشد من الكبيرة وسوف يأتي الحديث عنها في شروط الإحسان في الفصل الخامس المبحث الثاني منه بإذن الله.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٧١-٧٤).

الفصل الثالث
في مكانة الإحسان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: **بيان مكانته**

المبحث الثاني: **بيان النصوص الواردة في الدعوة إليه**

المبحث الثالث: **بيان النصوص الواردة في النهي عن ضده**

المبحث الرابع: **الفرق بين مراتب الدين الثلاثة**

المبحث الأول
بيان مكانة الإحسان

يحتل الإحسان أعلى المنازل الدينية وأكملها، وهو الغاية القصوى للعابدين، والمكانة السامية للمشمرين، وأهله أشرف خلق الله أجمعين. يتقرر ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أنه أعلى مراتب الدين إذ أن الدين الخاتم الذي أتمه الله، وأكمله، وارتضاه لعباده ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. يدل على ذلك قول النبي ﷺ في آخر حديث جبريل عليه السلام: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»[(١)]. وذلك بعد أنْ سأل جبريل النبي ﷺ عن تلك المراتب.

وأعلى هذه المراتب الثلاث مرتبة الإحسان قال ابن تيمية رحمه الله: (جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات أعلاها «الإحسان» وأوسطها «الإيمان» ويليه الإسلام)[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ منزلة «الإحسان». وهي لب الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منظومة فيها وكل ماقيل من أول الكتاب [يعني مدارج السالكين]. إلى هنا فهو من الإحسان)[(٣)].

الوجه الثاني: أن الله تعالى اتصف بصفة الإحسان وأحب المحسنين، وكل صفة اتصف الله بها فإنها ولا ريب صفة كمال من كل الوجوه ليس فيها نقص، كما أن الله تعالى أحب المحسنين، وكل محبوب له تعالى فإنه بمنزلةٍ عنده وإنما أحبهم بسبب إحسانهم قال تعالى واصفًا نفسه جلَّ وعلا بالإحسان: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝١١﴾ [الطلاق، الآية: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص، الآية: ٧٧]. وقال تعالى عن محبته للمحسنين: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

الوجه الثالث: أن الإحسان صفة من صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وكذا من صفات صالحي بني آدم وهم السابقون بالخيرات. قال الله

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٧) (٥٠).

(٢) الفتاوى (٧/ ٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩).

قال الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف، الآية: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات، الآية: ١١٣]. وقال تعالى: ﴿ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٦]. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [فاطر، الآية: ٣٢].

الوجه الرابع: أن الإحسان قدر زائد على مجرد أداء الطاعات. قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٤]. قال الشوكاني رحمه الله في قوله ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾: (أي التاركين عقوبة من أذنب إليهم واستحق المؤاخذة، وذلك من أجل ضروب الخير)[١].

وعن الثوري رحمه الله: (الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن تجارة)[٢]. أي معاوضة للإحسان بالإحسان.

وهكذا فهمه السلف: (فعن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحْفَة فيها مَرَقَة حارَّة، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يامولاي، استعمل قوله تعالى ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾. قال لها: قد فعلت. فقالت: اعمل بما بعده ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرَّة لوجه الله تعالى)[٣].

فإذا كان هذا في الإحسان الذي هو بمعنى الإنعام على الغير وصنع الجميل بهم فإنه كذلك في الإحسان الذي هو بمعنى المشاهدة لله بعين البصيرة. فهي حالة زائدة عن أداء الطاعات مع استشعار العبد مراقبة الله له.

الوجه الخامس: عظم منزلة المحسنين في الآخرة وإن كانوا فاسقين. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن امرأة بغيًا[٤] رأت كلبًا في يوم حارٍّ يُطِيفُ ببئر. قد أَدْلَعَ لسانه من العطش. فنزعت له بموقها[٥]. فغفر

---

(١) فتح القدير (١/ ٣٨١).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٢٧٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي ـ (٣/ ١٣٥).

(٤) بغيًا: زانية.

(٥) فنزعت له بموقها: أي سقت له بحذائها.

لها»[1].

الوجه السادس: قلة المحسنين في جنب المسلمين والمؤمنين دليل على شرف الإحسان. قال ابن تيمية رحمه الله: (وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون أخص من المسلمين)[2].

الوجه السابع: الدعاء ببلوغ مرتبة الإحسان في كل قراءة للفاتحة، كما قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة، الآية: ٦،٧]. وصراط المنعم عليهم هو الإحسان، والمنعم عليهم هنا أصناف: المحسنون وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

الوجه الثامن: أنَّه أمنية الكافرين لو عادوا إلى الدنيا مرَّة ثانية، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ [الزمر: ٥٨]. وذلك لما يرون من رفعة منزلة المحسنين في الآخرة.

الوجه السابع: شدة عناية القرآن الكريم بالإحسان. قد بلغت عناية القرآن الكريم بالإحسان إلى درجة أن هذه اللفظة وما يتصرف منها والألفاظ ذات الصلة بها وردت في مئات المواضع منه، وفي ذلك دلالة واضحة على عُلُوِّ مكانته.

الوجه الثامن: شدة عناية السنة النبوية بالإحسان. حيث بلغت بدون المكرر قرابة مائة وخمسين حديثاً أما ماورد بالألفاظ ذات الصلة بالموضوع فأضعاف ذلك وفي هذه الكثرة التي أخذت حيزًا من السنة برهان على أهمية الإحسان وَرِفْعَةِ منزلته.

وفيما يأتي من الفصول القادمة تتجلى هذه الحقيقة.

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٧٦١) (٢٢٤٥).
(٢) الفتاوى (٧/ ١٠).

المبحث الثاني
بيان النصوص الواردة في الدعوة إلى الإحسان

لما كان الإحسان أعلى مراتب الدين والمحسنون هم خواص المؤمنين جاءت النصوص الشرعية الدالة عليه على نوعين أحدهما: ماجاء على صيغة الإخبار. الثاني: ماجاء على صيغة الإنشاء. وهو أضرب كثيرة منها: الأمر: وهو طلب الفعل. والنهي: وهو طلب الكف. سواء أكان طلب الفعل على سبيل الوجوب أم الاستحباب، وكذا طلب الكف سواء أكان على سبيل التحريم أم الكراهة.

والنوع الأول: وهو ماجاء على صيغة الإخبار وقد يكون فيه معنى الإنشاء الطلبي سواء طلب الفعل أم طلب الكف. يعرف ذلك بالسياق والقرائن. وهذا هو الغالب في الجمل الخبرية الواردة في الإحسان.

- والنصوص الواردة في الدعوة إليه على النحو الآتي:

أولاً: الأمر بالإحسان:

أ ـ ماجاء على صيغة الإنشاء الطلبي على سبيل الأمر:

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص، الآية: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت، الآية: ٨].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ [النساء، الآية: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل، الآية: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ... ﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا... ﴾ [النساء، الآية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأحقاف، الآية: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٦].

والأمر بالشيء نهي عن ضده.

ب ـ ماجاء على سبيل الإخبار وفيه معنى الإنشاء الطلبي:

وهو الغالب في الآيات الخبرية التي وردت في الإحسان فإن فيها معنى الإنشاء الطلبي سواء طلب الفعل أم طلب الترك.

أ ـ الأمثلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء، الآية: ١٢٥]. فهذه الآية من باب الخبر وفيها معنى الإنشاء الطلبي أي طلب الفعل.

والمعنى: أن الله تعالى يخبر أنه لا أحد أفضل دينًا ممن أخلص نفسه لله حالة كونه محسنًا: أي عاملاً للحسنات كأنه يرى الله تعالى بقلبه حال عمله، متبعًا للتوحيد مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الإسلام[1].

ومعنى الإنشاء الطلبي فيها: أخلصوا وأتقنوا أعمالكم لله كأنكم تنظرون إليه بقلوبكم.

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف، الآية: ٣٦].

هذه الآية جملة خبرية، يخبر الله سبحانه وتعالى عن مقالة شخصين سجنا مع يوسف عليه السلام وطلبا منه تفسير رؤياهما وعللا ذلك بأنهما

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/٥١٩) بتصرف.

رأياه من المحسنين. لكن فيها معنى الإنشاء الطلبي أي اقتدوا بيوسف عليه السلام في إحسانه مع الناس.

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ﴾ [لقمان، الآية: ٢ ـ ٣].

وكذلك هذه الآية جملة خبرية يخبر الله تعالى فيها أن آيات الكتاب هداية ورحمة لعباده المحسنين. لكنها تخرج إلى الإنشاء الطلبي: أي أحسنوا عبادة ربكم تهتدوا بكتابه وتتراحموا بينكم وترحموا أنفسكم ويرحمكم الله به.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨ ﴾ [النحل، الآية: ١٢٨].

وهذه الآية أيضًا جملة خبرية يخبر الله تعالى أن معيته التي من لوازمها الحفظ والنصرة والتأييد حاصلة لأهل التقوى وأهل الإحسان. لكنها تخرج إلى معنى الإنشاء الطلبي أي اتقوا الله وأحسنوا أعمالكم يكن معكم.

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ [الرحمن، الآية: ٦٠].

وكذلك هذه الآية جملة خبرية يخبر الله تعالى بعد أن نبه بالاستفهام للتشويق أن جزاء أهل الإحسان في الدنيا إحسان الله لهم في الآخرة، لكنها تخرج إلى الإنشاء الطلبي أي أحسنوا أعمالكم في الدنيا يحسن الله مآلكم في الآخرة.

ب ـ الأمثلة من السنة النبوية:

١ ـ ماجاء منها على صيغة الإنشاء الطلبي على سبيل الأمر:

ـ عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ. قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»[١].

قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: «وظاهره يقتضي أنَّه كتب على كل مخلوق الإحسان فيكون كل شيء أو كل مخلوق هو المكتوب عليه، والمكتوب هو الإحسان.

وقيل: إنَّ المعنىٰ: إنَّ الله كتب الإحسان إلى كل شيء، أو في كل شيء، أو كتب الإحسان في الولاية على كل شيء، فيكون المكتوب عليه غير مذكور، وإنَّما المذكور المحسن إليه.

ولفظ «الكتابة» يقتضي الوجوب عند أكثر الفقهاء والأصوليين خلافًا لبعضهم، وإنَّما استعمال لفظة الكتابة في القرآن فيما هو واجب حتم إمَّا

---

(١) صحيح مسلم (١٥٤٨/٢) (١٩٥٥).

شرعًا، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البقرة، الآية: ١٨٢]. أو فيما هو واقع قدرًا لا محالة، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة، الآية: ٢١].

وقال النبي ﷺ في قيام شهر رمضان: «**إنِّي خشيت أنْ يكتب عليكم**»(١).

وحينئذٍ فهذا الحديث نصٌّ في وجوب الإحسان، وقد أمر الله تعالى به، فقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل، الآية: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

وهذا الأمر بالإحسان تارة يكون للوجوب كالإحسان إلى الوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل به البر والصلة والإحسان إلى الضيف بقدر ما يحصل به قراه.

وتارة يكون للندب كصدقة التطوع ونحوها.

وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأمَّا الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٠]. فهذا القدر فيها واجب.

وأمَّا الإحسان في الصبر على المقدورات، فإنَّه يأتي بالصبر على وجهه من غير تسخط ولا جزع.

والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله، والإحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم، القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد على الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب.

والإحسان في قتل ما يجوز قتله من النَّاس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأوخاها من غير زيادة في التعذيب، فإنَّه إيلام لا حاجة إليه، وهذا النوع هو الَّذي ذكره النبي ﷺ في هذا الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلي بيانه في سلك الحال فقال: «**وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْح**» والقِتلة والذبحة بالكسر، أي الهيئة، والمعنىٰ: أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه،

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٧٢٩) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وقد حكىٰ ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة، وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف على العنق» قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد، الآية: ٤][1].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**»[2].

أي: يعتقد اعتقادًا حسنًا.

- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله. قال: «فهل من والديك أحد حي؟». قال: نعم، بل كلاهما. قال: «أفتبتغي الأجر من الله؟». قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[3].

- وعن عائشة رضي الله عنها تقول: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «أين المتألِّي على الله لا يفعل المعروف فقال: أنا يارسول الله وله أيُّ ذلك أحب»[4].

والمعروف هنا هو الخير والإحسان.

- عن أبي ذر رضي الله عنه قال إن خليلي ﷺ أوصاني: «إذا طبخت مرقًا فأكثِرْ ماءهُ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف»[5]. أي بإحسان.

- عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن معاذ بن جبل أراد سفرًا، فقال: يانبي الله أوصني، قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا». قال: يانبي الله زدني، قال: «إذا أسأت، فأحسن»، قال: يارسول الله زدني. قال: «استقم، وليحسن خلقك»[6].

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قَدَمِهِ فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك فرجع ثم

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٠-٣٨٢) باختصار.
(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٠٥) (٢٨٧٧).
(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٥٤٨) (١٩٥٥).
(٤) صحيح البخاري (٢/ ٩٦٣) (٢٥٥٨).
(٥) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٢٥) (٢٦٢٥).
(٦) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٢/ ٢٨٣) (٥٢٤) وإسناده صحيح.

صلى»[1]. والإحسان هنا بمعنى الإتقان.

ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنى فقالت يانبي الله أصبت حدًا فأقمه عليَّ فدعا نبي الله ﷺ وليَّها فقال: «أحسن إليْها فإذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها...»[2]. والإحسان هنا بمعنى الإنعام على الغير وصنع الجميل بهم.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة كن ورعًا، تكن أعبد الناس، وكن قَنِعًا تكن أشكر الناس. وأحب للناس ماتحب لنفسك تَكُنْ مؤمنًا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[3]. ومعنى أحسن جوار من جاورك: أي: أنعم عليه ببذل الندى وكف الأذى.

٢ ـ ما جاء من أحاديث الإحسان على سبيل الإخبار وفيه معنى الإنشاء الطلبي سواء طلب الفعل أم طلب الترك.

الأمثلة على ذلك:

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عنها»**[4].

وهذه الجملة خبرية يخبر النبي ﷺ عن ثواب من حسن إسلامه لكن فيها معنى الإنشاء الطلبي أي أحسنوا إسلامكم إذا أسلمتم يكفر الله عنكم سيئاتكم التي اقترفتموها وفعلتموها..

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة، ومعها ابنتان لها. فسألتني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فاعطيتُها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل عليَّ النبي ﷺ فحدثته حديثًا. فقال النبي ﷺ: «من ابتلى من البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له سترًا من النار»[5].

وهذه الجملة كذلك خبرية. يخبر النبي ﷺ عمن أنعم إلى البنات

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢١٥) (٢٤٣).
(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٣٢٤) (١٦٩٦).
(٣) سنن ابن ماجه (٢/ ١٤١٠) (٤٢١٧). وقال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن.
(٤) صحيح مسلم (١/ ١١٧) (١٢٩).
(٥) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٢٧) (٢٦٢٩).

وصنع بهن الجميل أن الله يجعل ذلك الإحسان إليهن سترًا له من النار.
ولكن فيها معنى الإنشاء الطلبي: أي أحسنوا تربية البنات يكن لكم سترًا من النار.

- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مامن امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب، مالم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله»[1].

وهذه الجملة خبرية يخبر النبي ﷺ أن من أتقن وضوء الصلاة وخشوعها وركوعها كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله. لكن فيها معنى الإنشاء الطلبي: أي أحسنوا وضوء صلاتكم وخشوعها وركوعها تكن لكم كفارة. . . .

ثانيًا: الترغيب في الإحسان بما أعده الله للمحسنين من النعيم في الدنيا والآخرة.

وهذا لون آخر من أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في الدعوة إلى بلوغ مرتبة الإحسان العليا.

أ - الآيات القرآنية:

الأمثلة:

١ - مضاعفة الأجر للمحسنين:

قال تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ [البقرة، الآية: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٢﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢].

٢ - نفي الخوف والحزن عن أهل الإحسان:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١٢﴾ [البقرة، الآية: ١١٢].

٣ - محبة الله للمحسنين:

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

٤ - الخلود في الجنات:

قال الله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٥﴾ [المائدة، الآية: ٨٥].

٥ - النظر إلى وجه الله تعالى في جنات النعيم:

---

(١) صحيح مسلم (١/٢٠٦) (٢٢٨).

قال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس، الآية: ٢٦]. والحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى.

ب ـ الأحاديث النبوية.

١ ـ خيار المسلمين أهل الإحسان.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخيركم؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال: خياركم أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أعمالاً»(١).

٢ ـ أن حسن الإسلام يهدم الذنوب:

ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال أناس لرسول الله ﷺ يارسول الله! أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام»(٢).

٣ ـ مضاعفة أجر المحسنين:

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى، وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم اعتقها وتزوجها، فله أجران»(٣).

٤ ـ الذكر الحسن في الدنيا:

ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ قال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت»(٤).

٥ ـ الفوز بالجنة والنجاة من النار:

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «لايدخل أحد الجنة إلا أُرِيَ مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرًا، ولا يدخل النار أحد إلا

---

(١) مسند أحمد (٢/٤٦٨) (٧١٧١) وصحح إسناده أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تعليقاته على المسند (٢/١٩٩) (٧٢١١).

(٢) صحيح مسلم (١/١١١) (١٢٠).

(٣) صحيح مسلم (١/١٣٤) (١٥٤).

(٤) سنن ابن ماجه (٢/١٤١٢) (٤٢٢٣). وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٣٤٠٢).

أَرِيَ مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة»[1].

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٤٠٢) (٦٢٠٠).

المبحث الثالث

بيان النصوص الواردة في النهي عن ضد الإحسان

أ ـ الأمثلة من الآيات القرآنية:

أولاً: النهي عن الإساءة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٦٨ ـ ١٦٩].

في هذه الآية ينهى الله سبحانه وتعالى الناس عن اقتفاء أثر الشيطان وعمله، مبينًا أن كل مالم يرد به الشرع فهو من أمر عدوكم الشيطان[١]. وأن من أعظم اقتفاء أثره وعمله العمل بالقبيح والفحشاء والقول على الله بلا علم.

وقال تعالى: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النساء، الآية: ١٤٨].

ونفي الحب هنا فيه معنى البغض وكل مبغوض منهي عنه والمعنى أنه لا يجوز لمن ظلم أن يتكلم بالكلام الذي هو من السوء في جانب من ظلمه إلا كأن يقول: فلان ظلمني أو هو ظالم، ومن صبر فهو خير له[٢].

وقد يفهم النهي من خروج الجمل الخبرية إلى الإنشائية على سبيل الإنشاء الطلبي: أي طلب الكف أو الترك.

قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء، الآية: ٧].

فهذه جملة خبرية يخير المولى جل وعلا أن إحسان المحسن عائد عليه كما أن إساءة المسيء عائدة عليه. إلا أن فيها معنى الإنشاء الطلبي على سبيل النهي: أي انتهوا عن الإساءة فإنها عائدة عليكم بالشقاء في الدنيا والوزر في الآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ [فاطر، الآية: ٤٣].

وهذه جملة خبرية يخبر الله تعالى أن من يتحرى فعل القبيح بحيلته[٣]، فإن فعله ذلك نازل به ولا يصيب غيره. إلا أن فيها معنى الإنشاء

=

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ١٦٧) بتصرف.

(٢) فتح القدير ـ للشوكاني (١/ ٥٣١) باختصار.

(٣) انظر: المفردات للراغب (٤٩١، ١٣٦).

الطلبي على سبيل النهي: أي لا تتحروا بحيلكم فعل القبيح حتى لا تصيبكم عاقبته.

وهكذا في غالب الآيات المتعلقة بالإحسان.

ثانيًا: الآيات الواردة في الترهيب من الإساءة:

١ ـ أن الله أعد للمسيئين أقبح العقوبات في جهنم:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الروم، الآية: ١٠].

﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾ أي عملوا السيئات من الشرك والمعاصي و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ هي فعلى من السوء تأنيث الأسوأ، وهو الأقبح أي كان عاقبتهم العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وقيل هي اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة.

٢ ـ أن المسيىء كالأعمى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر، الآية: ٥٨].

٣ ـ أن المسيىء ضال:

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر، الآية: ٨].

٤ ـ أن ظن السوء من صفات المنافقين والمشركين:

قال الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ [الفتح، الآية: ٦].

٥ ـ أن النفس الأمارة بالسوء خرجت عن رحمة الله فلم يعصمها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف، الآية: ٥٣].

ب ـ الأمثلة من الأحاديث النبوية الواردة في النهي عن الإساءة والترهيب منها:

أولاً: النهي عن الإساءة:

١ ـ النهي عن منع الإحسان لمستحقه:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يداك»[1].

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٨٣٤) (٢٢٤٠).

٢ ـ النهي عن كفر الإحسان: يعني جحوده.

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن». قِيلَ: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأَتْ منك شيئًا، قالت: مارأيت منك خيرًا قط»(١).

٢ ـ النهي عن الإساءة في الصلاة:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي ﷺ فرد، وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل». فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصلِّ». ثلاثًا، فقال والذي بعثك بالحق، ما أحسن غَيْرَهُ، فعلمني؟ فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، وافعل ذلك في صلاتك كلها»(٢).

٣ ـ النهي عن الإساءة في الوضوء:

ـ عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثًا، ثلاثًا ثم قال: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»(٣).

٤ ـ النهي عن الرجوع في الإحسان:

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: قال النبي ﷺ: «ليس لنا مثل السَّوْءِ الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه»(٤).

ثانيًا: الترهيب من الإساءة:

١ ـ الترهيب من إساءة الإمام في الصلاة:

ـ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الإمام ضامن فإن أحسن، فله ولهم، وإن أساء يعني، فعليه ولا عليهم»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٩) (٢٩).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٢٦٣) (٧٢٤).

(٣) سنن النسائي (١/ ٨٨) (١٤٠). وقال الألباني في صحيح سنن النسائي (١/ ٣١) (١٣٦) حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٩٢٤) (٢٤٧٩).

(٥) سنن ابن ماجه (١/ ٣١٤) (٩٨١). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٦١).

٢ ـ مشروعية بغض المسيىء في الله تعالى:

ـ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه أن رجلاً مر على قوم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم والله إني لأبغض هذا في الله، فقال: أهل المجلس بئس والله ماقلت أما والله لَنُنَبِّئَنَّه قُمْ يافلان رجلاً منهم فأخبره قال: فأدركه رسُولُهُم فأخبره بما قال فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله مررت بمجلس من المسلمين فيهم فلان فسلَّمت عليهم فردوا السلام فلما جاوزتُهُم أدركني رجل منهم فأخبرني أن فلانًا قال: والله إني لأبغض هذا الرجل في الله، فَادْعُهُ فَسَلْهُ على مايُبْغِضُنِي فدعاه رسول الله ﷺ فَسَأَلَهُ عمَّا أخبره الرجل فاعترف بذلك وقال قد قلت له ذلك يارسول الله فقال رسول الله ﷺ: «فلِمَ تبغضه» قال: أنا جاره وأنا به خابر والله مارأيته يصلي صلاة قط إلا هذه الصلاة المكتوبة التي يصليها البر والفاجر قال الرجل سله يارسول الله هل رآني قط أخرتُها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو أسأت الركوع والسجود فيها، فسأله رسول الله ﷺ فقال: لا، ثم قال: والله مارأيته يصوم قطُّ إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر، قال: يارسول الله هل رآني قطُّ أفطرت فيه أو انتقصت من حقه شيئًا، فسأله رسول الله ﷺ، فقال: لا، ثم قال: والله مارأيته يعطي سائلاً قطُّ، ولا رأيته ينفق من ماله شيئًا في سبيل الله بخير إلا هذه الصدقة التي يؤديها البر والفاجر، قال: فسله يارسول الله هل كتمت من الزكاة شيئًا قط، أو ماكست فيها طالبها، قال: فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: لا، فقال له رسول الله ﷺ: «قُمْ إنْ أدري لعلَّهُ خيرٌ منك»[١].

٣ ـ الترهيب من الإساءة إلى ذي الرحم:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «الرحم شجنة[٢] من الرحمن عز وجل، تجيىء يوم القيامة تقول: يارب قُطِعْتُ، يارب ظُلِمْتُ، ياربي أُسِيىءَ إليَّ»[٣].

وفي رواية له: «قال فَيُجِيْبُهَا أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك»[٤].

٤ ـ أن مافي القلب من سوء سببه الشيطان:

---

(١) مسند أحمد (٦/ ٦٣٦) (٢٣٢٩١) وإسناده صحيح.

(٢) أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، شبهه بذلك مجازًا واتساعًا، وأصل الشُّجنة شعبة في غُصن من غصون الشجرة، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٤٧).

(٣) مسند أحمد (٢/ ٥٧١) (٧٨٧٢) وإسناده صحيح.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٨٤) (٨٧٥٢) وإسناده صحيح.

- عن صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليَقْلِبَنِي وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد فَمَرَّ رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ: «على رِسْلِكُمَا إنها صفية بنت حُيَيٍّ» فقالا: سبحان الله يارسول الله، قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدَّم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سُوءًا أو قال شيئًا»[1].

٥ - قبح صور المسيئين في الآخرة:

- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «أَتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهيا إلى مدينة مبنية بِلَبِنِ ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شَطْرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت رَاءٍ وشطر كأقبح ما أنت راءٍ قالا: لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السُّوءُ عنهم فصاروا في أحسن صورة قالا: لي هذه جنة عدنٍ وهذاك منزلك قالا أمَّا القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم»[2].

٦ - الترهيب من جليس السوء:

- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١١٩٥) (٣١٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٧١٧) (٤٣٩٧).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٢١٠٤) (٥٢١٤).

المبحث الرابع
الفرق بين مراتب الدين الثلاث

أولاً: مرتبة الإسلام.

التعريف:

لغة: الإسلام مصدر أسلم، وهو مأخوذ من مادة (س ل م) التي تدل في الغالب على الصحة والعافية.

ومن الباب الإسلام: وهو الانقياد، لأنه يَسْلَمُ من الإباء والامتناع[1]. والإسلام والاستسلام: الانقياد. يقال: فلان مُسْلِمٌ، وفيه قولان: أحدهما: هو المستسلم لأمر الله، والثاني: هو المخلص لله العبادة، من قولهم سَلَّمَ الشيء لفلان: أي خَلَّصَهُ، وسَلِمَ الشيء له: أي خلصَ له[2].

اصطلاحًا: للإسلام حالتان:

الحالة الأولى: أن يذكر الإسلام غير مقترن بذكر الإيمان. وفي هذه الحالة يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله[3]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩]. وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٥].

وهكذا فسره النبي ﷺ عندما سأله معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله، بالذي بعثك بالحق، ما الذي بعثك به؟ قال: «الإسلام». قلت: وما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، وتوجه وجهك إلى الله، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة» وفي رواية له: قلت: وما آية الإسلام؟ قال: «أن تقول: أسلمت وجهي لله، وتخلَّيت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكل مسلم على مسلم حرام»[4].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه سُئل: أي المسلمين أفضل؟ فقال: «مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده»[5].

ففي الحديث الأول ضمن ذلك أعمال القلب وبعض أعمال الجوارح

---

(١) مقاييس اللغة (٤٨٧).
(٢) اللسان (١٢/ ٢٩٣) (سلم).
(٣) انظر: معارج القبول للحافظ بن أحمد الحكمي (٢/ ٥٩٥).
(٤) مسند أحمد (٥/ ٦٢٢) (١٩٥٢٠)، وسنن النسائي (٥/ ٤) (٢٤٣٦) وحسن الألباني إسناد النسائي في صحيح سنن النسائي (٢/ ٥١١) (٢٢٨٥).
(٥) صحيح البخاري (١/ ١٣) (١١).

وفي الثاني فسره بأعمال الجوارح.

الحالة الثانية: أن يذكر الإسلام مقترنًا بالإيمان: فيكون المراد به الأعمال والأقوال الظاهرة[1]. كما قال تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات، الآية: ١٤].

وفي الآية أثبت الله لهم الإسلام الذي هو الأعمال والأقوال الظاهرة ونفى عنهم كمال الإيمان لا أصله لأن من ليس له أصل إيمان وإن كان ضعيفًا فإنه منافق وهم ليسوا كذلك[2].

ومن السنة مِما يدل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أعطى رهطًا وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليَّ، فقلت: يارسول الله، مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «أو مسلمًا». فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، فقلت: مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا فقال: «أو مسلمًا». ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، عاد رسول الله ﷺ، ثم قال: «ياسعد إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يَكُبَّهُ الله في النار»[3].

وفي الحديث إشارة إلى أن الرجل لم يحقق مقام الإيمان وإنما هو في مقام الإسلام الظاهر وإن كان معه من الإيمان مايخرجه من حد النفاق[4].

ثانيًا: مرتبة الإيمان.

التعريف:

لغة: مصدر آمن وهو مأخوذ من مادة (أ م ن) التي تدل على معنيين هما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب، والتصديق الذي هو ضد الكذب ومنه أخذ الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف، الآية: ١٧]. أي بمصدق لنا[5].

اصطلاحًا: للإيمان حالتان:

الحالة الأولى: أن يذكر مفردًا غير مقترن بذكر الإسلام فيكون المراد به: الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله. الظاهرة والباطنة[6]. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٥٩٦).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٦).
(٣) صحيح البخاري (١/ ١٨) (٢٧).
(٤) انظر: جامع العلوم والحكم(١/ ١١٠).
(٥) انظر: مقاييس اللغة (٨٦ ـ ٨٧).
(٦) انظر: معارج القبول (٢/ ٥٩٧).

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال، الآية: ٢ ـ ٤]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ [النور، الآية: ٦٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[١].

وفي الآيات والحديث ذكر الأمور الاعتقادية الباطنة والعملية الظاهرة. وسمى كل ذلك إيمانًا.

وهذا دليل قول السلف الصالح رحمهم الله تعالى: أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان[٢]. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح، الآية: ٤].

الحالة الثانية: أن يذكر الإيمان مقرونًا بالإسلام، فيكون المراد به الأمور الاعتقادية القلبية فقط[٣] كما في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل الرسول ﷺ عن الإسلام فأجاب بالأركان الخمسة وسأله عن الإيمان فأجاب بالأركان الستة. فيكون الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء، الآية: ٥٧][٤].

ثالثًا: مرتبة الإحسان.

قال المناوي رحمه الله: «الإحسان إسلام ظاهر، يقيمه إيمان باطن، يكمله إحسان شهودي»[٥].

ومعنى ذلك أن الإسلام هو تحسين الظاهر، والإيمان هو تحسين الباطن، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن. بحيث يقوم المحسن بعبادة ربه في حالة من الإتقان والإخلاص والخشوع والخضوع على وجه كأنه يشاهد الله تعالى بعين بصيرته.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٣) (٣٥).
(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٦٠، ٣٦٥).
(٣) انظر: معارج القبول (٢/ ٦٠٣).
(٤) انظر: الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٦).
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (٤١).

والإحسان بهذا الوصف أعم من الإسلام والإيمان كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات: أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليه الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنًا ولا كل مسلم مؤمنًا. . . [ثم قال] وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه، والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام)[1].

والحاصل: أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاسمين كما في حديث جبريل عليه السلام كان الفرق بينهما مافسر به الرسول ﷺ كلاً منهما في الحديث المذكور[2]. وأما إذا ذكر الإحسان فإنه يطلق على الدين كله بحيث يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة مع تحسينهما وفي هذه الحالة لابد أن يكون مقترنًا بشيء مما يحب الله تعالى أو يفهم من السياق ذلك أما إذا ذكر مفردًا فإنه يكون المراد به الإحسان إلى النفس أو الغير.

---

(١) الفتاوى (٧/٧ ـ ١٠).

(٢) انظر: معارج القبول (٢/٦٠٣).

الفصل الرابع
مرتبة الإحسان، ودرجات المحسنين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **معنى مرتبة الإحسان**

المبحث الثاني: **درجات المحسنين**

المبحث الأول

معنى مرتبة الإحسان

الإحسان من حيث هو مرتبة واحدة: وهي أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجهِ الحضور والمراقبة، حتى يغلب عليه مشاهدة الله بقلبه كأنه يراه بعينه[1]. وهذا يقتضي تمام الاتقان والإخلاص والمتابعة.

وهو معنى قول النبي ﷺ في تعريفه للإحسان حيث قال: «أن تعبد الله كأنك تراه»[2]. وهذا من جوامع كلمه ﷺ لأنه لو قدر أن أحدًا قام في عبادة ربه وهو يعاينه لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واشتماله بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أتقن وجوهها إلا أتى به[3]. يعبر عن هذه المرتبة بالمشاهدة وقد سبق الحديث عن ذلك في تعريف الإحسان بما أغنى عن إعادته هنا.

وأما قوله ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4]. فليس بداخل في تعريف الإحسان، بل هو بيان لمنزلة المراقبة الموصلة إلى مرتبة الإحسان، (ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلاً لمرتبة الإحسان لتكون وسيلة له. فإذا تحقق أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله له، واطلاعه على سره وعلانيته، وباطنه وظاهره، لا يخفى عليه شيء من أمره، وأنه قريب منه. فإذا وصل العبد إلى هذه المنزلة سهل عليه الانتقال إلى مرتبة الإحسان، لأن العبد عندما أمر بمراقبة الله وحضور القلب حال العبادة حتى كأنه يرى الله تعالى، قد يشق ذلك عليه ابتداءً فيستعين باستحضار مشاهدة الله له واطلاعه عليه وقربه منه لأن استحضار ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل)[5]. وسيأتي مزيد ايضاح عن منزلة المراقبة عند الحديث عن وسائل الإحسان بما فيه الكفاية إن شاء الله.

* زيادة الإحسان ونقصانه:

ومرتبة الإحسان نسبية يتفاوت المحسنون فيها بحسب إحسانهم كما قال ابن رجب: (يتفاوت أهل هذه المرتبة فيه بحسب قوة نفوذ البصائر)[6].

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ١٢١)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٦).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٨) (١).
(٣) انظر: شرح صحيح مسلم ـ للنووي (١/ ١٥٧).
(٤) صحيح مسلم (١/ ٣٨) (١).
(٥) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٨ ـ ١٢٩). ومعارج القبول (٣/ ١٠٠٠) (بتصرف).
(٦) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٩).

إلا أن بينهم قدرًا مشتركًا من وصل إليه فهو محسن، وَثَمَّ قدر مميز فمن زاد في إحسانه ارتفع درجة في الإحسان مثل ذلك كمثل الضوء فإن كل ضوء يشترك في مسمى الإضاءة ويتفاوت في قدرها فضوء المصباح ليس كضوء الشمس وهكذا الإحسان.

وقد فسر طائفة من العلماء المثل الأعلى المذكور في قوله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم، الآية: ٢٧] بهذا المعنى، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور، الآية: ٣٥]. والمراد: مثل نوره في قلب المؤمن، كذا قال أبي بن كعب رضي الله عنه وغيره من السلف[١].

لأن الإحسان. كالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان فالمحسن ليس بمعصوم من المعاصي، بل يجوز عليه مايجوز على المؤمن والمسلم من ارتكاب الذنوب. كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٢]. إلا أن المحسن أسرع أوبة وأعظم توبة من غيره، وقد يكون المحسن محسنًا وإن كان فيه بعض المعاصي إذا لم ينزل عن القدر النسبي من الطاعات التي بلغ بها مرتبة الإحسان كالماء إذا بلغ قلتين لايحمل الخبث، والعكس بالعكس.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٠٠)، والدر المنثور (٦/ ٩٧) وجامع العلوم والحكم (١/ ١٣٠).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٦٥٩) (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٣١) (٤٥١٥).

المبحث الثاني
درجات المحسنين وتفاوت كل درجة

إذا تقرر أن الإحسان من حيث هو مرتبة واحدة على ماسبق بيانه. فإن المحسنين درجات وكل درجة متفاوتة في القدر. وهي على الإجمال أربع درجات كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء، الآية: ٦٩ ـ ٧٠].

فالدرجات هنا أربع بعضها دون بعض: الأولى: درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الذين تمدهم قوة إلـٰهية وتصحبهم نفس في أعلى مراتب القدسية، ومثلهم كَمن يرى الشيىء عيانًا من قريب.

والثانية: درجة الصديقين وهم الذين يتأخرون عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيىء عيانًا من بعيد، وإياه عنى علي رضي الله عنه حيث قيل له: هل رأيت الله تعالى؟ فقال: ماكنت لأعبد ربًا لم أره، ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

والثالثة منازل الشهداء: وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين ومثلهم كمن يرى الشيء في المرآة من مكان قريب كحال من قال: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا.

والرابعة: درجة الصالحين: وهم الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم، ومثلهم كمن يرى الشيء من بعيد في مرآة[1].

والثلاث الأخيرة قصد النبي ﷺ بقوله: «اعبد الله كأنك تراه».

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام، الآية: ١٣٢].

وتفصيل درجات المحسنين على النحو الآتي:

الدرجة الأولى:

درجة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم الَّذين حقَّقوا غاية الإحسان في الإحسان، وذلك أنّه يقع منهم أحسن الإحسان أبدًا من غير فكر ولا روية، لغلبة قواهم عليه، وبعد ما ينافيه عنهم[2]. على تفاوت فيما بينهم في القدر فإن بعضهم أعظم إحسانًا من بعض. قال الله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٣]. والرسول: هو من أرسله الله

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (٥/٧٦) بتصرف واختصار.
(٢) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (٥٥).

بشريعة استقلالية وأمر بتبليغها، والنبي: هو من أرسله الله بشريعة تبعية وأمر بتبليغها.

وأفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام إحسانًا أولوا العزم الخمسة الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى، الآية: ١٣].

وأفضل الخمسة إحسانًا الخليلان محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

وقوله ﷺ كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً»[(١)] يعني نفسه ﷺ.

وأفضل الخليلين إحسانًا محمد ﷺ.

كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حديث الشفاعة الطويل عندما يطلب الناس الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول كما في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحبكم ذلك. اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله. قال فيقول إبراهيم: لستُ بصاحبكم ذلك. إنما كنت خليلاً من وراء وراء. اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا. فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك. اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه. فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له.. الحديث»[(٢)].

فإذا كان هكذا يتفاضل النبيون في درجة الإحسان فمن دونهم من باب أولى، فإن قيل إنَّ هناك نصوصًا تنهى عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئًا، كرهه أو لم يرضه قال: لا. والذي اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام على البشر! قال فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه. قال:

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٨٥٥) (٢٣٨٣).

(٢) صحيح مسلم (١/١٨٦) (١٩٥).

تقول: والذي اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام على البشر! ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ قال فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم! إن لي ذمَّةً وعهدًا. وقال: فلان لطم وجهي. فقال رسول الله ﷺ: «لم لطمت وجهه؟ قال: قال (يارسول الله): والذي اصطفى موسى على البشر! وأنت بين أظهرنا. قال فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال: «لاتفضلوا بين أنبياء الله. فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. قال ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش. فلا أدري أحوسب بصعقة الطور أو بعث قبلي. ولا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متَّى عليه الصلاة والسلام»[1]. فإنَّ ذلك يخرج على وجوه:

الأول: أن النبي ﷺ نهى عن ذلك قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل الأنبياء والرسل. كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»[2].

الثاني: أنه ﷺ نهى عن ذلك خشية أن يحقر بعض الأنبياء.

الثالث: أنه نهى عن ذلك حتى لاتحصل خصومة بين المسلمين وأتباع الرسل.

الرابع: أنه قال ذلك تواضعًا منه ﷺ[3].

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن هذه الدرجة ليست لأحد من الناس غيرهم، فلا يمكن الوصول إليها بالاكتساب أبدًا، لأنها مَحْضُ مِنَّةٍ وفضل من الله تعالى، كما قال جل ذكره: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج، الآية: ٧٥].

إلا أن النبوة بعد النبي ﷺ باطلة ومدعيها أفاك أثيم لأن الله تعالى ختم بمحمد ﷺ النبوة فلا نبي بعده قطعًا وجزمًا. قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب، الآية: ٤٠].

الثانية: درجة الصديقين: وهم الذين صدقوا بأقوالهم واعتقادهم وحققوا صدقهم بأفعالهم، لأنه لايكفي الاعتراف بالحق دون تحريه بالفعل، كما قال الله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب، الآية: ٨]: أي يسأل من صدق بلسانه عن صدق فعله يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٠٨٤٣) (٢٣٧٣).
(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٧٨٢) (٢٢٧٨).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (١٥٩ ـ ١٦٤).

ﵟءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَﵞ [الحديد، الآية: ١٩].

والإيمان قول وعمل. وقول النبي ﷺ كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق. فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة. وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا. . . الحديث»[١].

أي يصدق باللسان ويتحرى بالفعل. وقوله تعالى: ﵟمِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِﵞ [الأحزاب، الآية: ٢٣]. أي حققوا العهد بما أظهروا من أفعالهم. وهكذا فسره النبي ﷺ بالفعل كما جاء في حديث عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته فممن أنا قال: «من الصديقين والشهداء»[٢].

وهذه الدرجة دون الدرجة الأولى في الإحسان، وأهلها متفاوتون فيما بينهم وأعظمهم وأرفعهم إحسانًا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد سماه الله بالصديق حيث قال تعالى: ﵟوَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓﵞ [الزمر، الآية: ٢٣].

فالذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ، والذي صدق به هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي حقَّق ما أورده قولاً بما تحراه فعلاً.

يلي أبا بكر الصديق في الصديقية بقية الخلفاء الأربعة الراشدين على الترتيب: عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين عن أبي بكرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا»؟ قال رجل: أنا. رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. . . الحديث»[٣].

قال سفيان الثوري رحمه الله: (الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم)[٤]. وهذا مذهب أهل

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠١٣) (٢٦٠٧).

(٢) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٨/ ٢٢٣) (٣٤٣٨). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٦) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار، وأرجو إسناده أنّه إسناد حسن أو صحيح.

(٣) سنن أبي داود (٥/ ٣٠) (٤٦٣٤). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧٧) (٣٨٧٥).

(٤) سنن أبي داود (٥/ ٢٧) (٤٦٣١).

السنة.

يليهم بقية الصحابة حسب أفضليتهم رضي الله عن الجميع.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لاتسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً، مابلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**[(١)]. يلي الصحابة من سار على نهجهم من التابعين أصحاب القرون الثلاثة المفضلة مرتبة حسب الزمان كما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي القرن الذين يلوني. ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»[(٢)].

يلي أهل القرن الثالث من جاء بعدهم ممن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

الثالثة: درجة الشهداء وهم الذين يرفعون الشيء بالبراهين، وهم العلماء الذين تولاهم الله بالشهادة على توحيده وجعلهم من المقربين[(٣)] قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران، الآية: ١٨]. وأولوا العلم هنا: جميع علماء المؤمنين[(٤)]. وقيل الشهداء: هم الذين استشهدوا في سبيل الله[(٥)]. والجمع بين القولين أن الشهادة ليست عبارة عن القتل، بل: الشهيد فعيل بمعنى فاعل، وهو الذي يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان، وأخرى بالسيف والسنان، فالشهداء هم القائمون بالقسط وهم الذين ذكرهم الله في الآية السابقة، ويقال للمقتول في سبيل الله شهيد من حيث أنه بذل نفسه في نصرة دين الله، وشهادته له بأنه هو الحق وما سواه الباطل، وإذا كان من شهداء الله بهذا المعنى كان من شهداء الله في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة، الآية: ١٤٣].

إذا تقرر هذا فإن الشهداء بالمعنيين جميعًا يتفاوتون في هذه الدرجة كل بحسب زيادة إحسانه كما أن العلماء يتفاوتون في علمهم والشهداء يتفاوتون في شهادتهم من حيث الإخلاص والزمان والمكان والحال. فمن

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٤٣) (٣٤٧٠).
(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٩٦٢) (٢٥٣٢).
(٣) انظر: روح المعاني للألوسي (٥/ ٧٧)، والفتاوى ـ لابن تيمية (٧/ ٨).
(٤) تفسير البغوي (١/ ٢١٩).
(٥) تفسير البغوي (١/ ٣٥٨).

جمع بين المعنيين كان أعظم شهادة من غيره ومن كان من الشهداء في زمن الرسول ﷺ كان أعظم شهادة من غيره وهكذا[1].

الرابعة: درجة الصالحين: وهم الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم[2].

وقيل الصالح: هو الذي يكون صالحًا في اعتقاده وفي عمله، فإن الجهل فساد في الاعتقاد، والمعصية فساد في العمل[3]. ولاخلاف بين القولين إلا أن الآخر فيه زيادة بيان. وأهل هذه الدرجة كمن سبق يتفاوتون فيما بينهم كل بحسب زيادة إحسانه. فالصالحون من الصحابة ليسوا كغيرهم.

ولكن يجب التنبيه على عدة مسائل هنا:

الأولى: أن ماتقرر من كون الصفات الأربع في الآية هي درجات الناس في الإحسان حق. لأن المعطوف يجب أن يكون مغايرًا للمعطوف عليه، كما أن النبيين غير من ذكر بعدهم فكذلك الصديقون يجب أن يكونوا غير من ذكر بعدهم وهكذا[4].

الثانية: أن أهل الدرجة الأولى وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد جمعوا بين الدرجات كلها. لاسيما من قتل منهم في سبيل الله[5].

الثالثة: أن أصحاب الدرجات الثلاث الباقية محسنون إن توفر فيهم شرط الإحسان وهو أن يعبد الله كأنه يراه.

الرابعة: أنه يجوز أن يكون كلُّ صديق شهيدًا وصالحًا ولا عكس.

الخامسة: أنه يجوز أن يكون كل شهيد صالحًا ولا عكس.

فثبت أن أفضل الخلق إحسانًا هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعدهم الصديقون، وبعدهم من ليس له درجة إلا محض درجة الشهادة، وبعدهم من ليس له إلا محض درجة الصلاح. فهذا هو تقرير مرتبة الإحسان ودرجات المحسنين فمن عرف ذلك ظهر له أنه لا أحد في الدنيا والآخرة إلا وهو داخل في بعض هذه الدرجات والله أعلم[6].

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٠/ ١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٨).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٠/ ١٧٩).

(٤) انظر: التفسير الكبير ـ للرازي (١٠/ ١٧٦).

(٥) انظر: الفتاوى ـ لابن تيمية رحمه الله (٧/ ٥٧).

(٦) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٠/ ١٧٩) بتصرف.

الفصل الخامس

شروط الإحسان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **شرط الإخلاص**

المبحث الثاني: **شرط المتابعة**

المبحث الثالث: **شرط المشاهدة**

المبحث الأول
شرط الإخلاص

* تعريفه:

أ ـ الإخلاص في اللغة: تنقية الشيء وتهذيبه[1].

يقال: خلَص الشيء بالفتح، يخلص خلوصًا أي: صار خالصًا، والمعنى: نقيًا من الشوائب المكدرة صفوه، ويسمى الفعل المخلَص: إخلاصًا، وهو في الطاعة: ترك الرياء[2].

ب ـ الإخلاص في الإصطلاح:

هو (القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السر والقول والعمل)[3].

وقيل: (ألا تطلب لعملك شاهدًا غير الله تعالى)[4].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هٰذين. وفي رواية عنه: والإخلاص: أن يعافيك الله منهما)[5].

* منزلة الإخلاص:

يعد الإخلاص في جميع الأعمال المحور الثاني بعد الإيمان بالله لقبولها أو ردها. قال ابن تيمية رحمه الله: (إخلاص الدين هو الذي لا يقبل الله تعالى سواه، وهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه)[6].

ـ أقسام العاملين بالدين.

إن الدين كله بما فيه الإحسان لا يخرج بحال من الأحوال عن ثلاثة أمور وهي كالآتي:

الأول: فعل المأمورات. والثاني: ترك المحظورات.

والثالث: التوقف عن الشبهات. دل على ذلك حديث النعمان بن بشير

---

(١) معجم مقاييس اللغة ـ لابن فارس (٢/ ٢٠٨).

(٢) الصحاح ـ للجوهري (٣/ ١٠٣٧)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٢/ ٣٠١)، والتعريفات ـ للجرجاني ص(١٣).

(٣) الكليات ـ للكفوي (٦٤).

(٤) التعريفات ـ للجرجاني (١٣ ـ ١٤).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٩٥).

(٦) التحفة العراقية في أعمال القلوب لابن تيمية(٥٨).

رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات. . . الحديث»[1].

وثلاثة الأمور هذه العاملون بها سواء فعلاً أو تركًا أو توقفًا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قوم عبدوا الله بما أراد الله، وإرادته أن يكون وفق سنة رسول الله ﷺ. فأعمالهم مقبولة وهم مأجورون عليها في الدنيا فلا عليهم فإنه عاجل بشراهم.

القسم الثاني: قوم عبدوا الله بغير ما أراد الله. فأعمالهم مردودة وهم مأزورون. وهم أهل البدع أخلصوا ولم يتابعوا.

القسم الثالث: قوم عبدوا غير الله بما أراد الله له.

وهذا القسم أنواع ثلاثة:

(النوع الأول: أن تكون العبادة لغير الله كلية أي رياءً محضًا. وهذا مردود وهم أهل النفاق.

النوع الثاني: أن تكون العبادة لله ويشاركه الرياء من أصل العمل. وهذا مردود.

النوع الثالث: أن تكون العبادة لله ثم يطرأ عليها الرياء فهذا محل خلاف والراجح أنه يجازى بنيته الأولى)[2].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك، الآية: ٢]. قال: أخلصه وأصوبه، إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا، ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. قال: والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة)[3].

* عناية القرآن الكريم بالإخلاص:

ورد الحديث في القرآن الكريم عن الإخلاص في قرابة ثلاثة وعشرين موضعًا لفظًا ومعنى، وذلك بأساليب متعددة مثل الأمر به، والتنويه بأهله، وذكر ما أعده الله للمخلصين وغير المخلصين.

وفي ذلك إشارة واضحة إلى اهتمام القرآن بالإخلاص. وبيان ذلك من وجوه:

الأول: الأمر بإخلاص الدين لله تعالى:

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٨) (٥٢).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم(٨/ ٩٥)، جامع العلوم والحكم (١/ ٧٢).

- قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة، الآية: ٥].

- وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ [الأعراف، الآية: ٢٩].

- وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾ [الكهف، الآية: ١١٠].

وهنا يراد بالشرك عمومه الأكبر والأصغر. كما جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه»(١).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١٤٦﴾ [النساء، الآية: ١٤٥ ـ ١٤٦].

- وقال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ [غافر، الآية: ١٤].

- وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر، الآية: ٦٥].

- وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر، الآية: ١١ ـ ١٢].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزمر، الآية: ٢ ـ ٣].

- وقال تعالى: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾[الإخلاص].

* ثناء الله تعالى على أهل الإخلاص:

إنه ليس بعجيب ثناء العبد على الله تعالى لأن الله هو أهل الثناء والمجد الغني القوي الدائم، بل العجيب حقًا ثناءُ الله على عبده الفقير الضعيف الفاني.

فإن حصل ذلك لواحد من عبيده فإنما هو دليل واضح على رفعته وعلو مكانته عنده. لأنه أخلص له فاستخلصه له ومادام الأمر كذلك فإن كل عمل أوصل هذه المنزلة السامية لهو حري بالتسابق إليه والتشبث به بكل قوة

---

(١) صحيح مسلم (٣/٢٢٨٩) (٢٩٨٥).

أوتيها الإنسان.

واسمع إلى إشادة الله تعالى بالمخلصين من عباده. في مواضع كثيرة من كتابه ومن ذلك:

- قوله تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٣٩].

- وقوله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم، الآية: ٥١].

قرىء في السبع بفتح اللام وكسرها من (مخلَصًا)[1].

- وقوله عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف، الآية: ٢٤].

قرىء في السبع بفتح اللام وكسرها من (المخلصين)[2].

- وقوله تعالى عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص، الآية: ٤٥ ـ ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

قال ابن القيم رحمه الله: (فإسلام الوجه: إخلاص القصد، والعمل لله . . .)[3].

* إنجاء الله تعالى للمخلصين:

- قال تعالى عن الكافرين: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس، الآية: ٢٢].

وممن أحيط بهم وأيقنوا الهلكة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه.

كما في حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: «لما كان يوم الفتح فرَّ عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: «أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا»، فقال عكرمة: «لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا، أضع

---

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٢٣٩).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٤/ ٢١٠).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٠).

غيره، اللهم إن لك عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا، أضع يدي في يده، فلأجدنه عفوًا كريمًا». قال: «فنجاه فأسلم»(1).

- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (66)﴾ [العنكبوت، الآية: 65 - 66].

- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32)﴾ [لقمان، الآية: 31 - 32].

وإذا كانت هذه النجاة للكافرين عندما أخلصوا الدعاء لله وحده فإن النجاة حاصلة للمؤمنين المخلصين من باب أولى.

* النجاة من كيد الشيطان:

لقد نجى الله المخلصين من كيد الشيطان وقد قعد للإنسان بكل طريق ورصد له كل مرصد ليصده عن سبيل الله.

- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40)﴾ [الحجر، الآية: 36 - 40].

- وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)﴾ [ص، الآية: 79 - 83].

2 - النجاة من العذاب في الدنيا:

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (74)﴾ [الصافات، الآية: 69 - 74].

3 - النجاة من العذاب في الآخرة:

- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (127) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (128)﴾ [الصافات، الآية: 123 - 128].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (157) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ

---

(1) سنن النسائي (7/105، 106)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن النسائي (3791) والصحيحة (1723) وصحيح الجامع (2426).

ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الصافات، الآية: ١٥٦ ـ ١٦٠].

٤ ـ النعيم في الآخرة:

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصافات، الآية: ٣٨ ـ ٤٣].

* عناية السنة النبوية بالإخلاص:

لقد اعتنت السنة النبوية بالإخلاص عناية فائقة وذلك من وجوه:

الأول: تحريه ﷺ للإخلاص:

لقد كانت حياة الرسول ﷺ كلها إخلاصًا كما جاء في القرآن الكريم على لسانه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر، الآية: ١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر، الآية: ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٢ ـ ١٦٣].

وهذه الآية الجامعة كان النبي ﷺ يستفتح بها صلاته كما في حديث علي بن أبي طالب يقول:

«وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»[(١)].

وكان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة أعلن إخلاصه الدين لله تعالى. كما في حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ـ قال ـ: كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة، يقول: «لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إلـه إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إلـه إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[(٢)].

ثانيًا: أمره ﷺ بالإخلاص:

ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»[(٣)].

وفي الحديث دلالة على الأمر بالإخلاص فيما هو أعظم من الدعاء للميت من باب أولى.

ـ وعن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) (٧٧١).

(٢) سنن أبي داود (٢/ ١٧٣) (١٥٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٨١) (١٣٣٤).

(٣) سنن أبي داود (٣/ ٥٣٨) (٣١٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦١٧) (٢٧٤٠).

لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم»[1]. والغل: الغش والزغل والنفاق. والحديث إخبار فيه معنى الطلب.

ثانيًا: الإخبار عن قبول الأعمال الخالصة دون غيرها.

- عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟. فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له». فأعاد ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له». ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ماكان خالصًا وابتغي به وجهه»[2].

- وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء مانوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ماهاجر إليه»[3].

وشرح الحديث باختصار:

حصر النبي ﷺ قبول الأعمال أيًا كان نوعها بصلاح النيات، ثم بيَّن أنَّ النيات تتفاوت من عامل لآخر صحة وفسادًا، ومثل بالمهاجر، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدًا فإن هجرته إلى الله ورسوله ثوابًا وأجرًا، ومن قصد بهجرته الدنيا أيًا كان نوعها فهي جزاؤه وثوابه. وفي هذا بيان أن الأعمال لا يقبل منها إلا الخالص لله تعالى.

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[4].

- وفيه أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه.

- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كان مع رسول الله ﷺ رجل في بعض مغازيه فأبلى بلاء حسنًا فعجب المسلمون من بلائه فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا إنه من أهل النار» قلنا في سبيل الله مع رسول الله ورسول الله أعلم قال: فخرج الرجل فلما اشتدت به الجراح وضع ذباب سيفه بين ثدييه ثم اتكأ عليه فأتى رسول الله ﷺ فقيل له الرجل الذي قلت له ماقلت قد رأيته يتضرب والسيف بين أضعافه فقال النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٣) وصحح إسناده أحمد شاكر (١/ ٣٥٣).

(٢) سنن النسائي (٦/ ٢٥) (٣١٤٠) وحسنه الألباني في الصحيحة (١/ ٨١) (٥٢).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٣) (١).

وصحيح مسلم (٢/ ١٥١٥) (١٩٠٧).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٨٩) (٢٩٨٥).

الجنة فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل النار وإنه ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة»(١).

ثالثًا: ثواب الإخلاص.

أ ـ النجاة من الهلاك في الدنيا:

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبْق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء قومًا فلم أُرحْ عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أُغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يديَّ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج. قال النبي ﷺ: قال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليَّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى قدرت عليها قالت: لا أحلُّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجتُ من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدالله، أد إليّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزيء بي، فقلت: إني لا أستهزيء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»(٢).

ب ـ النجاة من الهلاك في الآخرة.

عن عتبان بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ وذكر قصة ثم قال فقال رسول الله ﷺ: «فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إلـه إلا الله يبتغي

---

(١) صحيح مسلم (١/١٠٦) (١١٢).

(٢) صحيح البخاري (٣/١٢٨٧) (٣٢٧٨).

بذلك وجه الله»[1].

ـ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك»[2].

والأحاديث الواردة في الإخلاص كثيرة وليس المراد الاستيعاب ولعل ما ذكر فيه الكفاية إن شاء الله.

* عناية السلف رحمهم الله تعالى بالإخلاص:

١ ـ عن سفيان الثوري، قال: (ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي، لأنها تتقلب عليَّ)[3].

٢ ـ عن مطرف بن عبدالله أنه قال: (صلاح القلب، بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النية)[4].

٣ ـ عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: (تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل)[5].

* الإخلاص في ترك المحذورات[6]:

كل محذور يتركه المسلم فإنه لا يخرج عن ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن يترك الذنب خشية لله تعالى. وهذا الصنف من الناس مأجور على إخلاص نيته لله تعالى وهو في أعلى الدرجات. دل على ذلك:

١ ـ حديث ثلاثة النفر الذين أووا إلى الغار فانسد عليهم وقد سبق[7] ووجه الدلالة منه أن الثاني منهم ترك إتيان ابنة عمه مع قدرته عليها ابتغاء وجه الله تعالى.

٢ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله. ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليًا،

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٥٥) (٣٣).
(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٠) (٥٦).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ٥).
(٤) حلية الأولياء (٢/ ١٩٩).
(٥) حلية الأولياء (٣/ ٧٥).
(٦) هذا مما علق بالذهن من دراستنا على بعض المشايخ جزاه الله خيرًا.
(٧) انظر: فهرس الأحاديث.

ففاضت عيناه»[1].

والشاهد منه: ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله.

ووجه الاستشهاد: أن هذا العبد الصالح ترك الذنب مع قدرته عليه وقدرة المرأة على دفع الأذى عنه في الدنيا خوفًا من الله تعالى.

الحالة الثانية: من ترك الذنب ولم يخطر بباله نية في الترك أتركه لله أم لغيره.

والعدل الإلـٰهي يعامله هنا ألا ثواب عليه ولا عقاب. لأن الثواب والعقاب متعلقان بصلاح النية أو فسادها وهنا ليس له نية أصلاً ولم تخطر بباله.

الحالة الثالثة: من ترك الذنب لعدم القدرة عليه أو لعدم القابلية له.

أ ـ من ترك الذنب لعدم القدرة عليه مع حرصه على فعله لو قدر عليه فإنه آثم إثم من قدر عليه وفعله والأدلة على ذلك وافرة منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النور، الآية: ١٩].

ووجه الاستدلال: أنهم تركوا إشاعة الفاحشة بألسنتهم لكنهم أحبوا إشاعتها بقلوبهم وهو عمل القلب فعاقبهم الله على ذلك وإن لم يشيعوها بألسنتهم. لأنهم لم يتركوها لله تعالى. وإنما لعدم القدرة.

٢ ـ وعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». فقلت يارسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»[2].

ووجه الاستشهاد: أن المقتول في النار لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه والحرص عمل من أعمال القلوب عاقبه الله عليه وإن لم يفعل القتل لأن تركه للقتل هنا لعدم القدرة عليه.

٣ ـ عن أبي كبشة الأنماري ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه»، قال: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولافتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ـ أو كلمة نحوها» وأحدثكم حديثًا فاحفظوه. قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٣٤) (٦٢٩).
(٢) صحيح البخاري (١/ ٢٠) (٣١).

رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية. يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو ونيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه مالاً ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو ونيته، فوزرهما سواء»[1].

ووجه الاستشهاد: أن المتمني الثاني تمنى مال من يخبط فيه بغير علم لا يتقي فيه ربه... ليعمل بعمله فكان وزرهما سواء وإن لم يعمل بعمله وإنما مجرد عمل القلب أخذ به وهو التمني لأنه ترك ذلك لعدم القدرة عليه.

ب ـ من ترك الذنب لعجزه عن إتيانه مع حرصه على فعله لو كان مستطيعًا.

مثال ذلك: ترك المجبوب أو العنين للزنا بعد حرص عليه وبحث عنه أو تمكن منه.

فالحكم: أنه معاقب عليه كأنما أتاه حقيقة لأنه لم يترك الزنا لكمال طهارة أو نزاهة فيه ابتغاء مرضاة الله. وإنما تركه لعجزه عنه.

قال الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

قال ابن أبي العز:

(لما اقترن بنفي الغدر والظلم عنهن ما ذكره قبل هذا البيت وبعده، وتصغيرهم بقوله: «قبيلة» علم أن المراد عجزهم وضعفهم، لا كمال قدرتهم)[2].

وهذا نفي صرف لا مدح فيه.

وقال الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

قال ابن أبي العز:

(لما اقترن بنفي الشر عنهم ما يدل على ذمهم، علم أن المراد عجزهم وضعفهم أيضًا).

ـ وهنا قد يرد إشكال مع بعض النصوص الشرعية الآتية:

١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ: فيما يرويه عن

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٥٦٢) (٢٣٢٥) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٧٠) (١٨٩٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٥٣) بتحقيق الألباني.

ربه ـ عز وجل ـ قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة. فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[1].

الشاهد: قوله: «ومن هم بسيئة فلم يعملها...».

وجه الإشكال: أن الهم من أعمال القلوب وعلى القاعدة السابقة أنه يعاقب وفي الحديث عكس ذلك أنه مثاب فما حل ذلك؟.

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، مالم تعمل أو تتكلم»[2].

وجه الإشكال: أن حديث النفس عمل من أعمال القلوب وعلى القاعدة السابقة أنه إن لم يتركه لله عوقب وفي الحديث هنا أن الله تجاوز عن ذلك إلا إذا عمل أو تكلم، فما حل هذا الإشكال؟

ـ دفع الإشكال:

لا تعارض بين النصوص السابقة لأن ما يرد على القلب كثير منه ما يؤاخذ الإنسان عليه ومنه ما عفى عنه.

قال الناظم:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همٌ فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

وبيان ذلك ما نقله ابن حجر المكي في شرح الأربعين عن السبكي ما حاصله أن ما يقع في النفس من قصد المعصية على خمس مراتب:

الأولى: الهاجس: وهو ما يلقى فيها.

الثانية: الخاطر: وهو جريان ما يلقى فيها.

الثالث: حديث النفس: وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أو لا.

الرابع: الهم: وهو ترجيح قصد الفعل.

الخامس: العزم: وهو قوة ذلك القصد والجزم به. يبحث لو وجد ذلك [الذنب] لم يتركه البتة ومع ذلك لو تركه خوفًا من الله كتبت له حسنة واحدة فالهاجس لا يؤاخذ به إجماعًا لأنه ليس من فعله وإنما هو شيء طرقه قهرًا وما بعده من الخاطر، وحديث النفس وإن قدر على دفعهما لكن الله رفعهما كما نطق به الحديث الصحيح إن الله تجاوز لأمتي... الخ. وأما

---

(١) البخاري (٥/ ٢٣٨٠) (٦١٢٦).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٢٠) (٤٩٦٨).

الهم فقد بين الحديث أنه بالحسنة يكتب حسنة وبالسيئة لا يكتب ثم ينظر فإن تركها لله سبحانه كتب حسنة وإن فعلها كتبت سيئة واحدة، وأما العزم فالمحققون على أنه يؤاخذ به[1].

* وسائل الإخلاص:

مادام أن الإخلاص غاية نبيلة يتطلع إليها كل عابد فإن هناك وسائل مؤدية إلى حصوله وتطبيقه وهي كالآتي:

١ ـ الدعاء:

فإنه أعظم الأسباب الموصلة إلى المقصود.

٢ ـ أن يعتقد أن الخافض والرافع المعطي المانع القوي الغالب القهار هو الله وأن من دونه لا يقدرون على شيء. مهما كانت منازلهم.

٣ ـ أن يعتقد أن أجر عمله يأخذه من الله لا من غيره.

٤ ـ أن ينظر إلى الخلق وكأنهم معدومون غير موجودين.

٥ ـ أن يستحي من الله وهو يعبده أن يميل بقلبه إلى غيره.

---

(١) انظر: شرح السيوطي على سنن النسائي (٦/ ١٥٦).

المبحث الثاني
شرط المتابعة

* التمهيد:

إنه من المسلَّم به عند عموم المسلمين أن الله تعالى خلق الإنس والجن جميعًا لعبادته حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦].

وعبادة الله شاملة لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٢].

وهذه المحبوبات لله تعالى تتعذر معرفتها إلا بواسطة عنه وهذه الواسطة بين الله وخلقه هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام. وهم قوم خيار اصطفاهم الله لرسالته حيث قال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج، الآية: ٧٥].

ثم اصطفى الله من الملائكة جبريل عليه السلام ليكون رسوله بالوحي إلى رسله من الناس فجبريل أمين الله على الوحي في السماء والرسل عليهم السلام أمناء الله على الوحي في الأرض قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت، الآية: ٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل، الآية: ١٠٢].

وروح القدس هو جبريل عليه السلام.

وأمر الرسول ﷺ ببلاغ ما نزل إليه.

قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة، الآية: ٦٧]. فبلغه أتم البلاغ. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣].

ووقف النبي ﷺ في منى عام حجة الوداع فقال ﷺ: «... ألا هل بلغت». قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مُبَلَّغٍ أوعى من سامع... الحديث»[1].

ولما كان الرسول ﷺ هو الموحى إليه من ربه والمبلغ عنه والعالم

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٦٢٠) (١٦٥٤).

بمراده من خلقه أوجب الله اتباعه واقتفاء أثره والسير خلف ركابه فلا طريق إلى الجنة إلا طريقه.

وقد أدرك ذلك أصحابه رضي الله عنهم فاتبعوه حذو القذة بالقذة شبرًا بشبر وذراعًا بذراع وهم الذين قال الله عنهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال، الآية: ٦٤]. فأمره الله بخفض الجناح لهم حتى يتمكنوا من معرفة هديه فيتبعوه عليه فقال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء، الآية: ٢١٥]. ونوه الله بذكرهم فقال تعالى: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ .. ﴾ [آل عمران، الآية: ٢٠].

ورضي سبحانه وتعالى عن المتبعين له فقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبه، الآية: ١٠٠].

* تعريف المتابعة:

المتابعة لغة: مأخوذة من الإتباع قال الفراء: (الإتباع أن يسير الرجل وأنت تسير وراءه)[١]. ثمَّ استعمل في العمل بمثل عمل الغير. كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠]. ثمَّ استعمل في امتثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع فهو الائتمار[٢].

واصطلاحًا:

قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: «الاتباع ما ثبت عليه الحجة، وهو اتباع كل ما أوجب عليك الدليل اتباع قوله. فالرسول ﷺ هو المثل الأعلىٰ في اتباع ما أُمِرَ بِه[٣].

ـ حقيقة المتابعة: لزوم طريق النبي ﷺ والسير عليها في عبادة الله تعالى مع المحبة لها والرضى بها: ويطلق عليها العلماء: الاعتصام بالسنة، أو الموافقة للشرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (... دين الإسلام مبني على أصلين: أن نعبد الله وحده لا شريك له، وأن نعبده بما شرعه من الدين، وهو ما أمرت به الرسل...)[٤].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إنا نقتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأمر)[٥].

---

(١) لسان العرب (٨/٢٨) (تبع).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٧/٤٢٣).

(٣) أضواء البيان (٧/٥٤٨).

(٤) مجموع الفتاوى (١/١٨٩).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ـ للالكائي (١/٨٦).

- وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: (وجدت الأمر الاتباع)(1).

- وعن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال: (سن رسول الله - ﷺ - وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله عز وجل، وقوة على دين الله - تبارك وتعالى - وليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله - تعالى - ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا)(2).

* عناية القرآن الكريم باتباع السنة:

1 - الأمر بإتباع السنة.

- قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام، الآية: 153].

- وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف، الآية: 3].

- وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر، الآية: 55].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران، الآية: 31].

- وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام، الآية: 155].

- وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف، الآية: 158].

- قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران، الآية: 103]. والمراد بالحبل (الكتاب والسنة)(3). والاعتصام: (الإمساك)(4).

2 - النهي عن اتباع غير الهدى:

- قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُوا فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة، الآية: 208].

- وقال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء، الآية: 135].

---

(1) المرجع السابق (1/88).

(2) الشريعة - للآجري (65) وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (1/94).

(3) فتح الباري (13/245).

(4) لسان العرب (12/404 - 405).

٤ ـ عاقبة المخالفة:

أ ـ الحرمان من الهداية:

ـ قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص، الآية: ٥٠].

ب ـ الوقوع في الفتنة:

ـ قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾. ﴾ [النور، الآية: ٦٣].

جـ ـ براءة الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا:

ـ قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥ ـ ١٦٦].

د ـ العذاب الأليم:

ـ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء، الآية: ١١٥].

٥ ـ ثمرات الاتباع:

أ ـ محبة الله للمتبعين:

ـ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١].

ب ـ المغفرة والنعيم المقيم:

ـ قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [غافر، الآية: ٧ ـ ٩].

وبالجملة فعناية القرآن بالاتباع وترك المخالفة والابتداع أوسع مما ذكرت ولعل ماسبق فيه الكفاية إن شاء الله.

* عناية السنة النبوية بالإتباع:

١ ـ أن السنة هي خير الهدي.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول: «وأما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير

الهدي هدي محمد، شر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[1] وزاد النسائي: «وكل ضلالة في النار»[2].

٢ ـ نصاعة السنة وصفاؤها:

ـ عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك»[3].

٣ ـ الأمر باتباع السنة:

ـ عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[4].

ب ـ أن التمسك بالسنة أمن من الضلال:

قوله ـ ﷺ ـ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله»[5].

٤ ـ أن مالم يكن على السنة فإنه مردود:

قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه، فهو رد»[6].

٥ ـ براءة النبي ﷺ ممن رغب عن سنته: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «. . . فمن رغب عن سنتي فليس مني»[7].

وكل من أحدث في الشريعة ماليس منها فقد ابتدع بدعة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. .»[8].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٩٢) (٨٦٧).

(٢) سنن النسائي (٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩) (١٥٧٨)، وصحح هذه الزيادة الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (١/ ٥١).

(٣) سنن ابن ماجه (١/ ١٤) المقدمة، والمستدرك للحاكم (١/ ٩٦) وقال: هذا حديث صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي.

(٤) سبق تخريجه. انظر: فهرس الأحاديث.

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا (٢/ ٨٩٨) وحسن إسناده الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ١/ ٦٦.

(٦) صحيح مسلم (٢/ ١٣٤٣) (١٧١٨).

(٧) صحيح البخاري (٥/ ١٩٤٩) (٤٧٧٦).

(٨) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٥٩) (١٠١٧).

والمقصود بالسنة الحسنة هنا عمل ماهو مشروع وليس الابتداع.

وسبب ورود الحديث يبين ذلك فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار. قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء. متقلدي السيوف. عامتهم من مضر. بل كلهم من مضر. فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم مِن الفاقة. فدخل ثم خرج. فأمر بلالاً فأذن وأقام. فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء، الآية: ١] إلى آخر الآية. إن الله كان عليكم رقيبًا. والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر، الآية: ١٨]. تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره (حتى قال) ولو بشق تمرة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصره كادت كفه تعجز عنها. بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس. حتى رأيت كومين من طعام وثياب. حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل. كأنه مذهبه. فقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده. من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[1].

وجه الاستشهاد: (أن النبي ﷺ بين السنة الحسنة هنا بأنها المبادرة إلى فعل المأمور به وهي الصدقة وجعل مبادرة الأنصاري إلى الصدقة التي أمر بها ﷺ مثالاً للسنة الحسنة.

فإن قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قيل ورد ذم البدع وهو مقطوع به وهنا تتعارض أدلة العموم الكثيرة في ذم البدع من غير تخصيص وهذا الدليل الخاص في الحديث السابق. والعام مقدم على الخاص. هذا وجه والآخر.

ـ أنه لا يمكن حمل الحديث في قوله: «من سن سنة حسنة...» على الاختراع من غير أصل مشروع معتبر، لأن كون العمل حسنًا أو سيئًا قبيحًا لا يعرف إلا من جهة الشرع...

صحيح أن العقل يدرك حسن الشيء وقبحه فيما هو متعلق بالمدح والثواب والذم والعقاب ولكنه لا يستلزم حكمًا في فعل العبد بأمر أو نهي أو ثواب أو عقاب. لأن الأحكام وما يترتب عليها من خصائص الشارع الحكيم)[2].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٧٠٤) (١٠١٧).

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ١٨٣ ـ ١٨٤) وحقيقة البدعة وأحكامها ـ لسعيد بن ناصر الغامدي (١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

* صور من تحري الصحابة رضي الله عنهم لمتابعة السنة:

١ ـ سئل ابن عمر رضي الله عنهما أن أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة قال: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعًا ثم صلى خلف المقام ركعتين وطاف بين الصفا والمروة وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢١]. وسئل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما فقال لا يقرب امرأته حتى يطوف بين الصفا والمروة)[١].

٢ ـ عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما دخل ابنه عبدالله بن عبدالله وظهره في الدار فقال إني لا آمن أن يكون العام بين الناس قتال فيصدوك عن البيت فلو أقمت فقال قد خرج رسول الله ﷺ فحال كفار قريش بينه وبين البيت فإن حيل بيني وبينه أفعل كما فعل رسول الله ﷺ: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة». ثم قال أشهدكم أني قد أوجبت مع عمرتي حجًا قال ثم قدم فطاف لهما طوافًا واحدًا)[٢].

٣ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. طاف بالبيت الحرام فجعل يستلم الأركان كلها فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لِمَ تستلم هذين الركنين ولم يكن رسول الله ﷺ يستلمهما فقال: معاوية ليس من البيت شيء مهجور فقال ابن عباس رضي الله عنهما «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة». قال صدقت)[٣].

٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قرأ النبي ﷺ فيما أمر وسكت فيما أمر ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»[٤].

٦ ـ عن عيسى بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: صحبت ابن عمر في طريق مكة قال: فصلى لنا الظهر ركعتين ثم أقبل وأقبلنا معه حتى جاء رحله وجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة نحو حيث صلى فرأى ناسًا قيامًا فقال: ما يصنع هؤلاء قلت يسبحون قال لو كنت مسبحًا لأتممت صلاتي يا ابن أخي إني صحبت رسول الله ﷺ في السفر فلم يزد

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٥٨٦) (١٥٤٤).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٥٩٠) (١٥٥٨).

(٣) شرح معاني الآثار (٢/ ١٨٤)، وأخرجه الترمذي في سننه ٣/ ٢٠٤ (٨٥٨) كتاب الحج. باب: ما جاء في استلام الحجر والركن اليماني دون ماسواهما. إلا أنه لم يذكر الآية وقول معاوية رضي الله عنه صدقت وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٢٥٦) (٦٨١).

(٤) صحيح البخاري (١/ ٢٦٨) (٧٤٠).

على ركعتين حتى قبضه الله وصحبت أبا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله وصحبت عمر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله ثم صحبت عثمان فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله وقد قال الله «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»)[1].

٧ ـ عن سعد بن هشام رضي الله عنه قال: (طلقت امرأتي فأتيت المدينة لأبيع عقارًا كان لي بها فأشتري به السلاح وأغزو فلقيت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أراد نفر منا ستة أن يفعلوا ذلك فنهاهم النبي ﷺ وقال: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» . . .)[2].

والنتيجة أنه بعد هذه الأدلة القاطعة يجب متابعة الرسول ﷺ في كبير الأمر وصغيره وأن من خالف هديه ﷺ برأيه أو ذوقه أو وجده أو سياسته أو غير ذلك فقد وقع في البدعة، والتي حقيقتها: (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية)[3].

وهي حرام؛ لأنَّها قولٌ على الله بلا علم.

والله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ . . .﴾ [الإسراء، الآية: ٣٦].

وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى، الآية: ٢١].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد». وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[4].

وهذا الحديث عده العلماء ثلث الإسلام، لأنه جمع وجوه المخالفة لأمره عليه السلام يستوى في ذلك ماكان بدعة أو معصية.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[5].

ـ (وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت إني زوجت ابنتي فتمزق شعر رأسها وزوجها يستحسنها أفأصل

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٧٩) (٦٨٩).

(٢) سنن أبي داود (٢/ ٨٧) (١٣٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٤٩) (١١٩٣).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٧).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٣٤٣) (١٧١٨).

(٥) صحيح مسلم (٨٦٧).

يارسول الله «فنهاها»)[1].

وفيه أن هذه الصحابية رضي الله عنها استحسنت وصل شَعْرِ رأس ابنتها عقلاً فنهاها الرسول ﷺ شرعًا.

عن عبدالله بن نوفل قال: «سمعت عام حج معاوية يسأل سعد بن مالك تقول بالتمتع بالعمرة إلى الحج؟ قال حسنة جميلة فقال قد كان عمر ينهي عنها فأنت خير من عمر؟ قال عمر خير مني وقد فعل ذلك النبي ﷺ وهو خير من عمر»[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فاطر، الآية: ٨]. فعليكم بالوقوف عند الشبهات حتى يبرز لكم واضح الحق بالبينات فإن الداخل فيما لا يعلم آثم ومن نظر لله نظر الله له، عليكم بالقرآن فاتَمُّوا به وأُمُّوا به وعليكم بطلب أثر الماضين فيه»[3].

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا آثارنا فقد كفيتم»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «عليكم بالاستفاضة والأثر وإياكم والبدع»[5].

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع»[6].

وعن الحسن رحمه الله قال: «لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك»[7].

وكان مالك رحمه الله كثيرًا ماينشد:

«وخير أمور الدين ماكان سنة   وشر أمور المحدثات البدائع»[8].

قال ابن الماجشون رحمه الله: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمد ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة، الآية: ٣] فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا[9].

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٦٧٦) (٢١٢٢).
(٢) سنن الدارمي (٤٣١) (١٨١٤).
(٣) سنن الدارمي، المقدمة (٦٤٩).
(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٧٩).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٨١).
(٦) صحيح مسلم (١/ ١٩٩) (٢٢٠).
(٧) الاعتصام (١/ ٨٣).
(٨) المصدر نفسه (١/ ٨٥).
(٩) الاعتصام (١/ ٤٩).

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: «اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»[1].

والبدع كما هي مذمومة من جهة الخبر فهي مذمومة كذلك من جهة النظر.

(أولاً: أنه قد علم أن العقول غير مستقلة بمصالحها استجلابًا، أو مفاسدها استدفاعًا، دنيوية أو أخروية. في أمور الدنيا قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة، الآية: ٣١] والأخروية أبعد عن المعقول.

ثانيًا: أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان. قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة، الآية: ٣].

ثالثًا: أن المبتدع معاند للشرع وَمُشَاقٌّ له، فإن السنة إنما سنها مَنْ قد عرف مافي خلافها.

رابعًا: أن المبتدع قد نَزَّلَ نفسه منزلةَ المضاهي للشارع، حيث شرع مع الشارع أو أنه علم مالم يعلمه الشارع.

خامسًا: أنه إتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعًا للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [صٓ، الآية: ٢٦])[2].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٣).

(٢) راجع الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٧) وما بعدها باختصار وتصرف.

المبحث الثالث
في شرط المشاهدة، وهو أن تعبد الله كأنك تراه

قال العيني ـ رحمه الله ـ في تقدير الجملة: الإحسان عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك مثل حال كونك رائيًا له[١]، وبعبارة أخرى عبادة المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة والإتقان، حتى يغلب عليه مشاهدة الله تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه[٢]، وهذا من جوامع كلمه ﷺ لأنه لو قُدِّرَ أن أحدًا قام في عبادة ربه وهو يُعَايِنُهُ لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واشتماله بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أتقن وجوهها إلاَّ أتى به[٣].

وقد أوصىٰ النبي ﷺ بعض أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بذلك، منهم ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «**اعبد الله كأنك تراه، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[٤].

وكذلك أوصىٰ أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ رجالاً فقال: «اعبدوا الله كأنكم ترونه»[٥].

وخطب عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ إلى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ابنته سودة وهما في الطواف، فلم يجبه، ثم أتم واعتذر إليه، وقال: «أكنت ذكرت لي سودة بنت عبدالله ونحن في الطواف نتخايل الله عزَّ وجل أعيننا...»[٦] غير أنه يجب التنبيه على محذورين عظيمين:

الأول: أن لا يظن أحدٌ أنه يرى ربه بعيني بصره لأن ذلك منفيٌّ عنَّا في الحياة الدنيا.

دلَّ على ذلك حديث عمر بن ثابت الأنصارى، أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **تعلَّموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربَّهُ عز وجل حتى يموت**»[٧].

---

(١) انظر: عمدة القاري (١/ ٣٢٨).

(٢) انظر: فتح الباري (١/ ١٢١)، وجامع العلوم والحكم (١/ ١٢٦).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ١٥٧).

(٤) مسند أحمد (٢/ ٢٩١) (٦١٢١)، والحلية (٦/ ١١٥)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقاته على المسند (٩/ ١٧) (١٦٥٦)، وذكره الألباني في الصحيحة (٤٣/ ٤٦٠) (١٤٧٣).

(٥) الحلية (١/ ٢١٢).

(٦) الحلية (١/ ٣٠٩).

(٧) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٤٥) (٢٩٣١).

التنبيه الثاني: أن لا يزل الفؤاد عند مُشَاهَدَةِ الله بالقلب إلى التشبيه والتمثيل، فالله ليس له شبيه ولا مثيل سبحانه وتعالى، كما قال جلَّ وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى، الآية: ١١].

وذلك أن الله تعالى غَيْبٌ عنَّا لم يره أحد فيصفه، وليس كمثله أحد أو يشابهه أحد فنقيسه عليه، ولم يبق إلاَّ ما أخبر به سبحانه وتعالى، وأخبر عنه رسوله ﷺ، وليس فيما ورد عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ بيان لكيفية أسماء الله وصفاته، وليس معنى ذلك أن الله تعالى ليس لأسمائه وصفاته كيفية بل لها كيفية ولكنها غير معلومة لدينا، كما قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ عندما سئل عن الاستواء فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلاَّ مبتدعًا» فأمر به أن يخرج[(١)].

وقد سئل سهل بن عبدالله التستري عن ذات الله تعالى فقال: «ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير حدٍّ ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى، ظاهرًا في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كُنْه ذاته ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار، من غير إحاطة، ولا إدراك نهاية»[(٢)]، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه، الآية: ١٠٠].

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٠٥) (٨٦٧).
(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢١٩).

الباب الثاني
أنواع الإحسان وصوره ووسائله وثمراته وصفات المحسنين

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: أنواع الإحسان

الفصل الثاني: وسائل الإحسان

الفصل الثالث: صور الإحسان

الفصل الرابع: ثمرات الإحسان

الفصل الخامس: صفات المحسنين

الفصل الأول
أنواع الإحسان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: **إحسان الخالق جل وعلا إلى المخلوق**

المبحث الثاني: **إحسان الإنسان في عبادة الله تعالى**

المبحث الثالث: **إحسان الإنسان إلى نفسه باطنًا وظاهرًا**

المبحث الرابع: **إحسان الإنسان إلى الخلق**

المبحث الأول

إحسان الخالق عز وجل إلى المخلوق

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: **فقر المخلوق وعجزه عن عد إحسان الله تعالى إليه**

المطلب الثاني: **أقسام إحسان الله تعالى إلى الناس**

تمهيد

الإحسان هنا بمعنى الإنعام وصنع الجميل بالغير. والخالق هو الله تعالى، وكل ماسواه مخلوق، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر، الآية: ٦٢]. ومن صفات الخالق: القدرة التامة، والحكمة الكاملة، والبقاء الدائم، والغنى الواسع، والكرم العميم والله تعالى وحده المتصف بها وبكل صفات الكمال والجلال تبارك وتعالى.

ومن صفات المخلوقين: العجز، والضعف، والفقر، والفناء، وغيرها من صفات النقص. التي تلازم المخلوق لا تنفك عنه بحال من الأحوال.

وأما ما يجده الإنسان من قوة، وقدرة، وتمكين، وسعة في الرزق وغيرها من صفات الكمال النسبية فإن مسديها هو الله تعالى وإنما هي عارية في يده. يجب شكرها باللسان والعمل بها في طاعة الرحمن والتحدث بها بين الأنام. وهذا حال المحسنين من عباد الله جلَّ وعلا.

المطلب الأول
فقر المخلوق وعجزه عن عدِّ إحسان الله إليه

قال ابن القيم رحمه الله: (إن كل حي سوى الله فقير، إلى جلب ماينفعه، ودفع ما يضره، والمنفعة للحي من جنس النعيم واللذة، والمضرة من جنس الألم والعذاب، ويتفرع من ذلك أربعة أمور:

الأول: أمر محبوب مطلوب الوجود.

الثاني: أمر مكروه مطلوب العدم.

الثالث: الوسيلة إلى حصول المحبوب.

الرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأربعة ضرورة للعبد، بل ولكل حي سوى الله. لا يقوم صلاحه إلا بها)(١).

والله سبحانه وتعالى هو القادر وحده دون سواه على إيصال النفع إلى خلقه ودفع الضر عنهم بما شاء من الوسائل المحققة لذلك. من هنا كان افتقار العباد وصفًا ذاتيًا ملازمًا لهم، كما أن الغنى وصف ذاتي ملازم لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر، الآية: ١٥]. وما حاجات الناس إلا دليل فقرهم، وفقر الواحد منهم لا يقدرون على سده جميعًا، لأن منها ماليس في مقدورهم أصلاً، وأما ماتحت قدرتهم فإن أحسنوا مرة عجزوا عن استمرار ذلك الإحسان ودوامه على التمام، كما أن إحسانهم تلك المرة مصدره الحقيقي هو الله وحده وهم الوسيلة له فقط، لأن الله تعالى هو بارىء النعم، وَمُنْشِئُهَا من العدم، فانظر بعين البصيرة إذا كان هذا حال الناس جميعًا لا يستطيعون سد حاجة إنسان واحد كما أحسن الله إليه، فكيف يكون الحال مع حاجات الخلق أجمعين، على تنوعها، وكثرتها، واستمرارها قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل، الآية: ٥٣]. ولو أمعنت النظر مرة ثانية في تعداد نعم الله تعالى الظاهرة على الإنسان لأعياك عدها وحصرها، ولعجزت عن ملاحقتها، فما من لحظة ولا غمضة، ولا وَمْضَةٍ، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا ولله تعالىٰ على الإنسان فيها نعم كثيرة، يعقبها نعم أكثر! فكيف يمكن إحصاؤها؟ نعم قد يدرك الإنسان بعض نعم الله عليه ولكنه حينئذ يعجز عن

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (١٠٠ ـ ١٠١).

معرفة وزنها لتفاوت قدرها ونفعها ناهيك عن النعم الخافية على الإنسان فمن المحال قطعًا وجزمًا حصرها والوقوف على حقيقتها! إذ كيف يعدها من لم يعرفها ابتداء؟ فتأمل جيدًا إذا كان هذا هو الحال مع الإحسان إلى إنسان واحد، فكيف يكون الحال مع الإحسان إلى الناس أجمعين، بالطبع يكون الوقوف على مقدار تلك النعم وحصرها أشد استحالة. فانظر إذن كم في الأرض والسماء والبر والبحر من مخلوقات مطوقة أعناقها بالنعم، فهل يدور بالخلد مقدار نعمة واحدة في وقت واحد لكل واحد من تلك المخلوقات، إنه لا يقدر على ذلك إلا من أحصى المخلوقات جميعًا حتى دقائقها التي لا تُرى لنا بالعين المجردة، وهو الله تعالى الذي: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾ [الجن، الآية: ٢٨]. القائل جل شأنه وتعالى سلطانه: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود، الآية: ٦].

وأخيرًا تأمل بإمعان إذا كان هذا هو الحال في عدِّ نعمة واحدة لجميع المخلوقات قد بات من خصائص الرب سبحانه وتعالى. فكيف يكون الحال مع ما أسبغه الله تعالى من النعم على الإنسان وغيره من لدن أول الخليقة في كل الأزمنة والأمكنة والأحوال إلى حين استقرار أهل الجنة فيها وما يعقب ذلك من النعيم. قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

قال ابن أبي الحواري رحمه الله: (قالت لي امرأة: أنا في شغل قد شغل قلبي، قلت وماهو؟ قالت: أريد أن أعرف نعم الله عليَّ طرفة عين، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة عليَّ في طرفة عين. قلت: تريدين مالا تهتدي إليه عقولنا)[1].

قال محمد بن الوراق رحمه الله:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليَّ في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر
وإن مس بالسراء عمَّ سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه مِنَّة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر[2]

من هنا تتقرر الحقيقة التي تحكي عجز الإنسان عن عدِّ النعم الإلهية عليه. قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٤].

---

(١) عدة الصابرين (١٠١).

(٢) موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا (الشكر) (٣/ ٣٦) (٨٢).

لكن ينبغي التنبيه إلى أن كثيرًا من الناس إذا حُدث عن النعم انصرف ذهنه إلى مايقوم بالبدن من اللذة والنعيم ونسي ماتقوم به الروح وهو الدين، غير أن أهل الإحسان يدركون أن الإسلام هو أعظم نعمة امتن الله بها على عباده قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣].

والتنبيه الآخر أن كثيرًا من الناس إذا حدث عن النعم انصرف ذهنه إلى إحسان الله تعالى على الناس في هذه الدنيا، ونسي الإحسان الأعظم في الآخرة، إذ من الإحسان في الدنيا ما يشترك فيه الإنسان وغيره، أو المسلم والكافر، أما إحسان الله في الآخرة فهو خاص بالمؤمنين بمالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو الإحسان الدائم الذي ليس فيه منغص أبدًا.

إذا علم هذا فإن العباد كلهم قلوبهم مفطورة على الإقرار بأن الله تعالى وحده هو المحسن الحقيقي على جميع خلقه إلا ما ذكر عن شذاذ من بني آدم في أزمنة متفرقة وإن كانوا مقرين بها في قرارة أنفسهم كما حكى الله ذلك عنهم حيث قال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل، الآية: ١٤]. غير أن من عباد الله من إذا أحسن إليه بواسطة بعض المخلوقين نسب الإحسان إلى المخلوق ونسي المحسن الحقيقي لها وهذا خطأ بيِّن. وكفران لنعم الله تعالى. كما جاء عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إِثْرِ سماءٍ كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وَأَمَّا من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»[1].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٩٠) (٨١٠).

المطلب الثاني
أقسام إحسان الله تعالى إلى الناس

ينقسم إحسان المنعم جل جلاله إلى عبيده إلى قسمين:

أحدهما ظاهر، والآخر باطن. وكل منهما داخلي للإنسان أو خارجي عنه، ملازم له، أو ينفك عنه حينًا دون حين. يُفْهَمُ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

وفي الآية عدة فوائد هي محور هذا المطلب:

الأولى: أن الله تعالى صدرها بالاستفهام التوبيخي للمشركين الذين يصرفون العبادة لغيره تعالى. والمعنى: كيف تعلمون أن الله وحده هو الذي سخر لكم مافي السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، ثم تجادلون في وحدانيته وما يجب له وما يمتنع عليه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

الثانية: أن في قوله «سخر لكم» قسمة رباعية وهي كالآتي:

أ ـ أن المسخر لما ذكر هو الله وحده دون سواه.

ب ـ أن المسخر هو مافي السماوات والأرض. و[ما] اسم موصول بمعنى الذي يفيد العموم أي عموم ما فيهما. (فمن مخلوقات السماوات المسخرة لبني آدم التي ينتفعون بها: الشمس، والقمر، والنجوم، والملائكة، فإن منهم حفظةً للإنسان وغير ذلك. ومن مخلوقات الأرض: التراب، والأحجار، والأشجار، والحيوان، وغيرها)[1].

جـ ـ أن المسخَّر له هو الإنسان. لأنه هو المخاطب، وفي قوله «لكم» دليل الاختصاص. أي: خصكم أيها الناس دون غيركم أصلاً، وأما انتفاع غيركم بما فيهما فإنما هو بالتبع ولربما عادت ثمرة انتفاعهم بما فيها لكم.

د ـ أن وجه التسخير: هو جعل المسخَّر بحيث ينتفع به المسخَّر له، سواء كان منقادًا له وداخلاً تحت تصرفه أم لا.

قال الراغب رحمه الله في معنى التسخير: (هو سياقة إلى الغرض المختص قهرًا)[2].

الثالثة: أن في قوله «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» عطف جملة على جملة والتقدير: ألم تروا أن الله أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة.

---

(١) فتح القدير (٤/ ٢٤١).

(٢) المفردات (٢٣٢).

ومعنى: «أسبغ»: أتم وأكمل، والنعمة: اسم لكل ما يتلذذ به.

والمراد بالظاهرة: مايدرك بالعقل أو الحواس، ويعرفه من يعرفه. كالصحة وكمال الخلق، والمال، والجاه، والجمال، وفعل الطاعات في الدنيا وغيرها، وما سخر له من نعم الكون المدركة بالعقل والحس.

والباطنة: مالا يدرك للناس ويخفى عليهم. كالمعرفة، والعقل، وما يجده الإنسان من العلم بالله وحسن اليقين، وما يدفعه الله عن العبد من الآفات، وما ستره الله عليه من الأعمال السيئة، وما سخر له من نعم الكون التي لا تدرك بالعقل والحس، وما أعده الله من النعيم للمؤمنين في الآخرة[1].

رابعًا: الأمثلة على الإحسان الظاهر والباطن.

أ ـ أمثلة الإحسان الظاهر:

١ ـ إحسان الله على العبد بالإيجاد:

فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء بعد أن لم يكن قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر، الآية: ٦٢]. و[كل] من ألفاظ العموم و[شيء] نكرة منونة تفيد العموم أي عموم الأشياء المخلوقة. ومنها الإنسان كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر، الآية: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء، الآية: ١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار، الآية: ٦ ـ ٨].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر، الآية: ٦٤].

٢ ـ إحسان الله تعالى على العبد بعطف الأبوين ورحمتهما له.

قد يقال إن الحمل والولادة ضرورة سببها في الغالب حب قضاء الوطر من الأبوين فلا يقصدان الإنجاب بالأصل وإنما بالتبع إلا أن ما يجده المولود من الرحمة والشفقة الموجبة للخدمة محض منّةٍ من الله تعالى على هذا الصغير العاجز زرعها الله في قلوب الأبوين حتى أنهما ليقدمان راحتهما

---

(١) انظر: فتح القدير (٤/ ٢٤١) (بتصرف).

لراحته ويقدمان راحته على راحتهما، وسعادتهما لسعادته، وحياتهما لحياته.
لذا نجد أن القرآن الكريم لم يركز على هذه الحقيقة وهي بر الآباء للأبناء لأنها حقيقة فَطَرَ الله الأبوين عليها.

وَمَنْ شَذَّ عن هذه الحقيقة فلا حكم له إذ الحكم للغالب، ولربما كان تَنَكُّرُهُ لعلة عقلية أو نفسية أخرجته عن فطرته.

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان، الآية: ١٤]. إن ما تجده الأم من مشقة الحمل والولادة والتربية والرعاية وما يتجشمه الوالد من الصعاب والمخاطرة لسد حاجته وحماية هذا المولود لَشَيْءٌ والله يفوق الخيال، كل ذلك مع ما يحوطانه به من الحب والحُنُوّ مع غناهما عنه وشدة حاجته إليهما.

٣ ـ إحسان الله على العبد بما سخر له من أسباب بقاء الحياة.

كملائمة تضاريس الأرض، والغلاف الجوي، والمناخ، وحركة الكواكب، والموارد المائية والنباتية، والحيوانية له.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك، الآية: ١٥].

ومعنى قوله: «الذي جعل لكم الأرض ذلولاً» أي سهلة لينة تستقرون عليها. ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون فيها والمشي عليها. و«مناكبها» طرقها وأطرافها وجوانبها[1]. وذلالتها بحيث تكون صالحةً للزراعة بما أوجد فيها من العناصر الغذائية.

وسخر للإنسان الغلاف الجوي المشبع بالغازات والعناصر الأخرى التي يحتاجها الجسم.

لذلك ضرب الله مثلاً لمن جعل صدره ضيقًا حرجًا بحالة من يصعد في السماء فيفقد مُلاءمةَ الغلاف الجوي له بنقص الغازات الملامسة للقشرة الأرضية.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٥].

وسخر له المناخ المناسب لقواه الجسدية من تعاقب الفصول الأربعة ودرجة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وتصريف الرياح، وغزارة الأمطار إلى غير ذلك من أحوال المناخ.

---

(١) فتح القدير ـ للشوكاني (٥/ ٢٦٢).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر، الآية: ٢٢].

وسخر الشمس والقمر، والنجوم.

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٤].

فانظر كم من نعمة أحسن الله بها على العبد بتسخير هذه الكواكب الثلاثة فالشمس مصدر طاقة يتفجر منها النهار المبصر والقمر بتقدير للحساب. والنجومُ علاماتٌ يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وزينة ورجوم للشياطين.

وسخر سبحانه وتعالى الموارد المائية الكافية للإنسان من البحار والمحيطات بمائها المالح، والأنهار عذبة الماء وفي ذلك كله من الغذاء والحلي وجعلها طريقًا معبدًا لحركة الفلك بين القارات.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ﴾ [الجاثية، الآية: ١٢].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٢ ـ ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل، الآية: ١٤].

وسخر الله للعبد الموارد الحيوانية والنباتية.

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل، الآية: ٥ ـ ١١].

وقال: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل، الآية: ١٣].

٤ ـ إحسان الله تعالى على العبد بالصحة.

وذلك أن الله جل جلاله ركب في جسد الإنسان القدرة الكافية على مقاومة الآفات والأمراض، وأمده بالحواس اللازمة للتعامل مع من حوله. كالسمع والبصر، واللمس، والذوق، والشم وغيرها قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل، الآية: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام، الآية: ٤٦].

إن نعمة صحة البصر وسلامته وحدها لا يساويها شيء إذ به ينفذ الإنسان إلى الحياة بقدرة أكبر فكيف إذا انْضَمَّ إليها غيرها من سلامة بقية أعضاء البدن. وأجهزته. ولك أن تتخيل كم يتألم الإنسان عندما يفقد بعضُ أجزائه القدرة على القيام بوظيفته أو بعضها. ثم كم يكون طعم الصحة والعافية حلوًا بعد المرض، إن الذي يمنع الصحة هو الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء، الآية: ٨٠].

فكأن الصحة هي الأصل في الإنسان، والمرض طارىء، وإذا حصل ذلك الطارىء من المرض فإن المحسن الحقيقي جل وعلا هو الذي يشفي عباده. فما من داء إلا وجعل له دواء.

وفي الأمراض والأسقام التي يبتلي الله بها عباده الصالحين فوائد منها: رفع درجاتهم، أو تكفير سيئاتهم، أو دفع مكروه عنهم أكبر من ذلك. وذلك كله للصابر ابتغاء وجه الله تعالى. كما حصل لنبي الله أيوب عليه السلام.

ـ فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن أيوب نبي الله ﷺ لبث في بلائه ثماني عشرةَ سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يُذْكَرَ الله إلا في حق قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في كتابه ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله مابه من البلاء فهو أحسن ماكان فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى والله على ذلك ما

رأيت أحدًا كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا قال فإني أنا هو وكان له أندران أندر القمح وأندر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضت[1].

ب ـ أمثلة الإحسان الباطن:

١ ـ إحسان الله تعالى على العبد بنعمة العقل.

عملُ العقلِ هو العلم بالمدركات الضرورية. وهو قسمان: الأول: ما وقع عن درك الحواس، مثل المرئيات المدركة بالنظر، والأصوات المدركة بالسمع، والطعوم بالذوق، فإذا كان الإنسان ممن لو أدرك بحواسه هذه الأشياء لعلم، ثبت له هذا النوع من العلم.

والثاني: ماكان مُبْتَدَأً في النفوس، كالعلم بأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم، وأن الواحد أقل من الاثنين.

وهذان القسمان هما العقل الغريزي، المغروز في الفِطَرِ التي فطر الله الإنسان عليها. وهو مناط التكليف.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج، الآية: ٤٦] والآية دلت على أمرين: أحدهما: أن العقل علم، والثاني: أن محله القلب. وفي قوله «يعقلون بها». تأويلان: أحدهما يعلمون بها، والثاني: يعتبرون بها. والثاني مترتب على الأول.

لكن العقل الغريزي ينمو إن أُستعمل، وهذا النماء هو العقل المكتسب وهو نتيجة العقل الغريزي، وهو نهاية المعرفة، وصحة السياسة وإصابة الفكرة.

ونماؤه يكون بأحد وجهين: إما بكثرة الاستعمال إذا لم يعارضه مانع مِنْ هَوًى، ولا صادٌّ من شهوة، كالذي يحصل لذوي الأسنان من الحنكة، وصحة الرويَّة بكثرة التجارب، وممارسة الأمور، ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ، وأما الوجه الثاني: فقد يكون بفرط الذكاء، وحسن الفطنة وسرعة البديهة، فإذا امتزج بالعقل الغريزي، صارت النتيجة نمو العقل المكتسب، كالذي يكون في صغار السن من وفرة العقل، وجودة الرأي.

فإذا اجتمع هذان الوجهان في العقل المكتسب فهو العقل الكامل على الإطلاق.

إلا أن مَنْ صرف فَضْلَ عقله إلى الشر لا يسمى عاقلاً حتى يكون خيرًا دينًا، لأن الخير والدين من موجبات العقل، وإنما يسمى صاحبه ذكيًا

---

(١) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٧/١٥٧) (٢٨٩٨). وقال الهيثمي: رواه أبويعلى والبزار ورجال البزار رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٨/٢٠٨).

ومفكرًا، وقد قيل: العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، وقيل: إذا عقَلَك عقْلُك عما لا ينبغي فأنت عاقل.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي، لأنه نتيجة له، وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب، فيكون صاحبه مسلوب الفضائل، موفور الرذائل كالأحمق الذي قلما يخلو من رذيلة[1].

وحتى ندرك عظم هذه المنة الإلـٰهية على الإنسان بأن ميزه بالعقل عن سائر الحيوان، وجعله مناط التكليف بالأحكام الشرعية التي كرمه الله بها. علينا أن نمعن النظر في مَنْ سَلَبَهُمْ الله تلك النعمة بالكلية أو ضعفت عندهم.

إن الأول لا تكاد تُخْرِجُهُ في تصرفاته وإراداته عن جملة البهائم فلا يؤمن على شيء حتى على نفسه التي يحملها، والآخر كالتي تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثًا، يخبط في حياته خبط عشواء فما يقارب الإحسان في عمله إلا والإساءة هي الظاهرة عليه إلا ماندر.

٢ ـ إحسان الله على العبد بما يجده في قلبه من العلم بالله وحسن اليقين:

إن ما يجده العبد المسلم في قلبه من صحيح الإيمان والعلم بربه وما يتلذذ به من حسن اليقين بالله إحسان لا يساويه شيء أبدًا إنه جنة الله في الأرض لأوليائه وأصفيائه، وهذه النعمة العظيمة لا يمنحها الله إلا من أحب من عباده ولو كان عاميًا لا يقرأ الكتاب، يسلم بها من الشك والحيرة والاضطراب وتندفع بها الوساوس والأوهام عن قلبه حتى لكأنه ينظر إلى مولاه جل وعلا ببصره، غير أن الله تعالى قد سلب كثيرًا من عباده هذه النعمة عندما أبوا الإيمان وأصروا على الكفر والعناد، وتخبطوا في الشقاء والضنك مما جعلهم يفرون من عقولهم إلى شهواتهم. وهم غالب أهل الأرض، وامتحن الله طائفة من أذكياء المسلمين بفقد هذه النعمة عندما اتكلوا على عقولهم يطلبون صحيح الإيمان والعلم بالله تعالىٰ بالفلسفة وعلم الكلام فما ازدادوا إلا حيرة واضطرابًا، فتنادوا يعلنون عجزهم ويتباكون ويجأرون إلى ربهم أن يمنحهم اليقين الصادق ينعمون به قبل الممات ففتح الله مغاليق قلوبهم وأنارها بنور الكتاب والسنة فسكنت واستراحت عندما أنعم الله عليها بالعلم وحسن اليقين به. (ومن هؤلاء أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي رحمه الله فقد قال في كتابه الذي صنفه أقسام اللذات:

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين(١٩ ـ ٢٥) (باختصار وتصرف).

نهـايــة إقــدام العقــول عِقــال   وغـايـة سعـي العـالميـن ضـلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وحــاصــل دنيــانــا أذى ووبــال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم قال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تُرْوي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.. ثم قال: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

وكذلك الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، حيث قال: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم: وأنشد:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها   وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلـم أرَ إلا واضعًـا كـف حـائـر   على ذقـن أو قـارعًـا سـن نـادم

وقال شمس الدين الخسروشاهي: لبعض الفضلاء، وقد دخل عليه يومًا. ما تعتقد؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ أو كما قال، فقال: نعم فقال: أشكر الله على هذه النعمة لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري وبكى حتى أخضل لحيته.

ولن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، شاكًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا.

والدواء النافع لمثل هذا المرض هو ماكان من حديث طبيب القلوب صلوات الله وسلامه عليه بقوله إذا قام من الليل يفتتح الصلاة: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل، وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١)(٢).

٣ ـ إحسان الله تعالى على العبد بفعل الطاعات وكسب الحسنات.

أَجَلْ لقد مكَّن الله تعالى الإنسان بما ركب فيه من استعدادات وقدرات من فعل الطاعات التي بها زكاة نفسه وجسده، وانشراح صدره، ونشاط جوارحه، ورفع درجاته، وتكفير سيئاته، وحببها إليه وزينها في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان.

وجعلها أنواعًا متعددة، فجعل منها في كل زمان ما يناسبه من الطاعة مابين بدنية ومالية مؤقتة وغير مؤقتة من صلاة، وصيام وزكاة، وحج، وذكر

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) (١٧٧).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢٠٨ ـ ٢١٠).

لله وبر وصدقة، كل ذلك ليجد العبد فيها ألوانًا من المتعة والتجديد الباعث على النشاط والمثابرة حينما ينتقل من طاعة إلى طاعة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس، الآية: ٩ ـ ١٠]. ومع أن ثمرة طاعة العبد لربه راجعة إليه لكمال غنى الله تعالى إلا أنه سبحانه وتعالى كريمٌ برٌّ رحيم أغدق على عباده الطائعين الحسنات وضاعفها لهم أضعافًا كثيرة كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل، الآية: ٨٩].

كل ذلك حبًا في الطائعين وحرصًا على رفع درجاتهم في أعلى عليين.

إنه والله لو لم يكن من ثمرات الطاعات إلا ما يجده المؤمن في قلبه من السعادة واللذة، والأمن والرضا، لكان ذلك حريًا بمن له عقل أن يقدر هذه النعمة قدرها، وأن يحرص كل الحرص عليها، ويسعى جاهدًا في استدامتها.

كيف والأمر أكبر من ذلك بكثير؟

إن من ثمراتها حورًا، وقصورًا، وأنهارًا، وأشجارًا، وأطيارًا، وثمارًا، وجوارًا لله تعالى في دار القرار. فلا موت ولا فناء.

٤ ـ إحسان الله على العبد بما يدفعه عنه من الآفات والشرور.

المؤمن في هذه الدنيا محاط بما لا يخطر على باله من الآفات والشرور، إحاطة السوار بالمعصم، كلٌّ يتربص به الدوائر، لكن لطف الله أعظم، وإحسانه أوسع، حيث جعل له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا وحتى الكافر المضطر إن دعاه، نجاه وألبسه ثوب العافية والسلامة قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٦٤﴾ [الأنعام، الآية: ٦٣، ٦٤]. وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد، الآية: ١١]. والمعقبات هم الملائكة الكرام الموكلون بحفظ بني آدم، وقوله «من أمر الله» أي بأمر الله. والمعنى أن الله تعالى له ملائكة أوكلهم بحفظ بني آدم من أمامهم ومن خلفهم يدفعون عنهم الشرور والآفات.

إننا حينما نبصر الآفات والشرور العظام التي أحلت بنا نقول لكل واحدة منها أنت مهلكتي. ثم نجانا الله منها. فكيف بمالم ندركه؟ لو كشف لنا لما طاب لنا عيش وإن سلمنا منه.

٥ ـ إحسان الله على العبد بما ستره عليه من الأعمال السيئة:

ورد في صفات الله جل وعلا السَّتِيرُ، والسِّتِّيرُ. قال ابن الأثير في قوله ﷺ: «**إن الله حَيِيٌّ سَتِيرٌ يحب الحياء والستر**». سَتِير: فعيل بمعنى فاعل، أي

من شأنه وإرادته حب الستر والصون[1].

وقد أورد النسائي صفة أخرى في هذه الصفة وهي سِتِّيرٌ بتشديد التاء مكسورة وذلك في قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عطاء عن يعلى: «إن الله ـ عز وجل ـ حليمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ. . . الحديث» قال السندي في الحاشية: معناه أنه عز وجل تارك للقبائح، وساتر للعيوب والفضائح، يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقًا بأخلاقه تعالى[2]. عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان، الآية: ٢٠] قال: «أما الظاهرة فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة فما يستر من العيوب»[3].

وعن قبيصة بن عقبة قال: بلغ داود الطائي أنه ذُكِرَ عند بعض الأمراء فأثنى عليه فقال: «إنما نَتَبَلَّغُ بِسِتْرِهِ بين خَلْقِهِ، ولو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذَلَّ لنا لسان أن نذكر بخير أبدًا»[4].

وعن أبي الشعثاء قال: كان شرحبيل بن السمط على جيش قال: فقال: «إنكم نزلتم أرضًا فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًا فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب إليه «لا أم لك تأمر قومًا سَتَرَ الله عليهم أن يهتكوا سِتْرَ الله عليهم»[5].

والستر على العبد: تغطية ذنوبه، وإخفاء عيوبه ويكون في الدنيا والآخرة. ولولا ستر الله على عبيده في الدنيا ما أمن بعضهم بعضًا، ولما استطاع أحد أن يجالس أحدًا من سواد قبائحه وكثرة مخازيه.

قيل للشعبي رحمه الله في نائية: كيف أصبحت؟ قال: بين نعمتين: خير منشور وشرٍّ مستور[6].

وأعظم من ذلك ستر الله تعالى عبده في الآخرة يوم الفضائح على رؤوس الأشهاد.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كَنَفَهُ، ويَسْتُرُهُ، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قَرَّرَهُ بذنوبه، ورأى في نفسه أنَّه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) النهاية ـ لابن الأثير (٢/ ٣٤١).
(٢) سنن النسائي مع الحاشية السندي ١/ ٢٠٠ (٤٠٦).
(٣) مكارم الأخلاق ـ للخرائطي (١/ ٤٨٨) (٤٩٨).
(٤) محاسبة النفس ـ لابن أبي الدنيا (٥٣).
(٥) الزهد ـ لوكيع (٣/ ٧٧٤).
(٦) أدب الدنيا والدين ـ للماوردي (٢٨٢).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾[1] [هود، الآية: ١٨].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجًا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»**[2].

٦ ـ إحسان الله على العبد المؤمن بما أعده له في الآخرة:

إن النعم في هذه الدنيا زائرة، وعما قريب لا محالة زائلة، فالسرور بها إذا أقبلت، مشوب بالحذر من فراقها إذا أدبرت، لا تُفْرِحُ بإقبالها، حتى تُحزِنَ بإدبارها، قيل للحسن البصري رحمه الله: كيف ترى الدنيا قال: شغلني توقع بلائها، عن الفرح برخائها[3]. هذا على حقارة مافيها وكثرة حاسديها. أما نعيم الآخرة فدائم لا ينقطع، سرور وحبور، قصور وزهور، أنهار وثمار، أشجار وأطيار، وحياة ليس بعدها موت، وشباب ليس بعده هرم، وصحة ليس فيها سقم، وجوار لرب العالمين، قال الله تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد، الآية: ٣٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوَّةُ، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تَبَاغُض، قلوبهم قلبٌ واحدٌ يسبحون الله بكرة وعشيًا»**[4].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنا: **«أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا إلى مدينة بِلَبِن ذهب ولَبِن فضة فتلقانا رجال شطرٌ من خَلْقِهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راءٍ قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء**

(١) صحيح البخاري (٢/ ٨٦٢) (٢٣٠٩).
(٢) صحيح مسلم (١/ ١٧٧) (١٩٠).
(٣) أدب الدنيا والدين ـ للماوردي (٢٨٣).
(٤) صحيح البخاري (٣/ ١١٨٥) (٣٠٧٣).

عنهم فصاروا في أحسن صورة قالا لي هذه جنة عدن وذاك منزلك قالا أما القوم الذين شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين: مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر). فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**[2].

والآثار الواردة في وصف الجنة ونعيمها كثيرة معلومة ومظآنها مشهورة. وسيأتي شيءٌ منها في ثمرات الإحسان الأخروية[3].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٧١٧) (٤٣٩٧).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١١٨٥) (٣٠٧٢).

(٣) راجع الفهرس العام.

المبحث الثاني
إحسان الإنسان في عبادة الله تعالىٰ

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: **الإحسان الاعتقادي**

المطلب الثاني: **الإحسان القولي**

المطلب الثالث: **الإحسان الفعلي**

تمهيد

أولاً: اختلاف الروايات في تفسير الإحسان: اختلفت الروايات في تفسير النبي ﷺ للإحسان كما هو واضحٌ في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ عندما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة.

والشاهد منه قوله ﷺ عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**».

وهٰذه الرواية أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من رواية عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ [(١)] وقد ورد تفسير الإحسان بمثل رواية عمر ـ رضي الله عنه ـ عند الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه من رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ [(٢)] وخالفت بعض الروايات في تفسير الإحسان فعند الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**أن تخشىٰ الله كأنَّك تراه فإنَّك إن لا تكن تراه فإنَّه يراك**»[(٣)] وجاء في مسند الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**أن تعمل لله كأنَّك تراه فإنَّك إن لم تره فإنَّه يراك**»[(٤)].

ثانيًا: الفرق بين ألفاظ الروايات.

جاء في الرواية الأولىٰ قوله: «**أن تعبدالله...**» وفي الرواية الثانية قوله: «**أن تخشىٰ الله...**» وفي الرواية الثالثة قوله: «**أن تعمل لله...**» ولكل لفظة من ألفاظ الروايات هٰذه معنىً يعرف به الفرق بينها وبين غيرها.

فالعبادة غاية الخضوع، ولا تُسْتَحقُّ إلاَّ بغاية الإنعام، ولهٰذا لا يجوز أن يعبد غير الله تعالىٰ، ولا تكون العبادة إلاَّ بمعرفة المعبود[(٥)].

والعمل هو الفعل الواقع حسب إرادة المريد، ويكون للخالق والمخلوق[(٦)].

وأما الخشية فهي خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذٰلك عن علم بما يخشى منه[(٧)].

---

(١) (١/٣٨) (١).
(٢) (١/٢٧) (٥٠).
(٣) (١/٤٠) (١٠).
(٤) (١/٥٢٤) (٢٩١٩).
(٥) انظر الفروق في اللغة ـ لأبي هلال العسكري ١٨٢.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المفردات (١٤٩).

ثالثًا: الجمع بين تلك الروايات.

ما يظهر من نوع اختلاف بينها إنَّما هو من باب اختلاف التنوع أو التداخل وليس من اختلاف التضاد في شيء، وذٰلك لأنَّ اللفظ المخالف إما أن يكون تفسيرًا بمرادف له أو ببعض أفراده، ولا شكَّ أنَّ الحادثة واحدة ومرد هٰذا الاختلاف تصرف الرواة في الألفاظ، ولا يخفىٰ جواز الرواية بالمعنىٰ لمن كان عالمًا بالألفاظ ومقاصدها، وخبيرًا بما يحيل معانيها.

وأما الجمع بين الروايات من ناحية المعنىٰ فمن وجوه:

أـ أنَّ العبادة أعم من العمل فتشمله وتشمل غيره، وقد ورد في القرآن الكريم استعمال العمل بمعنىٰ العبادة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ. .﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧﴾[العنكبوت، الآية: ٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ۝٨٨﴾ [سورة الكهف، الآية: ٨٨]

وقال تعالىٰ: ﴿تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأعراف، الآية: ٤٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾.

ب ـ وأما قوله: «أن تخشىٰ الله. . .» فتخريج ذٰلك أنَّه قد أتىٰ بأخص خصائص العبادة وهي الخشية التي هي بمعنىٰ الخوف والخوف أهم أركان العبادة ونظير ذٰلك قوله ﷺ: «**الحج عرفة**»[1] ولا يخفىٰ أنَّ أعمال الحج كثيرة لٰكن الوقوف بعرفة أهم أركانه لأنَّ من فاته الوقوف بعرفة لا يسمىٰ حاجًا. وبهٰذا تكون العبادة أعم من الخشية.

رابعًا: الرواية المعتمدة:

الرواية المعتمد عليها في هٰذا البحث قوله ﷺ: «**أن تعبدالله كأنَّك تراه**» وذٰلك لشمولها، ولأنَّها الرواية التي أخرجها البخاري في الصحيح وصدر بها مسلم صحيحه.

خامسًا: المسائل المندرجة تحت قوله: «**ما الأحسان**» وقوله: «**أن تعبدالله كأنَّك تراه**» وقوله: «**فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**».

المسألة الأولىٰ: الإعراب:

كلمة «ما» للاستفهام مبتدأ، و «الإحسان»: خبره، والألف واللام فيه للعهد في قوله تعالىٰ: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾[يونس، الآية: ٢٦] وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾[الرحمن، الآية: ٦٠] وقوله تعالىٰ:

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (٥/ ٢٦٤) (٣٠٤٤) من حديث عبدالرحمن بن يَعْمَرَ ـ رضي الله عنه ـ وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٠٦) (٣١٧٢).

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة، الآية: ١٩٥] ولتكرره في القرآن ومدح الله له وحث عباده علىٰ تحصيله وترتيب الثواب عليه سأله عنه جبريل عليه السلام.

وقوله ﷺ: **«أن تعبدالله»** أي قال النبي ﷺ في جوابه: **الإحسان أن تعبدالله كأنَّك تراه»** فقوله: «أن» هي وما دخلت عليه مصدرية في محل الرفع علىٰ أنَّها خبر مبتدأ محذوف تقديره: الإحسان عبادتك الله كأنَّك تراه» وقوله: «كأن» للتشبيه، والتقدير: الإحسان عبادتك الله تعالىٰ كونك في عبادتك مثل حال كونك رائيا له[1].

المسألة الثانية: معنى العبادة في اللغة والاصطلاح:

أـ المعنىٰ اللغوي: العبادة في اللغة مصدر عبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً: أي أطاع، وهٰذا المصدر مأخوذ من مادة (ع ب د) التي تدل علىٰ معنيين:

الأول: لينٌ وذلٌ، والآخر: شدة وغِلَظٌ[2]، ومن الأول العبادة.

قال الراغب ـ رحمه الله ـ: العبودية إظهار التذلُّل، والعبادة أبلغ منها، لأنَّها غاية التذلل ولا يستحقها إلاَّ من له غاية الإفضال وهو الله تعالىٰ[3].

ب ـ **وفي الاصطلاح:** هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[4] وبهٰذا التعريف الشامل تجمع العبادة كل ما ينويه العبد بقلبه، وبقوله بلسانه، وتفعله جوارجه مما شرعه الله تعالىٰ تقربًا إليه.

المسألة الثالثة: حقيقة العبادة:

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: أصل العبادة: التذلل والخضوع، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات، لأنَّهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذلِّلين لله تعالىٰ[5].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: التحقق بمعنىٰ قوله: **«إني عبدك»**: التزام عبوديته من الذُّل والخضوع والإنابة، وامتثال أمر سيده، واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه، واللجوء إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وعياذ العبد به، ولياذه به، وأن لا يتعلَّق قلبه بغيره محبَّة وخوفًا ورجاءً، وفيه أيضًا: أني عبدٌ من جميع الوجوه: صغيرًا وكبيرًا، حيًا وميتًا، مطيعًا

---

(١) انظر عمدة القاري (١/٣٢٨) (باختصار).

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة (٧٢٨).

(٣) المفردات ٣٣١.

(٤) الفتاوى ـ لابن تيمية (١٠/١٤٩).

(٥) نقلاً عن فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبدالرحمن آل الشيخ (١٨).

وعاصيًا، معافىٰ ومبتلىٰ، بالروح والقلب واللسان والجوارح، وفيه أيضًا: أنَّ مالي ونفسي ملكٌ لك، فإنَّ العبد وما يملك لسيده، وفيه أيضًا: أنت الذي مَنَنْتَ عليَّ بكل ما أنا فيه من نعمة فذٰلك كله من إنعامك علىٰ عبدك، وفيه أيضًا: أني لا أتصرف فيما خوَّلتني من مالي ونفسي، إلاَّ بأمرك، كما لا يتصرف العبد إلاَّ بإذن سيده، وإني لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وأنَّ ناصيتي بيدك، أنت المتصرف فيَّ تصرفني كيف تشاء، لستُ أنا المتصرف في نفسي وكيف يكون له في نفسه تصرُّفٌ مَنْ نفسه بيد ربه وسيده، وناصيته بيده، وقلبه بين أُصبعين من أصابعه، وموته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه ليس إلىٰ العبد منه شيء، بل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف حقير، ناصيته بيد سلطانٍ قاهر مالك له، تحت تصرفه وقهره، بل الأمر فوق ذٰلك، ومتىٰ شهد العبد أنَّ ناصيته ونواصي العباد كلها بيدالله وحده يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذٰلك، ولم يرهبهم، ولم ينزلهم منزلة المالكين بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرف فيهم سواهم، والمدبر لهم غيرهم، فمن شهد نفسه بهٰذا المشهد صار فقره وضرورته إلىٰ ربه وصفًا لازمًا له، ومتىٰ شهد الناس كذٰلك لم يفتقر إليهم ولم يتعلَّق أمله ورجاؤه بهم فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته[1].

المسألة الرابعة: مكانة العبادة في الدين:

العبادة هي الغاية المحبوبة والمرضية لله تعالىٰ والتي خلق الخلق من أجلها كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦] وبها أرسل الرسل جميعًا. كما قال نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم ـ عليهم السلام ـ لقومهم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[الأعراف، الآية: ٥٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[النحل، الآية: ٣٦] وجعل ذٰلك لا زمًا لرسوله إلىٰ الموت كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[الحجر، الآية: ٩٩] وبالعبادة وصف الله تعالىٰ ملائكته فقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء، الآية: ١٩، ٢٠] وقد نعت الله صفوة خلقه بالعبودية فقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان، الآية: ٦٣] ولما قال الشيطان فيما حكىٰ الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

---

(١) انظر الفوائد لابن القيم (٣٤/٣٥).

﴿أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾[الحجر، الآية: ٣٩] قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢﴾[الحجر،الآية: ٤٢] وقال تعالىٰ عن المسيح عليه السلام الذي ادعيت فيه الألوهية والنبوة: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾[الزخرف، الآية: ٥٩] ونعت الله النبي محمدًا ﷺ بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا﴾(١) [الإسراء، الآية: ١]

المسألة الخامسة: أقسام العبادة والأمثلة عليها:

تنقسم العبادة إلىٰ قسمين: باطنة وظاهرة.

الأمثلة علىٰ العبادة الباطنة ومنها: أركان الإيمان وحب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وغيرها وهٰذا ما سنعرض له في الإحسان العقائدي.

الأمثلة علىٰ العبادة الظاهرة ومنها: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والذبح، والوفاء بالنذر، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، والصلح بين الناس، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين، وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة والاستعانة والإستغاثة وصدق الحديث وأمثال ذٰلك من العبادة القولية مما يتحقق به محبة الله ورضاه(٢).

وبتقسيم آخر:

يمكن أن يقال: إنَّ العبادة خمسة أقسام بحسب جهتها:

أـ العبادات الاعتقادية

وهٰذه أساسها أن نعتقد أنَّ الله هو الرب الواحد الأحد، الذي ينفرد بالخلق والأمر، وبيده النفع والضرر، ولا يشفع أحد عنده إلاَّ بإذنه، ولا معبود بحق غيره، وأنَّ له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ.

ومن ذٰلك: الاعتقاد والتصديق بما أخبر الله تعالى به عن ذاته وأسمائه وصفاته، والملائكة، والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، وغيرها.

---

(١) انظر الفتاوى ـ لابن تيمية (١٠/ ١٥٠ـ١٥٢).

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٤٩).

ب ـ **العبادات القلبية:**

وهي الأعمال القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها إلاّ الله تعالىٰ وحده دون سواه:

مثل: المحبة التي لا تصلح إلاّ لله تعالىٰ وحده، فيحب الله تعالىٰ ويحب دينه، ويحب عباده الصالحين الذين يحبونه، والتوكل، والخشية والخوف، والرجاء والإنابة والتوبة، وغيرها.

ج ـ **العبادات اللفظية:**

وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقدها، ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، ومن نطق بها ولم يعتقدها بقلبه حقن ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله وحكمه حكم المنافقين.

ومنها: الدعاء فيما لا يقدر عليه إلاّ الله تعالىٰ، سواء كان طلب الشفاعة أم غيرها من المطالب.

ومنها: الاستعانة، والاستغاثة وغيرها.

د ـ **العبادات البدنية:**

كالصلاة والطواف بالبيت فلا يجوز الطواف بغير بيت الله تعالىٰ.

ومنها: الصوم والحج والجهاد في سبيل الله تعالىٰ وغيرها.

هـ **العبادات المالية:**

كالصدقة والزكاة، والنذر[1]، وغيرها.

وهٰكذا فالعبادة شاملة لكل نشاطات الإنسان، واعتقاداته وتصوراته عن الكون والإنسان والحياة وما فيها وما يجب عليه نحوها مما يراد به الله تعالى علىٰ وفق ما شرع سبحانه وتعالىٰ.

المسألة السادسة: أركان العبادة:

العبادة بمفهومها الحقيقي تقوم علىٰ ثلاثة أركان لا بد منها وهي:

الأول: كمال المحبة لله تعالىٰ. قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة، الآية: ١٦٥] وهٰذه المحبة تستلزم طاعة الرسول ﷺ وامتثال أمره قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران، الآية: ٣١].

الثاني: كمال الرجاء لرحمة الله تعالىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[الإسراء، الآية: ٥٧] مع

---

(١) انظر مدخل لدراسة العقيدة ـ لضمرية ٢٩٢ـ ٢٩٦، بتصرف واختصار.

الحذر أن يوقعه ذٰلك في ترك الخوف من الله والأمن من مكره وعقوبته كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٩٩].

الثالث: كمال الخوف من عذاب الله تعالىٰ: كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[الإسراء، الآية: ٥٧]، وكمال الخوف لا يصرف إلاَّ لله تعالىٰ فمن اتَّخذ مع الله ندًّا يخافه كخيفة الله أو أشد فهو مشرك. إلاَّ أنَّ هٰذا الخوف لا يدفع العبد إلىٰ اليأس والقنوط كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف، الآية: ٨٧].

وهٰذه الأركان الثلاثة ينبغي أن تكون متوازنة في القلب لا يطغىٰ جانبٌ منها على آخر، فمن عبدالله بالحب والخوف والرجاء فهو موحد، وقيل: يغلِّبُ الخوف في الصحة، والرجاء عند الموت(١).

المسألة السابعة: شروط قبول العبادة:

حتىٰ تكون العبادة صحيحة مقبولة لا بدَّ من توافر شروطها وهي:

الأوَّل: الإيمان.

فلا تقبل العبادة من غير المؤمن، قال الله تعالىٰ عن عبادات الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[الفرقان، الآية: ٢٣].

الثاني: الإخلاص لله تعالى:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة، الآية: ٥]، وكل من أراد غير الله بما أراد الله له فهو مشرك.

الثالث: المتابعة لرسول الله ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[الأحزاب، الآية: ٢١].

المسألة الثامنة:

الأمثلة من الكتاب والسنة علىٰ الإحسان الذي بمعنىٰ: عبادة المؤمن ربه في الدنيا علىٰ وجه الحضور والإخلاص والمراقبة والإتقان، حتىٰ يغلب عليه مشاهدة الله بقلبه كأنَّه يراه بعينه.

أولاً: الأمثلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾[الكهف، الآية: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[يوسف، الآية: ٩٠]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٤٤١ بتصرف.

عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف، الآية: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الأحزاب، الآية: ٢٨، ٢٩]

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف، الآية: ٥٦].

ثانيًا: الأمثلة من السنة النبوية:

عن أبي سعيدالخدري ـ رضي الله عنه ـ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زَلَفَها وكان بعد ذٰلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلاَّ أن يتجاوز الله عنها**»[١].

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يحسن الظن بالله عزّوجل**»[٢].

عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امريء مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلاَّ كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، مالم يؤت كبيرة، وذٰلك الدهر كله**»[٣].

المسألة التاسعة: بيان قوله ﷺ: «**فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**» فكلمة «إن» للشرط، وقوله: «لم تكن تراه» جملة وقعت فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف تقديره، فإن لم تكن تراه فأتقن العبادة فإنَّه يراك، وهاهنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالىٰ، فإنَّ الله تعالىٰ يراه سواء وجدت من العبد، رؤية أو لم توجد[٤] وهٰذه الجملة من الحديث ليست بداخلة في تعريف الإحسان، بل هي بيان لمنزلة المراقبة الموصلة إلىٰ مرتبة الإحسان.

ولهٰذا أتي بها النبي ﷺ تعليلاً لمرتبة الإحسان لتكون وسيلة له، لأنَّه إذا تحقق أن يعمل العبد على استحضار مراقبة الله له، واطلاعه علىٰ سره وعلانيته، وباطنه وظاهره، لا يخفىٰ عليه شيء من أمره، وأنَّه قريب منه، سَهُلَ عليه الانتقال إلىٰ مرتبة الإحسان بعد أن وصل إلىٰ هٰذه المنزلة، لأنَّ

---

(١) انظر عمدة القاري (١/٣٢٨).

(٢) انظر فتح الباري (١/١٢١)، وجامع العلوم والحكم (١/١٢٦).

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٥٧).

(٤) مسند أحمد (٢/٢٩١) (٦١٢١)، والحلية (٦/١١٥). وصحيح إسناده أحمد شاكر في تعليقاته على المسند (٩/١٧) (١٦٥٦)، وذكر الألباني في الصحيحة (٤٣/٤٦٠) (١٤٧٣).

العبد عندما أمر بمراقبة الله وحضور القلب حال العبادة حتىٰ كأنَّه يرىٰ الله تعالىٰ، قد يشق ذٰلك عليه ابتداءً فيستعين باستحضار مراقبة الله له واطلاعه عليه وقربه منه، لأنَّ استحضار ذٰلك في عمله يمنعه من الالتفات إلىٰ غير الله وإرادته بالعمل[1] وسيأتي مزيد إيضاح للمراقبة في وسائل الإحسان إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢١٢).

المطلب الأول
الإحسان الاعتقادي

العبادة التي تحدثنا عنها سابقًا شيء واحد لا يمكن الفصل بين أجزائه فكل قول أو اعتقاد أو عمل مما يحبه الله ويرضاه، مما جاء بيانه في الكتاب والسنة يُعَدُّ عبادة قال الله تعالىٰ:
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات، الآية: ٥٦]، وتسمىٰ دينًا كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة، الآية: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾[الأنعام، الآية: ١٦٢]، وهٰذا المفهوم بلَّغه الرسول ﷺ وهٰكذا تلقىٰ منه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أحكام هٰذا الدين وتعاليمه وآدابه جميعًا سواء ما يجب لله تعالىٰ أو ما يجب لغيره دون أن يكون هناك تقسيم لأحكام الدين وأوامره ونواهيه، وإنَّما اقتضت ضرورة التأليف والتصنيف إطلاقات بعض المسميات، كالعقائد، والعبادادت، والمعاملات، وغيرها وكل ذٰلك إنَّما هو من أجل الدراسة والمعرفة فلا يظن أحد أنَّه يمكن الاكتفاء ببعض دون بعض، دليل ذٰلك قول النبي ﷺ عندما سئل عن الإسلام والإيمان والإحسان فأجاب ثم قال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلتُ الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[(١)] فقد جعل المراتب الثلاث شيئًا واحدًا هو الدين[(٢)] ـ وبذلك عُلِمَ أنَّ الإسلام اسم لما ظهر من الأعمال والأقوال، وأن الإيمان اسمٌ لما بطن من الاعتقاد، والإحسان حالة زائدة عن القدر المجزيء عند تطبيقات الإسلام والإيمان، وليس معنى ذٰلك أنَّ الأعمال ليست من الإيمان أو أنَّ التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذٰلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وَجِماعها الدين[(٣)] الإسلامي الذي جاء ليرسم للبشر تصوراتهم الاعتقادية، ويحكم مناشطهم في الحياة.

أهمية العقيدة في حياة الإنسان

قد أولىٰ الدين الجانب العقدي في حياة الإنسان عناية كبرىٰ حيث ظلَّ القرآن الكريم ينزل علىٰ الرسول ﷺ ثلاثة عشر عامًا كاملة في مكة يعالج قضية واحدة لا تتغير هي أساس هٰذا الدين وقاعدة بنائه، إنَّها قضية العقيدة والتوحيد، التي منها ينطلق المحسن لتفسر له طبيعة وجوده ونشأته وغايته،

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٦) (٨).
(٢) انظر: فتح الباري (١/ ١١٤ـ١١٥).
(٣) انظر شرح السنَّة للبغوي (١/ ١١) بتصرفٍ يسير.

وترسم له معالم صلته بالله تعالىٰ وصلته بالحياة والأحياء والكون من حوله، ويتعرف بها دوره في الحياة، ويضبط كل حركاته وسكناته وما يجده في قلبه بضوابطها، ويوجه كل سلوكه وأعماله بتوجيهاتها، يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ: «والمحسن: من صحَّح عقد توحيده، وأحسن سياسة نفسه، وأقبل على أداء فرائضه، وكفى المسلمين شرَّه»[١]، ولهٰذه الأهمية أولىٰ علماء الإسلام العقيدة عنايةً واسعةً؛ حيث أفردوها بالتصنيف تحت مسمىٰ الفقه الأكبر، والإيمان، والسنة، وأصول الدين والتوحيد والشريعة والعقيدة.

تعريف العقيدة:

أـ التعريف اللغوي: قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ: (عَقَدَ: العين والقاف والدال، أصل واحد يدل علىٰ شدٍّ وشدةِ وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها[٢] ومنه عقد البناء وعقدة الحبل والجمع عقود قال الله تعالىٰ: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[المائدة، الآية: ١]، وعقد اليمين في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[المائدة، الآية: ١][٣]، ومنه اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتىٰ قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة: سالمة من الشك[٤].

ب ـ **التعريف الاصطلاحي**: العقيدة هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينًا عند أصحابها، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك، مما جاء عن الله تعالىٰ في كتابه الكريم وصحَّ عن رسوله ﷺ من سننه[٥].

مصادر العقيدة الإسلامية:

مصادر العقيدة الإسلامية اثنان:

كتاب الله تعالىٰ، وسنة رسوله ﷺ الثابتة عنه.

١ـ كتاب الله تعالىٰ: «القرآن الكريم».

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء، الآية: ٩]

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «أي أسدُّ وأعدل وأصوب»[٦].

٢ـ سنة الرسول ﷺ الثابتة عنه.

قال الله تعالىٰ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر، الآية: ٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٨٢).

(٢) مقاييس اللغة (٦٧٩).

(٣) انظر لسان العرب «عقد» (٣/ ٢٩٦ـ٣٠٠) والصحاح (٢/ ٥١٠).

(٤) المصباح المنير ـ للفيومي (٢/ ٤٢١).

(٥) انظر نحو ثقافة إسلامية ـ للدكتور عمر سليمان الأشقر (٨٢) (بتصرف).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٧)، آية ٩.

.[٧

وقال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء، الآية: ٨٠].

وعن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: **لا أُلفِينَّ أحدكم متكئًا علىٰ أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»[١]

وعن المقدام بن معديكرب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان علىٰ أريكته يقول: عليكم بهٰذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه..**»[٢].

وللمزيد انظر: مصادر الإحسان (الكتاب والسنة).

أصول العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية أصولها ستة تعرف بأركان الإيمان وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة، الآية: ١٧٧]

وقال عن القدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾[القمر، الآية: ٤٩، ٥٠].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما سأل جبريلُ ـ عليه السلام ـ الرسولَ ﷺ.. قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: «صدقت..»[٣].

والإيمان والعمل الصالح هما الأساس الديني والصفتان البارزتان في تركيبة المحسنين الدينية، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾[الكهف، الآية: ٣٠] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾[الكهف، الآية: ٨٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾[العنكبوت، الآية: ٧] وقال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾[الصافات، الآية: ١٠٩، ١١١] وقال تعالىٰ عن نوح عليه الصلاة

---

(١) سنن أبي داود (٥/١٢) (٤٦٠٥)، وصَّححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٧٢).

(٢) سنن أبي داود (٥/١٠) (٤٦٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢٦٤٣).

(٣) صحيح مسلم (١/٣٧) (١).

والسلام ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١﴾[الصافات، الآية: ٧٩، ٨١] وقال عن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٢١﴾[الصافات، الآية: ١٢٠، ١٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾[الزمر، الآية: ١٠] والتقوىٰ عمل بالقلب واللسان والجوارح.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾[فصلت، الآية: ٣٣]، وإذا أفرد الإسلام دخل فيه الإيمان.

والإيمان هو الأصل العقائدي الَّذي سنعرض له بشيءٍ من التفصيل، ثم نعقب ببقية الأعمال القلبية العقائدية مما يمكن أن يكون صفة للمحسنين فيما بعد.

أولاً الإيمان:

الإيمان في اللغة والاصطلاح:

الإيمان لغة: التصديق، قال الله تعالىٰ حكاية عن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾[يوسف، الآية: ١٧] أي مصدق لنا[١].

وفي الاصطلاح: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٢].

والمقصود بقول اللسان: النطق بأن يقول آمنت بالله، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾[فصلت، الآية: ٣٠] وجاء عن سفيان بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك قال: «**قُل آمنت بالله ثم استقم**»[٣].

والمقصود باعتقاد القلب:

هو التصديق الجازم الذي تطمئن إليه النفس بحيث لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك بوجود الله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[الحجرات، الآية: ١٥]، والريب هو الشك.

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل، الآية: ١٠٦].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة (٨٧).

(٢) الفتاوى ـ لابن تيمية (٣/ ١٥١)، وانظر شرح الطحاوية (٣٦٠).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٦٥) (٣٨).

والمقصود بعمل الجوارح:

استقامتها وفق مراد الله من أداء للصلاة والزكاة وأعمال البر قاطبة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾[الأنفال، الآية: ٢، ٣] وسمىٰ الله تعالىٰ الصلاة إيمانًا عندما حول القبلة من بيت المقدس إلىٰ الكعبة فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة، الآية: ١٤٣] أي: صلاتكم.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها لا إلـه إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(١).

وهٰكذا فهم سلف هٰذه الأمة الإيمان بأنَّه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، لا يفرقون بين العمل والإيمان وفي كتاب شعب الإيمان للحافظ البيهقي المتوفي سنة (٤٥٨هـ) ـ رحمه الله ـ يجد القارىء أنَّ تلك الشعب تتناول الإيمان بالله عزَّوجل وبالرسل والملائكة والقرآن والقدر واليوم الآخر، والبعث والحشر والجنة والنار، كما تتناول أعمال القلوب من محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه، ومحبة الرسول ﷺ وتعظيمه كما تتناول العلم ونشره، وتتناول الأعمال الظاهرة من الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وبر الوالدين وأداء الخمس والعتق والكفارات كما تتناول الأخلاق من الوفاء بالعهد وشكر نعم الله وحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش، كما تتناول ترك المحرمات من قتل النفس وإيذائها وعدم قربان الزنا والخمر... وبالجملة فإنَّ الإيمان شامل للدين كله(٢).

التفصيل والبيان لأصول العقيدة الإسلامية:

الأصل الأول: الإيمان بالله تعالىٰ، وهو يقتضي الإيمان بوجود الله تعالىٰ، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيَّام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يحسن الظن بالله عزَّوجل**»(٣) أي يعتقد اعتقادًا سليمًا جازمًا لا شكَّ فيه.

والإيمان بالله تعالى يستلزم أمورًا هي:

أولاً: الإيمان بوجوده تعالىٰ:

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٣) (٣٥).

(٢) انظر نحو ثقافة الإسلامية للدكتور عمر سليمان الأشقر (٧٤ـ٧٥).

(٣) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٠٥) (٢٨٧٧).

ووجود الله تعالىٰ أشهر وأوضح من أن يُذكر إلاَّ أنَّ بعض العقول البشرية ضلت حتىٰ عن الحقائق الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

٢ـ الإيمان بربوبية الله تعالىٰ:

وهو توحيدالله بأفعاله جلَّ وعلا، ومعناه: أن تعتقد أيها الإنسان اعتقادًا جازمًا لا شكَّ فيه أنَّ الله تعالىٰ وحده خالق الكون ومن فيه ومالكه والمتصرف فيه بالتدبير، والتغيير، والتيسير والزيادة، والنقص والإحياء، والإماتة، والنفع والضر، والرزق، وإجابة دعوة المضطرين، وغير ذٰلك من الأفعال، لا شريك له[1] قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف، الآية: ٥٤].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ «وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالىٰ بالخلق والحكم، وأنَّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه لا تتحرك ذرة إلاَّ بإذنه، وأنَّ الخلق مقهورون تحت قبضته، وأنَّه ما من قلب إلاَّ وهو بين أصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، فالقلوب بيده، وهو مقلبها ومصرفها كيف شاء وكيف أراد، وأنَّه هو الذي آتىٰ نفوس المؤمنين تقواها، وهو الذي هداها وزكاها، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها قال تعالىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾[الأعراف، الآية: ١٧٨] يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته هٰذا فضله وعطاؤه، وما فضل الكريم بممنون، وهٰذا عدله وقضاؤه قال تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [2] [الأنبياء، الآية: ٢٣]

والقرآن الكريم لم يطل الحديث عن هٰذه القضية لأنَّها مسلمة عند الخلق جميعًا إلاَّ من شذَّ، والملاحظ أنَّ الآيات الدالة علىٰ هٰذا النوع من التوحيد جاءت تعليلاً لتوحيد الألوهية ودالة عليه؛ لأنَّ الخالق المالك المدبر هو المستحق وحده دون سواه، أن يتوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع، والحمد، والشكر، والذكر والدعاء، والرجاء، والخوف، وغير ذٰلك من أنواع العبادة التي لا تصح أن يصرف منها شيء إلاَّ لمن له الخلق والأمر كله، وهو الله تعالىٰ، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [3][الأنعام، الآية: ١٦٢].

وأما الذين يقرون بأنَّ الله رب كل شيء وخالقه ومليكه، ولا يفردونه

---

(١) انظر: معارج القبول (١/ ١٣٠ـ١٣١).

(٢) مدارج السَّالكين (١/ ٤٤٢).

(٣) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢٦).

بالألوهية، بل يشركون معه غيره في عباداتهم، فإنَّ إقرارهم بتوحيد الربوبية وإيمانهم به، لا يخرجهم من الكفر إلىٰ الإيمان بل هم مشركون كما حكم الله علىٰ كفار قريش بكفرهم مع إقرارهم بتوحيد الربوبية حيث قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف، الآية: ١٠٦]، مع أنَّهم يجيبون بقولهم فيما حكىٰ الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[العنكبوت، الآية: ٦٣] وبقولهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ (١) [يونس، الآية: ٣١] قال الله تعالىٰ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[البقرة، الآية: ١٣٨].

ـ الإحسان في الإيمان بتوحيد الربوبية

وتحقيق مرتبة الإحسان في توحيد الربوبية أن يعتقد العبد أنَّ أفعال الله تعالى حقٌّ كأنَّما يشاهد فعلها حين أرادها الله تعالى وقدَّرها.

٣ـ الإيمان بألوهية الله تعالىٰ:

وهو توحيد الله بأفعال العباد.

ومعناه: الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك بأنَّ الله تعالىٰ وحده الإلـٰه الحق المستحق لجميع أنواع العبادة دون سواه(٢)

وهـٰذا النوع من التوحيد هو الفارق الفيصل بين المؤمنين الموحدين والمشركين الكافرين، وهو الذي من أجله خلق الله الخلق، وأنزل الكتب وأرسل الرسل، وأقام سوق الجنة والنار قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات، الآية، الآية: ٥٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل، الآية: ٣٦] فالمؤمن إنسان مكلف صرف العبادة لله تعالىٰ سواء أكانت عبادة قلبية: كالخوف والرجاء والحب، والتوكل والإنابة، والرغبة والرهبة.

أم قولية: كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة.

أم عملية: كالنذر والذبح والصلاة والصدقة والتحاكم إلىٰ الكتاب والسنة النبوية، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف، الآية: ١١٠] فمن صرف شيئًا من ذٰلك أو غيره لغير الله مما شرعه الله تعالىٰ لعباده وأمرهم به تقربًا إليه وحده دون سواه جلَّ وعلا فإنَّه مشرك حابط العمل حرام عليه الجنة ومأواه النار لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٦).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١٧).

﴿عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[النساء، الآية: ٤٨] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة، الآية: ٧٢].

وهٰذا التوحيد هو الذي دارت من أجله رحى المعركة بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم المنكرة له من لدن نوح عليه السلام إلىٰ محمَّد ﷺ وهو مقتضىٰ شهادة ألا إلـٰه إلاَّ الله لقوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٨].[١]

وهٰذا إخبار منه جلَّ وعزَّ بما حكم وقضىٰ أنَّ ما سواه ليس بإلـٰه، وأنَّ إلهية ما سواه باطلة، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلٰهية لغيره، وذٰلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلـٰهًا، والنهيء عن اتخاذ غيره معه إلـٰهًا، وهٰذا يفهمه المخاطب من النفي للآلهة، وإثبات الألوهية الحقة له سبحانه وتعالىٰ[٢].

ومعنىٰ ذٰلك: لا معبود بحق إلاَّ الله تعالىٰ، وهٰذا النفي والإثبات هما ركنا شهادة التوحيد التي هي مفتاح الجنة والسبب الموصل إليها وهي مفتاح الجنة والسبب الموصل إليها حيث أخبر الرسول ﷺ من حديث أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ بقوله: «**ما من عبد قال لا إلـٰه إلاَّ الله ثم مات علىٰ ذٰلك إلاَّ دخل الجنة**»[٣] لـٰكن هٰذا السبب لا بد من توافر شروطه وانتفاء موانعه حتىٰ يعمل عمله.

قيل لوهب بن منبه ـ رحمه الله ـ: أليس لا إلـٰه إلاَّ الله مفتاح الجنة؟ قال: بلىٰ ولـٰكن ما من مفتاح إلاَّ وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلاَّ لم يفتح لك[٤]. وهٰذه الأسنان التي هي بمثابة الشروط لـ«لا إلـٰه إلاَّ الله»، وهي سبعة كما يأتي:[٥]

الأول: العلم المنافي للجهل، فيجب علىٰ كل من يقول لا إلـٰه إلاَّ الله العلم بمعنىٰ لا إلـٰه إلاَّ الله علمًا منافيًا للجهل بها يعرف بموجه مدلول النفي والإثبات، فإنَّها تنفي الألوهية عن غير الله تعالىٰ وتثبتها له سبحانه، فلا معبود بحق إلاَّ الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمَّد، الآية: ١٩] وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (١٧).
(٢) انظر : المصدر نفسه (٣٤).
(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢١٩٣) (٥٤٨٩).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا (٣/ ١٠٩)، كتاب الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلاَّ الله.
(٥) انظرها في معارج القبول، للحافظ الحكمي (٢/ ٤١٨ـ ٤٢٤).

[الزخرف، الآية: ٨٦].

وفي حديث عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ: **«من مات وهو يعلم أنَّه لا إلـٰه إلاَّ الله دخل الجنة»**(١).

قال الإمام البخاري باب العلم قبل القول والعمل(٢).

الثاني: اليقين المنافي للشك، والمقصود أنَّه لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين بل لا بد أن يكون القلب موقنًا بها ومصدقًا بما تدل عليه من غير شك ولا ريب قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات، الآية: ١٥] وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « **أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلاَّ دخل الجنة**»(٣) وكما ترىٰ فقد فسر النبي ﷺ الريب في الآية بالشك وحكم الله بصدق أولـٰئك الذين آمنوا بالله ورسوله ثم أتبعوا ذٰلك بالعمل ابتغاء مرضاته بقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات، الآية: ١٥]، وأما مجرد التلفظ دون اعتقاد فإنَّه النفاق الذي أهْلُه في الدرك الأسفل من النار.

الثالث: القبول المنافي للرد لما اقتضته هـٰذه الكلمة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات، الآية: ٣٥، ٣٦] فمن ردَّ دعوة التوحيد ولم يقبلها فهو كافر سواء أكان رده لها استكبارًا أم حسدًا أم عنادًا أم غير ذٰلك من أسباب الرفض لها.

الرابع: الانقياد المنافي للترك، ويتحقق ذٰلك بمتابعة سنة رسول الله ﷺ وتحكيم شرعه. قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء، الآية: ٦٥] ويتم ذٰلك بالانقياد له باطنًا وظاهرًا.

الخامس: الصدق المنافي للكذب: وذٰلك بأن يَتَّفِقَ القلب واللسان علىٰ التصديق بها فإنَّ المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فصار قولهم كذبًا ونفاقًا وخداعًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٥) (٢٦).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٧) باب (١٠).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٥٥) (٢٧).

[البقرة، الآية: ٨ ـ ١٠].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّ الرسول ﷺ يقول: «**ما من أحد يشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلاَّ حرَّمه الله على النار**»[1].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «التصديق بلا إلـٰه إلاَّ الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هـٰذه الكلمة، بالتصديق بجميع أخباره، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فالمصدق بها علىٰ الحقيقة هو الذي يأتي بذٰلك كله، ومعلوم أنَّ عصمة المال والدم علىٰ الإطلاق لم تحصل إلاَّ بها وبالقيام بحقها»[2].

السادس: الإخلاص المنافي للرياء: ومعناه البراء من الشرك وشوائبه لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة، الآية: ٥].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إلـٰه إلاَّ الله خالصًا من قلبه**»[3].

وتحقيق الإخلاص بأن تكون العبادة لله تعالى وحده دون أن ينصرف منها شيء لغيره.

السابع: المحبة المنافية للبغض: ومعنىٰ ذٰلك أن يحب العبد هـٰذه الكلمة وما دلت عليه، ويحب أهلها والعاملين بها، ويحب العمل بمقتضاها، وعلامة ذٰلك تقدم محبتها علىٰ محبة غيرها وموالاة أهلها ومعاداة أعدائها، والبراءة من الشرك وأهله والكفر وكل ما يعبد من دون الله تعالىٰ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[4] وعن طارق ابن أشيم ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «**من قال لا إلـٰه إلاَّ الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه علىٰ الله عزَّوجل**»[5].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٥٩) (١٢٨).
(٢) التبيان في أقسام القرآن (٤٣).
(٣) صحيح البخاري (١/ ٤٩) (٩٩).
(٤) صحيح مسلم (١/ ٦٦) (٤٣).
(٥) صحيح مسلم (١/ ٥٣) (٢٣).

نواقض تحقيق لا إلـه إلاَّ الله:

كما أنَّ لـ«لا إلـه إلاَّ الله» شروطًا يجب توافرها، كذٰلك لها موانع ونواقض يجب انتفاؤها، وبهـٰذين الاعتبارين تتحقق كلمة التوحيد، وموانعهما أو نواقضها التي تنقض عراها كثيرة أشهرها عشر[1]: وهي:

١ـ الشرك في عبادة الله تعالىٰ لقوله جلَّ شأنه: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة، الآية: ٢٠] ومن ذٰلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم والطواف علىٰ قبورهم واعتقاد أنَّهم يعلمون شيئًا أو يقدرون علىٰ جلب خير أو دفع ضر قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء، الآية: ٤٨].

٢ـ من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر.

٣ـ من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر.

٤ـ من اعتقد أنَّ الأنظمة والقوانين التي يضعها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنَّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في هـٰذا الزمان أو أي زمان قادم أو أنَّ الإسلام كان سببًا في تخلف المسلمين، أو أنَّه ينحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرىٰ، أو قال: بأنَّ إنفاذ الحدود الشرعية لا يناسب العصر الحاضر، أو اعتقد أنَّه يجوز الحكم بغير ما أنزل الله في المعاملات الشرعية أو الحدود أو غيرها، وإن لم يعتقد أنَّ ذٰلك أفضل من حكم الشريعة: فقد كفر، لأنَّه بذٰلك قد استباح ما حرَّم الله اجماعًا، وكل من استباح ما حرَّم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنىٰ والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله فهو كافر.

٥ـ كلُّ من أبغض شيئًا ممَّا جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، فقد كفر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمَّد، الآية: ٩].

٦ـ كل من استهزأ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه فقد كفر، لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة، الآية: ٦٥، ٦٦].

٧ـ السحر ومنه الصرف أي صرف الرجل عن محبة زوجته إلىٰ بغضها، ومنه العطف أي ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية، فمن فعله أو

---

(١) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٣، ٣، ١٢٩، ١٣٨) (٤/٢).

رضي به كفر لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٠٢].

٨ـ مظاهرة غير المسلمين ومعاونتهم علىٰ المسلمين، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة، الآية: ٥١].

٩ـ من اعتقد أنَّ بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمَّد ﷺ فهو كافر، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران، الآية: ٨٥].

١٠ـ الإعراض الكلي عن دين الله أو عما لا يصح الإسلام إلاَّ به، لا يتعلمه ولا يعمل به، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ [السجدة، الآية: ٢٢].

ولا فرق بين الهازل والجاد والخائف إلاَّ المكره، لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل، الآية: ١٠٦].

الإحسان في الإيمان بتوحيد الألوهية:

يستطيع العبد تحقيق درجة الإحسان في الإيمان بتوحيد الألوهية، وذلك بأن يفرد ربه تعالىٰ بالعبادة الصحيحة وحده دون سواه علىٰ هيئة من الخشوع والخضوع والخوف والمحبة والرجاء كأنه يشاهد الحق سبحانه وتعالىٰ بقلبه حالة كونه عابدًا إياه مع اليقين التام أنَّه المستحق لعبادة الخلق أجمعين وأنَّ ألوهية كل معبود سواه باطلة، فإذا وصل العبد إلىٰ هٰذه الدرجة وقرَّ في قلبه أتم المحبة لله، والخوف منه، والرجاء فيما عنده ولم يدع شيئًا يقدر عليه مما هو قربة لله تعالىٰ، إلاَّ أتىٰ به علىٰ أتم الوجوه وأكملها، فقد أحسن في توحيد الألوهية، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١٢﴾ [البقرة، الآية: ١١٢].

٤ـ الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات:

ومعناه: الاعتقاد اليقيني الجازم بكل ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل[1] قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٠].

وقال الله تعالىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

(١) انظر المرجع السَّابق.

﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

وطريقة أهل السنة في الإيمان بالأسماء والصفات تقوم علىٰ أسس:

الأول: إثبات ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من أسماء الله تعالىٰ وصفاته علىٰ وجه التفصيل[(١)] ومن ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥].

الثاني: نفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات التي لا تليق به تعالىٰ وذٰلك علىٰ وجه الإجمال مع إثبات كمال ضدها[(٢)]. قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ، الآية: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم، الآية: ٦٥] فقوله تعالىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ نفي مجمل لما لا يصلح له تعالىٰ من التشبيه والتمثيل وهو له تعالىٰ: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ إثبات مفصل لصفات الكمال والجلال والجمال.

الثالث: التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه من الأسماء والصفات، ثم الاستفصال عن معناها، فإن أريد بها حق ليس فيه نقص من جهة من الوجوه أثبتناها، وإن أريد بها باطل رددناها[(٣)]، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾ [الإسراء، الآية: ٣٦].

الرابع: اليقين التام بعدم القدرة علىٰ معرفة كيفية أسماء الله وصفاته، وذٰلك لأنَّ الله تعالىٰ غيب عنَّا لم نره ولم نر له مثيلاً ولم يبق إلاَّ خبر الصادق عنه وهو الكتاب والسنة، فقد تكفلت نصوصهما بإثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا ولم تأت ببيان كيفية تلك الأسماء والصفات، وهٰذا لا يعني أنَّ تلك الأسماء والصفات ليس لهما كيفية، بل لهما كيفية مجهولة عنَّا استأثر الله بمعرفتها سبحانه وتعالىٰ[(٤)].

الخامس: أنَّ أسماء الله وصفاته كثيرة جدًا منها ما نعرفه ومنها ما لم نعرفه فما عرفناه آمنَّا به علىٰ وجه التفصيل وما لم نعرفه نؤمن به علىٰ وجه الإجمال، وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «**اللّٰهم إني أسألك بكل اسم هو لك سمَّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته**

---

(١) انظر المرجع السَّابق، وشرح الطحاوية (٥٢).

(٢) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٤١ـ٤٢).

(٣) انظر شرح الطحاوية (٦٥) بتصرف.

(٤) انظر شرح الطحاوية (٣٨٨).

أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك. . .»[1].

سادسًا: أنَّ كلَّ اسم من أسماء الله تعالىٰ متضمن لصفة كالرحمة، ويلزم من ذٰلك رحمته من يشاء من عباده جلَّ وعلا.

سابعًا: أنَّ صفات الله جلَّ وعلا تنقسم إلى قسمين:

(أ) صفات ذاتية لا تنفك عنه بحال من الأحوال مثل الحياة، والعلم، والسمع والبصر وغيرها.

(ب) صفات فعلية يفعلها تعالىٰ متىٰ يشاء مثل: الغضب، والنزول إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، والضحك وغيرها، ولا يشتق من الصفات الفعلية أسماء.

ثامنًا: أنَّ كل صفة كمال في المخلوق ليس فيها نقص من جهة من الوجوه فالله أولىٰ بها[2] قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل، الآية: ٦٠].

تاسعًا: أنَّ ما سمىٰ الله به عباده أو وصفهم ببعض ما سمىٰ به نفسه أو وصفها به فإنَّ ذٰلك لا يقتضي التشبيه والتمثيل وإنَّما هو من باب الاشتراك اللفظي مع الفرق بين الكنه والكيفية، لأنَّ العاقل يسلم أنَّ الخالق ليس مثل المخلوق في ذاته فكذٰلك في أسمائه وصفاته.

عاشرًا: أنَّ كل ما في الوجود خلقًا وأمرًا متعلق بالأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، ومرتبط بها، ومن مقتضياتها وأثر من آثارها بما اقتضته إرادته وحكمته سبحانه وتعالىٰ.

ـ الإحسان في الإيمان بأسماء الله وصفاته:

وطريقة أهل الإحسان معرفة الرحمن بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ معرفة يقينية غلبت علىٰ قلوبهم حتىٰ لكأنَّهم يشاهدونه بجلاله وكماله وعظمة سلطانه سبحانه وتعالىٰ يسألونه ويدعونه ويتعبدونه بها جميعًا فلا يحجبهم عبودية اسمه «الرحيم والعفو والغفور» عن اسمه «المنتقم» أو التعبد بأسماء «التودد، والبر، واللطيف، والإحسان» عن أسماء «العدل والجبروت، والعظمة، والكبرياء» مستجيبين في ذٰلك لدعوته سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٠] دعاهم جلَّ وعلا لمعرفته بأسمائه وصفاته والثناء عليه بها والأخذ بحظهم من عبوديتها[3].

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة الكرام:

أ ـ معنىٰ الإيمان بالملائكة عليهم السلام:

---

(١) مسند أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢) وصحح إسناده أحمد شاكر (٥/ ٢٦٦) (٣٧١٢).

(٢) انظر مدارج السالكين (١/ ٤٤٩ ـ ٤٥٣) باختصار.

(٣) انظر: شرح الطحاوية (٣٨٨).

هو الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه ريب ولا شكَّ بأنَّ لله تعالىٰ ملائكة موجودين وهم أجسام خلقهم الله من نور، وجعل لهم وظائف يقومون بها: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[1] [التحريم، الآية: ٦].

ب ـ عدد الملائكة عليهم السلام:

هم خلق كثير لا يحصىٰ عددهم إلاَّ الله تعالىٰ يصدق ذٰلك حديث الإسراء عن مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «. . .**فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هٰذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم**. . .»[2] أي من صلىٰ فيه مرَّة لا يعود إليه، وذٰلك يفيد الكثرة.

ج ـ صفاتهم الخَلْقِيَّة، والخُلُقية:

خلق الله تعالىٰ الملائكة عليهم السلام من نور، وجعل لهم أجنحة وأقدرهم أن يتشكلوا بأشكال مختلفة كما أراد لهم تعالىٰ، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتوالدون، ليسوا ذكورًا ولا إناثًا، مساكنهم السماء[3] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[4].

وقال الله تعالىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر، الآية: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾ [مريم، الآية: ١٦، ١٧].

وأما أخلاقهم عليهم السلام:

فإنَّهم أهل عبادة كاملة لله تعالىٰ، وطاعة تامة لأوامره سبحانه وتعالىٰ، وقد وصفهم الله بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝٥٠﴾ [النحل، الآية: ٥٠] وحكىٰ عنهم قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦﴾ [الصافات، الآية: ١٦٥، ١٦٦].

وأثنىٰ عليهم بقوله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾

---

(١) التحريم ٦.

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١١٧٣) (٣٠٣٥).

(٣) انظر فتح الباري (٦/ ٣٠٦).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٩٤) (٢٩٩٦).

[الأنبياء، الآية: ٢٧، ٢٨] وبقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم، الآية: ٦].

هٰكذا أفصح القرآن الكريم عن أخلاقهم مع ربهم، أما مع المؤمنين، فقد أخبر الله تعالىٰ أنَّ الملائكة يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم، حيث قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر، الآية: ٧ ـ ٩].

وبالجملة فإنَّهم عليهم السلام يحبون المؤمنين ويحثونهم علىٰ فعل الخيرات وترك المنكرات ويثبتونهم علىٰ أعمال البر والتقوىٰ.

أسماؤهم وأعمالهم عليهم السلام:

جاء الحديث في القرآن الكريم والسنة النبوية عن أسمائهم وأعمالهم عليهم السلام علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من ذكر لنا باسمه وعرَّفنا عمله مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، قال الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة، الآية: ٩٨].

فجبريل ـ عليه السلام ـ موكل بالوحي وميكائيل موكل بالقطر، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور ـ عليهم السلام ـ.

القسم الثاني: من ذكر بعمله الذي أوكله الله به دون معرفة اسمه مثل: حملة العرش، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملك الجبال، وملك الموت، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧﴾ [الحاقة، الآية: ١٧].

القسم الثالث: من لم يأت ذكر اسمه ولا عمله وهم الكثرة الكاثرة من الملائكة عليهم السلام.

فالواجب علىٰ العبد الإيمان بهم جميعًا علىٰ وجه الإجمال والتفصيل: فمن لم نعرفه نؤمن به علىٰ وجه الإجمال، ومن عرفناه نؤمن به علىٰ وجه التفصيل، وأنَّ أعظم الملائكة قدرًا عندالله تعالىٰ هو جبريل عليه السلام[1].

قال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ «قد دلَّ الكتاب والسنة علىٰ أصناف الملائكة وأنَّها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنَّه سبحانه وكَّل بالجبال ملائكة ووكَّل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تُدبِّرُ أمر النطفة حتىٰ

---

(١) انظر إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٢).

يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس إلىٰ غير ذٰلك... والقرآن الكريم مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارةً يقرن الله تعالىٰ اسمه باسمهم وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارةً بذكر حفَّهم بالعرش وحملهم له، وبراءتهم من الذنوب، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص[١].

ولا ينافي هٰذا ما نلاحظ في الكون من قوانين وأسباب يرتبط بعضها ببعض، لأنَّ هٰذه القوانين والأسباب إنَّما هي مخلوقات من مخلوقات الله والملائكة موكلة بها أيضًا أو أنَّها ناتجة عنها[٢].

الملائكة عليهم الصلاة والسلام محسنون:

قال الله تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٦].

والمحسن من عباد الله تعالى هنا من آمن بالملائكة الكرام إيمانًا لا يخالطه شك ولا يمازجه أدنىٰ ريب أنَّهم خلق لله كرام خلقهم من نور وأنَّهم قائمون بطاعة الله كل فيما وكِّل إليه حتىٰ يصبح هٰذا الإيمان الجازم بحالة كأنَّ العبد يراهم ببصيرته يستشعر طاعتهم لربهم وما آتاهم من قدرات وعظم خلق وما يكنونه للمؤمنين من محبة وولاية.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالىٰ:

أـ المراد بالإيمان بكتب الله تعالىٰ:

هو التصديق الجازم بأنَّ لله تعالىٰ كتبًا وصحفًا تكلَّم بها علىٰ الحقيقة وأنزلها علىٰ رسله وأنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وحيًا، ليبلغوا عنه شرعه ودينه، وأنَّ ما تضمنته حق وصدق لتكون نورًا وهداية للعالمين[٣].

ب ـ عددها:

لا يعلم عدد الكتب والصحف التي أنزلها الله علىٰ رسله وأنبيائه

---

(١) شرح الطحاوية (٣١٨ـ٣٢٠).

(٢) انظر الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٣٧) بتصرف.

(٣) انظر الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٦٥)، ومنهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري (٣٦)، والكواشف الجلية للسلمان (٦٠).

- عليهم السلام - إلاَّ هو سبحانه وتعالىٰ، قال جلَّ ذكره: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٣].

ج - واجبنا نحوها:

أولاً: يجب علينا الإيمان بكل كتاب أو صحيفة أنزلها الله تعالىٰ ولم يسمها وذٰلك علىٰ سبيل الإجمال، أما ما ذكره سبحانه وتعالىٰ باسمه منها فالواجب الإيمان به علىٰ سبيل التفصيل، مثل: التوارة؛ وهي التي نزلت علىٰ موسىٰ - عليه السلام - لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة، الآية: ٤٤] والإنجيل وهو الكتاب الذي نزل علىٰ عيسىٰ بن مريم - عليه السلام - من ربه حيث قال تعالىٰ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة، الآية: ٤٦] والزبور، وهو الكتاب الذي نزل علىٰ داود - عليه السلام - قال الله تعالىٰ: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٥] والصحف التي أنزلها سبحانه وتعالىٰ علىٰ إبراهيم وموسىٰ - عليهما السلام - وقد أخبر عنها بقوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النجم، الآية: ٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعلىٰ، الآية: ١٨].

وآخر هٰذه الكتب كتاب الله المجيد وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ نبينا محمَّد ﷺ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة، الآية: ٤٨].

قال الإمام البيهقي - رحمه الله -: «والإيمان بالقرآن يتشعب شعبًا: فأولها الإيمان بأنَّه كلام الله تبارك وتعالىٰ وليس من وضع محمد ﷺ ولا من وضع جبريل - عليه السلام -.

والثانية: اعتقاد أنَّ جميع القرآن الذي توفي النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يفت منه شيء، ولم يضع بنسيان ناس، ولا ضلال صحيفة، ولا موت قاريء، ولا كتمان كاتم، ولم يُحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف[1].

ومزية الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف قد انفرد بها القرآن الكريم دون غيره من الكتب السابقة، لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر، الآية: ١٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا

---

(١) شعب الإيمان (١/ ١٨٥).

جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت، الآية: ٤١، ٤٢] ويمكن أن يضاف إلىٰ ما ذكره الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ ثلاث شعب أخرىٰ:

الأولىٰ: أنَّ القرآن الكريم متضمن لخلاصة التعاليم الإلـٰهية، وجاء مؤيدًا ومصدقًا لما جاء في الكتب السابقة من توحيدالله وعبادته ووجوب طاعته، وجَمَعَ كل ما كان متفرقًا في تلك الكتب من الحسنات والفضائل، وجاء مهيمنًا ورقيبًا عليها، يُقرِّ ما فيها من حق، ويبيِّن ما دخل عليها من تحريف وتغيير(١)، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة، الآية: ٤٨].

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ «إنَّا أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقًا للكتب قبله وشهيدًا عليها وأنَّها حق من عندالله أمينًا عليها حافظًا لها(٢).

والثانية: أنَّ هـٰذا القرآن الكريم جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الحياة الدنيا والآخرة، ونسخ به جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة، وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان حيث قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة، الآية: ١٥، ١٦] فلا يسع أحدًا التحاكم إلىٰ غيره قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة، الآية: ٥٠].

والثالثة: أنَّ هـٰذا القرآن الكريم معجز لا يقدر أحد من الخلائق على الإتيان بمثله، لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء، الآية: ٨٨].

الإحسان في الإيمان بالكتب المنزلة:

وطريقة المحسنين في الإيمان بالكتب المنزلة الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك ولا يمازجه ريب أنَّ الله تعالىٰ متكلم علىٰ الحقيقة كيف يشاء، وأنَّ ما في الكتب والصحف قبل أن تحرف أو تغير هو كلامه سبحانه وتعالىٰ، وأنَّ القرآن الكريم هو الكتاب المهيمن علىٰ ما سبقه من الكتب،

---

(١) انظر الإيمان. للدكتور محمد نعيم ياسين (٦٧).
(٢) جامع البيان (٤/١٧٣).

المحفوظ من التحريف والتغيير والتبديل، يؤمنون بذٰلك كله حتىٰ لكأنَّهم يسمعون بقلوبهم كلام الله حين تكلَّم بها، ويشاهدون ببصائرهم نزولها حين تنزيلها، ولكأنَّما هم حاضرون مع الأنبياء ساعة أوحىٰ الله إليهم بها، فمن وجد في قلبه ما يجده المحسن اشتد تمسكه بالقرآن باطنًا وظاهرًا، وقام بحقوقه: قراءة وتدبرًا، وعملاً خير قيام ، فهو يقرؤه وكأنَّه ينظر إلىٰ الله تعالىٰ، والله تعالىٰ يستمع إليه، ويتدبره وهو مطرق رأسه خشيةً وإجلالاً لله تعالى وكأنما هو حاضرٌ بين يديه، ويعمل به وكأنَّه عند ربه في السماء يستشعر عظمته وقربه حتىٰ لكأنه يراه حقًا.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

أـ المراد من هٰذا الأصل هو التصديق الجازم بأنَّ الله تعالىٰ اصطفىٰ من البشر رجالاً جعلهم رسله وأنبياءه إلىٰ العالمين وأوحىٰ إليهم بشرعه وعهد إليهم بإبلاغه، وأيدهم بالمعجزات، لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم، يبشرونهم بالنعيم لمن أطاع وينذرونهم الجحيم لمن عصىٰ حتىٰ تنقطع علىٰ الله يوم القيامة[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء، الآية: ١٦٥]

ب ـ واجبنا نحو الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ:

١ـ الإيمان بمن سمىٰ الله تعالىٰ من رسله وأنبيائه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله محمَّد ﷺ وذٰلك علىٰ وجه التفصيل، والمذكورون في القرآن الكريم بهٰذه الصفة خمسة وعشرون وهم:

آدم، ونوح ، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسىٰ، وهارون، واليسع، وذوالكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيىٰ، وعيسىٰ، ومحمَّد ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ.

والأدلة من القرآن معلومة[2].

وأما من لم يسمه الله تعالىٰ من الأنبياء والرسل وهم كثير، فالواجب علينا

(١) انظر الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٤٨)، والكواشف الجليّة عن معاني الواسطية للسلمان (٦٦).

(٢) راجع سورة الأنعام (٨٣ـ٨٦)، وهود ٥٠، ٦١، والأعراف (٨٥)، وآل عمران ٣٣، والأنبياء ٨٥، والفتح (٢٩).

الإيمان بهم علىٰ سبيل الإجمال وذٰلك بأنَّهم كانوا مرسلين إلىٰ الذين ذكروا لهم أنَّهم رسل الله إليهم، وأنَّهم كانوا في ذٰلك صادقين[1].

٢- الإيمان بأنَّ كل رسول أرسله الله أدىٰ أمانته، وبلغ رسالته علىٰ الوجه الأكمل، وبيَّنها بيانًا واضحًا كافيًا[2].

٣- طاعتهم، وعدم مخالفتهم، لأنَّ ذٰلك من طاعة الله سبحانه بقوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ٨٠].

٤- الإيمان بأنَّهم بشر غير مخصوصين بطبائع غير طبائع البشر، وأنَّهم لا يملكون من خصائص الألوهية شيئًا، وإنَّما خصَّهم الله عزَّوجل بالنبوة وجميل الأخلاق وحسن الفضائل قال الله تعالىٰ عن محمَّد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٨].

٥- الإيمان بأنَّ آخر أنبياء الله ورسله هو نبينا محمَّد ﷺ، وأنَّه خاتم النبيين لا نبي بعده وأنَّ رسالته خاتمة الرسالات ناسخة لما سبقها من الشرائع والأديان قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٤٠] وأنَّ رسالته ﷺ للعالمين كافة عربيهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ، الآية: ٢٨] وأنَّه ﷺ رسول رب العالمين إلىٰ الثقلين الإنس والجن، لقوله تعالى عن الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟﴾ [الأحقاق، الآية: ٣١].

٦- يجب علىٰ كل مكلف من الإنس والجن سمع برسالة محمَّد ﷺ وهو عاقل الإيمان به واتباعه فمن صدقه فلقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ، ومن عصاه فقد عصىٰ كل نبي[3] وأنَّ الله لا يقبل من أحد دينًا غير دينه الإسلام، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران، الآية: ٨٥].

٧- يجب علىٰ كل أحد طاعةُ أمره ﷺ واجتناب ما نهىٰ عنه وعبادة الله بما شرع قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء، الآية: ٦٤]

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ

---

(١) انظر شعب الإيمان للبيهقي (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: الإيمان للدكتور محمد نعيم ٤٨-٥٥.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٣/ ٤٨٣).

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء، الآية: ٦٩].

٨- يجب علىٰ كل من آمن بالأنبياء والرسل - عليهم السلام - محبتهم من غير غلو يخرجهم عن مكانتهم الشرعية، وكثرة الصلاة والسلام عليهم وخصوصًا نبينا محمَّد ﷺ فإنَّه يجب علىٰ كل من ذكر أو ذكر عنده الصلاة والسلام عليه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب، الآية: ٥٦].

٩- أنَّ كل ما سبق هو مقتضىٰ شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله التي لا تتحقق شهادة التوحيد «لا إلـه إلاَّ الله» إلاَّ بها.

الإحسان في الإيمان بالرسل عليه الصلاة والسلام:

فمن آمن بما سبق كله إيمانًا صادقًا حتىٰ يغلب علىٰ قلبه كأنَّه حاضرٌ مع الأنبياء، يشاهدهم ويسمع كلامهم، ويهتدي بهديهم، ويناصر دعوتهم، ويؤازر جهادهم، مستشعرًا كأنَّه ينظر إلىٰ الله جلَّ وعلا ببصيرته، فإنَّه المحسن الحق الذي ينفعه إيمانه بهم فيسر بسيرتهم، لا تقهره شهوة، ولا يصده هوىٰ، ولا تغره دنيا، حتىٰ يلقىٰ ربه وهو بأحسن اعتقاد.

الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

ومعناه: التصديق الجازم الذي لا يخالطه شك ولا يمازجه أدنىٰ ريب بأن لأيام الدنيا آخر وأنَّها منقضية، وأنَّ ما أخبر الله به وأخبر به رسوله ﷺ مما سيكون بعدها من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث بعد الموت، والحشر، وتطاير الصحف، والحساب، والميزان، والحوض والصراط والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالىٰ لأهلها جميعًا حق واقع لا محالة[1]. قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة، الآية: ٦٢] وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٧].

وهـٰذا الأصل ركيزة عظيمة في الإيمان، فمن أنكره أو شكَّ في وقوعه لم ينفعه إيمانه وهو عندالله من الكافرين المخلدين في نار جهنم وتحقق الإيمان به يكون بأمرين:

الأول: أن يؤمن الإنسان به إيمانًا إجماليًا.

والثاني: الإيمان باليوم الآخر وما يسبقه من علامات وما يكون بعده من أمور الغيب التي يمر بها الإنسان بعد موته تفصليًا[2]. وهي:

---

(١) انظر: الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٧٣)، وشرح الطحاوية (٣٩٦) وما بعدها.

(٢) انظر: الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٨٥-٨٦)، وشرح الطحاوية (٣٩٨) وما =

أـ ما يكون قبل يوم القيامة من علامات وأعظمها، خروج الدجال، ونزول عيسىٰ بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها مما جاء بيانه في السنة النبوية، فإذا جاءت أشراط الساعة واستكملت علاماتها الكبرىٰ قامت القيامة فيدمر الله هـٰذا الكون، أرضه وسماءه، فتكسف الشمس، ويخسف القمر، وتتناثر النجوم، وتتشقق السماء، وتدك الأرض، وتزلزل الجبال، وتشتعل البحار نارًا، وينفخ في الصور فيهلك كل من في السماوات والأرض إلاَّ من شاء الله.

ب ـ ما يكون بعد الموت مما يجب الإيمان به، وهي على النحو الآتي:

١ـ الإيمان بما يجده الإنسان عند موته من حضور الملائكة وقبض الروح ومعالجة خروجها من الأجساد والصعود بها إلىٰ السماء عند ربها، وأنَّ المؤمن تخرج روحه في رفق ولين، وأنَّ روح الكافر تنشط من جميع عروقه وجسده في شدة وعذاب.

٢ـ فتنة القبر ونعيمه وعذابه:

قد ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية أنَّ أهل القبور يفتنون في قبورهم بسؤال الملكين، وأنَّ المؤمن ينعم في قبره يوسع له فيه حتىٰ مد بصره، ويفتح له باب إلىٰ الجنة فيرىٰ مقعده فيها ويأتيه من رَوْحِها وريحانها.

وأما الكافر فإنه يضيق عليه في قبره حتىٰ تختلف أضلاعه ويفتح له باب إلىٰ النار فيرىٰ مقعده فيها ويأتيه من حرها وسمومها ونتنها إلىٰ يوم البعث، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة، الآية: ٨٨ ـ ٩٤]

وقال تعالىٰ عن عذاب آل فرعون في قبورهم: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر، الآية: ٤٦]

وقال ﷺ كما في حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**مرَّ النَّبي ﷺ بحائطٍ من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: يعذبان وما يعذبان في كبيرٍ» ثمَّ قال: بلى؛ كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة. .**»[(١)].

وعن سؤال الملكين منكر ونكير للميت في قبره أخبر ﷺ كما في

= بعدها.

(١) صحيح البخاري (١/٨٨) (٢١٣).

حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عن أصحابه، وإنَّه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ، فأمَّا المؤمن فيقول أشهد أنَّه عبدالله ورسوله، فيقال له: انظر مقعدك من النَّار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنَّة فيراهما جميعًا.. قال: وأمَّا المنافق والكافر فيقال له: ماكنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري، كنت أقول كما يقول النَّاس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويُضْرب بمطارق من حديدٍ ضربة، فيصيح صيحة، يسمعها من يليه غير الثقلين»[1].

ومما يجب التنبيه عليه أنَّ العذاب والنعيم واقعٌ علىٰ الروح والجسد جميعًا، وأنَّ أرواح الموتىٰ لها اتصال بالأجساد بكيفية لا يعلمها إلاَّ الله تعالىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أنَّ الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأنَّ ذٰلك يحصل لروحه وبدنه، وأنَّ الروح تبقىٰ منعمة أو معذبة، وأنَّها تتصل بالبدن أحيانًا، فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرىٰ أعيدت الأرواح إلىٰ أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين»[2].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها ما هو في عليين، ومنها ما هو في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، ومنهم من يكون محبوسًا علىٰ باب الجنة، ومنهم من يكون محبوسًا في قبره، ومنهم من يكون مقره باب الجنة، ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة وقيل عن أرواح في سجين»[3]

٣ـ الإيمان بحقيقة النفخ في الصور:

والصُّور قرن عظيم إسرافيل ـ عليه السلام ـ ملتقمه في فيه ينتظر أمر الله تعالىٰ لينفخ فيه النفخة الأولىٰ والثانية فإذا اقترب وعدالله وآذن بدمار الكون ومن فيه أمر الله عزَّوجل إسرافيل وهو الملك الموكل بالنفخ فيه فينفخ نفخة واحدة فيصعق من في السماوات والأرض ويقعون هلكىٰ إلاَّ من شاء الله وهي النفخة الأولىٰ، ثم ينفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون.

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٤٦٢) (١٣٠٨).

(٢) الفتاوى (٤/ ٢٨٤).

(٣) الروح (١/ ١١٥).

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧﴾ [الحاقة، الآية: ١٣ـ ١٧]

ويوم ينفخ في الصور هو يوم القيامة الكبرىٰ التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بالقارعة، والحاقة، والطامة، والساعة، والصاخة، والزلزلة، وغيرها[1].

٤ـ الإيمان بالبعث بعد الموت

وهو إحياء الموتىٰ حين ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر، الآية: ٦٨] وقال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن، الآية: ٧].

وقد أنكر فريق من الكفار إمكانية البعث بعد أن يصبح الإنسان رفاتًا كما حكىٰ الله ذٰلك عنهم في الآية السابقة وبقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يٰس، الآية: ٧٨ ـ ٨٢] وفي الآية تأكيد علىٰ تحقق وقوع البعث بأنَّ من أنشأ النشأة الأولىٰ، وهي بدء خلق الإنسان بعد أن لم يكن قادر علىٰ إعادة خلقه مرة ثانية إذ الإعادة أهون من البدء، وصرف الله أنظار المنكرين إلىٰ أخذ العبرة واستنتاج الدلالة بالقياس علىٰ قدرة الله تعالىٰ في إخراج الشيء من ضده مثل: إخراج النار وإيقادها من الشجر الأخضر، فإذا كان هٰذا حاصلاً مشاهدًا ملموسًا فإن إعادة الإنسان من أصله أمكن من إخراج الشيء من ضده ثم أبان الله لهٰذا الفريق من الناس أنَّ خلق السماوات والأرض أكبر من خلقهم وإعادة إحيائهم فمن استطاع خلق العظيم فمن باب أولىٰ أن يخلق ما دونه قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يٰس، الآية: ٨١] وقال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر، الآية: ٥٧] وفي آية أخرىٰ يلفت الله سبحانه وتعالىٰ

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (٤١٢).

الأنظار إلى قياس إحياء الموتىٰ بما يشاهدونه من إحياء الأرض الميتة حينما ينزل عليها المطر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت، الآية: ١٧].

٥ـ الإيمان بالحشر:

وهو جمع الناس بعد البعث من قبورهم إلىٰ الأرض التي سيقفون فيها للحساب والجزاء[١]. قال الله تعالىٰ: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف، الآية: ٤٨]. وفي أرض المحشر يجتمع الناس حفاة عراة غرلاً غير مختونين وهـٰذا اليوم عسير علىٰ الكافرين يسير للمؤمنين فيكون بمقدار ما بين الظهر والعصر تدنو منهم الشمس قدر ميل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

٦ـ الإيمان بأنَّ الله تعالىٰ أعطىٰ رسوله محمَّدًا ﷺ حوضًا في عرصات القيامة يشرب منه المؤمنون من أمته بيده الشريفة الطاهرة، لا يظمأون بعدها أبدًا وهو غير نهر الكوثر الذي أعطاه الله إياه في الجنة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ترد عليَّ أمتي الحوض**...» الحديث في مسلم وهـٰذه إحدىٰ الكرامات من الله تعالىٰ لنبيه ﷺ وللمؤمنين والثانية: أنَّ أمَّة محمَّد ﷺ شاهدة علىٰ الأمم السابقة، المنكرة لرسلهم بأنَّ أولـٰئك الرسل عليهم السلام بلغوا ما أرسلهم الله به، قال تعالىٰ: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٨].

٧ـ الإيمان بمجيء الله تعالىٰ إلىٰ أرض المحشر: لمحاسبة الخلائق ومجازاتها[٢]. قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر، الآية: ٢١، ٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية، الآية: ٢٥، ٢٦].

والثالثة: خاصة بالرسول ﷺ وهي شفاعته في أهل الموقف جميعًا أن يأذن الله في محاسبتهم وهـٰذه الشفاعة هي المقام المحمود عندها توضع الموازين توزن فيها الأعمال والعمال وصحائف الأعمال، فلا تظلم نفس شيئًا. قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ٤٧].

وأول ما يحاسب العبد من أعماله على الصلاة، وأول ما يكون القصاص في الدماء ويسأل الرجل عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٤٦).
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٦/ ١٦٦).

ماله من أين اكتسبه فيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ نسأل الله لنا ولعامة المسلمين العافية ويجاء بجهنَّم لها ألف زمام علىٰ كل زمام ألف ملك يجرونها إلىٰ أرض الموقف قال تعالىٰ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر، الآية: ٢٣].

٨ـ **الإيمان بنشر الدواوين**: وهي الصحف التي أحصىٰ الله فيها أعمال العباد فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذه بشماله من وراء ظهره[١]. قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة، الآية: ١٩، ٢٠] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة، الآية: ٢٥ ـ ٢٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء، الآية: ١٣، ١٤].

٩ـ **الإيمان بالصراط**:

وهو الجسر المنصوب علىٰ متن جهنم الذي ترده جميع الخلائق بعد محاسبتهم وهو مدحضه مزلة لا يثبت علىٰ ظهره إلاَّ المؤمنون ويتنكبه الكافرون، علىٰ أطرافه كلاليب، يمر عليه الناس بحسب أعمالهم سرعة وبطئًا فناج مسلَّم وهاوٍ علىٰ أم رأسه في نار جهنم[٢]. قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم، الآية: ٧١] وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «.. **فيمر المؤمن كطرف العين...**»[٣].

١٠ـ **الإيمان بالقنطرة**: وهي مكان بعد الصراط ودون الجنة يقف فيه المؤمنون للقصاص بعضهم من بعض ثم يأذن الله لهم بدخول الجنة[٤].

١١ـ **الإيمان بالجنة** وأنها مخلوقة موجودة جعلها الله تعالىٰ دار كرامة لعبادة المؤمنين المتقين[٥]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ، الآية: ٣١، ٣٦]

من دخلها يحيا ولا يموت، ينعم ولا ييأس ، لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفنى شبابه، أول زمرة يدخلونها علىٰ صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية، لابن تيمية (٣٣).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (٤١٥).
(٣) صحيح مسلم (١/ ١٦٧) (١٨٣).
(٤) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١/ ٢٦٠).
(٥) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٧/ ١٠٠)، وشفاء العليل لابن القيم (١/ ٢٦٠).

علىٰ أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم علىٰ خلق رجل واحد، علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء، لها ثمانية أبواب، درجاتها كثيرة ما بين كل درجة وأخرىٰ كما بين السماء والأرض، كثبانها المسك وحصباؤها اللؤلؤ، وحشائشها الزعفران، وأنهارها ماء رقراق وعسل مصفى، ولبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، قصورها شاهقة لبنة من فضة وأخرىٰ من ذهب، خيامهم من لؤلؤ مجوف طول الواحدة منها ستون ميلاً في السماء للمؤمن فيها أهلون لا يرىٰ بعضهم بعضًا، فيها شجرة يقال لها طوبىٰ، يسير الجواد المضمر في ظلها مائة عام لايقطعها يلذُّ أهل الجنة بما يشاؤون من المطاعم والمشارب والمراكب، وبالجملة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، وفوق ذٰلك كله ما خصَّ الله به المحسنين من النظر إلىٰ وجهه الكريم حيث قال تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس، الآية: ٢٦].

١٢- **الإيمان بالنار**: وأنَّها مخلوقة موجودة حقيقة لا تفنىٰ ولا تبيد، جعلها الله دار عذاب لمن استحقها من المسلمين فهم ما كثون فيها إلىٰ حين، ثم مآلهم إلىٰ الجنة برحمة أرحم الراحمين(١).

وأما الكافرون والمنافقون فهم فيها أبد الآبدين قال الله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة، الآية: ٨١] حرها شديد وما نار الدنيا وإن عظمت إلاَّ جزء من سبعين جزءًا من نارها، لها شهيق وزفير، يحطم بعضها بعضًا، تكاد تلتهم كل شيء لولا أن يضع فيها الجبار قدمه، بعيد قعرها يلقىٰ الحجر من شفيرها فيمكث سبعين خريفًا لا يبلغه، وقودها الناس والحجارة، كلما خبت زادهم الله سعيرًا محكمة الإيصاد، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كلما دخلتها أمة لعنت أختها، جمع الله فيها الأشقياء من لدن أول الخليقة إلىٰ آخرها فهم في عمد ممدة وبالأغلال مكبلون وبالسلاسل يسحبون، طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم والصديد، ثيابهم قطعت من نار، كلما نضجت جلودهم أبدلهم الله جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ينادىٰ الشيطان بالبراءة منهم ومن أعمالهم، فهم في الحسرة والندامة يعضون علىٰ أيديهم كلما أرادوا الخروج قال لهم الجبار سبحانه: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٧/ ١٠٠)، وشفاء العليل لابن القيم (١/ ٢٦٠).

[المؤمنون، الآية: ١٠٨] لا يفتر عنهم العذاب وهُم فيه مبلسون، ينادون بالموت فيقال لهم إنَّكم ماكثون.

الأصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله عزَّوجل:

قال ابن بطال ـ رحمه الله ـ: (القضاء هو المقضىٰ)[١] قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر، الآية: ٤٩] ومعناه: الإيمان بما سبق به علم الله تعالىٰ، وجرىٰ به القلم في اللوح المحفوظ مما هو كائن إلىٰ الأبد، وأنَّه ـ عزَّوجل ـ قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنَّها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالىٰ، وعلىٰ صفات مخصوصة، فهي تقع حسب ما قدرها[٢].

والفرق بين القضاء والقدر: أنَّ القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر: وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها[٣].

والقضاء والقدر هما سرُّ الله في خلقه لم يطلع عليه ملك مقرَّب ولا نبي مرسل.

قال أبوالمظفر السمعاني فيما حكاه عنه ابن حجر العسقلاني ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ «سبيل المعرفة في هـٰذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين، ولا ما يطمئن به القلب، لأنَّ القدر سرٌّ من أسرار الله تعالىٰ، أُخْتُصَّ العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرَّب»[٤].

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «من السنة اللازمة: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، ولا يقال: لِمَ؟ ولا كيف؟ إنَّما هو التصديق بها والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث، ولم يبلغه عقله، فقد كفىٰ ذٰلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق، وما كان مثله في القدر»[٥]

---

(١) فتح الباري (١١/١٤٩).
(٢) انظر: عقيدة السفاريني (١/٣٤٨).
(٣) التعريفات للجرجاني (١٧٤).
(٤) فتح الباري (١١/٤٧٧).
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة للالكائي (١/١٥٧).

أركان الإيمان بالقضاء والقدر[1]:

الأول: الإيمان بأنَّ الله تعالىٰ علِمَ الأشياء قبل وجودها، فالله جلَّ وعلا محيط علمه بكل شيء، يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ومن ذٰلك أحوال عباده، وأرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، ومستقرهم في الآخرة، قال جلَّ ذكره: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام، الآية: ٥٩].

الثاني: الإيمان بأنَّ الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ مما قدره وقضاه سواء وقع أم لم يقع بعد، وذٰلك قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج، الآية: ٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد، الآية: ٢٢].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء**»[2].

الثالث: الإيمان بأنَّ كل ما هو كائن في الكون مما حدث أو سوف يحدث إنَّما يقع بمشيئة الله وإرادته التامة له، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج، الآية: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير، الآية: ٢٩]، فما أراده الله وقع وما وقع فهو مراد الله لأنَّه لا يمكن أن يكون في ملك الله مالم يرده وما لم يرده لم يقع، وذٰلك لعدم مشيئته له لا لعدم قدرته عليه، لأنَّ الله علىٰ كل شيء قدير، ومن جملة ما أراده الله وشاءه الهداية والضلال، والكفر، والإيمان، فما كان من ضلال أو كفر فهو مراد له سبحانه وتعالىٰ كونًا وأزلاً وغير محبوب له دِينًا وشرعًا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر، الآية: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر، الآية: ٧].

الرابع: الإيمان بأنَّ الله تعالىٰ وحده هو المتفرد بخلق الأشياء وإيجادها، فهو جلَّ وعلا الخالق وما سواه مخلوق له، وهو خالق كل مخلوق وفعله، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر، الآية: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

---

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١/ ٩١) وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٤) (٢٦٥٣)

[الصافات، الآية: ٩٦].

فالله تعالىٰ خلق الخلق وخلق أفعالهم، وأفعالهم من كسبهم يحاسبون عليها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا، بعد أن ركب فيهم القدرة علىٰ الفعل والترك وجعل لهم الإرادة التامة علىٰ الطريقين فأمر بفعل الخير وحذر من فعل الشر، فهدىٰ من كتب له السعادة برحمته، وأضل من كتب عليه الشقاوة بعدله قال الله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل، الآية: ٥ ـ ١٠].

ومما يعين علىٰ فهم هٰذا الأصل من أصول الإيمان الآتي:

١ـ أنَّ الله تعالىٰ يقدر ما يشاء ويفعل في ملكه ما يريد قال تعالىٰ: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٤].

٢ـ أنَّه لا يجوز لمخلوق أن يعترض على الله تعالىٰ أو يعترض عليه فيما قضاه وقدره وحكم به في ملكه، قال تعالىٰ: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣ ﴾ [الأنبياء، الآية: ٢٣].

٣ـ أنَّ الله تعالىٰ عادل في حكمه وقضائه، وأمره ونهيه، فلا يجوز أن ينسب إليه الظلم، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝٤٦ ﴾ [فصلت، الآية: ٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١١٨ ﴾ [النحل، الآية: ١١٨].

٤ـ أنَّ القدر سابق لأفعالنا وأنَّ ما فعلناه لم يسقنا إليه قهرًا لقوله تعالىٰ: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥ ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].
وقوله تعالىٰ: ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الإسراء، الآية: ١٥].

٥ـ أنَّ أهل الحق يحتجون بالقضاء والقدر في المصائب لا في المعائب قال الله تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٦].

أما المذنبون فليس لهم الاحتجاج بالقدر، بل الواجب عليهم أن يتوبوا ويستغفروا، قال تعالىٰ: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [غافر، الآية: ٥٥]، فلا تقبل حجة السارق والزاني والمرابي بالقضاء والقدر، لأنَّ الله قطع كل حجة بعد إنزال الكتب وإرسال الرسل حيث قال تعالىٰ: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ ﴾ [النساء، الآية: ١٦٥]، وعليه فكل إنسان مسؤول عن تصرفاته وأعماله في الدنيا والآخرة، ألم تر أنَّ الله شرع العقوبات من تعزيرات وحدود لمن خالف أمره في الدنيا وتوعدهم بالعذاب في الآخرة قال تعالىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ ﴾

[المدثر، الآية: ٣٨].

٦- أنَّ مما قدره الله وقضاه في الأزل مالم يرده ويحبه في الشرع، فيكون مقدرًا لمحبوب آخر أو فتنة واختبارًا لعباده فهو مراد كونًا مبغوض شرعًا، لأنَّ الله تعالىٰ لا يقدر الشر المحض الذي لا خير فيه مثل الزنىٰ فإنَّ الله خلقه وقدره في الأزل، ولم يرده ويحبه ويرضاه في الشرع فكان خلقه فتنة لعباده واختبارًا لصدق إيمانهم، وينتج عنه لمن وقع فيه وتاب منه ثواب عظيم وهٰذه المجاهدة لتركه والتوبة منه محبوبة لله تعالىٰ: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء، الآية: ٣٢]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٢].

٧- أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب الجالبة للخير والسعادة الدافعة للشر والتعاسة، فهي من قضاء الله وقدره، مثل النكاح لأجل الولد، والزرع وإعداد القوة للأعداء قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال، الآية: ٦٠].

فالأخذ بالأسباب حتم واجب، وتاركها آثم جاهل، ومن اعتمد عليها من دون الله فقد أشرك المخلوق مع الخالق، إذ الأسباب لا تعمل ما لم يجعل الله فيها خاصية العمل.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٢٣].

٨- مدافعة القدر المرِّ قبل أو بعد وقوعه بالقدر حتَّىٰ إذا لم يبق سبب شرعي أو مباح يدفعه استسلمنا له ورضينا به، وعلمنا أنَّ ما أصابنا منه لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا واحتسبنا أجر صبرنا علىٰ الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف، الآية: ٩٠]، وهٰذا الواقع من القدر المرِّ لا يخلو إما أن يكون بفعل غيره، فعليه أن يصبر ويرضىٰ به، وإن كان بفعله وكان ذنبًا استغفر الله تعالىٰ، قال جلَّ ذكره: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر، الآية: ٥٥].

الإحسان في الإيمان بالقضاء والقدر:

لن يرتقي المؤمن في إيمانه بركن القضاء والقدر إلىٰ درجة الإحسان حتىٰ يؤمن بما سبق بيانه إيمانًا يقينيًا حتىٰ يغلب علىٰ قلبه حالة كأنَّه شاهد ربه تبارك وتعالىٰ حين قدر كل شيء وقضاه وفق علمه التام الذي جرىٰ به القلم ومشيئته النافذة وخلقه لكل شيء فمن وصل إلىٰ هٰذه الدرجة لم يخطر بباله طرفة عين الشك فيما قدر الله وقضاه في ملكه وسلطانه، ورضي بذٰلك أكمل الرضىٰ.

ثانيًا: التأمل، والتفكر، والتدبر:

والسبب الموجب للتَّحقُّق والتَّثبُّت بهٰذه المنزله في الإحسان العقائدي هو ما تحدثه في القلب من تثبيت للإيمان وتقويه له.

الفرق بين التأمل والتفكر، والتدبر:

هناك فروق دقيقة بين هٰذه المسميات الثلاثة:

فالتأمل: مصدر مأخوذ من مادة (أ م ل) التي تدل علىٰ التثبت والانتظار[1].

واصطلاحًا: هو تثبت النظر فيما يصلح أن يكون واعظًا ومذكرًا.

والتفكر: مأخوذ من مادة (ف ك ر) التي تدل علىٰ تردد القلب في الشيء[2].

واصطلاحًا: هو تصريف القلب في معاني الأشياء لِدرْك المطلوب[3].

والتدبر: مأخوذ من مادة (د ب ر) التي يقصد بها النظر في عواقب الأمور[4].

واصطلاحًا: هو عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلاَّ أنَّ التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب[5].

والخلاصة: أنَّ التأمل يكون بالبصر مع الاستمرار إلىٰ استخلاص العبرة، وأنَّ التفكر جولان الفكر في الأمر الذي له صورة عقلية عن طريق الدليل، وأما التدبر، فإنَّه يعني نظر العقل إلىٰ عواقب الأمور[6].

أهمية التأمل والتفكر والتدبر:

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ: كثر الحث في كتاب الله تعالىٰ علىٰ التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفىٰ أنَّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لٰكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره[7].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: أصل الخير والشر من قبل الفكر، فإنَّ الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض[8].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/ ١٤٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٤٦).

(٣) انظر: التعريفات (٦٦).

(٤) لسان العرب (٤/ ٢٧٣).

(٥) التعريفات (٥٤).

(٦) انظر: المفردات (٣٧٤)، وقارن مع التعريفات (٥٤).

(٧) الإحياء (٤/ ٢٢٣).

(٨) الفوائد (٢٥٥).

وعن عبدالله بن عتبة ـ رحمه الله ـ: قال: سألت أم الدرداء ـ رضي الله عنهما ـ: ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت: «التفكر والاعتبار»[1].

وعن عامر بن قيس ـ رحمه الله ـ قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمَّد ﷺ يقولون: «إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر»[2].

وقال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ: «الفكرة في نعم الله عزَّوجل ـ من أفضل العبادة[3].

وعن محمدبن كعب القرظي ـ رحمه الله ـ قال: «لأن أقرأ في ليلتي حتىٰ أصبح بـ«إذا زلزلت»، و«القارعة» لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر أحب إليَّ من أهُذَّ القرآن ليلتي هَـٰذًا أو قال أَنْثُرُه نثرًا»[4].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب»[5].

ميادين التأمل والتفكر والتدبر:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله»[6].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها ، فهـٰذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار.

ويليها أربعة: فكر في مصالح الدنيا.

وطرق تحصلها، وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلىٰ هـٰذه الأفكار الثمانية دارت أفكار العقلاء، ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره ونهيه وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتاب وسنة نبيه وما والاهما[7].

ومن ميادين التأمل والتفكر والتدبر المهمة ما يأتي:

أولاً: التأمل والتدبر في القرآن الكريم:

---

(١) انظر: الزهد لوكيع بن الجرَّاح (٤٧٤).
(٢) الدر المنثور (٢/ ٤٠٩).
(٣) الإحياء (٤/ ٤٢٥).
(٤) كتاب الزهد لابن المبارك (٩٧).
(٥) الإحياء (٤/ ٤٢٥).
(٦) الدر المنثور (٢/ ٤٠٩).
(٧) الفوائد (٢٥٥).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: أما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلىٰ معانيه، وجمع الفكر علىٰ تدبره وتعقله وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص، الآية: ٢٩] فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، ولا أقرب إلىٰ نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر علىٰ معاني آياته، فإنَّها تطلع العبد علىٰ معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلىٰ طرقهما وأسبابهما وغاياتهما، ومآل أهلها، . . وبالجملة تعرفه الرب المدعوّ إليه، وطريق الوصول إليه، وماله من الكرامة إذا قدم عليه.

وتعرفه مقابل ذٰلك ثلاثة أخرىٰ: ما يدعو إليه الشيطان.

والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه[1].

ثانيًا: التأمل والتفكر في المخلوقات.

لقد دعا القرآن الكريم إلىٰ ذٰلك في مواطن عدة مرة باسم النظر وأخرىٰ باسم التفكر، وثالثة باسم الرؤيا البصرية وهٰكذا كلها تدعو الإنسان للتأمل في عجائب صنع الله في المخلوقات علىٰ تنوعها من خلق الإنسان وحياته وموته، والحيوان، والنبات، وخلق السماوات والأرض، والكواكب والأفلاك، وآثار الأمم السالفة وَمَا زَوَّدَ اللهُ به الإنسان من القدرات التي تؤهله إلىٰ ذٰلك وها نحن الآن نبصر عجائب صنع الله في المخلوقات من خلال اكتشافات العلماء لها فلا يملك العاقل إلاَّ الإقرار بالتوحيد الكامل لمن أبدعها ولم يهمل علماء المسلمين الأوائل هٰذا النوع من العبادة الذي هو التأمل والتفكر علمًا منهم أنَّه من السبل الموصلة إلىٰ خشية الله حقًا.

التأمل والتفكر والتدبر صفة المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧﴾ [ص، الآية: ٤٥ ـ ٤٧].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: وعنى بالبصر بصر القلب، وبه ننال معرفة الأشياء.[2] والمقصود بالبصر هو النظر الذي يعني التأمل[3] يدل علىٰ ذٰلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝١٩٨﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٨].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٨٥ـ٤٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٠).

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز (٥/ ٨٢).

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التأمل والتفكر والتدبر:

يمكن للعبد أن يحقق هٰذه المنزلة وذٰلك بأن يغلب عليه النظر والتفكر والتدبر في كل ما يصلح شرعًا أن يكون مكانًا لذٰلك مما سبق بيانه بغرض أخذ العبرة والعظة والرسوخ في العلم يفعل ذٰلك كله وهو علىٰ حالة كأنه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق، الآية: ٣٦، ٣٧].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ الناس ثلاثة:

رجل قلبه ميت، فذٰلك الذي لا قلب له، فهٰذا ليست الآية ذكرىٰ في حقه.

والثاني: رجل له قلب حيٌّ مستعد، ولٰكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم ورودها أو لوصولها وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا، فهٰذا أيضًا لا تحصل له الذكرىٰ، مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات فأصغىٰ بسمعه وألقىٰ السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملقىٰ السمع، فهٰذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمىٰ الذي لا يبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلىٰ غير جهة المنظور إليه فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير، الذي قد حدَّق إلىٰ جهة المنظور، وأتبعه ببصره، وقابله وتوسط من البعد والقرب، فهٰذا هو الذي يراه فسبحان من جعل كلامه شفاء لما في الصدور.

فاعلم أنَّ الرجل قد يكون له قلب وقاد، مليء باستخراج العبر، واستنباط الحكم، فهٰذا قلبه يوقعه علىٰ التذكروالاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نورًا علىٰ نور، وهٰؤلاء أكمل خلق الله وأعظمهم إيمانًا وبصيرة، حتىٰ كأنَّ الذي أخبرهم به الرسول مشاهد لهم، ولٰكن لم يشعروا بتفاصيله وأنواعه، حتىٰ قيل: إن مثل حال الصِّدِّيق مع النبي ﷺ، كمثل رجلين دخلا دارًا فرأىٰ أحدهما تفاصيل ما فيها وجزئياته، والآخر وقعت يده علىٰ ما في الدار ولم ير تفاصيله ولا جزئياته، لٰكن علم أنَّ فيها أمورًا عظيمة ولم يدرك بصره تفاصيلها، ثم خرجا فسأله عما رأىٰ في الدار فجعل كلما أخبره بشيء

صدقه، لما عنده من شواهد، وهـٰذه أعلىٰ الدرجات الصديقية، ولا تستبعد أن يمن الله المنان علىٰ عبد بمثل هـٰذا الإيمان، فإن فضل الله لا يدخل تحت حصر ولا حسبان.

فصاحب هـٰذا القلب إذا سمع الآيات وفي قلبه نور من البصيرة ازداد نورًا إلىٰ نوره، فإن لم يكن للعبد مثل هـذا القلب فألقىٰ السمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التذكر أيضًا: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٥]، والوابل والطل في جميع الأعمال وآثارها وموجباتها، وأهل الجنة سابقون مقربون وأصحاب يمين وبينهما في درجات التفصيل ما بينهما[١].

صور من أحوال المتأملين والمتفكرين والمتدبرين:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الأخير قعد فنظر إلىٰ السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٠] ثم قام فتوضأ واستن فصلىٰ إحدىٰ عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلىٰ ركعتين ثم خرج فصلىٰ الصبح[٢].

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليَّ قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**» **فقرأت عليه سورة النساء، حتىٰ بلغت:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء، الآية: ٤١] قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان[٣].

عن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه كان إذا تلا هـٰذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد، الآية: ١٦] قال: «بلىٰ يا رب، بلىٰ يا رب»[٤].

ثمرات التأمل والتفكر والتدبر:

١ـ تُشْهِدُهُ الآخرة حتىٰ كأنَّه فيها.

٢ـ وتغيبه عن الدنيا حتىٰ كأنَّه ليس فيها.

٣ـ وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فتُرِيه الحق حقًّا والباطل باطلاً، وتعطيه فرقانًا ونورًا يفرق به بين الهدىٰ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٧٥ـ٤٧٧).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٢٥) (٧٦٣).
(٣) صحيح البخاري ـ الفتح (٨/ ٢٥٠)، (٤٥٨٢).
(٤) الدر المنثور (٨/ ٥٩).

والضلال، والغني والرشاد.

٤ـ وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن والناس في شأن آخر.

فإنَّ معاني القرآن دائرة علىٰ التوحيد وبراهينه، والعلم بالله وماله من صفات الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، وعلىٰ الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم، وأدلة صحة نبوتهم، والتعريف بحقوق مرسلهم، وعلىٰ الإيمان بملائكته، وهم رُسُلُه في خلقه وأمره وتدبيرهم الأمور بإذنه ومشيئته، وما جعلوا عليه من أمر العالم العلوي والسفلي، وما يختص بالنوع الإنساني منهم، من حين يستقر في رحم أمه إلىٰ يوم يوافي ربه ويقدم عليه وعلىٰ الإيمان باليوم الآخر، وما أعدالله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق التي لا يشعرون فيا بألم ولا نكد ولا تنغيص، وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل التي لا يخالطها سرور ولا راحة ولا فرح، وعلىٰ تفصيل ذٰلك أتم تفصيل وأبينه، وعلىٰ تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص، والأمثال، والأسباب والحكم، والمباديء والغايات، في خلقه وأمره، فلا تزال معانيه تُنهض العبد إلىٰ ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه علىٰ التَضَمُّرِ والتَّخفُّفِ للقاء اليوم الثقيل وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلىٰ سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل وتبعثه علىٰ الازدياد من النعيم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في الفناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق، والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب العقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته، وونىٰ في سيره، تقدم الركبُ وفاتك الدليل، اللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل، وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر فاعتصم بالله، واستعن به، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل.

وفي تأمل القرآن وتدبره، وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد[(١)].

٥ـ أنَّ التأمل في المخلوقات أساس في معرفة التسخير الكوني الذي أودعه الله فيه فضلاً عن أنَّه عبادة، فمعرفة الإنسان لهٰذا التسخير تساعده علىٰ معرفة أسرار المادة وكيفية الإفادة منها في تحقيق الخلافة لله في الأرض وعمارتها، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾

(١) مدارج السَّالكين (١/ ٤٨٥ـ ٤٨٧).

[الجاثية، الآية: ١٣].

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: استعينوا علىٰ الكلام بالصمت، وعلىٰ استنباط بالفكر.

وقال أيضًا: «صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم، والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم»[1].

٦ـ أنَّه يورث للعبد الخوف والخشية من الله تعالىٰ مما يكون سببًا في لحاقة بالأبرار من العلماء.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر، الآية: ٢٨].

---

(١) الإحياء (٤/٤٢٥).

ثالثًا: الخوف:

الخوف لغة: الذُّعر والفَزَع[1].

واصطلاحًا: توقع حلول مكروه أو فوات محبوب[2] وذٰلك يعني الخروج عن سكون الأمن، باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد[3] قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم، الآية: ١٤].

قال أبوعمر الدمشقي ـ رحمه الله ـ: حقيقة الخوف ألا تخاف مع الله أحدًا[4].

أنواعه: الخوف نوعان:

الأول: الخوف المحمود، وهو ما حجزك عن محارم الله[5].

فإن زاد، على ذٰلك بحيث صار باعثًا للنفوس علىٰ التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتقلل من فضول المباحات، كان ذٰلك فضلاً محمودًا وهٰذه الزيادة صفة المحسنين في خوفهم من الله ومن عقوبته.

الثاني: الخوف المذموم، وهو ما زاد علىٰ ذٰلك بأن أورث مرضًا أو موتًا، أو همًّا لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عزَّوجل فإذا صار كذلك لم يكن محمودًا[6].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة»**[7].

منزلة الخوف من الدين:

أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله ـ عزَّوجل ـ وكل قلب ليس فيه خوف فهو مخدوع[8].

قال إبراهيم التيمي ـ رحمه الله ـ: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأنَّ أهل الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٠).

(٢) التعريفات (١٠١).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٧٧).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٢٠٨).

(٥) مدارج السَّالكين (١/ ٥٥١).

(٦) انظر التخويف من النَّار لابن رجب (٤٥).

(٧) سنن الترمذي (٤/ ٦٣٣) (٢٤٥٠) وقال هذا حديثٌ حسنٌ غريب. وصحَّحه الحاكم (٤/ ٣٠٧، ٣٠٨) ووافقه عليه الذهبي.

(٨) التخويف من النار (٧).

[فاطر، الآية: ٣٤] وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنَّهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[١] [الطور، الآية: ٢٦].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: إنَّ الخوف من المقامات العالية، وهو من لوازم الإيمان قال تعالىٰ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٥] وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة، الآية: ٤٤] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر، الآية: ٢٨]، وقا ل ﷺ: «**لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**»[٢] وكلما كان العبد أقرب إلىٰ ربه كان أشد له خشية فَمَنْ دونه، وقد وصف الله تعالىٰ الملائكة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل، الآية: ٥٠] والأنبياء بقوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب، الآية: ٥٠] وإنَّما كان خوف المقربين أشد، لأنَّهم يُطَالَبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة، ولأنَّ الواجب لله منه الشكر علىٰ المنزلة فيضاعف تلك المنزلة. ولأنَّ الواجب لله منه الشكر علىٰ المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيمًا فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال، الآية: ٣٤] أو نقصان الدرجة بالنسبة، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله، وينفعه ذٰلك مع الندم والإقلاع، فإنَّ الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها، وأن يحرم التوبة أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له[٣].

المخوفات:

مما جاء في السنة النبوية أنَّ النبيَّ ﷺ تخوف علىٰ أمته من خصال منها: حيف الأئمة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر[٤]، وإمارة السفهاء، وسفك الدم، وبيع الحكم، وقطيعة الرحم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير، وكثرة الشرط[٥] والدنيا[٦]، وعمل قوم لوط[٧]والشرك الأصغر وهو

---

(١) التخويف من النار (١٦).

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٩/٢) (٢٣٥٦) .

(٣) فتح الباري (١١/ ٣١٣).

(٤) انظر: حديث أبي محجن رضي الله عنه أخرجه ابن عساكر (٥٨/ ٤٠١) (١٢١٥٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٠٣) (٢١٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٥٧) (١٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٠٣) (٢١٦) من رواية عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٦) انظر: حديث عوف بن عمرو رضي الله عنه عند البخاري في صحيحه، الفتح (١١/ ٢٤٣) (٦٤٢٥).

(٧) انظر: حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن ابن ماجه في السنن (٢٥٦٣) وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٧٧).

الرياء[1] وتقاتل المسلمين، وادعاء النبوة، وردة قبائل العرب[2] وآفات اللسان[3].

ضرورة التوازن بين الخوف والرجاء:

الخوف والرجاء للعبد في سيره إلىٰ الله تعالىٰ بمثابة الجناحين للطائر يستحيل طيرانه بدونهما أو بأحدهما دون الآخر، فالخوف سائق والرجاء قائد، فمن عبدالله بالخوف دون الرجاء وقع في القنوط ومن عبدالله بالرجاء دون الخوف وقع في الأمن من مكر الله وعقوبته والسلامة الاعتدال بالأخذ من كلٍّ بِطَرف بما لا يطغىٰ علىٰ الآخر فيفسده.

قال أبوحفص ـ رحمه الله ـ: الخوف سوط الله يُقَوِّمُ به الشاردين عن بابه»[4].

وقال: «الخوف سراج في القلب يبصر به ما فيه من الخير والشر»[5].

وقال إبراهيم بن سفيان ـ رحمه الله ـ: «إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد الدنيا عنه»[6].

قال أبوعلي الروذباري ـ رحمه الله ـ: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت»[7].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦] والدعاء نوع من العبادة واشتراط الله لقبوله استواءُ الخوف والطمع الذي هو الرجاء في ما عندالله تعالىٰ وعبَّر سبحانه وتعالىٰ عن الاستجابة بالرحمة وأفاد سبحانه وتعالىٰ أنَّ رحمة الله وهي حصول المدعو به قريبة من المحسنين الذين تحقق فيهم استواء الخوف والرجاء في العبادة.

الخوف صفة المحسنين:

قال الله تعالىٰ عن إمام المحسنين محمَّد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ

---

(١) انظر: حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أخرجه البغوي في شرح السنَّة (١٤/ ٣٢٤) وقال المنذري رواه أحمد بإسناد جيد (١/ ٩٨،٦٩).

(٢) انظر: حديث ثوبان رضي الله عنه عند مسلم (٣/ ٢٢١٥) (٢٨٨٩).

(٣) انظر: حديث سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه عند الترمذي (٤/ ٦٠٧) (٢٤١٠) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٠٨).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٧٧).

(٥) المرجع السَّابق.

(٦) المرجع السَّابق.

(٧) مدار السالكين (١/ ٣٧).

﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر، الآية: ١٣] وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر، الآية: ٩، ١٠] وقال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج، الآية: ٣٤، ٣٥] إلىٰ قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج، الآية: ٣٧].

والمخبتون: هم الخائفون كما قال الأخفش[(١)] وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم[(٢)] وقال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن، الآية: ٤٦].

ثم ألحق تعالىٰ بعد آيات بقوله جلَّ ذكره: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن، الآية: ٦٠] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون، الآية: ٥٧ ـ ٦١].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هٰذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ولا يسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولٰكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولٰئك الذين يسارعون في الخيرات»[(٣)].

والمسارعون في الخيرات هم المحسنون.

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الخوف:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق الإحسان في خوفه من الله تعالىٰ ومن عقوبته وذٰلك بأن يستشعر عظمة الله تعالىٰ وجلاله، وكبرياءه وجبروته: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر، الآية: ٦٧] وكذٰلك يستشعر أخذه جلَّ وعلا للأمم الكافرة بمثل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ

---

(١) مدارج السّالكين (٢/ ٦).
(٢) مدارج السّالكين (٢/ ٦).
(٣) سنن الترمذي (٥/ ٣٢٧) (٣١٧٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٧).

﴿ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [هود، الآية: ١٠٢، ١٠٣] ويتأمل كذٰلك فيما يحدثه تعالىٰ في الكون من آيات يخوف بها عباده بمثل قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود، الآية: ١٢، ١٣] ويستشعر كذٰلك ما أخبر به الله تعالىٰ عن شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه وما فيها من النكال، وما حوت من السلاسل والأغلال والزقوم والضريع وغيرها من عظائم الأهوال، بمثل قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر، الآية: ١٥، ١٦] ثم ينظر في سير الخائفين من عباده المقربين مع سبقهم في الطاعات واستكثارهم من المستحبات كيف كانوا من الله على أشد الخوف قال تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام، الآية: ٩٠] فإذا حصل له ذٰلك العلم ثم غلب علىٰ قلبه حالة كأنه ينظر إلىٰ الجبار غاضبًا علىٰ العصاة والملائكة تسوقهم علىٰ وجوههم إلىٰ السعير أحدث ذٰلك كله في نفسه ذعرًا وفزعًا يعرف به قبح جنايته والتصديق بالوعيد عليها مما يحمله علىٰ أداء الفرائض، والنوافل، واجتناب المحارم والمكروهات، وترك ما يلهي من المباحات علىٰ وجه الإتقان التام، والإخلاص الكامل لله تعالىٰ مع شدة الوجل ألا تقبل منه، فقد حق له أنْ يكون من المحسنين في خوفه من الله تعالىٰ.

ثمرة الخوف:

١ـ أنَّه دليل صادق علىٰ تحقق الإيمان.

قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: «إنَّ المؤمن يرىٰ ذنبه كأنه جالس في أصل جبل يخشىٰ أن ينقلب عليه، وإنَّ الفاجر يرىٰ ذنوبه كذباب مرَّ علىٰ أنفه فقال به هٰكذا»[1].

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «والله ما مضىٰ مؤمن ولا بقي إلاَّ وهو يخاف النفاق، وما أمنه إلاَّ منافق»[2].

٢ـ أنَّ من خاف الله في الدنيا أخاف منه كل شيء.

قال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء»[3] قال يحيىٰ بن معاذ

---

(١) شرح السنَّة للبغوي (١٤/٣٧٣)

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١/١١١).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٣/٢٠٦)

ـ رحمه الله ـ: «علىٰ قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلىٰ قدر خوفك من الله يهابك الخلق»[1].

٣ـ أنّه يورث الزهادة في الدنيا:

بكىٰ أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ: في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «أما إني لا أبكي علىٰ دنياكم هٰذه، ولٰكن أبكي علىٰ بُعْدِ سفري وقِلَّةِ زادي، وإني أمسيت في صعود علىٰ جنةٍ أو نارٍ لا أدري إلىٰ أيتهما يؤخذُ بي»[2].

٤ـ أنّه يحمل علىٰ الإتقان والإخلاص لله تعالىٰ».

قيل للحسن بن صالح ـ رحمه الله ـ: إنَّ سفيان يقول: ليتني لم أسمع من هٰذا العلم بشيء، قال الحسن: ولِمَ؟ قال أبومحمد: «كانوا يتخوفون من أفضل أعمالهم»[3].

٥ـ الأمن في الآخرة والفوز بالجنة.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله... [ومنهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله...**»[4].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات، الآية: ٤٠، ٤١].

---

(١) المرجع السَّابق (٣/ ٢٠٩).

(٢) شرح السنَّة للبغوي (١٤/ ٣٧٣).

(٣) الجرح والتعديل للرَّازي (١/ ٦٢).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٣/ ٢٩٣) (١٤٢٣).

رابعًا: الخشية:

الخشية لغة: مصدر خشيَ وهو مأخوذ من مادة (خ ش ي) التي تدل علىٰ خوف وذُعرٍ، وقد تستعمل مجازًا في معنىٰ العلم[1].

اصطلاحًا: هي خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذٰلك عن علم بما يُخشىٰ منه، ولذٰلك خصَّ الله العلماء بها في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [2][فاطر، الآية: ٢٨].

الفرق بين الخشية والخوف:

يقول الكفوي ـ رحمه الله ـ: الخشية أشد من الخوف؛ لأنَّها مأخوذةٌ من قولهم شجرة خاشية أي يا بسة وهو مواتٌ بالكلية والخوف النقص مطلقًا من قولهم ناقَة خوفاء أي بها داء وليس بِفواتٍ، ولذٰلك خصت الخشية بالله في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الرعد، الآية: ٢١] والخشية تكون من عِظم المَخْشِيِّ، وإن كان الخاشي قويًا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخُوف أمرًا يسيرًا.

وأيضًا فإنَّ أصل الخشية خوفٌ مع تعظيم، ولذٰلك خُصَّ بها العلماء في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3] [فاطر، الآية: ٢٨] .

الإحسان والخشية:

جاء في بعض روايات حديث جبريل ـ عليه السلام ـ: عندما سأل الرسول الله ﷺ عن الإحسان؟ فقال: «**أن تخشىٰ الله كأنَّك تراه، فإنَّك إن لا تكن تراه فإنَّه يراك**» قال: صدقت[4].

الأمر بالخشية:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان، الآية: ٣٣] .

الخشية صفة أحسن الناس:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

---

(١) مقاييس اللغة: (٢/ ١٨٤).

(٢) المفردات: (١٤٩).

(٣) الكليات (٢/ ٣٠٢).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤٠) (١٠).

بمعنىٰ أحسن.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ وذكر الحديث بطوله قال: قال ﷺ: «. . . والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»[1].

من علامات الخشية:

ما ذكره الله تعالىٰ من اقشعرار الجلود عند تلاوة القرآن ولينها قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر، الآية: ٢٣].

تحقيق الإحسان في صفة الخشية:

يتحقق الإحسان في صفة الخشية بأن يخاف المؤمن ربه تعالىٰ تعظيمًا لحقه عليه أشد الخوف والتعظيم حتىٰ لكأنَّه يرىٰ ربه تعالىٰ حالة خشيته إياه.

ثمرات الخشية:

١ ـ أنَّها دليلٌ صادقٌ على صلاح القلب.

٢ـ أنَّها تبعد عن معاصي الله تعالىٰ.

٣ـ أنَّها سببٌ في الأمن يوم القيامة والفوز بالجنَّة.

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (٩/ ١٠٤) (٥٠٦٣).

خامسًا: علو الهمة:

العلو لغة: مصدر مأخوذ من مادة (ع ل و) التي تدل علىٰ السمو والارتفاع [1].

والهمة لغة: ما هم به من أمر ليفعله وهم بالشيء: نواه [2]

علو الهمة اصطلاحًا: هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور [3].

مكانتها: إنَّ علو الهمة أساس الخير، وعنوان الجد، وهو من أعظم الخصال المحبوبة لله تعالىٰ:

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ : **إنَّ الله عزَّوجل كريم، يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويبغض سفسافها»** [4].

قال الماوردي ـ رحمه الله ـ: اعلم أنَّ من شواهد الفضل، ودلائل الكرم: المروءة التي هي حلية النفوس، وزِيْنَةُ الهِمَمِ.

ومن حقوق المروءة وشروطها، ما لا يتوصل إليه إلاَّ بالمعاناة، ولا يوقف عليه إلاَّ بالتفقد والمراعاة، فثبت أنَّ مراعاة النفس أفضل أحوالها هي المروءة، وإذا كانت كذٰلك، فليس ينقاد لها مع ثقل كُلفها، إلاَّ من تسهلت عليه المشاق، رغبة في الحمد، وهانت عليه الملاذ حذرًا من الذم، ولذٰلك قيل: سيد القوم أشقاهم.

وقال الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبارًا   تعبت في مرادها الأجسام

والداعي إلىٰ استسهال ذٰلك شيئان:

أحدهما: علو الهمة، والثاني: شرف النفس، أما علو الهمة، فلأنَّه باعث في التَّقدم، وداع إلى التخصيص، أنفة من خمول الضعة، واستنكارًا لمهانة النقص [5] وقال معاوية ـ رضي الله عنه ـ لعمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: «من طلب عظيمًا خَاطَر بعظيمته» وكان عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ يقول: عليكم بكل أمر مزلقة مهلكة، أي عليكم بجسام الأمور [6].

ميادين علو الهمة:

إذا كان علو الهمة بهٰذه المكانة فإنَّ ذٰلك ينصرف إلىٰ التخصص

---

(١) المقاييس (٤/ ١٢٠).

(٢) لسان العرب (١٢/ ٦٢٠ـ ٦٢١).

(٣) وسائل الإصلاح للخضر حسين (٥٧).

(٤) مستدرك الحاكم (١/ ١١١) (١٥١) وسكت عنه الذهبي وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣/ ٣٦٦) (١٣٧٨).

(٥) أدب الدنيا والدِّين (٣٠٦ـ٣٠٧).

(٦) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٣٣٥).

بأحكام الشريعة ومكارمها علمًا وعملاً وأعلاها مرتبة الإحسان مع عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها، فلا يتحرىٰ الفضائل لأجل جَاهٍ أو ثروة أو لذة، أو استشعار نخوة واستعلاء على البرية، بل يتحرىٰ مصالح العباد شاكرًا بذلك نعمة الله متوخيًا به مرضاته حتىٰ لكأنَّه يراه سبحانه وتعالىٰ علىٰ الحقيقة غير مكترث بقلة مصاحبيه فإنَّه إذا عظم المطلوب قَلَّ المساعد، وطُرُق العلاَءِ قليلة الإيناس[1] قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص، الآية: ٨٣] وهـٰذه هي مرتبة الإحسان في منزلة علو الهمة خلافًا لمن رضي بالهمة الدون، كمن كان حيواني الهمة همُّه فرجه وبطنه، أو من تقطعت همته دون المعالي، ورضي بما يشترك فيه عامة الناس من الفضائل اليسيرة دون أشرافهم.

قيل للقبابي ـ رحمه الله ـ: فلان بعيد الهمة، قال: إذن لا يكون له غاية دون الجنة[2].

عن دكين الرَّاجز ـ رحمه الله ـ قال: «أتيت عمر بن عبدالعزيز بعد ما استخلف أستنجز منه وعدًا كان وعدنيه وهو والي المدينة فقال لي: يا دكين، إنَّ لي نفسًا تواقة، لم تزل تتوق إلىٰ الإمارة، فلما نلتها تاقت إلىٰ الخلافة، فلما نلتها تاقت إلىٰ الجنة[3].

صور من علو الهمة:

عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيتُ عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارىٰ، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعلَّ الله أن يرزقني الشهادة، قال: فَعُرِض علىٰ رسول الله ﷺ فردَّه، فبكىٰ فأجازه، فكان سعد ـ رضي الله عنه ـ يقول: فكنت أعقد حَمَائِلَ سيفه من صغره فقتل، وهو ابن ست عشرة سنة[4].

عن عبادة بن عبدالله بن الزبير عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة، قال: والله لكأني أنظر إلىٰ جعفر ـ رضي الله عنه ـ حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتىٰ قُتِل وهو يقول:

يا حبذًا الجنة واقترابها   طيبة وبارد شرابها

---

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩١)، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٤٣).

(٢) عيون الأخبار (١/ ٣٣٧).

(٣) المصدر السَّابق (١/ ٣٣٤).

(٤) الإصابة (٥/ ٣٦) وقال الهيثمي أخرجه البزَّار ورجاله ثقات (٦/ ٦٩).

والروم روم قد دنا عذابها كـــافـــرة بعيـــدة أنســـابهـــا

عليَّ إذْ لا قيتها ضرابها[1]

ثمرات علو الهمة:

إنَّ هـٰذا الخلق الفاضل يسمو بصاحبه فيتوجه به إلىٰ النهايات من معالي الأمور:

فهو الذي ينهض بالضعيف يضطهد أو يزدري، فإذا هو عزيز كريم.

وهو الذي يرفع القوم من سقوط، ويبدلهم بالخمول نباهة، وبالاضطهاد حرية، وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية[2]

وهو الذي يترقىٰ بصاحبه من خلق فاضل إلىٰ أفضل حتىٰ يصف بقدمه مع القِلَّةِ الأخيار أهل الحظوة والقرب من الله تعالىٰ.

إنَّنا بحاجة اليوم إلىٰ همم عالية كمثل هـٰذه الهمم السامية ترفع عن المسلمين ضعتهم، وتضرب لهم القدوة الحسنة، ممَّا يعيد للأمة مكانتها في القيادة والتربية الربانية للعالم أجمع، فلا يكفي أن نتغنَّىٰ بأمجاد الآباء إن لم نسلك دروبهم وإن كانت صعبة المسارب.

---

(١) الحلية لأبي نعيم (١/ ١١٨).

(٢) انظر: وسائل الإصلاح للخضر حسين (٨٥) وما بعدها.

سادسًا: العزم:

العزم لغة: مصدر مأخوذ من مادة (ع ز م) التي تدل علىٰ الصَّريمة والقطع، وقال الخليل: ـ رحمه الله ـ العزم: ما عُقد عليه القلب من أمر أنت فاعله، وأولو العزم من الرسل ـ عليهم السلام ـ: هم الذين عزموا علىٰ أمر الله فيما عهد إليهم وهم نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمَّد ﷺ أجمعين[1].

واصطلاحًا:

قال الراغب ـ رحمه الله ـ: عقد القلب على إمضاء الأمر [2].

وقال الكفوي ـ رحمه الله ـ: هو القصد علىٰ إمضاء الأمر[3].

الفرق بين الهم والعزم:

أنَّ الهم هو اجتماع النفس علىٰ الأمر، والإزماع عليه.

والعزم: هو القصد على إمضائه، فالهم دون العزم، وهو أول العزيمة[4] قال الله تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٩].

مكانة العزم:

إنَّ العزم من الخصال الحميدة التي أمر الله تعالىٰ بها رسوله عليه الصلاة السلام كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاق، الآية: ٣٥] وهو وصية الأولياء والصالحين لأبنائهم كما حكىٰ الله تعالىٰ عن لقمان عليه السلام بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان، الآية: ١٧] وسيأتي أنَّ الرسول ﷺ كان يسأل الله تعالىٰ العزيمة علىٰ الرشد وفي هـٰذه دلالة علىٰ سمو مكانة هـٰذا الخلق الرفيع.

ميادين العزم:

يمكن أن يدخل العزم في كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو اعتقاد. ومما يحسن أن يعزم عليه ما جاء في القرآن الكريم:

١ـ العزم في المشاورة كما قال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٩].

٢ـ الصبر والتقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ

---

(١) مقاييس اللغة(٤/٣٠٨)، والصحاح (٥/١٩٨٥)، واللسان (٥/ ٢٩٣٢ـ ٢٩٣٣)، والمفردات (٥٦٥)، والمصباح (٤٠٨).

(٢) المفردات (٥٦٥).

(٣) الكليات (٦٩١).

(٤) انظر: الكليات (٦٩١).

﴿وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٨٦].

٣- إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالىٰ عن لقمان - عليه السلام -: في وصاته لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان، الآية: ١٧].

٤- المغفرة للمسيء كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ، الآية: ٤٣].

٥- التأني: كما قال تعالىٰ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف، الآية: ٣٥].

٦- الجهاد في سبيل الله: كما قال تعالىٰ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمَّد، الآية: ٢١].

قال ابن عاشور: والتعريف في الأمر تعريف للعهد، أو اللام عن المضاف إليه، أي أمر القتال[1].

وممَّا جاء في السنة النبوية مما يحسن العزم عليه:

١- العزيمة علىٰ الرشد:

عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - قال: إنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: «**اللَّهمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد، وأسألك شكر نعتمك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم**»[2].

٢- العزم في الدعاء:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدُكم فليعزم المسألة، ولا يقولنَّ اللهمَّ إن شئت فأعطني، فإنَّه لا مستكره له**»[3].

وفي قوله ﷺ: «**العزيمة علىٰ الرشد**» دعوة إلىٰ عموم الرشد من أعمال البرِّ قاطبة.

من صور العزم:

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ١١١).
(٢) سنن النسائي: (٣/ ٥٤) (١٣٠٤) وصحيح ابن حبَّان (الإحسان) (٢٤١٦).
(٣) صحيح البخاري الفتح(١١/ ١٣٩) (٦٣٣٨).

ما جاء عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحوالصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو علىٰ فرس لأبي طلحة عُري وفي يده السيف وهو يقول: «لم تُراعُوا لمْ تراعوا»، ثم قال: «وجدناه بحرًا» أو قال: «إنَّه لبحر»[1].

ومن ذٰلك ما روىٰ عن أبي محجن الثقفي ـ رضي الله عنه ـ لا يزال يجلد في الخمر فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه، فلما كان يوم القادسية رآهم يقتتلون، فكأنَّه رأىٰ أنَّ المشركين قد أصابوا من المسلمين، فأرسل إلىٰ أم ولد سعد أو إلىٰ امرأة سعد يقول لها: إنَّ أبا محجن يقول لك: إن خليت سبيله وحملته علىٰ هٰذا الفرس ودفعت إليه سلاحًا، ليكون أول من يرجع إليك إلاَّ أن يقتل، وأنشأ يقول:

كفىٰ حزنًا أن تلتقي الخيل بالقنا ... وأتــرك مشــدودًا علــيَّ وثــاقيــا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصــارع دونــي قــد تصــم المنــاديــا

فذهبت الأخرىٰ، فقالت ذٰلك لا مرأة سعد. فخلت عنه قيوده، وحُمل علىٰ فرس كان في الدار وأعطىٰ سلاحًا ثم خرج يركض حتىٰ لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل علىٰ رجُلٍ فيقتله ويَدُقُّ صلبه؟! فلم يلبثوا إلاَّ يسيرًا حتىٰ هزمهم الله. ورجع أبومحجن ـ رضي الله عنه ـ ورد السلاح، وجعل رجليه في القيود كما كان. فجاء سعد ـ رضي الله عنه ـ فقالت له امرأته أو أم ولده: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها، ويقول: لقينا ولقينا، حتىٰ بعث الله رجلاً علىٰ فرس أبلق، لولا أني تركت أبا محجن في القيود لظننت أنَّها بعض شمائل أبي محجن، فقالت: والله إنَّه لأبومحجن، كان من أمره كذا وكذا، فقصت عليه قصته، فدعا به وحلَّ قيوده قال أبومحجن ـ رضي الله عنه ـ أنَّا والله لا أشربها أبدًا كنتُ آنف أن أدعها من أجل جَلْدِكم، قال: فلم يشربها بعد ذٰلك[2].

ومن شدة عزائم الصحابة في طلب العلم، ما جاء عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب يهود، قال: «إني والله ما آمن يهود علىٰ كتاب» قال: فما مرَّ بي نصف شهر حتىٰ تعلمته له، قال: «فلما تعلمته كان إذا كتب إلىٰ يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»[3].

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٨٠٢) (٢٣٠٧).

(٢) الاستيعاب(٤/ ١٨٤)، والإصابة: (٤/ ١٧٤).

(٣) سنن الترمذي: (٥/ ٦٧) (٢٧١٥) وقال حديثٌ حسنٌ صحيح. وكذا قال الألباني في =

من ثمرات العزم:

١ـ أنَّه خير معين علىٰ بلوغ معالي الأمور.

٢ـ أنه دليل على صدق التوجه.

٣ـ أنه يحقق النصر ويرجح كفة الحق.

تحقيق مرتبة الإحسان في العزم:

يمكن للمرء المسلم أنْ يُحقِّق مرتبة الإحسان في العزم؛ وذلك بأن يعقد قلبه بقوة على إمضاء كل أمرٍ صالح دونما تأخير أو استجابة لشهوة الراحة والدعة والكسل أو تثبيطات الشيطان وتخذيل جنده والمسلم على حاله من الإخلاص وشدَّة نية الإتقان وكأنَّه تبصر إلى الله تعالىٰ.

= صحيح الترمذي (٢/ ٣٤٩) (٢٨٧٠).

سابعًا: التوكل:

التوكل لغة:

التَّوكل مصدر توكَّلَ يَتَوَكَّلُ وهو مأخوذ من مادة (و ك ل) التي تدل علىٰ اعتماد علىٰ الغير في أمرٍ ما، ومن ذٰلك التَّوَكُّلُ وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد علىٰ غيرك[1].

واصطلاحًا: صدق اعتماد القلب علىٰ الله عزَّوجل في استجلاب المصالح ودفع المضارِّ، من أمور الدنيا والآخرة، وكلةُ الأمور كلِّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنَّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضُرُّ ولا ينفع سواه[2].

وقال الجرجاني ـ رحمه الله ـ التوكل هو الثقة بما عندالله واليأس عما في أيدي الناس[3].

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولٰكن من تمام التوكل: عدم الركون إلىٰ الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب مَحلُّ حكمة الله وأمره ونهيه، والتوكل متعلقٌ بربوبيته وقضائه وقدرته، فلا تقوم عبودية الأسباب إلاَّ علىٰ ساق التوكل، ولا يقوم ساقُ التوكل إلاَّ علىٰ قدَم العبودية[4].

الفرق بين التوكل والتواكُل أو الاتِّكال:

أنَّ التوكل الأخذ بالأسباب، وقطع علاقة القلب بها، والاتكال ترك الأسباب الموصلة إلىٰ المراد وعدم الأخذ بها.

الفرق بين التوكل والتفويض:

لو قال قائل: التوكل فوق التفويض وأجل منه وأرفع لكان مصيبًا ولهٰذا كان القرآن الكريم مملوءًا به أمرًا وإخبارًا عن خاصة الله وأوليائه، وصفوة المؤمنين وأمر الله به رسوله في مواضع عديدة من كتابه وسماه المتوكل [يعني الرسول ﷺ].

أما التفويض فلم يجيء في القرآن الكريم إلاَّ فيما حكاه المولىٰ

---

(١) انظر: مقاييس اللغة(٦/ ١٣٦).

(٢) جامع العلوم والحكم(٤٠٩).

(٣) التعريفات(٧٤).

(٤) مدارج السَّالكين(٢/ ١٢٥).

عزَّوجل عن مؤمن آل فرعون، وذٰلك قوله عزَّ وجل: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر، الآية: ٤٤] ومن يفوض أمره إلىٰ الله يتبرأ من الحول والقوة، ويفوض الأمر لصاحب الأمر من غير أن يقيم المُفوَّض إليه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التوكل، فإنَّ الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكل، وهو بذٰلك أوسع من التفويض، وأعلىٰ وأرفع[1].

الفرق بين التوكل والثقة بالله عزَّوجل: .

الثقة خلاصة التوكل وُلبُّهُ، أما العلاقة بين الثقَة والتفويض فتتلخص في أنَّ الثقة هي التي يدور عليها التفويض والتوكل يشمل ذٰلك كله[2] [يعني الثقة والتفويض].

المحسنون والتوكل:

أخبر الله تعالىٰ عن جملة الأنبياء وأبان عن إحسانهم ومن جملة ما أحسنوا فيه التوكل الحق علىٰ ربهم ومنهم:

١ـ نوح ـ عليه السلام ـ قال الله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الصافات، الآية: ٧٩، ٨٠] وعن توكله يقول تعالىٰ: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس، الآية: ٧١].

٢ـ إبراهيم عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصافات، الآية: ١٠٩، ١٠٠]، وعن توكله يقول تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

٣ـ موسىٰ ـ عليه السلام ـ: قال الله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الصافات، الآية: ١٢٠، ١٢١] وقال عن توكله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر، الآية: ٤٤]، وكان يأمر قومه بالتوكل كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس، الآية: ٨٤، ٨٥].

٤ـ محمَّد ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٤٥).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٤٩، ١٥٠).

﴿ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر، الآية: ٣٣، ٣٤].

وعن توكله ﷺ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورىٰ ، الآية: ١٠].

ثمرات التوكل:

١ـ أنه من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب.

٢ـ أنه دليل صادق على إيمان المرء بربه تعالى.

٣ـ أنه يحدث في القلب راحة بأن النافع والضار حقيقة هو الله تعالى.

٤ـ أن صدق التوكل على الله تعالى يلحق صاحبه بمنزلة المقربين من الله جل وعلا.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التوكل:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق الإحسان في توكله وذٰلك بأن يأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة الموصلة إلىٰ المراد مع عدم الركون إليها واستفراغ القلب منها بصدق اعتماده علىٰ الله عزَّوجل في استجلاب ما ينفعه ودفع ما يضره من أمور الدنيا والآخرة حتىٰ يتيقن أنَّه لايعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه تعالىٰ يفعل ذٰلك كله وحالُهُ كأنَّه ينظر إلىٰ الله تعالىٰ حال توكله عليه.

ثامنًا: الاعتصام:

تعريفه لغة:

يقول ابن فارس ـ رحمه الله ـ: «العين والصاد والميم أصل واحد، صحيح يدل علىٰ إمساك ومنع وملازمة، والمعنىٰ في ذٰلك كله معنىٰ واحد من ذٰلك العِصْمَةُ: أن يعصم الله تعالىٰ عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالىٰ: إذا امتنع، واستعصم التجأ...»[1].

والاعتصام: الاستمساك بالشيء[2].

تعريفه اصطلاحًا:

هو اجتماع المسلمين علىٰ الاستعانة بالله، والوثوق به، وعدم التفرق عنه، والاجتماع علىٰ التمسك بعهده علىٰ عباده، وهو الإيمان والطاعة، أو الكتاب [والسنة][3].

أنواع الاعتصام:

الاعتصام نوعان:

الأول: اعتصام بالله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج، الآية: ٧٨].

ومعناه: التوكل علىٰ الله، والامتناع به، والاحتماء به، وذٰلك بسؤاله أن يحمي عبده ويمنعه ويعصمه ويدفع عنه الوقوع في الهلكة[4].

ومن هٰذا النوع ما حصل لنبي الله المحسن يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما استعصم بالله تعالىٰ من الوقوع في كبير امرأة العزيز ومراودتها إياه علىٰ الفاحشة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف، الآية: ٢٢] ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف، الآية: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿۞وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ

---

(١) مقاييس اللغة(٤/ ٣٣١).

(٢) لسان العرب(١٢/ ٤٠٤).

(٣) انظر: تفسير الكشّاف للزمخشري: (١/ ٢٠٦).

(٤) انظر: مدارج السالكين(١/ ٤٩٥، ٤٩٧).

وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف، الآية: ٣٢-٤٣].

ووجه الدلالة أنَّ الله تعالىٰ نعت يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالإحسان وأبان عن صفاته ومنها صفة العفاف والاستعصام به تعالىٰ من الوقوع في الفاحشة يؤيد ذٰلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم، الآية: ٣١، ٣٢] والزنا فاحشة كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [يونس، الآية: ٣٢].

ثمرة الاعتصام بالله تعالىٰ:

الدفع عن العبد المحسن إذا اعتصم به كل سبب يفضىٰ به إلىٰ العطب، ويحميه منه فيدفع عنه الشبهات والشهوات، وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقاده، بحس قوة الاعتصام به وتمكنه، فَتُفْقَدُ في حقه أسباب العطب، فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها(١).

النوع الثاني: الاعتصام بحبل الله:

ومعناه: التمسك بالكتاب والسنة واتباعهما باطنًا وظاهرًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٣].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٩٥، ٤٩٧).

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «. . . تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله. . .»[1].

ثمرة الاعتصام بحبل الله:

النجاة من الضلال، فإنَّ السائر إلىٰ الله تعالىٰ كسائر علىٰ طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلىٰ هداية الطريق، والسلامة منها، فلا يصل إلىٰ مقصده إلاَّ بعد حصول هٰذين الأمرين:

فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة وأن يهديه إلىٰ الطريق، والعُدَّة والقوَّة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها.

فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، . والاعتصام بالله يوجب له القوة والعُدَّة والسلاح، والمادة التي يسلم بها وعلىٰ الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله مدار السعادة الدنيوية والأخروية، ولا نجاة إلاَّ لمن تمسك بهما[2] فإنَّهما يهديان إلىٰ صراط الله المستقيم الذي هو صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين الذين هم أهل مرتبة الإحسان قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٠١] وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء، الآية: ١٧٥].

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء، الآية: ٦٩].

الاعتصام صفة للمحسنين:

والاعتصام صفة لازمة للمحسنين: كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف، الآية: ٤٣].

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الاعتصام:

يمكن للمسلم أن يحقق الإحسان في هٰذه المنزلة وذٰلك بأن يفرغ قلبه من حوله وقوته ويتوكل على الله تعالى، ويمتنع به، ويحتمي بجنابه ويسأل الله تعالى بلسان الحال والمقال أن يحميه ويمنعه ويدفع عنه الوقوع في الهلكة، ويقبل على الاستمساك بالكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا، يفعل ذٰلك كله علىٰ حالة من الإتقان والإخلاص والافتقار وكأنَّه يرىٰ الله تعالىٰ يسأله وينطرح بين يديه مرة تلو مرة حتىٰ الممات.

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٨٨٦) (١٢١٨).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٩٥، ٤٩٧).

تاسعًا: الاتباع:

الاتباع لغة: مصدر اتبع المأخوذ من مادة (ت ب ع) وتدل هذه المادة على التلو والقفو ثم استعمل في العمل بمثل عمل الغير، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠] ثم استعمل في انتشار الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع فهو الائتمار(١).

واصطلاحًا: قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: الاتباع ما ثبت عليه الحجة، وهو اتباع كل ما أوجب عليك الدليلُ اتباعَ قَوْلِهِ، فالرسول ﷺ هو المثل الأعلى في اتباع ما أُمر به(٢).

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن الصحابة، ثم هو من بعد في التابعين مخيَّر(٢).

أنواع الاتباع:

ورد الاتباع في القرآن الكريم على ضربين:

الأول: مأمور به وجاء على صور عديدة منها:

أولاً: اتباع المولى عزّوجل:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس، الآية: ٣٥].

ثانيًا: اتباع الرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس، الآية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء، الآية: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف، الآية: ١٠٨].

ثالثًا: اتباع الهدى والرضوان وما أنزل الله من كتاب أو ارتضى من شريعة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم

---

(١) المقاييس (١/٣٦٢)، والصحاح (٣/١١٩٠)، واللسان(١/٤١٦)، (٤١٩). تفسير التحرير والتنوير (٧/٤٢٣).

(٢) نقلاً عن أضواء البيان (٧/٥٤٨).

﴿مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة، الآية: ١٥، ١٦] وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر، الآية: ١٨].

رابعًا: اتباع المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠].

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر**»(١).

الضرب الثاني: اتباع منهي عنه: وهو اتباع الهوىٰ والشيطان والظن والكفار والبدع وما أشبه ذٰلك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣].

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال: أتىٰ النبي ﷺ بكتاب أصابه بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: «أمتهوكون فيها ياابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أنَّ موسىٰ ﷺ كان حيًا ما وسعه إلاَّ أن يتبعني»(٢).

الاتباع صفة المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

صورة من الاتباع:

١ـ شدة اتباع الصحابة لرسول الله ﷺ في العلم:

عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: سُئِلَ عُمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن إملاص المرأة وهي التي يُضرب بطنُها فتُلقي جنينًا فقال: أيكم سمع من النبي ﷺ فيه شيئًا؟ فقلت: أنا فقال: ما هو؟ قلتُ: سمعت النبي ﷺ يقول: «**فيه غُرَّةٌ، عبدٌ أو أمة**» فقال: لا تبرح حتىٰ

---

(١) سنن الترمذي (٥/٦٠٩) (٣٦٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٣٤) (١٢٣٣).

(٢) مسند أحمد (٤/٣٧٦) (١٤٧٣٦) وحسنه الألباني كما في المشكاة (١/٦٣).

تجيئني بالمخرج فيما قلت»[1].

٢ ـ شدة اتباعهم ـ رضي الله عنهم ـ للرسول ﷺ في الأفعال والامتثال للحق علىٰ الفور.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: اتَّخذ النبي ﷺ خاتمًا من ذهب فاتَّخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي ﷺ: «**إني اتَّخذت خاتمًا من ذهب**» فنبذه، وقال: «**إني لن ألبسه أبدًا**» فنبذ الناس خواتيمهم»[2].

ثمرات الاتباع:

١ـ أنَّ الاتباع دليل محبة الله عزَّوجل ورسوله ﷺ.

٢ـ أنَّها سبب في مغفرة الذنوب. قال الله تعالىٰ: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[آل عمران، الآية: ٣١].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ «**يحببكم الله**» إشارة إلىٰ دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ، وفائدتها الاتباع، وثمرتها محبة الله عزَّوجل فإذا لم تحصل المتابعة فليست المحبة بحاصله، وقال أيضًا: وعلىٰ ذٰلك فإنَّه لا تنال محبة الله عزَّوجل إلاَّ باتباع الحبيب ﷺ[3].

٣ـ أنَّ الاتباع عصمة من الزيغ والضلال

قال محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ: كانوا يرون أنَّه على الطريق ما كان علىٰ الأثر.[4].

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الاتباع:

تتحقق مرتبة الإحسان في هٰذه المنزلة بأن يتبع المسلم الدليل من الكتاب والسنة قولاً وعملاً واعتقادًا وكأنه يرىٰ الله تعالىٰ ويسمع كلامه حينما يأمره أو ينهاه ويتبع الصحيح من السنة النبوية وكأنه حاضر مع الرسول ﷺ يراه ويسمع كلامه، يفعل ذٰلك كله علىٰ وجه الاتقان والإخلاص التام.

---

(١) صحيح البخاري (الفتح) (١٣/ ٢٩٨) (١٣١٧).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١٣/ ٢٧٤) (٧٢٩٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٢ـ٣٩).

(٤) سنن الدَّارمي (١/ ٦٦) (١٤٠).

عاشرًا: التواضع:

التواضع: لغة:

مصدر تواضع أي أظهر الضَّعَةَ، وهو مأخوذ من مادة (وَضَعَ) التي تدل علىٰ الخفض للشيء وحطه[1].

وقال الراغب ـ رحمه الله ـ: الوضع أعم من الحط[2].

وقال الجوهري ـ رحمه الله ـ: ووضع الرَّجلُ يَوْضُع ضَعَةً وضِعَةً أي صارَ وضيعًا، ووضع منه فلان أي حطَّ من درجته، والتواضع التذلل[3].

واصطلاحًا:

إظهار التَّنزُّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وفي الرسالة القشيرية، التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم[4].

ومن هٰذا يستفاد أنَّ صفة التواضع تكون سمة لمن أظهر الضَّعَةَ والذُّلَّ لله عزَّوجل ولرسوله ﷺ والمؤمنين، وإن كان المرء عزيزًا في نفسه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٥٤]

وممن يجب له التواضع في أسمي صورة الوالدان كما أمر الله به في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣، ٢٤].

أهمية التواضع وأنَّه من صفات المحسنين:

لأهمية هٰذا الخلق الكريم أمر الله تعالىٰ قدوة المحسنين وإمامهم محمَّد ﷺ به كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر، الآية: ٨٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء، الآية: ٢١٥].

ووصف سبحانه وتعالىٰ عباده المحبوبين إليه بالتواضع للمؤمنين في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ

---

(١) المقاييس (٦/١١٨).

(٢) المفردات (٥٢٥).

(٣) الصحاح (٣/١٣٠٠).

(٤) مدارج السالكين (٢/١٣٤)، فتح الباري (١١/٣٤١)، دليل الفالحين لابن علان (٣/٥٠).

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة، الآية: ٥٤].

وفي سورة لقمان ـ عليه السلام ـ أخبر الله تعالىٰ أنَّ الكتاب الحكيم هدىٰ ورحمةٌ للمحسنين، وأفاد سبحانه وتعالىٰ أنَّ من الإحسان ما وصىٰ به لقمان عليه السلام ابنه بوصايا تدخله في جملة المحسنين، منها التواضع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان، الآية: ١٨، ١٩].

ولما تحسر الكافرون لما رأوا العذاب أَنْ لم يكونوا من المحسنين ردَّ الله عليهم بأنهم لم يتواضعوا لشرع الله فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر، الآية: ٥٥].

صورة من التواضع:

١ـ حسن معاشرة النبي ﷺ لأصحابه ومواساته لهم:

عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ في خطبة له: «إنَّا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»(١).

٢ـ نهيه ﷺ أصحابه أن يُتَجَاوَزَ الحَدُّ في مدحه:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه سمع عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول علىٰ المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، فإنَّما أنا عبدٌ فقولوا عبدالله ورسوله**»(٢).

٣ـ من تواضع الصحابة ـ رضي الله عنهم: قال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ: «وجدنا الكرم في التقوىٰ، والغنىٰ في اليقين، والشرف في التواضع»(٣).

من ثمرات التواضع: .

١ـ ما شرف الله به أهله، وذلك بنسبتهم إليه جلَّ وعلا تشريفًا وتعظيمًا

---

(١) مسند أحمد (١/ ٥٣٢) (٥٠٤) وحسن إسناده أحمد شاكر، وذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٩) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٦/ ٤٧٨) (٣٤٤٥).

(٣) إحياء علوم الدِّين (٣/ ٣٤٣).

لهم جزاء تواضعهم حيث قال تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان، الآية: ٦٣]

٢ـ أنَّه من أفضل أنوع العبادة:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «**تفعلون أفضل العبادة: التواضع**»[١].

٣ـ أنَّه دليلٌ علىٰ كمال الرجولة والانتصار على الذات: قيل لعبدالملك ابن مروان ـ رحمه الله ـ: أي الرجال أفضل؟ قال: مَنْ تواضع من قُدْرةٍ، وزهد عن رغبة»[٢].

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التواضع: إذا انقاد المسلم لما جاء به الدين، ولم يُعَارِضْهُ بقول أو رأي، ولم يتَّهم له دليلاً ، ولم يخالفه في يسير، ورضي بأن يكون أخًا للمسلمين يقبل معاذيرهم، واستسلم للحق ولو من عدوه، وترك رأيه وعوائده في العبادة، ولم ير له علىٰ الله حَقًّا، مع كمال الإخلاص وهو علىٰ حال كأنه ينظر إلىٰ الله جلَّ وعلا يعامله بذلك فإنَّه حينئذٍ ولا ريب محسن في تواضعه.

---

(١) الزهد، لوكيع (٢/ ٤٦٣) وإسناده صحيح.

(٢) إحياء علوم الدِّين (٣/ ٣٤٢).

الحادي عشر: الزهد:

الزهد لغة:

قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ (الزاي، والهاء، والدال) أصل يدل علىٰ قِلَّةِ الشيء[1] وقال الراغب ـ رحمه الله ـ: والزاهد في الشيء: الراغب عنه[2].

اصطلاحًا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: الزهد المشروع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدَّار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها علىٰ طاعة الله[3]

حقيقة الزهد:

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة، وعلىٰ هٰذا صنف المتقدمون كُتُب الزهد، كالزهد لعبدالله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهنَّاد بن السَّري، ولغيرهم، ومتعلَّقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتىٰ يزهد فيها: وهي المال والصُّور، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله.

وليس المراد رفضها من المُلْكِ، فقد كان سليمان وداود ـ عليهما السلام ـ من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء مالهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر علىٰ الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ: من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير[4].

أقسام الزهد:

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الزهد أقسام:

١ـ زهد في الحرام: وهو فرض عين.

٢ـ زهد في الشبهات: وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا.

٣ـ وزهد في الفضول: وهو زهد فيما يغني من الكلام، والنظر، والسؤال، واللقاء، وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس، حيث تهون عليه نفسه في الله.

---

(١) المقاييس (٣/ ٣٠).

(٢) المفردات (٢٢٠).

(٣) الفتاوى (١٠/ ٢١).

(٤) مدارج الساكين (٢/ ١٣ـ١٤).

٤ـ وزهد جامع لذٰلك كُلِّه، وهو الزهد فيما سوىٰ ما عندالله، وفي كل ما يشغلك عن الله، وأفضل الزهد: إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ [(١)].

وسائل الزهد:

مما يساعد علىٰ بلوغ صفة الزهد ثلاثة أشياء:

١ـ علم العبد أنَّ الدنيا ظلٌّ زائل، وخيالٌ زائر، فهي كما قال تعالىٰ: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ [الحديد، الآية: ٢٠] وسماها الله متاع الغرور، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٨] ونهىٰ عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا مثل مصارعهم، وذم مَنْ رضي بها واطمأن إليها .

٢ـ علمه أنَّ وراءها دار أعظم منها قدرًا، وأجل خطرًا، وهي دار البقاء فالزهد فيها لكمال الرَّغبة فيها أعظم منها.

٣ـ معرفته وإيمانه الحق بأنَّ زهده فيها لا يمنعه شيئًا كُتب له منها، وأنَّ حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقْضَ له منها، فمتىٰ تيقن ذٰلك ثَلِجَ له صدره، وعلم أنَّ مضمونه منها سيأتيه.

فهٰذه الأمور الثلاثة تسهل علىٰ العبد الزهد في الدنيا، وتثبت قدمه في مقامه [(٢)].

الزهد والنفس البشرية:

قد أخبر جلَّ وعلا أنَّ النفس البشرية بطبعها ميالة إلىٰ الدنيا كما قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلىٰ، الآية: ١٦، ١٧] لذٰلك أمر الله رسوله ﷺ باطراحها والزهادة فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طٰه، الآية: ١٣١].

أهمية الزهد:

جاء التحذير من الركون إلىٰ الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها في آيات عدة تدل علىٰ أهميته منها قوله تعالىٰ عن قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن

---

(١) الفوائد (١١٨).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم (٢٥٤ـ ٢٥٥).

دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص، الآية: ٧٩ ـ٨٣] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس، الآية: ٧،٨]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[الشورىٰ، الآية: ٢٠].

الزهد صفة المحسنين:

قد أبىٰ الله تعالىٰ بلوغ عبد مرتبة الإحسان ما لم تثبت قدمه في مقام الزهد وإن كان العبد من آل الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٢٨، ٢٩].

وعن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال: أتىٰ النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دُلني علىٰ عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**»(١).

صور من الزهد:

١ـ عن عائشة زوج النبي ﷺ ـ رضي الله عنها ـ قالت: «لقد مات رسول الله وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»(٢).

٢ـ وعن عمرو بن الحارث ـ رضي اللهعنه ـ قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمةً ولا شيئًا، إلاَّ بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة»(٣).

٣ـ عن طارق بن شهاب ـ رحمه الله ـ قال: لما قدم عمر ـ رضي الله عنه ـ الشام، تلقاه الجنود، وعليه إزار وخُفَّان، وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء، فقالوا: يا أمير المؤمنين، يلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت علىٰ حالتك هـٰذه، فقال: إنا أعزَّنا الله بالإسلام، فلن يُلتمَس العِزُّ

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٧٣) (٤١٠٢) وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٠).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٨٣) (٢٩٧٤).
(٣) صحيح البخاري، الفتح (٥/ ٣٥٦) (٢٧٣٩).

بغيره[1].

من ثمرات الزهد:

١ـ أنَّه يورث محبة الله ومحبة الناس.

٢ـ أنَّه يورث السخاء وعزة النفس.

٣ـ أنَّه يورث الصحة النفسية كما قال تعالىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد، الآية: ٢٣].

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الزهد:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في الزهد؛ وذلك بأن لا يرغب في شيء لا ينفعه في الآخرة وإن ملكه سواء أكان ذٰلك الشيء ماديًا أم معنويًا يبتغي بذٰلك وجه الله تعالىٰ ومحبته وهو علىٰ حالة وكأنَّه ينظر إلىٰ ربه جلَّ جلاله.

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٣/ ٣٨٧).

الثاني عشر: المحبة

المحبة لغة:

هي الاسم من الحُبِّ وكلاهما مأخوذ من مادة (ح ب ب) التي تدل على اللُّزوم والثبات، والحُبُّ: والوِدَادُ، والمَحبَّةُ: إرادة ما تراه أو تظنه خيرًا[1].

واصطلاحًا: المحبة ميل النفس إلىٰ ما تراه وتظنه خيرًا[2] مما يوافق المُحبَّ[3] مع ابتهاج القلب وسروره[4].

أنواعها:

المحبة ضربان: طبيعي واختياري.

والأول: يكون في الإنسان والحيوان، وقد يكون في الجمادات.

والثاني: يختص به الإنسان، وهوعلىٰ أقسام:

الأول: ما كان محمودًا مثل حب الله ورسوله، والمؤمنين.

والثاني: ما كان مباحًا، مثل حب الرجل زوجته وأولاده وأقاربه.

والثالث: ما كان مذمومًا مثل ما كان للشهوة، أو للمنفعة وأعظمها قدرًا وأرفعها درجة محبة الله.

وهي: أن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك له تعالىٰ، وتجعلها حبسًا في مرضاته ومحابه، فلا تأخذ لنفسك منها إلاَّ ما أعطاك، فتأخذه منه له، راضيًا بذٰلك فرحًا مسرورًا[5].

عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[6].

فضل المحبة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته وهٰذه الثلاثة: الحب والخوف والرجاء، هي التي تبعث علىٰ عمارة الوقت بما هو الأولىٰ، لصاحبه، والأنفع له، وهي أساس السلوك، والسير إلىٰ الله، وهٰذه الثلاثة

---

(١) المقاييس (٢/ ٢٦)، المفردات (٢٠٥)، اللسان (١/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣).

(٣) انظر: فتح الباري (١/ ٧٤).

(٤) الكليات (٤٧٨).

(٥) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣) وطوق الحمامة لابن حزم (٦٣)، وتهذيب مدارج السالكين (٥١٢).

(٦) سنن أبي داود (٥/ ٦٠) (٤٦٨١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٨٦) (٤٦٨١).

هي قطب رحى العبودية، وعليها دارت رحىٰ الأعمال، فمتىٰ خلا القلب من هٰذه الثلاث فسد فسادًا لا يرجىٰ صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هٰذه ضعف إيمانه بحسبه»[1] قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلاَّ لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقىٰ في النار**»[2].

وفي الحديث دليل علىٰ أفضلية محبة الرسول ﷺ ومحبة المؤمنين، وهٰذا ليس من باب الندب بل من باب الواجب كما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده**»[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، ألا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشو السلام بينكم**»[4].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلاَّ ظلي**»[5].

وسائل المحبة لله تعالىٰ:

الأولىٰ: قراءة القرآن الكريم بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

عن عقبة بن عامر الجهني ـ رضي الله عنه ـ قال: إنَّ رسول الله ﷺ تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت، الآية: ٤١، ٤٢].

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّكم لن ترجعوا إلىٰ الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه**» يعني القرآن[6].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١).

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٦) (٢١).

(٣) صحيح البخاري(١/ ١٤) (١٤).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٧٤) (٥٤).

(٥) صحيح مسلم (٣/ ١٩٨٨) (٢٥٦٦).

(٦) مستدرك الحاكم (٢/ ٤٧٩) (٣٦٥١) وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الثانية: التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالنوافل بعد الفرائض، فإنَّها توصله إلىٰ درجة المَحْبُوبِيَّةِ بعد المحبة.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّهُ، فإذا أحببته: كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره، الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مَسَاءَتَهُ**»(1).

الثالثة: دوام ذكره علىٰ كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة علىٰ قدر نصيبه من هٰذا الذكر، من ذٰلك ما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(2).

الرابعة: إيثار محابه تعالىٰ علىٰ محابك عند غلبة الهوىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤].

الخامسة: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتَقَلُّبُهُ في رياض هٰذه المعرفة ومباديها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥].

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ النبيَّ ﷺ بعث رجلاً علىٰ سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ فلمارجعوا ذكروا ذٰلك للنبي ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذٰلك؟**» فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ «**أخبروه أنَّ الله يحبه**»(3).

السادسة: مشاهدة بِره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنَّها

---

(1) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٨) (٦١٣٧).

(2) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٧٢) (٢٦٩٤).

(3) الترغيب والترهيب، للمنذري (٤/ ١٦)، وقال رواه الطبراني في الأوسط. وقال الهيثمي (١٠/ ٢٧٤) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

داعية إلىٰ محبته والقلوب جبلت على حب من أحسن إليها قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: المحب الصادق : لا بد أن يقارنه أحيانًا فرح بمحبوبه، ويشتد فرحه به، ويرىٰ مواقع لطفه به، وبره به، وإحسانه إليه، وحسن دفاعه عنه، والتلطف في إيصال المنافع والمسار والمبارّ إليه بكل طريق ، ودفع المضار والمكاره عنه بكل طريق»[١].

السابعة: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالىٰ، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «لا ينال رضا المحبوب وقربه والابتهاج والفرح بالدُّنُوِّ منه، والزلفى لديه، إلاَّ علىٰ جسر الذل والمسكنة، وعلىٰ هٰذا قام أمر المحبة، فلا سبيل إلىٰ الوصول إلىٰ المحبوب إلاَّ بذٰلك»[٢].

الثامنة: الخلوة به وقت النزول الإلٰهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذٰلك بالاستغفار والتوبة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات، الآية: ١٥، ١٦].

التاسعة: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطيب ثمرات كلامهم كما تنتقىٰ أطايب الثمر، ولا تتكلم إلاَّ إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أنَّ فيه مزيدًا لحالك، ومنفعة لغيرك.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قال قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله تعالىٰ في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[٣].

والشاهد من الحديث: قوله ﷺ: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه».

ووجه الاستشهاد: أنَّ المُجَالِسَ والمُجَالَسَ من الصالحين المحبين لله المتحابين لأجل الطاعة وأنَّ اجتماعهما وافتراقهما كانا علىٰ ذكر الله ومحابه والتعاون فيما يقرب إليه.

والعاشرة: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ـ عزَّ وجل ـ:

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٢ـ ٤٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٤).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٣/ ٢٩٣) (١٤٢٣).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران، الآية: ٣١] والآية دليل علىٰ أنَّ كل عمل ليس مما عمله ﷺ مبعد عن محبة الله تعالىٰ وهٰذه الآية شرط المحبة الصريح.

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: وغيره من السلف، ادَّعىٰ قومٌ محبَّة الله، فأنزل الله آية المحنة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] وقال: ﴿يحببكم﴾ إشارة إلىٰ دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها، اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها محبة المُرسَلِ لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتُكم له حاصلة ومحبتُه لكم منفية.

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة، الآية: ٥٤].

فقد ذكر أربع علامات:

الأولىٰ والثانية: أنَّهم أذلَّةٌ أعزَّة قيل: معناه أرقاء رحماء مشفقون عليهم عاطفون عليهم، فلما ضمن: «أذلة» هٰذا المعنىٰ عدَّاه بأداة «علىٰ» قال عطاء: للمؤمنين كا لولد لوالده والعبد لسيده، وعلىٰ الكافرين كالأسد علىٰ فريسته: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [محمَّد، الآية: ٢٩].

والعلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد، واللسان، والمال، وذٰلك تحقيق دعوىٰ المحبة.

العلامة الرابعة: أنَّهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهٰذا علامة صحة المحبة، فكل مُحِبٍّ يأخذه اللومُ عَنْ مَحْبُوبِهِ فليس بمحب علىٰ الحقيقة[1].

المحبوبون لله تعالىٰ:

محبة الله تعالىٰ للمحسنين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

محبَّة الله للمتقين: قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران، ٧٦].

محبة الله للمقسطين: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة، الآية: ٤٢].

محبة الله للتوابين والمتطهرين: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٢].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٧-٢٦).

محبة الله للمتبعين لرسوله ﷺ: قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١].

محبة الله تعالى لمحبيه، ومحبة الله للمتذللين للمؤمنين، ومحبة الله لأهل العزَّة علىٰ الكافرين.

محبة الله للمجاهدين في سبيله الذين لا يخافون في الله لومة لائم. قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة، الآية: ٥٤].

محبة الله للصابرين: قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٦].

محبة الله للعبد المتقي، الغني، الخفي، عن عامر بن سعد ـ رحمه الله ـ وذكر قصة سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي**»(١).

من الأعمال المحبوبة لله تعالىٰ:

محبة الله تعالىٰ ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة عباد الله المؤمنين، وقراءة القرآن الكريم، والأذكار مثل قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وزيارة الإخوان في الله، والحياء والستر، والحلم والأناة، وأداء الفرائض والنوافل، وأن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده، والعطاس، والمتحابون بجلال الله، والمتجالسون فيه، والمتزاورون والمتباذلون فيه، الوتر، قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾، محبة الأنصار، الرفق، أدوم الأعمال وإن قلَّ، الصلاة علىٰ وقتها، بر الوالدين، الجهاد في سبيل الله، صلاة الرجل مع الجماعة وكلما كثرة كان أحب إلىٰ الله، العفو، حسن الخلق، محبة لقاء الله، العمل في عشر ذي الحجة، الغيرة في غير ريبة، قوة الإيمان، قراءة سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾، صيام يوم وإفطار يوم، قيام ثلث الليل، وكل هٰذه الأعمال تدعمها نصوص من الكتاب والسنة لولا التطويل لذكرتها.

صورة من المحبة:

محبة الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**» فقال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة**

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٧٧) (٢٩٦٥).

تقول: **اللَّهمَّ أعنِّي علىٰ ذكرك وشُكرك وحسن عبادتك»**(1)

محبة علي ـ رضي الله عنه ـ لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ:

عن أبي حيان التيمي ـ رحمه الله ـ قال: «رؤىٰ علىٰ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ثوبٌ كأنَّه كان يكثر لُبْسَهُ، فقيل له فيه: فقال: هـٰذا كسانيه خليلي وَصَفِيِّي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إنَّ عمر ناصَحَ الله فنصحه»(2).

من ثمرات المحبة:

1ـ محبة الله تعالىٰ لعبده، وليس العجب أن يحب العبدُ ربَه بل العجب كل العجب أن يحب الله عبده.

2ـ النعيم والسرور في الدنيا والآخرة.

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة المحبة:

يستطيع المؤمن أن يحقق مرتبة الإحسان في صفة المحبة لله تعالىٰ وذٰلك بابتهاج القلب والفرح بالدنو من الله، والقرب لديه مع كمال الذل والمسكنة والإخلاص له والرجاء فيما عنده حتَّىٰ لكأنَّه يرىٰ ربه فلا ينطق إلاَّ لله وبالله، ولا يسكت إلاَّ لله، ولا يتحرك إلاَّ بأمر الله، ولا يسكن إلاَّ علىٰ مرضاة الله، فحبه للخلق علىٰ قدر حبهم لله، وأنسه مناجاة الله، وتنعمه بالخلوة بالله، فمن بلغ ذٰلك بلغ مرتبة الإحسان في محبة الرحيم الرحمن.

---

(1) سنن أبي داود(2/ 180) (1522) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (1/ 284)..

(2) كتاب الإخوان (238).

الثالث عشر: الرجاء:

الرجاء لغة:

مصدر وهو مأخوذ من مادة (ر ج و) التي تدل علىٰ الأمل الذي هو نقيض اليأس، وقيل: الأمل أكبر من الرجاء، لأنَّ الرجاء معه خوف[1].

واصطلاحًا:

النظر إلىٰ سعة رحمة الله[2] والثقة بجوده تعالىٰ[3] قال الله تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر، الآية: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [النساء، الآية: ١٠٤]

الفرق بين الرجاء والتمني:

الفرق بينه وبين التمني: أنَّ التمني يصاحبه الكسل، ولا يسلك صاحبه طريق الجدِّ، والرجاء علىٰ الضِّدِّ من ذٰلك[4] قال الله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد، الآية: ١٣، ١٤].

وعن الرجاء الباعث علىٰ الجدِّ والعمل يقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف، الآية: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٨].

قال شاه الكرماني ـ رحمه الله ـ: «علامة صحة الرجاء حسن الطاعة»[5].

قال ابن حجر: ـ رحمه الله ـ: المقصود من الرجاء أنَّ مَنْ وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله وهو يرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه

---

(١) انظر الصحاح (٦/ ٣٥٢)، واللسان (١٤/ ٣٠٩ـ ٣١٠).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧).
(٣) المرجع السَّابق.
(٤) انظر المرجع السَّابق.
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

طاعة يرجو قبولها، وأما من من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهٰذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو(١).

قال سفيان ـ رحمه الله ـ: «من أذنب ذنبًا فعلم أنَّ الله تعالىٰ قدره عليه، ورجا غفرانه، غفر الله له ذنبه»(٢).

مكانة الرجاء:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الرجاء هو عبودية، وتعلُّقٌ بالله من حيث اسمه: البَرُّ المحسن فذٰلك التعلق والتعبد بهٰذا الاسم، والمعرفة بالله: توجبُ للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري فقُوَّةُ الرجاء علىٰ حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت غضبه ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات.

لولا التَّعلُّقُ بالرجاءِ تَقطَّعت ... نفسُ المُحبِّ تحسرًا وتَمزُّقًا
لولا الرَّجا يحدو المطي لما سرت ... بحمولها لديارهم ترجو اللِّقَا

فتأمل هٰذا الموضع حق التأمل يطلعك علىٰ أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة، فكل محبة مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلىٰ قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، ولٰكن خوف المحب لا يصحبه وحشة، بخلاف خوف المسيء ورجاء المحب لا يصحبه عِلَّةٌ، بخلاف رجاء الأجير، وأين رجاء المحب من رجاء الأجير وبينهما كما بين حاليهما؟(٣).

اقتران الخوف بالرجاء:

إذا لم يقترن الخوف بالرجاء في أعمال الإحسان فإنَّ العامل يجنح إلىٰ القنوط من رحمة الله، أو الاتكال علىٰ الرحمة وترك العمل وكلا الأمرين محذور، وقد نبه الله تعالىٰ إلىٰ وجوب اقترانهما حيث قال جلَّ شأنه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء، الآية: ٥٧].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «**لو يعلم**

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/١٠٣).
(٢) إحياء علوم الدِّين (١/١٤٥).
(٣) انظر: مدارج السالكين (١/٤٣ـ٤٤).

المؤمن ما عندالله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عندالله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»[١].

الرجاء من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر، الآية: ٩، ١٠]

قال ابن عاشور: «والمراد بالذين أحسنوا: الذين اتَّقوا الله وهم المؤمنون الموصوفون بما تقدم من قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر، الآية: ٩]، الآية: لأنَّ تلك الخصال تدل علىٰ الإحسان المفسر بقول النبي ﷺ: «**أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّك يراك**» فعدل عن التعبير بضمير الخطاب بأن يقال لكم في الدنيا حسنة، إلىٰ الإتيان باسم الموصول الظاهر وهو: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ ليشمل المخاطبين وغيرهم ممن ثبت له هٰذه الصلة، وذٰلك في معنىٰ: اتَّقوا ربكم لتكونوا محسنين فإن للذين أحسنوا حسنة عظيمة فكونوا منهم»[٢].

وهٰذا إمام المحسنين محمَّد ﷺ يتصف بالرجاء كما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلاَّ أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء، الآية: ٢٨].

من صورة الرجاء:

١ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: [وذكر حديثًا عن غزوة بدر وفيه] فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: **قوموا إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض» قال: يقول عُمَيرُ بن الحُمَام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: نعم قال: بَخٍ بَخٍ، فقال رسول الله** ﷺ: «**ما يحملك علىٰ قولك بَخٍ بَخٍ**» قال: لا، والله يا رسول الله إلاَّ رَجَاءَةَ أن أكون من أهلها، قال: «**فإنَّك من أهلها**» فأخرج تمرات من قَرَنِهِ، فجعل يأكل منهنَّ ثم قال: لئن أنا حييت حتىٰ آكل تمراتي هٰذه

---

(١) صحيح مسلم (٣/٢١٠٩) (٢٧٥٥).
(٢) التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٥٣).
(٣) صحيح البخاري، الفتح (٨/) (٤٩٨١).

إنّها لحياة طويلة، قال فرمىٰ بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتىٰ قُتلَ»[1].

٢ـ وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبيَّ ﷺ دخل علىٰ شاب وهو في الموت فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: **«لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هـٰذا الموطن إلاَّ أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»**[2].

من ثمرات الرجاء:

١ـ أنَّه من الأعمال التي تكون سببًا لدخول الجنة.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ [فاطر، الآية: ٢٩، ٣٠].

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: يقول: قال رسول الله ﷺ: **«أربعون خصلة أعلاهن مَنِيحةُ العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلاَّ أدخله الله الجنة»**[3].

٢ـ أنه يفتح باب التوبة للعبد مهما أذنب.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: عن النبي ﷺ ، فيما يحكي عن ربه عزَّوجل قال: **«أذنب عبد ذنبًا، فقال: اللَّهمَّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالىٰ: أذنب عبدي ذنبًا فَعَلِمَ أنَّ له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالىٰ: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالىٰ: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك»**[4].

قال الإمام النووي: ـ رحمه الله ـ: معناه: «ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك»[5].

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٥٠٩) (١٩٠١).

(٢) سنن الترمذي (٣/ ٣٠٢) (٩٨٣).
وقال: حديث حسن غريب. وحسَّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٢٨٩) (٧٨٥).

(٣) صحيح البخاري، الفتح: (٥/ ٢٤٣) (٢٦٣١).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ٢١١٢) (٢٧٥٨).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ٧٥).

٣ـ أنَّ الرجاء يفتح باب المحبة لله تعالىٰ علىٰ مصراعيه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلىٰ بلاد المحبوب وهو الله، والدار الآخرة، ويُطيِّبُ لها السَّيْرَ»[1].

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الرجاء:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في منزلة الرجاء وذٰلك بأن يعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ رحمة الله واسعة للعبد مهماعظم ذنبه مع الثقة التامة بجوده وكرمه لمن اتَّقاه واتَّبع رضوانه يفعل ذٰلك مع كمال الإخلاص والاتقان وهو علىٰ حالة كأنه ينظر إلىٰ ربه يغفر ذنبه ويقبل طاعته سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

الرابع عشر: التقوىٰ:

التقوىٰ لغة:

هي الاسم من قولهم اتَّقىٰ والمصدر الاتِّقاء، وكلاهما مأخوذ من مادة (و ق ىٰ) التي تدل علىٰ دفع شيء عن شيء بغيره، والاتقاء أخذ الوقاية وهو بمعنىٰ التَّوقي، ومعنىٰ قولهم: اتَّق الله: توقَّهُ أي اجعل بينك وبينه كالوقاية.

والوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.

والتقوىٰ: جعل النفس في وقاية مما يُخاف[1].

التقوىٰ اصطلاحًا:

قال الراغب ـ رحمه الله ـ: التقوىٰ في تعاريف الشرع: حفظ النفس عما يؤثِمُ وذٰلك بترك المحظور، ويتم ذٰلك بترك بعض المباحات[2].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٨٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١١٥].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض وكونوا عبادالله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوىٰ ها هنا ـ ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات ـ بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[3].

مكانة التقوىٰ:

ورد الحديث عن التقوىٰ في القرآن الكريم في مائتين واثنتين وخمسين آية تقريبًا مما هو دليل علىٰ أهميتها فهي أصل كل خير ووصية الله للأولين والآخرين حيث قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ١٣١].

وأوصىٰ بها الرسول ﷺ أصحابه، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً جاءه فقال: أَوْصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك: فقال: أوصيك بتقوىٰ الله فإنَّه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنَّه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنَّه رَوْحُكَ في السماء،

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٣١)، ومفردات الرَّاغب (٥٣٠).

(٢) المفردات (٥٣٠).

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٩٨٦) (٢٥٦٤).

وذِكْرُك في الأرض»[1].

وهي خير الزاد في الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٧]

وهي من الأعمال الدينية الملازمة للعبد في كل زمان ومكان كما جاء عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال لي رسول الله ﷺ: **اتَّق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[2].

وهي سمة من سمات أكرم الناس وأفضلهم عندالله تعالىٰ، فقد جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل للنبي ﷺ: «**من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم**» الحديث[3]. يصدق ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات، الآية: ١٣].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله**» قالوا: ثم من؟ قال: «**مؤمن في شِعْبٍ من الشِّعاب يتقي الله ويدع الناس من شره**»[4] وعن سمرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**الحَسَبُ المَالُ، والكَرَمُ التقوىٰ**»[5].

الفرق بين التقوىٰ والورع:

برغم ما بين التقوىٰ والورع من تقارب إلاَّ أنَّه يمكن أن يفرق بينهما بما يأتي:

١ـ أنَّ التقوىٰ أخذ عُدَّةٍ، والورع دفع شبهة.

٢ـ أنَّ التقوىٰ مُتَحَقِقة السبب، والورع مظنون السبب.

٣ـ أنَّ التقوىٰ احتراز عما يتقيه الإنسان وتحصل به الحيلولة بينه وبين ما يُكره، والورع تجافٍ بالنفس عن الانبساط فيما لا يؤمن عاقبته[6].

التقوىٰ من صفات المحسنين:

التقوىٰ من الصفات الأساسية التي اتَّصف بها عبادالله المحسنين، قال

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٨٢) وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢١٥)، رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات والحديث صححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٨٧) (٥٥٥).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٣٥٥) (١٩٨٧) وقال حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٨١) (٩٧).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٦/ ٤١٤) (٣٣٧٤).

(٤) صحيح البخاري (٣/ ١٠٢٦) (٢٦٣٤).

(٥) الترمذي (٥/ ٣٩٠) (٣٢٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٠٧) (٣١٧٨).

(٦) انظر: نزهة الأعين النواظر (٢١٩).

الله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة، الآية: ٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف، الآية: ٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم، الآية: ٣١، ٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النحل، الآية: ٣٠] وقال تعالىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج، الآية: ٣٧] وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر، الآية: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الزمر، الآية: ٣٣، ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المرسلات، الآية: ٤١، ٤٤].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «**أكرمهم أتقاهم**»[(١)].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس**»[(٢)].

شرط التقوىٰ الورع:

وحقيقته أنْ يدع مالا بأس به خشية أنْ يكون به بأس.

قال أبوالدرداء - رضي الله عنه -: «تمام التقوىٰ أن يتّقي اللهَ العبدُ حتىٰ يتقيه من مثقال ذرّة، وحتى يترك بعض ما يرىٰ أنّه حلال خشية أن يكون حرامًا يكون حجابًا بينه وبين الحرام»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (٦/ ٤١٤) (٣٣٧٤).
(٢) سنن الترمذي (٤/ ٥٥١) (٢٣٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٨٢) (١٠٠).
(٣) الدر المنثور (١/ ٦١).

ميادين التقوىٰ:

ميادين التقوىٰ كثيرة جدًا يصعب حصرها هنا مع التدليل عليها وبالجملة فهي كما قال طلق بن حبيب ـ رحمه الله ـ: التقوىٰ: العمل بطاعة الله علىٰ نور من الله رجاء رحمة الله.

والتقوىٰ: ترك معاصي الله علىٰ نور من الله مخافة عذاب الله»[1].

من ثمرات التقوىٰ:

١ـ محبة الله تعالىٰ للمتقين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة، الآية: ٧].

٢ـ أنَّ الله يجعل لهم فرقانًا يفرقون به بين الحق والباطل، ويكفر عنهم السيئات قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال، الآية: ٢٩].

٣ـ ولاية الله تعالىٰ لعباده المتقين قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية، الآية: ١٩].

٤ـ الأمن يوم القيامة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١﴾ [الدخان، الآية: ٥١].

٥ـ الفوز بالجنة ونعيمها: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦﴾ [الذاريات، الآية: ١٥، ١٦].

٦ـ يجعل الله له في الدنيا فرجًا من كل ضيق ويرزقه من حيث لا يحتسب، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق، الآية: ٢، ٣].

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التقوىٰ:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق هـٰذه المرتبة في التقوىٰ وذٰلك بفعل الطاعات جميعًا رجاء ثواب الله وبترك المحذورات جميعًا وما يخشىٰ أن يجر إليها من المباحات مخافة عقاب الله تعالىٰ علىٰ وجه الإخلاص والاتقان والخشوع يفعل ذٰلك كله، وهو علىٰ حالة كأنَّه ينظر إلىٰ الله حين الفعل أو الترك.

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (١١/ ٢٣).

الخامس عشر: الخشوع:

الخشوع لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (خ ش ع) التي تدل علىٰ معنىً واحد وهو التّطامن[1] قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت، الآية: ٣٩].

قال الرَّاغب ـ رحمه الله ـ: الخشوع الضَّراعة، وأكثر ما يُستعمل فيما يوجد علىٰ الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذٰلك قيل فيما روىٰ: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح[2].

واصطلاحًا:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الحق أنَّ الخشوع معنىً يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار[3].

وقال غيره: هو معنىً يقوم بالنفس يظهر عنه سكون في الأطراف يلائم مقصود العبادة[4].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: قال صاحب المنازل: الخشوع علىٰ ثلاث درجات:

الأولىٰ: التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق.

أما التذلل للأمر فهو تلقيه بذلة القبول والانقياد والامتثال مع مواطأة الظاهر الباطن، وإظهار الضعف والافتقار للهداية.

وأما الاستسلام للحكم فيشمل الحكم الشرعي بعدم معارضته برأي أو شهوة كما يشمل الحكم القدري بعدم تلقيه بالتسخط والكراهة والاعتراض.

وأما الاتضاع لنظر الحق فهو اتضاع القلب والجوارح وانكسارها لنظر الرب إليها واطلاعه علىٰ تفاصيل ما فيها.

الثانية: ترَقُّبُ آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل، ويتحقق ذٰلك بانتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبها لك، وذٰلك يجعل القلب خاشعًا لا محالة لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصها من الكبر والعجب، وضعف الصدق، وقلَّة اليقين، وتشتت النية، أما رؤية فضل كل ذي فضل فيتحقق بمراعاة حقوق الناس وأدائها، ولا ترىٰ أنَّ ما فعلوه من حقوقك عليهم، فلا تعاوضهم عليها، فإنَّ هٰذا من رعونات النفس

---

(١) المقاييس (٢/ ١٨٢).

(٢) المفردات (١٤٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٥٨).

(٤) انظر: فتح الباري (٢/ ٢٦٤).

وحماقاتها، ولا تطالبهم بحقوق نفسك.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: العارف لا يرىٰ له علىٰ أحد حقًا، ولا يشهد له علىٰ غيره فضلاً، ولذٰلك لا يعاتب ولا يطالب، ولا يضارب.

الثالثة: التأدب مع الله ومراعاة حقوقه عندما يجد حلاوة قربه ومشاهدته بقلبه، وتصفية القلب من مراءاة الخلق[1].

مكانة الخشوع:

قد رتب الله تعالىٰ الفلاح في الدنيا والآخرة علىٰ الخشوع في الصلاة، لأنَّه روحها حيث قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون، الآية: ١، ٢].

وعاتب سبحانه وتعالىٰ المؤمنين في الصدر الأول، ـ رضي الله عنهم ـ مع تقدم إسلامهم بالنسبة لنزول قوله تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ [الحديد، الآية: ١٦].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «إنَّ الله استنبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن»[2].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه كان إذا تلا هٰذه الآية: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: بلىٰ يا رب، بلىٰ يارب[3]

ومما يبين مكانته قلة أهله وندرتهم آخر الزمان ما جاء عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول ما يُرفَع من الناس الخشوع»**[4].

ميادين الخشوع:

الخشوع عمل قلبي تظهر آثاره علىٰ الجوارح عامة وعلىٰ جميع مستوىٰ العبادة.

عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «الخشوع في القلب أن تلين كنفك للرجل المسلم وأن لا تلتفت في الصلاة»[5].

وعبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «من تواضع لله تخشعًا، رفعه الله

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٥٩ ـ ٥٦٠).

(٢) الدر المنثور (٦/ ٢٥٣).

(٣) المرجع السَّابق (٦/ ٢٥٥).

(٤) معجم الطبراني الكبير (٧/ ٧١٨٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٠٣) (٢٥٧٦).

(٥) الزهد لوكيع (٢/ ٥٩٩).

يوم القيامة، ومن تطاول تعظمًا، وضعه الله يوم القيامة»[1].

وأهم المواطن التي يجب فيها الخشوع هي الصلاة.

فقد جاء عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون، الآية: ٢] قال: «كانوا إذا قاموا في الصلاة، أقبلوا علىٰ صلاتهم، وخفضوا أبصارهم إلىٰ موضع سجودهم، وعلموا أنَّ الله يقبل عليهم فلا يلتفتون يمينًا ولا شمالاً»[2].

ومما يجب التنبيه عليه أنَّ الخشوع القلبي هو الأصل الذي يبني عليه الخشوع في الجوارح لذٰلك حذر السلف من إهمال الأول وإعمال الثاني لأنَّه تكلف معدوم فهٰذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: رأىٰ رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: «يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنَّما الخشوع في القلب»[3].

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «كان يكره أن يُرَىٰ الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه»[4].

الخشوع صفة المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٩، ٩٠].

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنَّه كان إذا قام إلىٰ الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، حنيفًا وماأنا من المشركين، إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذٰلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهمَّ أنت الملك لا إلـٰه إلاَّ أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جيمعًا إنَّه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، اصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلاَّ أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك» وإذا ركع قال: «اللَّهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومُخيّ وعظمي وعصبي» وإذا رفع قال: «اللَّهمَّ ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض

---

(١) الزهد لوكيع (٢/ ٤٦٧).
(٢) الدر المنثور (٦/ ٨٤).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٥٥٩).
(٤) المرجع السابق.

وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد» وإذا سجد قال: «اللَّهمَّ لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللَّهمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المُقدم وأنت المؤخر، لا إلـه إلاَّ أنت»[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء، الآية: ١٠٧، ١٠٩]

من صور الخشوع:

ما جاء عن علي بن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ «إذا توضأ اصفر وتغيَّر، فيقال: مالك؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريدُ أن أقوم؟»[2].

من ثمرات الخشوع:

١ـ ذهاب القسوة من قلب صاحبه.

٢ـ المغفرة والأجر العظيم، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٥].

تحقيق مرتبة الإحسان في الخشوع

يمكن للمؤمن أن يحقق ذٰلك بتعظيم الله ومحبته والذل له والانكسار والافتقار إليه والسكون بين يديه في كل عمل يعمله العبد مما يبتغي به وجه الله تعالىٰ مع تمام الإخلاص والاتقان له وهو علىٰ حالة وكأنَّه يشاهد ربه جلَّ شأنه بقلبه لا يحول عنه ويدخل في ذٰلك لينه واتضاعه للمؤمنين ابتغاء مرضاة رب العالمين.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) (٧٧١).

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (٢٧٣).

السادس عشر: التَّعظيم:

التعظيم لغة:

مصدر عظَّم مأخوذ من مادة (ع ظ م) التي تدور حول معنىٰ الكِبْر والقوة وأعظم الأمرَ وعظمه أي: فخَّمَهُ والتَّعظيمُ: التَّبْجِيْلُ[1].

واصطلاحًا:

التوقير، والتبجيل والإجلال[2]. قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح، الآية: ١٣].

قال البغوي: ـ رحمه الله ـ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ومجاهد ـ رحمه الله ـ: لا ترون لله عظمة وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: لا ترون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: لا تخافون الله حق عظمته، والرجاء: بمعنىٰ الخوف، والوقار، العظمة اسم التوقير وهو التعظيم قال الحسن ـ رحمه الله ـ.

لا تعرفون لله حقًا ولا تشكرون له نعمة.

قال ابن كيسان ـ رحمه الله ـ: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم علىٰ توقيركم إياه خيرًا.[3]

مكانته:

أعرف الناس بالله تعالىٰ: أشدهم له تعظيمًا وإجلالاً وقد ذم الله تعالىٰ من لم يعظمه حق تعظيمه، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق وصفه كما ذكر الله تعالىٰ في الآية السابقة:[4].

وقد خص النبي ﷺ الركوع في الصلاة بتعظيم الله تعالىٰ كما في حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قال: قال ﷺ: «.. **فأما الركوع فعظموا فيه الرب عزَّوجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم**»[5] **وقال الله تعالىٰ:** ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج، الآية: ٣٢]. وشعائر الله هي حرماته.

والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب احترامه، وحفظه: من الحقوق والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، فتعظيمها: توفيتها حقها، وحفظها من

---

(١) المقاييس: (٤/ ٣٥٥)، الصحاح: (٥/ ١٩٨٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٥١٧).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٣٦٧).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٥١٦).

(٥) صحيح مسلم (١/ ٣٤٨) (٤٧٩).

الإضاعة[1] وشعائر الحج: معالمه الظاهرة للحواس[2].

ميادين التعظيم:

وهي ثلاثة: الأول: تعظيم الله تعالىٰ وذٰلك بأربعة أمور:

الأول: تعظيم الله تعالىٰ: بالنظر في أسمائه وصفاته وآثارهما في مخلوقاته.

الثاني: تعظيم الله تعالىٰ بأن لا يجعل للوصول إليه سببًا غيره تعالىٰ فيعتقد أنَّه هو الذي يوصل عبده إليه، فلا يوصل إلىٰ الله إلاَّ الله تعالىٰ، ولا يقرب إليه سواه، ولا يُدني إليه غيره، ولا يتوصل إلىٰ رضاه إلاَّ به، فما دلَّ علىٰ الله إلاَّ الله، ولا هدىٰ إليه سواه، ولا أدنىٰ إليه غيره، فإنَّه سبحانه هو الذي جعل السبب سببًا، فالسبب وَسَبَبِيَّتُهُ وإيصاله: كله خلقه وفعله.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [الرعد، الآية: ٢٧].

الثالث: تعظيم الله تعالىٰ: بأن لا يرىٰ له أو لأحد من الناس علىٰ الله حق واجب، بل الحق لله علىٰ خلقه.

وأما ما أحقَّهُ الله علىٰ نفسه تعالىٰ: من إثابته لمطيعهم، وتوبته علىٰ تائبهم، وإجابته لسائلهم، فتلك حقوق غير واجبة عليه تعالىٰ وإنما أَحقَّها بحكم وعده وإحسانه لا أنَّها حقوق أحقُّوها هم عليه، فالحق في الحقيقة لله علىٰ عبده وحق العبد عليه ما اقتضاه جودُهُ وبرُّهُ، وإحسانُه إليه بمحض جوده وكرمه، وهٰذا قول أهل التوفيق والبصائر.

الرابع: تعظيم الله تعالىٰ بأن يرضىٰ بما رضي الله له فلا ينازعه قضاءه وقدره فيه أو في غيره من المخلوقات، بل الواجب عليه التسليم إذا لم يجد سببًا شرعيًا يدفع المكروه به.

وكذٰلك لا يرتكب المعاصي محتجًا بقدر الله عليه بها فإنَّه وإن قدرها عليه كونًا لم يرضها له دينًا ولا شرعًا ولم يجبره علىٰ فعلها قهرًا فالواجب عليه الاحتراز من الذنوب وسرعة التوبة منها ولوم نفسه علىٰ ارتكابها لا علىٰ تقديرها.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت، الآية: ٤٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل، الآية: ١١٨].

الميدان الثاني: تعظيم حكمة الله تعالىٰ في الكون، وذٰلك بأمور منها:

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٧٧).

(٢) انظر: المفردات (٢٦٩).

الأول: بأن يرىٰ كل ما قضاه الله وقدره في الكون مستقيمًا صادرًا عن عين الحكمة الإلـٰهية فلا عِوَجَ فيه.

الثاني: أن يعلم أنَّ قضاء الله وقدره وحكمه الكوني لا يناقض دينه وشرعه وحكمه الديني ، بحيث تقع المدافعة بينهما، لأنَّ هـٰذا مشيئته الكونية، وهـٰذا إرادته الدينية، وإن كان المرادان قد يتدافعان ويتعارضان لـٰكن من تعظيم كل منهما: أن لا يدافع بالآخر ولا يعارض، فإنَّهما وصفان للرب تعالىٰ، وأوصافه لا يدافَعُ بعضُها ببعض، وإن استعاذ ببعضها من بعض، فالكل منه سبحانه وهو المعيذ من نفسه بنفسه، كما قال أعلم الخلق به: «أوعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك» فرضاه وإن أعاذ من سخطه فإنَّه لا يبطله ولا يدفعه. وإنما يدفع تعلقه بالمستفيد وتعلقُه بأعدائه باق غير زائل، فهـٰكذا أمره وقدره سواء، فإن أمْره لا يبطل قدره، ولا قدره يبطل أمره، ولـٰكن ما قضاه وقدره بما أمر به وأحبه، وهو أيضًا من قضائه، فَمَا دُفع قضاؤه إلاَّ بقضائه وأمره، فلم يدفع العلم الحكم بل المحكوم به، والعلم والحكم دفعا المحكوم به الذي قدَّر دفعه وأمر به.

فتأمل هـٰذا، فإنَّه محض العبودية والمعرفة، والإيمان بالقدر، والاستسلام له، والقيام بالأمر، والتنفيذ له بالقدر، فما نفذ المطيع أمر الله إلاَّ بقدر الله، ولا دفع مقدور الله إلاَّ بقدر الله وأمره.

الثالث: أن يعتقد أنَّ عبادة الله واجبة عليه تعظيمًا له وحبًا فيه وخوفًا منه وإن لم يرتب الباري علىٰ طاعة الطائعين الثواب ومعصية العاصين العقاب، لأنَّ المتصرف في العبد هو مالكه، فلا يصرف العبد نفسه بل الله هو الذي يقيمه ويقعده، ويقلبه ذات اليمين وذات الشمال، بل يقوم بالعبادة تعظيمًا للآمر والناهي، وأنَّه أهل لأن يعبد، وتُعظمَّ حرماته فهو يستحق العبادة والتعظيم والإجلال لذاته كما قال القائل:

هـب العبثَ لـم تأتـنا رسـله ... وجـاحـمـة الـنار لـم تضـرم
أليـس من الواجـب المستحـ ... ـق علىٰ ذي الورىٰ الشكر للمنعم؟

وهـٰذا لا ينافي طلب الجنة والاستعاذة من النار.

الميدان الثالث:

تعظيم الأمر والنهي الإلـٰهي، وذٰلك بأمور:

الأول: تعظيم الأمر والنهي بعدم الترخص الذي يمنع صاحبه عن كمال الامتثال، فإنَّ المحسن يأخذ نفسه بالعزائم مع عدم إنكاره للرخصة والمترخصين، أما إذا كانت الرخص مما لايمنعه من بلوغ مرتبة الإحسان، فالرخصة في المذاهب الفقهية.

الثاني: تعظيم الأمر والنهي بعدم الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي. قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟﴾ [المائدة، الآية: ٧٧].

ومن الغلو قيام الليل كله، وسرد الصوم، والصلاة أوقات النهي فإنَّ ذٰلك يخرجه عن الطاعة، ويأخذ به إلىٰ الانقطاع والترك لعدم القدرة.

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا[1]

وهم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصىٰ حلوقهم ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً[2].

الثالث: تعظيم الأمر والنهي بعدم تأويلهما بما يعود عليهما بالإبطال أو يعلل حكمهما بعلة ضعيفة تضعف انقياده لهما والواجب الامتثال للأمر والنهي علىٰ ظاهرهما مالم تأت قرينة شرعية أخرىٰ تصرفه عن الظاهر.

وكذا الواجب علىٰ العبد الامتثال للأمر والنهي والانقياد لهما سواء أدرك لهما علة أم لا [3].

ومن تعظيم الأمر والنهي تعظيم ما أمر الله بتعظيمه من الطاعات والمحارم، والأشخاص، والأماكن، والأزمنة مثل: الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، وتعظيم المُحْرِمِ أفعالَ الحج حتىٰ يَحِلَّ تُعظَّمُ لا لذاتها ولٰكن لأمر الله بتعظيمها.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج، الآية: ٢٦ـ ٣٣].

ومما يجب تعظيمه أيضًا دماء المسلمين، وأعراضهم وأموالهم.

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٥٥) (٢٦٧٠).

(٢) انظر: النهاية (٥/ ٧٤).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٨٦ـ٩٢)، (٢/ ٥١٧ـ ٥٢٣).

وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَتْلُ المؤمن أعظم عندالله من زوال الدنيا»**[1].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «تعظيم الحرمات اجتناب المعاصي والمحارم، بحيث يكون ارتكابها عظيمًا في نفسه»[2]

التعظيم صفة المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [الحج، الآية: ٣٠].

عن أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما توفي ابن رسول الله ﷺ، بكىٰ رسول الله ﷺ فقال المُعزِّي: «إما أبوبكر وإما عمر» أنت أحق من عظم الله حقه، قال رسول الله ﷺ: **«تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، ولولا أنه وعدٌ صادق وموعود جامع، وأنَّ الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون»**[3].

عن المسوار بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ: في حديث صلح الحديبية ومنه قال: فقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلاَّ أعطيتهم إياها»**[4] أي خطة لا تجر إلىٰ القتال تعظيمًا للبلد الحرام.

صور من التعظيم:

١ـ قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشَّعرِ، إن كنا لنعدها علىٰ عهد النبي ﷺ الموبقات»[5]

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عندالله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله»[6].

٢ـ وقال محمَّد بن منصور ـ رحمه الله ـ: «كنَّا في مجلس أبي عبدالله البخاري فرفع إنسان من لحيته قذاة وطرحها إلىٰ الأرض، فرأيت محمَّد ابن إسماعيل ينظر إليها وإلىٰ الناس فلما غفل الناس رأيته مدَّ يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها

---

(١) سنن النسائي (٧/ ٨٣) (٣٩٩٠) وقال الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ٨٣٩) (٣٧٢٥) حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٩).

(٣) سنن ابن ماجه (١/ ٥٠٦) (١٥٨٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٦٥) (١٢٩٢).

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٩٧٤) (٢٥٨١).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (١١/ ٦٤٩٢) (٦٤٩٢).

(٦) الداء والدواء (٥٨).

وطرحها على الأرض فكأنّه صان المسجد عما تصان عنه لحيته»[1].

من ثمرات التعظيم:

١ـ أنَّ ذٰلك دليل لقوّة الإيمان والتقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج، الآية: ٣٢]

٢ـ الفوز بالخيرية عندالله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج، الآية: ٣٠].

تحقيق مرتبة الإحسان في التعظيم:

يستطيع المسلم أن يحقق هٰذه المرتبة العالية في التعظيم، وذٰلك بأنْ يملأ قلبه بتعظيم الله تعالىٰ وتعظيم حكمه وأمره ونهيه ابتغاء مرضاته وهو علىٰ حال كأنه يرىٰ ربه تعالىٰ ويطالع أسماءه وصفاته وتدبيره في خلقه آمرًا وناهيًا.

---

(١) مقدمة الفتح (٥٠٥).

السابع عشر: حسن الظن:

حسن الظن لغة:

الحُسنُ: ضد القُبح بمعنىٰ الجَمَال[1].

وأما الظن: فهو مصدر مأخوذ من مادة (ظ ن ن) التي تدل علىٰ معنيين.

أحدهما اليقين والآخر الشك.

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٩].

أراد والله أعلم: يوقنون[2].

والآخر الذي بمعنىٰ الشك مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج، الآية: ١٥][3] وقد سماه الله تعالىٰ بظن السوء كما في قوله سبحانه: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح، الآية: ١٢].

واصطلاحًا:

قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ: «الظن تجويز أمرين في النفس لأحدهما ترجيح على الآخر»[4].

وعليه فحسن الظن: هو ترجيح كفة الخير إلىٰ درجة علم اليقين علىٰ جانب الشر.

الفرق بين الظنِّ والشَّكِّ والعلم:

إذا كان الظن هو تجويز أمرين في النفس لأحدهما ترجيح علىٰ الآخر. فإنَّ الشك عبارة عن استوائهما.

والعلم: هو حذف أحدهما وتعين الآخر[5].

أقسام الظن:

ينقسم الظن إلى قسمين:

الأول: الظن المحمود: بدلالة قوله تعالىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات، الآية: ١٢].

وهو نوعان:

النوع الأول: حسن الظن بالله تعالىٰ مثل قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ

---

(١) المقاييس (٢/ ٥٧).
(٢) المقاييس (٦٣٩).
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٤٥).
(٤) أحكام القرآن (٤/ ١٧٢٤).
(٥) المرجع السَّابق.

طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٩]، أي يؤقنون[١] وقال الزجاج ـ رحمه الله ـ لو كانوا شاكين لكانوا ضلالاً كافرين [٢] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة، الآية: ٤٥، ٤٦] والمعنى يوقنون بالبعث والنشور والحساب يوم القيامة وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة، الآية: ١١٨] أي: تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلاَّ إليه[٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة، الآية: ٢٠] وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن، الآية: ١٢].

مكانته:

حسن الظن بالله تعالىٰ ثمرة صادقة من ثمرات حسن العبادة لله تعالىٰ: يؤيد ذٰلك حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ حسن الظن بالله تعالىٰ من حسن العبادة**»[٤].

وقد أوصىٰ النبي ﷺ أمته قبل وفاته بحسن الظن بالله تعالىٰ كماجاء عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يحسن الظن بالله عزّوجل**»[٥].

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قال: والذي لا إلـٰه غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله عزّوجل، والذي لا إلـٰه إلاَّ غيره، لا يحسن عبد بالله عزّوجل الظن إلاَّ أعطاه الله عزّوجل ظنه، ذٰلك بأنَّ الخير في يده»[٦].

ومما يصدق كلام ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ما رواه أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ: عن رسول الله ﷺ : أنَّ الله عزّوجل قال: «**أنا عند ظن**

---

(١) معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٥٤).
(٢) معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٢٧).
(٣) تفسير القرطبي (٨/ ١٨٢).
(٤) مسند أحمد (٣/ ٤٣) (٨٤٩٣) وحسّن إسناده أحمد شاكر (٢٠/ ٧٨) (١٠٣٦٩).
(٥) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٠٥) (٢٨٧٧).
(٦) حسن الظن لابن أبي الدنيا (٩٦).

عبدي بي، **إن ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ شرًا فله**»[1].

وعن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥]

قال: «أحسنوا الظن بالله»[2].

وقال أحمد بن العباس النميري ـ رحمه الله ـ:

وإنـي لأرجـو الله حـتىٰ كـأنـنـي أرىٰ بجميل الظن ما الله صانع[3]

النوع الثاني: حسن الظن بالمؤمنين.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور، الآية: ١٢] عن أمنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ: .... وذكرت حادثة الإفك، وفيه أنَّ الرسول ﷺ قال: «**فوالله ما علمت علىٰ أهلي إلاَّ خيرًا**»[4] فالواجب علىٰ المحسن، حسن الظن بإخوانه المسلمين الذين ظاهرهم العدالة فلا يعتقد فيهم إلاَّ الخير حتىٰ يثبت له بالدليل القاطع خلاف ذٰلك فإن تقرر له خلاف ذٰلك وجب عليه العدل معه في الاعتقاد والقول والعمل فلا يحيف عليه بما يكون عونًا للشيطان علىٰ أخيه المسلم بل الواجب النصح والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ حسب الوسع والطاقة، بما يساعد علىٰ التوبة، فلرب عبد وقع في ذنب يلام عليه شرعًا إلاَّ أنَّه عندالله بمنزلة عظيمة بسبب طاعات أخر.

القسم الثاني: الظن المذموم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس، الآية: ٣٦].

وهٰذا القسم نوعان:

الأول: الظن المذموم بالله تعالىٰ، وهو بمعنى الشك في قدرته تعالىٰ ووعده والرجوع إليه، قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ١٠، ١٢].

أي: تظنون بالله تعالىٰ أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أنَّ الله تعالىٰ ينجز وعده في إعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكي الله

---

(١) مسند أحمد (٣/٩٨) (٨٨٣٣) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢/٧٩٥) (٤٣١٥).

(٢) حلية الأولياء (٩/٣١٨).

(٣) حسن الظن لابن أبي الدنيا (١٠٠).

(٤) صحيح مسلم (٣/٢١٢٩) (٢٧٧٠).

عنهم من قولهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٢٢] وظن المنافقون الضعاف القلوب أنَّ المسلمين يُستأصلون[1] كما قال تعالىٰ ردًّا عليهم ظنهم الفاسد وحاكما عليهم بالخسارة في الدنيا والآخرة: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح، الآية: ١٢]. وهٰذا الظن السيء هو عين ظن إخوانهم السابقين من أهل الجاهلية الذين لا يؤمنون بقدرة الله علىٰ كل شيء ومنها قدرته تعالىٰ علىٰ نصرة الحق وأهله فقال تعالىٰ: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٤].

وفي آياته ثانية يتهكم الله بهٰذه العقول الفاسدة التي لم تعرف الله قدره وعظمته فقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج، الآية: ١٥]، أي: عليكم معاشر المنافقين الآيسين من نصر المسلمين أن تفعلوا ما يفعله أمثالكم ممن ملأهم الغيظ وضاقت عليهم سُبل الانفراج، فامددوا حبلاً بأقصىٰ ما يمد إليه حبل، وتعلقوا به في أعلىٰ مكان ثم اقطعوه تخروا إلىٰ الأرض، وذٰلك تهكم بهم في أنَّهم لا يجدون غنىٰ في شيء من أفعالهم من البقاء علىٰ الإسلام ظاهرًا مع يأسهم من تحقق وقوع النصر أو الكفر، وإنذارٌ باستمرار فتنتهم في الدنيا والخسران في الآخرة[2].

ومن هٰذا نستفيد أنَّ حسن الظن بالله واجب وأنَّ سوء الظن به إثم كبير قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس، الآية: ٣٦].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: وفي هٰذه الآية دليل علىٰ أنَّه لا يكتفي بالظن في العقائد[3].

هٰذا وقد يحصل للمؤمن ضعيف الإيمان بعض الأحايين شيء من سوء الظن بالله وسببه تبرمه على القدر بما يجد في حاله من حاجة لم تسد أو في غيره وعلاجُ ذٰلك المعرفةُ بأسماء الله وصفاته ومطالعة آثارها في مخلوقاته.

النوع الثاني: الظن المذموم بالمؤمنين وهو بمعنىٰ الشك في عقائد المسلمين وأعراضهم بغير بينة وهٰذا حرام كما جاء عن أبي هريرة ـ رضي

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٧/ ٩٣)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٩٥).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ٢١٨ـ ٢٢٠).
(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٢١٩).

الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إيَّاكم والظن فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عبادالله إخوانًا**»[١].

قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: «ليس لك أن تظن بالمسلم شرًا إلاَّ إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل فإن أخبرك بذٰلك عدل، فمال قلبك إلىٰ تصديقه، كنت معذورًا، لأنَّك لوكذبته كنت قد أسأت الظن بالمخبِر، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث، هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق التهمة حينئذ بسبب ذٰلك، ومتىٰ خطر لك خاطر سوء علىٰ مسلم ، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإنَّ ذٰلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة.

وإذا تحققت هفوة مسلم، فانصحه في السر.

واعلم : أنَّ من ثمرات سوء الظن التجسس، فإنَّ القلب لا يقنع بالظن، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذٰلك منهي عنه لأنَّه يوصل إلىٰ هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم»[٢].

وقال ابن حجر الهيثمي ـ رحمه الله ـ: سوء الظن بالمسلمين من الكبائر وذٰلك أنَّ مَنْ حَكَمَ بِشَرٍّ علىٰ غيره بمجردِ الظنِّ حَمَلَهُ الشيطان علىٰ احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه، وكل هٰذه مُهلكات، وكل من رأيته سيء الظن بالناس طالبًا لإظهار معايبهم فاعلم أنَّ ذٰلك لخُبث باطنه وسوء طويته؛ فإنَّ المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخُبث باطنه[٣].

فعن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ: قال: «كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أنَّ ضع أمر أخيك علىٰ أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من امريء مسلم شرًا وأنت تجد له في الخير محملاً ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلاَّ نفسه ومن كتم سره كانت الخيرة في يديه وما كافأت من عصىٰ الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»[٤].

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٩٨٥) (٢٥٦٣).
(٢) مختصر منهاج القاصدين (١٧٢).
(٣) انظر: الزواجر (١٠٩).
(٤) شعب الإيمان (٦/ ٣٢٣) (٨٣٤٥).

حسن الظن صفة المحسنين:

ومنهم موسىٰ ـ عليه السلام ـ: امتحن في حسن ظنه بربه علىٰ الملأ ففاز في مكان ساء ظن غير المحسن فيه، وذٰلك ليكون قدوة لقومه ولمن جاء بعدهم ممن يريد الإحسان إلىٰ يوم القيامة.

وقصة الامتحان، أنَّه لما خرج موسىٰ ـ عليه السلام ـ: ومن معه من بني إسرائيل من مصر إلىٰ حيث أمرهم الله، اغتاظ فرعون بهٰذا العمل ورآه خروجًا علىٰ سلطانه، فما كان منه إلاَّ أن حشد كبراء دولته وجنده وجمع قوته وسار بهم في جمع عظيم يتبع موسىٰ وقومه المستضعفين بغيًا وعدوًا وبينماموسىٰ ـ عليه السلام ـ: يسير بقومه لم يفجأهم إلاَّ البحر من أمامهم ولا وسيلة يركبونها وفرعون وجنده يزحفون إليهم مسرعين فلما ترآءا الجمعان أيقن بنو إسرائيل بالتهلكة ونادوا في موسىٰ إنا لمدركون وما ذاك إلاَّ لأنَّ الشك في عدم قدرة الله علىٰ إنجائهم قد تمكن من قلوبهم فقال موسىٰ مقالة الواثق بربه الموقن بقوته ونصره للمؤمنين كلا إنَّ معي ربي سهيدين، معي الركن الشديد والقدرة التي لا تغلب ، فنجىٰ الله المؤمنين وأهلك الكافرين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء، الآية: ٥٢ ـ ٦٨].

وهٰذا إمام المحسنين نبينا محمَّد ﷺ وهو في طريقه إلىٰ الهجرة أوىٰ إلىٰ الغار هو وصاحبه الصديق أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ: تخفيًا من قريش وقد خرجت بقضها وقضيضها في طلبه وجعلوا ألف ناقة لمن يأتي به حيًا أو ميتًا، فلم يتركوا سهلاً ولا جبلاً إلاَّ والتمسوا فيه الرسول ﷺ وصاحبه وإذا بكوكبة من الفرسان واقفة في فم الغار إلاَّ أنَّ الله أخذ أبصارهم قال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ: متعجبًا من قدرة الله تعالىٰ علىٰ حفظهما قلت للنبي ﷺ، وأنا في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبابكر باثنين الله ثالثهما»[1].

---

(١) صحيح البخاري، الفتح(٧/٨) (٣٦٥٣).

صورة من حسن الظن: .

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ: أنّه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجدٍ فلمَّا قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلةُ في وادٍ كثيرِ العِضاهِ فنزل رسول الله، وتفرّق الناس يستظلون بالشَّجر، فنزل تحت شجرةٍ وعلَّق بها سيفهُ، ونام نوْمةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عندهُ أعرابيٌّ فقال: إنَّ هٰذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يدِهِ صَلْتًا، فقال: من يمنعك مِنِّي؟ فقلتُ: «الله» (ثلاثًا)، ولم يُعاقبه وجلس[1].

من ثمرات حسن الظن:

١ ـ الجنة ونعيمها قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ۝٢٣﴾ [الحاقة، الآية: ١٩ ـ ٢٣]

٢ ـ قبول توبة من أيقن أنّه لا يغفر الذنوب ولا يقبل التوبة إلاَّ الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨﴾ [التوبة، الآية: ١١٨].

٣ ـ النصر والظفر للفئة المؤمنة وإن كانت قليلة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرٗا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٩، ٢٥١].

٤ ـ أنَّ حسن الظن بالمسلمين مجلبة المحبة والتراحم والتعاون علىٰ الخير بما يعود على المسلمين بالحياة الكريمة.

تحقيق مرتبة الإحسان في حسن الظن:

يستطيع المؤمن أن يحقق هٰذه المرتبة في حسن الظن بالله تعالىٰ، وذٰلك بأن يملأ قلبه كلية باليقين بقدرة الله التامة علىٰ فعل كل شيء والثقة بتحقق وعده، وأنَّ الله غالب علىٰ أمره، لا يعجزه شيء أبدًا مهما عظم،

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (٦/ ٩٦) (٢٩١٠).

سواء ذٰلك في الدنيا أم في الآخرة، يعتقد ذٰلك وهو علىٰ حالة وكأنه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ ينجز ما وعد ويغلب كل أحد، وينفذ قدره في ما أراد، يفعل ذٰلك ابتغاء مرضاته ورجاء ثوابه.

وأما مرتبة الإحسان في حسن الظن بالمؤمنين فإنّه يستطيع تحقيقها، وذٰلك بأن يحملهم علىٰ الخير مااستطاع إلىٰ ذٰلك سبيلاً ويدفع عنهم الريبة بما يدفعه عن نفسه يفعل ذٰلك ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه وهو علىٰ حالة كأنه ينظر إلىٰ الله، والله تعالىٰ ينظر إلىٰ ما في قلبه تجاه المسلمين.

الثامن عشر: الفرح:

الفرح لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ف ر ح) التي تدل علىٰ خلاف الحزن[1] وقال ثعلب: هوأن يجد في القلب خِفَّةً[2].

واصطلاحًا:

قال المناوي ـ رحمه الله ـ: الفَرَحُ: انفتاح القلب بما يُلْتَذُّ به[3]

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس، الآية: ٥٨] أي أحسن وأفضل.

أنواع الفرح:

جاء «الفرح» في القرآن علىٰ نوعين. مطلق ومقيد:

فالمطلق: جاء في الذم كقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص، الآية: ٧٦] وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود، الآية: ١٣]

والمقيد: نوعان أيضًا، مقيد بالدنيا يُنسي صاحبه فضل الله ومنته، فهو مذموم كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام، الآية: ٤٤].

والثاني: مقيد بفضل الله وبرحمته، وهو نوعان أيضًا: فضل ورحمة بالسبب. وفضل بالمسبِّب.

فالأول: كقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس، الآية: ٥٨].

والثاني: كقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٠][4].

مكانة الفرح المحمود:

الفرح صفة كمال ولهٰذا يوصف الرب تعالىٰ بأعلىٰ أنواعه وأكملها، كفرحه بتوبة التائب أعظم من فرحة الواجد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة بعد فقده لها: واليأس من حصولها.

والفرح بالله، وبرسوله، وبالإيمان، وبالسنة، وبالعلم، وبالقرآن: من أعلىٰ مقامات الدين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة، الآية:

---

(١) المقاييس (٤/ ٤٩٩).

(٢) اللسان (٢/ ٥٤١).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٥٨).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٦٥).

.[١٢٤

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ [الرعد، الآية: ٣٦].

فالفرح بالعلم وبالإيمان والسنة: دليل علىٰ تعظيمه عند صاحبه، ومحبته له، وإيثاره له علىٰ غيره، فإنَّ فرح العبد بالشيء عند حصوله له: علىٰ قدر محبته له، ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصولُهُ لَهُ، ولا يحزنه فَواتُهُ.

فالفرح تابع للمحبة والرغبة.

والمقصود: أنَّ «الفرح» أعلىٰ نعيم القلب، ولذته وبهجته، والفرح والسرور نعيمه، والهم والحزن عذابه، والفرح بالشيء فوق الرضىٰ به، فإنَّ الرضىٰ طمأنينة وسكون وانشراح، والفرح لذة وبهجة وسرور، فكل فرحٍ رِضَىٰ وليس كل راضٍ فرحًا، ولهذا كان الفرح ضد الحزن، والرضىٰ ضد السخط، والحزن يؤلم صاحبه والسخط لا يؤلمه، إلاَّ إن كان مع العجز عن الانتقام.

وقد أمر الله به في قوله تعالىٰ: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس، الآية: ٥٨] وأثنىٰ علىٰ السعداء به في قوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾(١) [آل عمران، الآية: ١٧٠].

الفرح المحمود صفة المحسنين:

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: قال: دخلت علىٰ النَّبي ﷺ وهو يُوعَكُ فوضعتُ يدِي عليه، فوجدتُ حرَّه بين يديَّ، فوق اللِّحافِ فقلتُ يا رسول الله! ما أشدَّها عليك! قال: «**إنَّا كذٰلك يُضعَّفُ لنا البلاءُ ويُضعَّف لنا الأجر**» قلتُ: يا رسول الله! أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال «الأنبياء» قلتُ: يا رسول الله! ثُمَّ منْ؟ قال: «**ثمَّ الصَّالحون إن كان أحدهم ليُبتلىٰ بالفقرِ حتَّىٰ ما يجد أحدُهم إلاَّ العبَاءَة يُحَويها وإن كان أحدهم ليفرحُ بالبَلاءِ كما يفرح أحدُكُم بالرَّخاء**»(٢)

عن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قطُّ إلاَّ في غزوةِ تبوك، غير أنِّي قد تخلفتُ في غزوةِ بدرٍ، ولم يُعاتِبْ أحدًا تخلَّف عنه إنَّما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عِيرَ قريشٍ حتىٰ جمع الله بَينهُمْ وبين عدُوِّهم، علىٰ غير مِيعادٍ. الحديث وفيه: فبينا أنا جالسٌ علىٰ الحال التي ذكرالله عزَّوجل، منَّا

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٦٥ـ ١٦٩).

(٢) سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٣٤) (٤٠٢٤) وقال في الزوائد إسناده صحيح، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٧١) (٣٢٥٠).

قد ضاقَتْ عليَّ نفسي وضاقَتْ عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ، سَمِعتُ صوتَ صارِخٍ أوفىٰ علىٰ سَلْعٍ يقُولُ: بأَعلىٰ صوته: يا كَعبُ بنُ مالكٍ، أبشر قال: فخررتُ سَاجدًا. وعرفْتُ أنْ قَد جاء فرجٌ، قال: فآذن رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ بتَوبةِ الله علَيْنَا، حينَ صلَّىٰ صلاةَ الفَجْرِ. فذهب النَاسُ يبشروننا، فذهب قِبلَ صاحِبيَّ مبشرُون وركض رجلٌ إليَّ فرسًا، وسعىٰ ساعٍ من أسلم قِبَلي. وأوفىٰ الجبل، فكان الصَّوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يُبشرني فنزعتُ لهُ ثوبَيَّ فكسوتهُما إيَّاهُ ببشارتهِ، والله، ما أملك غيرهما يومئذٍ. واستعرتُ ثوبين فلبستهما فانطلقتُ أتأمَّمُ رسولَ الله ﷺ يتلقاني النَاسُ فوجًا فوجًا يُهنئُونِي بالتوبة ويقولون: لِتهنئك توبةُ الله عليك، حتىٰ دخلتُ المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناسُ فقام طلحة بنُ عُبيدِالله يُهرولُ حتَّىٰ صافحني وهنَّأني، والله، ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعبٌ لا ينساهات لطلحة قال كعبٌ: فلما سلَّمتُ علىٰ رسول الله ﷺ قال، وهو يبرقُ وجهُهُ من السُّرور ويقول: «**أبشرْ بخير يومٍ مرَّعليك منذُ ولدتْكَ أمُّك**» قال: **فقلتُ: أمِنْ عندك؟ يا رسول الله، أم من عندالله؟ فقال: « لا، بل من عندالله»** وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهُهُ، كأنَّ وجههُ قطعةُ قمرٍ قال: وكُنَّا نَعْرفُ ذٰلك. . الحديث»[1]

صور من الفرح المحمود:

١ ـ عن جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاءه قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتابِي النِّمارِ أو العباءِ متقلِّدي السُّيُوفِ عامَّتهم من مُضر، بل كلهم من مُضر فتَمعَّر وجهُ رسول الله ﷺ لِما رأىٰ بهم من الفاقةِ فدخل ثمَّ خرج فأمر بلالاً فأذَّن وأقام فصلَّىٰ ثمَّ خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء، الآية: ١] والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر، الآية: ١٨] تصدَّق رجلٌ من ديناره من درهمه، من ثوبه من صاعِ بُرِّه من صاعِ تمره(حتَّىٰ قال) ولو بشقِّ تمرةٍ قال: فجاء رجلٌ من الأنصار بصرَّةٍ كادتْ كَفُّهُ تعجزُ عنها، بل قدْ عجزتْ قال: ثمَّ تتابع الناس حتَّىٰ رأيت كومَيْنِ من طعامٍ وثيابٍ حتىٰ رأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتهلَّلُ كأنَّه مذهبةٌ فقال رسول الله ﷺ: « **من سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً، فله أجرهَا، وأجر من عمل بها بعدهُ من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ ومن سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في**

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢١٢٠) (٢٧٦٩).

الإسلام سنةً سيئةً، كان عليه وزرها ووِزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1]

٢ـ عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أُناسٌ من الأعراب، فكنَّا نبتدرُ الماءَ، وكان الأعراب يسبقوننا إليه، فسبق أعرابي أصحابَه، فيسبق الأعرابي فيملأ الحوض ويجعلُ حولهُ حجارةً ويجعل النطع عليه حتىٰ يجيء أصحابه، قال: فأتىٰ رجل من الأنصار أعرابيًا فأرخىٰ زمام ناقتِه لتشرب، فأبىٰ أن يدعه فانتزع قِباض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجَّه فأتىٰ عبدالله بن أُبَي رأسَ المنافقين فأخبره وكان من أصحابه، فغضب عبدالله ابنُ أُبي ثمَّ قال كما حكىٰ القرآن الكريم ذٰلك: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون، الآية: ٧] يعني الأعراب، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله: إذا انفضوا من عند محمَّد فأتُوا محمَّدًا بالطعام، فليأكل هو ومن معه، ثم قال لأصحابه كما حكىٰ القرآن الكريم ذٰلك: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون، الآية: ٨] قال زيدٌ: وأنا ردفُ رسول الله ﷺ قال: فسمعتُ عبدالله بن أُبي فأخبرتُ عمِّي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله فحلف وجحد قال: فصدقه رسول الله وكذَّبني قال: فجاء عمِّي إليَّ فقال: ما أردتَ إلاَّ أن مقتكَ رسولُ الله وكذَّبك والمسلمون، قال: فوقع عليَّ من الهمِّ ما لم يقع علىٰ أحدٍ قال: فبينما أنا أسيرُ مع رسول الله ﷺ في سفرٍ قد خفقتُ برأسي من الهمِّ، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعركَ أُذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أنَّ لي الخُلد في الدنيا، ثم إنَّ أبابكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلتُ: ما قال شيئًا إلاَّ أنَّه عرك أُذني وضحك في وجهي، فقال: أبْشر، ثمَّ لحِقني عُمَرُ فقلت لهُ مثل قولي لأَبي بكرٍ، فلمَّا أصبحْنَا قرَأ رسُولُ الله ﷺ سورة ﴿المنافقين﴾[2].

٣ـ عن أبي موسىٰ الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلتْ أسماء بنتُ عُميس وهي ممن قدم معنا، علىٰ حفصة زوجِ النبي ﷺ زائرةً وقد كانت هاجرتْ إلىٰ النَّجاشي فيمن هاجر إليه، فدخلَ عمر علىٰ حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأىٰ أسماء، من هٰذِه؟ قالتْ: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحَبشِيَّةُ هٰذه؟ البحريَّةُ هٰذِهِ؟ فقالت أسماء: نعم فقال عمر: سبقْنَاكُمْ بِالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبَتْ وقالتْ كلمةً

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٧٠٤) (١٠١٧).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٤١٥) (٣٣١٣) وقال هذا حديث حسن صحيح.

كذبْتَ يا عُمَرُ! كلا والله! كنتم مع رسول الله يُطعم جائعكم، ويعظُ جاهلكم، وكُنَّا في دار، أو في أرض البُعَدَاءِ البُغَضَاءِ، في الحبشة وذٰلك في الله وفي رسوله وايمُ الله! لا أطعم ولا أشرب شرابًا حتىٰ أذكُر ما قلتَ لرسول الله ﷺ ونحن كنَّانؤذىٰ ونُخافُ وسأذكُرُ ذٰلك لرسول الله ﷺ وأسألهُ، ووالله! لا أكذبُ ولا أزِيغُ ولا أزيدُ علىٰ ذٰلك، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبيَّ الله إنَّ عمر قال كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: «**ليس بِأحقِّ بي منكم وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة، ولكم أنتُم أهل السَّفِينَةِ هجرتان» قالت: فلقد رأيتُ أبا موسىٰ وأصحاب السَّفينة يأتوني أرْسَالاً يسألوني عن هٰذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم مما قال لهم رسول الله ﷺ**[1].

من ثمرات الفرح المحمود:

١ـ أنَّ الفرح دليل علىٰ صدق الاستقامة وحب الطاعة.

٢ـ أنَّ الفرح بفضل الله ثمرة الرضا من الله للعبد.

٣ـ أنَّ الفرح بالله يورث المسارعة في الخيرات والاستكثار من الطاعات.

تحقيق مرتبة الاحسان في الفرح المحمود

يمكن للمؤمن أن يحقق مرتبة الإحسان في الفرح وذٰلك بأن يملأ قلبه بالسرور والانشراح إذا أصاب حسنة أو أصابته حسنة من الله تعالىٰ يفعل ذٰلك وهو علىٰ حالة وكأنَّه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ والله تعالىٰ ينظر إلىٰ ما في قلبه من الفرح به تعالىٰ وبفضله ورحمته.

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٩٤٦) (٢٥٠٣).

التاسع عشر: الولاء والبراء

الولاء لغة: مصدر مأخوذ من مادة (وَ لَ ي) التي تدل علىٰ القرب والولي ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة[1]

واصطلاحًا:

هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا[2] قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة، الآية: ٧١].

والبراء لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (بَ رَ أَ) التي تدل علىٰ التباعد من الشيء ومزايلته[3] قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦﴾ [الزخرف، الآية: ٢٦]

واصطلاحًا:

البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار[4] قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة، الآية: ١].

وموالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال، والنوايا[5]

أنواع الولاء:

الولاء نوعان:

محمود، ومذموم.

فالمحمود أقسام:

الأول: موالاة الله تعالىٰ للمؤمنين وهي تقتضي محبتهم ونصرتهم وحفظهم وتأييدهم: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ . .﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٧].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحربِ وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره ا لذي يبصر به، ويده التي يبطش بها**

---

(١) المقاييس (٦/١٤١)، والصحاح (٦/٢٥٢٨).

(٢) الولاء والبراء للقحطاني (٨٩ـ ٩٠).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/٣٢، ٣٣).

(٤) الولاء والبراء للقحطاني (٩٠).

(٥) الإيمان لنعيم ياسين (١٤٥).

ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفسِ المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[(١)].

الثاني: موالاة المؤمنين لربهم جلَّ شأنه وهي: تقتضي محبته ومحبة دينه ونصرته والوقوف عند أمره ونهيه، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس، الآية: ٦٢، ٦٣].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: والمراد بولي الله العالم بالله تعالىٰ والمواظب علىٰ طاعته المخلص في عبادته[(٢)].

الثالث: موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وهي تقتضي المحبة والنصر والتأييد والكون معهم باطنًا وظاهرًا قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة، الآية: ٧١].

وعن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سرٍ يقول: **«إنَّ آل أبي [فلان] ـ ليسوا بأوليائي، إنَّما وليي الله وصالح المؤمنين»**[(٣)].

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة، الآية: ٥٥، ٥٦].

النوع الثاني: الولاء المذموم: وهو قسمان:

الأول: موالاة الشيطان وهي بمعنىٰ محبته وطاعته والكون معه قال الله تعالىٰ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل، الآية: ٦٣].

والثاني: موالاة المنافقين والكفار: وهي بمعنىٰ محبتهم ونصرتهم وتأييدهم والكون معهم باطنًا وظاهرًا. قال الله تعالىٰ: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء، الآية: ٨٨، ٨٩].

وقال تعالىٰ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (١١/ ٣٤٠) (٦٥٠٢).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٢٩٣).

(٣) صحيح البخاري (١٠/ ٤١٩) (٥٩٩٠).

﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء، الآية: ١٣٨، ١٣٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ومسمىٰ الموالاة لأعداء الله: يقع علىٰ شعب متفاوتة، منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذٰلك من الكبائر والمحرمات[1].

وهٰذه الولاية منقطعة عند الحاجة لها في الدنيا والآخرة، بل تنقلب عداوة بين الطرفين، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال، الآية: ٤٨]. وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص، الآية: ٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥، ١٦٧].

ولا يعذر من هٰؤلاء إلاَّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان قال الله تعالىٰ:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل، الآية: ١٠٦، ١٠٧].

لأنَّ الإكراه لا سلطان له علىٰ القلوب فإنَّه لا يعلم ما فيها إلاَّ الله، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران، الآية: ٢٨].

فمن والىٰ الكفار بقلبه ومال إليهم فهو كافر علىٰ كل حال، فإنَّ أظهر موالاته بلسانه أو بفعله عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار، وإن لم يظهرها بفعل ولا قول، وعمل بالإسلام ظاهرًا عصم ماله ودمه وهو منافق في الدرك الأسفل من النار[2].

وممَّا يجب التنبيه عليه أنَّ المؤمن وإن كان فاسقًا فإنَّ له نوعَ ولاءٍ

---

(١) الفرقان (٧).

(٢) انظر: الولاء والبراء (٢٣١ـ ٢٤٨).

بحسب الخير الذي فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: علىٰ المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه، وإن ظلمه فإنَّ الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، وإذا اجتمع في الرجل الواحد خيرٌ وشر وفجور وطاعة، ومعصية وسنة، وبدعة استحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر[1].

أنواع البراء:

البراء نوعان:

محمود، ومذموم.

والمحمود قسمان:

الأول: البراء من كل ما يعبد من دون الله تعالىٰ وهو مقتضي شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله. وهو بمعنىٰ الكفر بكل ما يعبد من دون الله وكراهيته وبغضه أبدًا قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٩].

عن طارق بن أشيم الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قال لا إلـه إلاَّ الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم الله دمه وحسابه علىٰ الله**»[2].

والثاني: البراء من المشركين والكافرين والمنافقين ومن أعمالهم: قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة، الآية: ٢٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨ـ ٢٠٩).

(٢) صحيح مسلم(١/٥٣)، (٢٣).

النوع الثاني: البراء المذموم، وهو قسمان:

الأول: البراء من الله تعالىٰ ومما يقرب إليه.

والثاني: البراء من المؤمنين ومن أعمالهم الصالحة. وهٰذان من نواقض الإسلام.

مكانة الولاء والبراء في الدين:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أوثق عُرىٰ الإيمان، المولاة في الله والمعاداة في الله، والحبُّ في الله، والبغض في الله**»(١).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال: من بنىٰ بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذٰلك حشر معهم يوم القيامة»(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ليس للقلوب سرور ولا لذة إلاَّ في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا يمكن محبته إلاَّ بالإعراض عن كلِّ محبوبٍ سواه، وهٰذا حقيقة لا إلـٰه إلاَّ الله وهي ملَّة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين، أما شِقُّها الثاني محمَّد رسول الله ﷺ فمعناه تجريد متابعته ﷺ فيما أمر والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر ، ومن هنا كانت «لا إلـٰه إلاَّ الله» ولاء وبراء نفيًا وإثباتًا»(٣).

الولاء والبراء صفة عبادالله المحسنين:

يقول الله تعالىٰ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل، الآية:

---

(١) معجم الطبراني الكبير (١١/ ١٧١) (١١٥٣٧). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٢٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ٢٠٠، وقال إسناده صحيح.

(٣) الفتاوى (٢٨/ ٣٢).

.[١٢٧، ١٢٨].

صور من الولاء والبراء:

هٰذا الصَّحابي الجليل عبدالله بن حذافة السهمي ـ رضي الله عنه ـ لما أسَرَتْه الروم جاءوا به إلىٰ ملكهم فقال له: تنصَّرْ، وأنا أُشركُك في ملكي وأُزوِّجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع مَا تملكه العربُ علىٰ أن أرجع عن دين محمَّد طرفةَ عينٍ ما فعلت، فقال: إذًا أقتُلكَ، قال: أنتَ وذاك ، فأمر به فصُلِبَ ، وأمر الرُّماةَ فرَمَوهُ قريبًا من يَديه ورِجْليه وهو يعرضُ عليه دين النصرانية فيأبىٰ، ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدرٍ وفي رواية ببكرةٍ من نحاسٍ فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظامٌ تلوحُ وعرض عليه فأبىٰ، فأمر به أن يلقى فيها، فرفع في البكرة ليلقىٰ فيها، فبكىٰ فطمع فيه ودعاه، فقال له: إني إنما بكيتُ؛ لأنَّ نفسي إنَّما هي نفسٌ واحدةٌ تُلقىٰ في هٰذه القدر السَّاعةَ في الله، فأحببتُ أن يكون لي بِعَددِ كل شعرةٍ من جسدي نفسٌ تعذَّب هٰذا العذاب في الله(١).

ولقد كان بلالٌ ـ رضي الله عنه ـ: تُفعلُ به الأفاعيل، حتىٰ إنَّهم ليضعون الصَّخرةَ العظيمة علىٰ صدره في شدَّة الحرِّ، ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبىٰ عليهم ويقول: أحدٌ أحدٌ ويقول: والله لو أعلم كلِمَةً أغيظَ لكُمْ منها لقُلْتُهَا(٢).

وهٰذا حبيبُ بن زيدٍ الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ لما قال له مسيلمة الكذَّابُ: أتشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله ؟ قال: نعم، فيقول: أتشهد أنِّي رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فلم يزلْ يُقطِّعُهُ إربًا إربًا وهو ثابت علىٰ ذٰلك(٣).

وانظر إلىٰ عبدالله بن عبدالله بن أُبي ـ رضي الله عنه ـ: لما بلَغه ما كان من أبيه، أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّه بلغني أنَّك تُريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فمرني به، فأنا أحملُ إليكَ رأسَهُ، فوالله لقد عَلِمَتِ الخزرجُ، ما كان لها من رجلٍ أَبرَّ بوالديه مني، إني أخشىٰ أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعُني نَفسي أنظر إلىٰ قاتل عبدالله بن أبي يمشي في النَّاس فأقتله فأَقتُل مؤمنًا بكافرٍ فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «**بَلْ نترفَّقُ به ونُحْسِنُ صُحْبَتَهُ ما بَقِي معَنَا**».

ووقف عبدالله بن عبدالله بن أبي علىٰ باب المدينة واستلَّ سيفهُ، فلما

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤).

(٢) انظر: أسد الغابة (١/ ٢٠٦).

(٣) انظر: أسد الغابة (١/ ٣٧٠).

جاء أبوه قال له: وراءك فقال: مالك ويلك؟ قال: والله لا تجوز حتىٰ يأذن لك رسول الله ﷺ وكان إنَّما يسير ساقَهُ فشكا إليه عبدالله ابنه: فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتىٰ تأذنَ لهُ، فأذِنَ لهُ رسولُ الله فأجازه[1].

وعن يحيىٰ بن يعمر، قال: كان أوَّل من قال في القدر بالبصرة معبدٌ الجهني فانطلقتُ أنا وحميد بن عبدالرَّحمن الحِميري حاجَّين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هـٰؤلاء في القدر فوُفِّق لنا عبدالله بن عمر بن الخطَّاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليَّ فقلتُ: يا أبا عبدالرحمن إنَّه قد ظهر قِبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقفَّرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أنَّ لا قدر وأنَّ الأمر أُنُفٌ.

قال: فإذا لقيتَ أولـٰئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنَّهم بُرآء مني، والذي يحلفُ به عبدالله بن عمر لو أنَّ لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقَه ما قَبِلَ اللهُ منه حتىٰ يؤمن بالقدر...[2]

من ثمرات الولاء والبراء:

١ـ شهادة الله له بأنَّه من حزبه وموعدته له بالغلبة علىٰ أعدائه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة، الآية: ٥٦].

٢ـ أنَّ ذٰلك دليل صادق علىٰ قوة الإيمان في قلب صاحبه.

٣ـ عدم الخوف في الدنيا وانتفاء الحزن في الآخرة.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الولاء والبراء:

يستطيع المرء المسلم أن يحقق ذٰلك بأن يتفقد قلبه فلا يذر فيه مثقال ذرة من ميل إلىٰ غير الله تعالىٰ وغير رسوله والمؤمنين حتى يصبح أبيض طاهرًا نقيًا، ثم يملؤه بحب الله وحب رسوله والمؤمنين وحب الدين والامتثال له باطنًا وظاهرًا يفعل ذٰلك وهوعلىٰ حالة وكأنه ينظر إلىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٣).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٦) (٨).

العشرون: اليقين:

اليقين لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ي ق ن) التي تدل علىٰ زوال الشك[١].

وقال الجوهري ـ رحمه الله ـ: اليقين: العلم وزوال الشك[٢].

واصطلاحًا:

قال التهانوي ـ رحمه الله ـ اليقين: الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع[٣].

مكانته:

عن عبدالله بن حُبشي الخثعمي أنَّ النبيَّ ﷺ سُئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان لا شكَّ فيه وجهادٌ لا غلول فيه، وحجة مبرورة، قيل: فأي الصلاة أفضل؟ قال: طول القُنوتِ، قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل، قيل: فأي الهجرة أفضل؟ قال: من هجر ما حرم الله عزَّوجل، قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه، قيل: فأي القتل أشرف؟ قال: من أهريقَ دمُه وعقر جوادُهُ**»[٤].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وَعَمَلُ القوم إنَّما كان عليه، وإشاراتُهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين، وُلِدَ بينهما حصول الإمامة في الدين، قال الله تعالىٰ وبقوله يهتدي المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة، الآية: ٢٤].

وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال: وهو أصدق القائلين: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات، الآية: ٢١].

وخصَّ أهل اليقين بالهدىٰ والفرح من بين العالمين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ٤، ٥].

وأخبر عن أهل النار: بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية، الآية: ٣٢].

---

(١) المقاييس (٦/١٥٧).

(٢) الصحاح (٦/٢٢١٩).

(٣) الكليات (٩٧٩).

(٤) سنن النسائي (٥/٥٨) (٢٥٢٦). وصحَّح الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٥٣١) (٢٣٦٦).

فـ«اليقين» روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هـٰذا الشأن الذي عليه مداره[(١)].

خطب أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ فقال: «قام رسول الله ﷺ مقامي هـٰذا عام الأول، وبكىٰ أبوبكر فقال أبوبكر: سلوا الله المعافاة، أو قال: العافية، فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية أو المعافاة، عليكم بالصدق فإنَّه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنَّه مع الفجور وهما في النار، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا إخوانًا كما أمركم الله تعالىٰ»[(٢)].

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «اليقين الإيمان كله»[(٣)].

درجات اليقين:

يأتي اليقين علىٰ ثلاث درجات.

الأولىٰ: علم اليقين: وهو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع بتصديق وصحة ما جاء عن الله تعالىٰ في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ من أوامر ونواه ودين، والإيمان بما غاب عنَّا كالجنة والنار والصراط والحساب، ونحو ذٰلك وما جاء من أسماء الله تعالىٰ وصفاته وأفعاله قال الله تعالىٰ: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ [التكاثر، الآية: ٥، ٦].

الثانية: عين اليقين: وهو ما استغنىٰ به صاحبه عن طلب الدليل لأنَّ الدليل يُطلب للعلم بالمدلول، فإذا كان المدلول مشاهدًا له، فلا حاجة حينئذٍ للاستدلال قال تعالىٰ: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ [التكاثر، الآية: ٥ ـ ٧].

الثالثة: حق اليقين: وهـٰذه منزلة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد رأىٰ نبينا محمَّد ﷺ بعينه الجنة والنار، وكلَّم الله تعالىٰ موسىٰ ـ عليه السلام ـ بلا واسطة، أما بالنسبة لنا فإنَّ حق اليقين يتأخر يوم القيامة: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ ﴾ [الواقعة، الآية: ٨٨ ـ ٩٥].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنَّ الله لا يستجيب دعاءً مِنْ قلبٍ غافل لاهٍ»**[(٤)].

---

(١) المدراج (٢/ ٤١٣).

(٢) مسند أحمد (١/ ٧) (٥) وصحح إسناده أحمد شاكر (١/ ١٥٦).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ١٧).

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٥١٧) (٣٤٧٩) و الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٦٤) (٢٧٦٦).

ومثال ذٰلك: مثل من قال لك: عندي عسل، وأنت لا تشك في صدقه، فهٰذا علم اليقين، ثم أراك إياه، فهٰذ عين اليقين، ثم ذقت منه، فهٰذا حق اليقين[1].

اليقين صفة المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات، الآية: ١٥ ـ ٢٣].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة، الآية: ٢٣، ٢٤].

وموسىٰ ـ عليه السلام ـ من أئمة المحسنين.

صورة من اليقين:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وهو يقص في قصصهِ، وهو يذكر رسول الله ﷺ: «إنَّ أخًا لكم لا يقول الرَّفثَ» يعني بذلك عبدالله ابن رواحة:

وفينا رسُولُ الله يتلو كتابه ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ

أرانا الهدىٰ بعد العمىٰ فقلوبنا ... بهِ مُوقِناتٌ أنَّ ما قال واقعُ

يبيتُ يُجافي جنْبُهُ عن فراشه ... إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجع[2]

ثمرات اليقين:

١ـ أنَّه يورث قوة التوكل علىٰ الله تعالىٰ.

٢ـ أنَّه سبب في تهوين المصائب في الدنيا.

٣ـ أنَّه سبب في الإمامة في الدين.

٤ـ أنَّه متىٰ وصل «اليقين» إلىٰ القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفىٰ عنه كل ريب وشك وسخط، وهمٍّ وغمٍّ، فامتلأ محبةً لله، وخوفًا منه وَرِضًى به، وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابةً إليه.

٥ـ أنَّه سببٌ في النَّجاة من عذاب القبر.

عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّها قالت: أتيت عائشة حين خسفت الشمسن والنَّاسُ قيامٌ، وهي قائمةٌ تُصلِّي فقلتُ: ما للنَّاسِ؟ فأشارتْ بيدِهَا نَحو السَّماءِ فقالتْ: سبْحان الله، فقلتُ: آيةٌ؟ قالت برأسها:

---

(١) انظر: المدارج (٢/ ٤٢٠).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٨٧) (١١٠٤).

أَنْ نعَمْ، فلماانصرف رسُول الله ﷺ حمِدَالله وأثنىٰ عليه ثم قال: «ما من شيءٍ لم أره إلاَّ وقد رأيتهُ في مقامي هـٰذا، حتَّىٰ الجنَّةَ والنَّار، وأوحي إليَّ أنَّكم تُفْتَنُونَ في القبُورِ قريباً من فتنة الدَّجال، فأمَّا المُؤمن أو الموفق لا أدري أيَّ ذٰلك قالت: أسماء فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فقال: نم صالحًا، فقد علمنا إن كنت لمؤمناً، وأما المنافق (أو المرتاب، لا أدري ذلك ذكرت أسماء) فيقول: لا أدري، سمعتُ النَّاسَ يقُولونَ شيئًا فقلتُهُ»[(١)].

٦ـ أنَّه سبب في دخول الجنة

عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ: عن النبي ﷺ : «سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهمَّ أنْتَ ربي لا إلـٰه إلاَّ أنت، خلقتني وأنا عبدُكَ وأنا علىٰ عهدكَ ووعدِكَ ما استطعتُ، أعُوذُ بكَ مِن شرِّ ما صنعتُ، أبُوءُ لكَ بِنعْمَتِكَ عليَّ وأبُوءُ لكَ بِذَنْبِي فاغفرلي، فإنَّه لا يغفر الذُّنُوبَ إلاَّ أنتَ، قال: ومن قَالَهَا من النَّهارِ موقنًا بها، فمات من يومه قبلَ أن يُمسي، فهُوَ مِنْ أهل الجنَّةِ، ومن قالها من اللَّيلِ وهو مُوقنٌ بها، فمات قبل أن يصبح فهُوَ من أهل الجنةِ»[(٢)].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هـٰذا الحائط يشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»[(٣)] وذكر في الحديث قصة.

تحقيق مرتبة الإحسان في اليقين:

يمكن للعبد المؤمن أن يحقق ذٰلك بأنْ يعتقد اعتقادًا جازمًا صدق المُخبَرُ به عن الله تعالىٰ وعن رسول الله ﷺ في كل شيء كأنَّه يراه بعينيه حقيقة فلا يبقىٰ في قلبه ريب ولا شك.

---

(١) صحيح البخاري (٦/٢٦٥٧) (٦٨٥٧).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢٣٢٣) (٥٩٤٧).

(٣) صحيح مسلم (١/٥٩) (٣١).

المطلب الثاني
الإحسان القولي

قال الكفوي: القول والكلام واللفظ من حيث أصل اللغة بمعنًى[1]

أقسام الإحسان القولي:

يمكن تقسيم الإحسان القولي إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: قراءة القرآن والذكر والدعاء في الدنيا وتمجيد الله وتحميده وتسبيحه في الآخرة.

الثاني: كل كلام تضمن الدعوة إلىٰ الله عزَّوجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء أكان ذٰلك الكلام قرآنًا أم حديثًا أم من معناهما.

الثالث: كل كلام يستطيبه السامع ويسعد خاطره مما هو مشروع أو مباح[2].

---

(١) الكليات (٤/ ١٨).

(٢) انظر: نضرة النعيم (٧/ ٣٢٧١).

أولاً: تلاوة القرآن الكريم.

التلاوة لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ت ل و) التي تدل علىٰ معنىٰ واحد وهو الاتباع يقال: تلوته إذا تبعته، ومنه تلاوة القرآن؛ لأنَّ القاريء يقرأُ آيةً بعد آية[1].

واصطلاحًا:

قراءة القرآن الكريم متتابعًا كالأوراد والأسباع، يبين حروفها ويتأني في أدائها ليكون أقرب إلىٰ فهم المعاني[2].

والقرآن الكريم لغة:

مصدر قرأ بالهمزة التي تدل علىٰ جمع واجتماع يقال: قرأتُ الكتاب قراءةً وقرآنًا ومنه سمي القرآن قرآنًا، لأنَّه يجمع السور فيضمها[3].

واصطلاحًا:

قال الجرجاني ـ رحمه الله ـ: القرآن هو الكتاب المنزل علىٰ الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواترًا بلا شبهة لها[4].

وجوب قراءة القرآن الكريم وتحريم هجره:

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل، الآية: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان، الآية: ٣٠].

والمقصود بالهجر هجر التلاوة والتدبر لمعانيه، والعمل به أو أحدها.

فضل تلاوة القرآن الكريم:

يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر، الآية: ٣٠].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولٰكن ألف حرف، ولامٌ حرف وميم حرف**»[5].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ هٰذا القرآن مأدَبة الله فاقبلوا مأدبته ماستطعتم، إنَّ هٰذا القرآن حبل الله، والنور المبين،**

---

(١) انظر: المقاييس (١/ ٣٥١)، واللسان (١٤/ ١٠٢، ١٠٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٧٠٧)، وكشّاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٢٤).

(٣) المقاييس (٥/ ٧٨)، والصحاح (١/ ٦٥).

(٤) التعريفات (١٨١).

(٥) سنن الترمذي (٥/ ١٧٥) (٢٩١٠) وقال حسنٌ صحيح.

والشفاء النافع وعصمة لمن يمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيُستعتب، ولا يعْوَجُّ فيقوَّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلقُ من كثرة الرَّدِّ، اتلوه فإنَّ الله يأجركم علىٰ تلاوته كل حرف عشر حسنات، أَمَا إني لا أقول الم حرف، ولـٰكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[1].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لله أهلين من الناس**» قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[2].

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن يوم القيامة، اقرأ وراق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»[3].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قالت: قال رسول الله ﷺ قال: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[4].

والمعنىٰ أنَّه يجد مشقة في تعلمه لتلاوة القرآن.

قال قتادة ـ رحمه الله ـ: «ما جالس القرآن أحدٌ فقام عنه إلاَّ بزيادة أو نقصان ثم قرأ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[5] [الإسراء، الآية: ٨٢].

استحباب حسن الصوت والتلاوة:

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»[6].

قال ابن بطَّال: المراد بقوله ﷺ: «**زيِّنُوا القرآن بأصواتكم**» المدُّ والتَّرتيل، والمهارةُ في القرآنِ جَودَةُ التِّلاَوةِ بجَوْدَةِ الحِفْظِ فلا يتلعثَمُ ولاَ يتشكَّكُ وتكونُ قراءتُهُ سهلة بتيسير الله تعالىٰ كما يسَّره علىٰ الكرام البررةِ[7].

وقد كان النبي ﷺ يحب أن يسمع القرآن من حسن الصوت والتلاوة كما جاء عن أبي موسىٰ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النيَّ ﷺ قال له: «**يا أبا موسىٰ لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيتَ مزمارًا من مزامير آل**

---

(١) المستدرك للحاكم (١/ ٧٤١) (٢٠٤٠) وصححه الألباني في الصحيحة: (٢/ ٢٦٧) (٦٦٠).

(٢) سنن ابن ماجه (١/ ١٢٤٢) (٣٧٨٠). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣١٤) (٣٠٤٧).

(٣) سنن الترمذي (٥/ ١٧٧) (٢٩١٤) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، وصحَّحه الألباني.

(٤) صحيح مسلم (١/ ٥٤٩) (٧٩٨).

(٥) سنن الدَّارمي: (٨٣٤). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٢٤) (١١٠٣).

(٦) سنن أبي داود (٢/ ١٥٥) (١٤٦٨) وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٧٥).

(٧) فتح الباري (١٣/ ٥٢٨).

داود»[1].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: والَّذي يتحصَّل من الأدلة أنَّ حسن الصَّوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكنْ حسنًا فليحسِنْهُ ماستطاع. ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النَّغمِ؛ فإنَّ الحسنَ الصَّوتِ يَزْدادُ حسنًا بذٰلك، وإن خرج عنها أثَّر ذٰلك في حسنه، وغير الحسنِ ربَّما انجَبَرَ بمراعاتها ما لم يخرج عن شرطِ الأداءِ المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يفِ تحسين الأداءِ، فإن وُجد من يراعيهما معًا فلا شكَّ في أنَّه أرجح من غيره لأنَّه يأتي بالمطلوبِ من تحسينِ الصَّوتِ ويجتنبُ المَمْنُوع من حرمةِ الأدَاءِ والله أعلم[2].

وأفضل التلاوة الترتيل: وهو القراءة بتؤدة واطمئنان وإخراج كل حرف من مخرجه ، وإعطاؤه حقه ومستحقه مع تدبر المعاني[3].

المقدار الذي ينبغي قراءته من القرآن:

قال النووي: ـ رحمه الله ـ قد كان للسلف ـ رضي الله عنهم ـ: عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه، فكان جماعة منهم يختمون في كل شهرين ختمة، وآخرون في كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في كل سبع ليال ختمة، وهٰذا فعل الأكثرين من السلف،وبعضهم في أقل من ذٰلك، والمختار أنَّ ذٰلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر علىٰ قدر يحصل له فيه فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذٰلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد به، ولا فوت كماله، ومن لم يكن من هٰؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلىٰ حد الملل أو الهذرمة في القراءة وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة أو أقل مستدلين بالحديث الشريف: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**[4]»[5].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٤٦) (٧٩٣).

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٩٠).

(٣) البرهان في تجويد القرآن (٦).

(٤) سنن أبي داود (٢/ ٥٦) (١٣٩٤) وقال النووي رويناه بأسانيد صحيحة.

(٥) انظر: الأذكار للنووي (١٤٦).

الأوقات التي تستحب فيها قراءة القرآن الكريم:

قال النووي ـ رحمه الله ـ: أفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء، مستحبة، وأما قراءة النهار، فأفضلها ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات، ولا في أوقات النهي عن الصلاة[(١)]، ومن السنة كثرة الاعتناء بالقراءة في شهر رمضان، وفي العشر الأخير منه أفضل وليالي الوتر آكد ومن ذٰلك العشر الأول، من ذي الحجة ويوم عرفة[(٢)]

استحباب الجمع بين التلاوة والتدبر:

عن مجاهد ـ رحمه الله ـ: في قول الله عزّوجل: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قال: علىٰ تؤدةٍ

قال محمَّد بن الحسين: «والقليل من الدَّرسِ للقرآن مع الفكر فيه وتدبُّره أحبُّ إليَّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكر فيه، وظاهر القرآن يدل علىٰ ذٰلك والسُنَّةِ وقول أئمَّة المسلمين[(٣)]

وعن الحسنِ بنِ محمَّدٍ الصَّباح الزَّعفراني (من أصحاب الشَّافعي) قال: «الزموا كتاب الله وتتبَّعوا ما فيه من الأمثال وكونوا فيه من أهل البصر» ثم قال: «رحم الله عبدًا عرض نفسَه وعمله علىٰ كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمِدَالله وسأله الزِّيادة، وإن خالف كتاب الله أعتَبَ نفْسَهُ ورجع من قريبٍ.[(٤)]

تلاوة القرآن الكريم صفة المحسنين:

لقد كان إمام المحسنين محمَّد ﷺ تاليًا للقرآن الكريم آناء الليل والنهار. قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل، الآية: ٩٨، ٩٩]

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء، الآية: ٤٥ ـ ٤٧]

وقال تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

---

(١) الأذكار (١٤٦).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (١٤).

(٣) أخلاق أهل القرآن للآجري (١٦٩).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٩/ ٦٣) (٥٠١٦).

﴿مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء، الآية: ٧٨ ـ ٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل، الآية: ٩١ـ ٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة، الآية: ١ ـ ٣].

وممَّن أسلم واطمأن قلبه للإيمان محسنون يتلون آيات الله.

قال تعالىٰ: ﴿۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١١٣، ١١٤].

وبالجملة فإنَّ أحسن خلق الله من تعلم القرآن وعلَّمه.

فعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ: عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[١]

صورة من إحسان التلاوة:

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ: قال: سمعت النبي ﷺ «يقرأ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ في العشاء وما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه أو قراءة[٢]».

ثمرات تلاوة القرآن الكريم:

هناك ثمرات كثيرة منها:

١ـ أنَّ قارىء القرآن من أفضل الناس، وأعلاهم درجة في الدنيا والآخرة.

٢ـ مضاعفة الأجر لقارىء القرآن.

٣ـ أنَّ قارىء القرآن تظله الرحمة وتنزل عليه السكينة، وتحيط به الملائكة.

٤ـ أنَّ قراءة القرآن تورث الفضائل الحسنة.

٥ـ أنَّ قاريء القرآن لا يقربه الشيطان.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة تلاوة القرآن:

يمكن للمسلم أن يحقق ذلك بأن يتلو القرآن ويحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئًا علىٰ غير تأويله، وهو على حالة وكأنه يرى الله تعالىٰ حين تكلم به

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (٩/ ٧٤) (٥٠٢٧).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٢/ ٢٥١) (٧٦٩).

وأنزله ويسمع جبريل ـ عليه السلام ـ حين أوحاه على الرسول محمَّد ﷺ ويسمع الرسول ﷺ وهو يتلوه ويبلغه للناس يفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ ورجاء ثوابه.

ثانيًا : الذكر:

الذكر لغة:

مصدرٌ مأخوذٌ من مادة (ذ ك ر) يقول ابن فارس ـ رحمه الله ـ: «الذال والكاف والراء» أصلان عنهما يتفرع كَلِمُ الباب، فالمذكر التي ولدت ذكرًا، والمِذْكَارُ: التي تلد الذُّكران عادة والأصل الآخر: ذكرت الشيء خلاف نسيته، ثم حُمل عليه الذكر باللسان [1] وله معانٍ أُخَرُ.

واصطلاحًا:

التخلص من الغفلة والنسيان[2] بالإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها شرعًا[3].

مكانة الذكر:

للذكر بين العبادات مكانة عالية جدًا وذٰلك لما يحدثه في القلب والجوراح من آثار حسنة وما يترتب عليه من أجور عظيمة قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٥].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «الذكر» منشور الولاية، الذي مَنْ أعطيه اتَّصل، وَمَنْ مُنِعَهُ عُزِلَ وهو قوت قلوب المؤمنين، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بُورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متىٰ فارقهم انتكست منهم القلوب والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علاَّم الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانًا فَنَنْتَكِسُ

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلهم البلاء، فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ورؤس أموال سعادتهم التي بها يتجرون. يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذاكر إلىٰ المذكور بل يدع الذاكر مذكورًا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، و«الذكر» عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قيامًا وقعودًا، وعلىٰ جنوبهم، فكما أنَّ الجنَّة قيعان، وهو غراساها، فكذٰلك القلوب بور خراب وهو عمارتها، وأساسها.

---

(١) انظر: المقاييس (٢/ ٣٥٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٥١).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢١٢).

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا: ازداد المذكور محبة إلىٰ لقائه واشتياقًا وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء.

به يزول الوقْر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زيَّن الله به ألسنة الذاكرين، كما زيَّن بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل: كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن فإن وجدتم. . . . وإلاَّ فاعلموا أنَّ الباب مغلق.

وبالذكر: يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان، وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه[(١)].

عن أبي موسىٰ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**»[(٢)].

ومن أعظم الأحاديث الواردة في بيان مكانة الذكر وعظم أجر الذاكر ماروي عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ : «**ألا أنبئكم بخيرِ أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذَّهب والورِق، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى: قال: «ذكر الله تعالىٰ» فقال معاذ بن حبلٍ ـ رضي الله عنه ـ: ما شيء أنجىٰ من عذاب الله من ذكر الله**»[(٣)].

وقد كان الرسول ﷺ يوصي أصحابه بكثرة الذكر كما في حديث عبدالله بن بُسر أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**»[(٤)].

وأخبر ﷺ أنَّ الله تعالىٰ يباهي بالذاكرين الله تعالىٰ الملائكة وكفي بها

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٤٠ـ٤٤١).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١١/ ٢٠٨) (٦٤٠٧).

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٩) (٣٣٧٧) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٣٩) (٢٦٨٨).

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٨) (٣٣٧٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٣٩) (٢٦٨٧).

شرفًا.

عن أبي سعيد الخدي ـ رضي الله عنه ـ: قال: خرج معاوية علىٰ حلقةٍ في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكُر الله، قال: آلله، ما أجلسكم إلاَّ ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلاَّ ذاك قال: أما إني لم أستحلفْكُم تهمةً لكُم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثًا منِّي، وإنَّ رسول الله ﷺ خرج علىٰ حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟**» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده علىٰ ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا، قال: «**آلله، ما أجلسكم إلاَّ ذاك؟**» قالوا: والله ما أجلسنا إلاَّ ذاك، قال: «**أما إني لم أستحلفكم تُهمةً لكم، ولٰكنه أتاني جبريل فأخبرني، أنَّ الله عزَّوجل يباهي بكم الملائكة**»[1].

حديث القرآن عن الذكر:

قال ابن القيم: جاء الذكر في القرآن علىٰ عشرة أوجهٍ:

الأول: الأمر به مطلقًا ومقيَّدًا وذٰلك كقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٤١، ٤٢].

الثاني: النَّهي عن ضده من الغفلة والنِّسيان كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٢٠٥].

الثالث: تعليقُ الفلاحِ باستدامته وكثرته كقوله تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة، الآية: ١٠].

الرابع: الثناء علىٰ أهله والإخبار بما أعدَّ الله لهم من الجنة والمغفرة، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٥].

الخامس: الإخبار عن خُسران من لها عنه بغيره كقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون، لآية: ٩].

السادس: أنَّه سبحانه جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم له، كقوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٢].

السابع: الإخبار أنَّه أكبر من كل شيءٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٥].

الثامن: أنَّه جعله خاتمة الأعمال الصَّالحة كما كان مفتاحها، وذٰلك كما ختم به الحجَّ في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٧٥) (٢٧٠١).

﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة، الآية: ٢٠٠]، وختم به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [النساء، الآية: ١٠٣] وختم به الجمعة كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة، الآية: ١٠].

التاسع: الإخبار عن أهله بأنَّهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنَّهم أولو الألباب دون غيرهم كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٠، ١٩١].

العاشر: أنَّه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنَهُ بالصلاة كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه، الآية: ١٤]، وكذٰلك قرنَهُ بالصِّيام وبالحج وغيرهما[1].

من آداب الذكر وأحكامه:

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: ينبغي أن يكون الذكر علىٰ أكمل الصفات، وأن يكون الموضع الذي يذكر الله فيه خاليًا نظيفًا، ولهٰذا مُدِح الذكر في المساجد والأماكن الشريفة، وأن يكون فمه نظيفًا، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك ونحوه، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالماء، والذكر محبوب في جميع الأحوال، إلاَّ ما ورد الشرع باستثنائها منها: عند الجلوس علىٰ قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الخُطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة لأنَّ عليه الاشتغال بالقراءة، وفي حالة النعاس[2].

الذِّكر صفة المحسنين:

من عباد الله المحسنين الذاكرين الله كثيرًا، موسىٰ وهارون ـ عليهما السلام ـ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ [طه، الآية: ٢٩ ـ ٣٥].

وقد كان نبينا محمَّد ﷺ يذكر الله علىٰ كل أحيانه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله علىٰ كل أحيانه»[3].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٤١ـ٤٤٨).
(٢) انظر: الأذكار (١٧ـ١٨).
(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٨٢) (٣٧٣).

وقد وصف الله عباده المحسنين بذكره كما قال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور، الآية: ٣٦ ـ ٣٨].

وبما أنَّ المحسن سابق بالخيرات فإنَّ الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات سابقون إلىٰ الله فهم محسنون كما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرَّ علىٰ جبلٍ يقال له جُمْدان، فقال: «سيروا هـٰذا جُمْدَان، سبق المُفرِّدُون» قالوا: وما المفرِّدُونَ يا رسول الله؟ قال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[1] [الأحزاب، الآية: ٣٥].

صور من الذاكرين:

وهـٰذه أمنا جويرية ـ رضي الله عنها ـ صورة بارزة في إحسانها في ذكر الله تعالىٰ كما جاء عنها أنَّ النبيَّ ﷺ خرج من عندها بُكرة حين صلىٰ الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحىٰ وهي جالسة فقال: «ما زلت علىٰ الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرَّات لو وزنت بما قُلتِ منذُ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»[2].

من ثمرات الذكر لله تعالىٰ:

لو أردنا الوقوف علىٰ ثمرات الذكر وأدلتها جميعًا لطال بنا المقام وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في الذكر أكثر من مائة فائدة منها:

١ـ أنَّه يطرُد الشَّيطان ويقمعُهُ.

٢ـ أنَّه يُرضي الرَّحمن ـ عزَّ وجل ـ.

٣ـ أنَّه يزيلُ الهمَّ والغمَّ عنِ القلبِ.

٤ـ أنَّه يجلب للقلبِ الفَرحَ والسُّرورِ والبسط.

٥ـ أنَّه يقوي القلبَ والبَدَنَ.

٦ـ أنَّه يُنوِّرُ الوجهَ والقلبَ.

٧ـ أنَّه يجْلِبُ الرِّزق.

٨ـ أنَّه يكسو الذاكر المهابةَ والحلاوة والنُّضرةَ.

٩ـ أنَّه يورثُه المحبَّةَ التي هي روحُ الإسلام وقُطبُ رحىٰ الدين ومدارُ

---

(١) المصدر السَّابق (٣/ ٢٠٦٢) (٢٦٧٦).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٩٠) (٢٧٢٦).

السَّعادَةِ والنَّجاةِ.

١٠ـ أنَّه يورثُ المراقبة حتىٰ يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنَّه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلىٰ مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعدة إلى الوصول إلىٰ البيت(١).

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الذِّكر:

يمكن للمؤمن أن يحقق هٰذه المرتبة في صفة الذكر وذٰلك بأن يواطىء القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده ابتغاء مرضاة الله وهو علىٰ حالة وكأنه ينظر إلى ربه ويذكره والله تعالىٰ ينظر إليه ويذكره.

---

(١) راجع: الكلم الطيب (صحيح الكلم الطيب) ٨٢ـ١٦٤.

أنواع الذِّكر:

١ ـ التهليل:

التهليل لغة: مصدر هلَّل وهو مأخوذ من مادة (هـ ل ل) التي تدل علىٰ رفع الصوت[1] وهلَّلَ الرجل: أي قال: لا إلـٰه إلاَّ الله [2].

واصطلاحًا: أن يقول لا إلـٰه إلاَّ الله[3].

ومعناها: لا معبود بحق إلاَّ الله تعالىٰ.

الأمر بقول لا إلـٰه إلاَّ الله. قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد، الآية: ٣٠].

مكانتها: وفضلها:

لا إلـٰه إلاَّ الله أعظم كلمة تقال، وأثقل شيء في الميزان.

عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة مزرورة بالديباج فقال: ألا إنَّ صاحبكم هـٰذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع، ثم قال: إنَّ نبي الله نوحًا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إلـٰه إلاَّ الله ، فإنَّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إلـٰه إلاَّ الله في كفة رجحت بهن لا إلـٰه إلاَّ الله، ولو أنَّ السموات السبع والأرضين السبع كنَّ حلقة مبهمة قصمتهن، لا إلـٰه إلاَّ الله، ولو أنَّ السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن، لا إلـٰه إلاَّ الله، وسبحان الله وبحمده فإنَّها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك، والكبر، قال: قلتُ أو قيل: يا رسول الله هـٰذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ قال: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا ، قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: سفه الحق وغمط الناس»[4].

ولا إله إلاَّ الله تذكر بصاحبها عند الله تعالىٰ كما في حديث النعمان بن

---

(١) انظر: المقاييس (٦/ ١١).

(٢) لسان العرب (٨/ ٤٦٨٨).

(٣) المفردات (٥٤٢).

(٤) مسند أحمد (٢/ ٣٥٨) (٦٥٤٧) وصحح إسناده أحمد شاكر (٨/ ٨٧) (٦٥٨٣).

بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مما تذكرون من جلال الله، التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دويٌّ كدوي النحل، تُذَكِّرُ بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له «أو لا يزال له» من يُذَكِّرُ بِهِ»(١).

وهي أفضل الذكر كما جاء

عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الذِّكر لا إلـٰه إلاَّ الله، وأفضل الدُّعاء الحمدُلله**»(٢).

وهي من أحب الكلام إلىٰ الله تعالىٰ يؤيد ذٰلك حديث سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الكلام إلىٰ الله أربعٌ: سُبحان الله والحمدلله ولا إلـٰه إلاَّ والله أكبرُ لا يضرُّكَ بأيِّهنَّ بدَأْتَ ولا تُسمِّينَ غُلاَمَكَ يسارًا ولا رباحًا ولا نجيحًا، ولا أفلح فإنَّك تقولُ: أثَم هُو؟ فلا يكون فيقول: لا إنَّما هنَّ أربعٌ فلا تزيدنَّ عليَّ**»(٣)

وكانت دعوة ذي النون وهو في بطن الحوت قال الله تعالىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٨٧ ﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٧]، وهي فرج لكل من دعا بها مهما كان كربه.

عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إلـٰه إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنَّه لم يدعُ بها رجل مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلاَّ استجاب الله له**»(٤).

ومن قالها خالصًا من قلبه كان أسعد الناس بشفاعة الرسول ﷺ.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتِك يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لايسألَني عن هـٰذا الحديث أحدٌ أوَّلَ منكَ، لما رأيتُ من حرصِكَ علىٰ الحديث أسعد الناسِ بشفاعتِي يوم القيامة من قال: لا إلـٰه إلاَّ الله خالصًا من قلبه أو نفسه**»(٥).

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/١٢٥٢) (٣٨٠٩) وقال في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات.
(٢) سنن ابن ماجه (٢/١٢٤٩) (٣٨٠٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٦٢) (١١١٥).
(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٦٨٥) (٢١٣٧).
(٤) سنن الترمذي (٥/ ٥٢٩) (٣٥٠٥).
(٥) صحيح البخاري، الفتح (١/ ١٩٣) (٩٩).

قول لا إلـٰه إلاَّ الله والإكثار منها صفة المحسنين:

فقد كان الرسول ﷺ يقولها عند الفزع.

عن زينب بنت جحشٍ ـ رضي الله عنها ـ أنّها قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرا وجهه، وهو يقول: لا إلـٰه إلاَّ الله، ويلٌ للعربُ من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هـٰذه» وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أنهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخَبَثُ**»[1].

ويقولها عند الكرب:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنّه قال: إنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب، يعني: «لا إلـٰه إلاَّ الله العظيم الحليم، لا إلـٰه إلاَّ الله رب العرش العظيم، لا إلـٰه إلاَّ الله ربُّ العرش وربُّ السماوات والأرض ورب العرش الكريم»[2].

تحقيق مرتبة الإحسان في قول لا إلـٰه إلاَّ الله:

يستطيع المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في قول لا إلـٰه إلاَّ الله وذٰلك بأن يحقق أركانها وهي نفي كل ما يعبد من دون الله، وإثبات العبادة لله وحده ويحقق شروطها وهي العلم واليقين، والقبول والانقياد، والصدق والإخلاص والمحبة[3] مؤمنًا بذٰلك مواطئًا قلبه لسانه وهو علىٰ حاله كأنه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ حين اعتقادها وقولها والعمل بمقتضاها.

٢ ـ التكبير

التكبير لغة:

مصدر «كبَّرَ» وهو مأخوذ من مادة (ك ب ر) التي تدل علىٰ خلاف الصِّغر، بمعنىٰ الكثرة والعظمة وقول: «الله أكبر» اختلف فيها علىٰ وجوه:

الأول: أنَّ معناها «الله الكبير».

الثاني: أنَّ معناها: «الله أكبر من كل شيء».

الثالث: قيل معناها: «الله أكبر من أن يعرف كُنْهُ كبريائه وعظمته»[4].

وهـٰذه الوجوه كلها صواب.

واصطلاحًا:

قول الله أكبر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر، الآية: ٢].

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (١٣/ ١١) (٧٠٥٩).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٩٢) (٢٧٣٠).

(٣) سبق الحديث عن أركان لا إله إلاَّ الله وشروطها في الإحسان العقائدي.

(٤) المقاييس (٥/ ١٥٣) (٣/ ٢٩٠)، المفردات (٤٢١)، النهاية (٤/ ١٤٠).

مكانة التكبير:

بالنظر إلىٰ مجموع الآثار الواردة في التكبير يلحظ القاريء الكريم أنَّ التكبير جاء قوة للنفس البشرية عند الملمات والصعاب.

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: صبَّح النبي ﷺ خيبر وقد خرجوا بالمساحي، علىٰ أعناقهم، فلما رأوهُ قالوا: محمد والخميس، محمَّد والخميس، فلجأوا إلىٰ الحصن، فرفع النبي ﷺ يديهِ وقال: «**الله أكبر، خربَتْ خيبر، إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، وأصبنا حمرًا فطبخناها، فنادىٰ منادي الرسول ﷺ: «إنَّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر، فأكفئت القدور بما فيها**»[1]

وجاء التكبير تذكيرًا للنفس البشرية، بأنَّ كل ما تراه ويقع تحت حواسها من المخلوقات العظام وقدرتها وسطوتها وطول بقائها، فإنَّ الله الذي خلقها أعظم قدرًا وأكبر قوة وأشد بأسًا منها.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال: «عليك بتقوىٰ الله، والتكبير علىٰ كل شرف»[2].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قال: كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا الثنايا كبَّروا وإذا هبطوا سبحوا»[3].

وجاء التكبير ليبرهن أنَّ كل ما يلقىٰ في روع الإنسان أو ما يتوهمه عن جلال الله وعظمته لا يليق بالله تعالىٰ وذٰلك لأنَّ الله تعالىٰ موصوف بصفات الكمال والجلال التي لا يدرك كنهها وكيفيتها إلاَّ هو جلَّ جلاله وتعالىٰ سلطانه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام، الآية: ٩١] وأنَّ كل طاعة للعبد مهما بلغت من الإحسان فإنَّ حق الله أكبر وأعظم منها.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنَّا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير»[4] ورد علىٰ أولـٰئك السفلة من بني آدم الذين ألحقوا بالله تعالىٰ النقص تعالى الله عن ذٰلك علوًا كبيرًا قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء، الآية: ١١١] وأنَّ الله وحده الذي يهدي عباده دون سواه فحقه أن يكبر ويعظم كما

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (٦/ ١٣٤) (٢٩٩١).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٠٠) (٣٤٤٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٤٧) (٤٠٤٦).

(٣) سنن أبي داود (٣/ ٧٥) (٢٥٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤٩٢) (٢٢٦٤).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤١٠) (٥٨٣).

قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٨٥].

وجاء التكبير صيحة في أذن كل مسلم كل يوم خمس مرة من على رؤوس المأذن ليقول له إنَّ الله تعالىٰ أعظم مَنْ ذُكِرَ وَأَجَلّ مَنْ تُقُرِّبَ إليه وأجزلُ مَنْ يُثِيب علىٰ العمل، وأنَّ الاشتغال بطاعته أولىٰ.

وبالجملة فإنَّ الإنسان المسلم تبتدىء حياته أول ما يفد إلىٰ الحياة الدنيا بالتكبير ينادىٰ في أذنه عقب الولادة كما جاء عن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أُذُنِ الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة»[1].

وتختتم بالتكبير حين يصلي عليه قبل الدفن كل ذٰلك ليقطع المسلم مراحل حياته ما بين الحين والحين وهو معظم لربه ومكبره.

أنواع التكبير:

قال الإمام النيسابوري: التَّكبير أنواعٌ منها:

١ـ تكبيره في صفاته بأن يعتقدها كلها من صفات الجلال والإكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال، وأنَّها منزهة عن سماتِ التَّغير والزَّوال والحدوث والانتقال.

٢ـ تكبير الله في أحكامه، وهو أن يعتقد أنَّ أحكامه كلها جارية علىٰ سننِ الصَّواب، وقانونِ العدالةِ[2].

من ثمرات التكبير:

١ـ أنَّه من غراس الجنة.

٢ـ عظم أجر صاحبه.

٣ـ أنه يغرس في قلب صاحبه محبة الله والخوف منه ورجاء ما عنده.

٤ـ أنَّه من عوامل الثبات عند الملمات.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر، الآية: ١ ـ ٥].

التكبير من صفات المحسنين: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ

(١) الترمذي (٤/ ٩٧) (١٥١٤) وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٦١) (٤٢٥٨).

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري (٨/ ١٠٤) بهامش تفسير الطبري.

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج، الآية: ٣٦، ٣٧].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التكبير:

يمكن للمؤمن أن يحقق ذٰلك بأن يعظم الله تعالىٰ بلسانه قولاً وبقلبه اعتقادًا بأنّه جلَّ جلاله الكبير الذي هو أكبر من كل شيء وأكبر من أن يحيط بكنهه أحد من مخلوقاته ويكبر الله تعالى في أحكامه باعتقاد أنَّها كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة يفعل ذٰلك كله، وهو علىٰ حاله وكأنه ينظر إلىٰ كبرياء الله وعظمته، يبتغي بذٰلك وجه الله تعالىٰ وحده دون سواه.

٣ ـ التسبيح :

التسبيح لغة:

مصدر سبَّح وهو مأخوذ من مادة (س ب ح) التي تدور حول معنيين:

الأول: جنس من العبادة، والآخر جنس من السعي[(١)] وسبَّح الرجل قال سبحان الله[(٢)].

واصطلاحًا: .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: التسبيح يعني قول سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، وجماع معناه.

منزلة التسبيح:

للتسبيح في الدين الإسلامي منزلة سامية فقد افتتح الله به جملة من السور في القرآن الكريم مثل سورة الإسراء والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن وغيرها، وقد أمر به في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب] وهو العمل الذي لا ينقطع عنه المؤمن لا في الدنيا ولا في الجنة كما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زُمرة تلج صورتهم علىٰ صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرىٰ مخ سوقهما من وراء اللَّحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلبٌ واحدٌ يسبحون الله بكرة وعشيًا**»[(٣)].

والتسبيح من أحب الكلام إلىٰ الله تعالىٰ كما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم**»[(٤)].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ: قالا: قال النبي ﷺ «**أفضل الكلام أربع: سبحان الله ، والحمدلله، ولا إلـه إلاَّ الله، والله أكبر**»[(٥)].

---

(١) المقاييس (٣/ ١٢٥).

(٢) اللسان (٢/ ٤٧٢).

(٣) صحيح مسلم (٣/ ٢٠١٧٨) (٢٨٣٤).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٧٢) (٢٦٩٤).

(٥) صحيح ابن خزيمة (٢/ ١٨٠) (١١٤٢).

وهو سبب من أسباب المغفرة وإجابة السؤال وأن يجير الله العبد مما يستجار منه كما ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلاَّ أحد قال مثل ما قال: أو زاد عليه**»[١].

عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ ملائكةً سيَّارةً فُضْلاً يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتىٰ يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلىٰ السماء، قال: فيسألهم الله عزَّوجل، وهوأعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنَّتك قال: وهل رأوا جنَّتي؟ قالوا: لا أي ربِّ، قال: فكيف لو رأوا جنَّتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأو ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأو ناري؟ قالوا: ويستغفرونك قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: ربِّ فيهم فلان عبد خطاء، إنَّما مرَّ فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرتُ هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم**»[٢].

وفي التسبيح قوة جسدية ومعونة من الله تعالى للمسبح.

عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنَّ فاطمة اشتكت ما تلقىٰ من الرَّحىٰ في يدها، وأتىٰ النبي ﷺ سَبْيٌ فانطلقت فلم تجده، ولقيتْ عائشة، فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ: «**علىٰ مكانكما**» فقعد بيننا حتَّىٰ وجدتُ برد قدمه علىٰ صدري، ثم قال: «**ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثًا وثلاثين، وتحمداه ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**»[٣].

وكل تسبيحة بعشر حسنات أو ما يعادلها من حط السيئات أو أكثر.

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: كُنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟**» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنةٍ؟ قال: «**يسبح مائة تسبيحةٍ، فيكتب له ألف**

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٧١) (٢٦٩٢).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٦٩) (٢٦٨٩).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٩/ ٥٠٦) (٥٣٦١).

حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة، حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»**[2]

وكل تسبيحة صدقة فسبحان الله كم من صدقات وميراث يأتي بها المسبحون يوم القيامة.

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«يصبح علىٰ كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدةٍ صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرةٍ صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحىٰ»**[3].

وفي التسبيح تشترك المخلوقات من إنسان، وملك وحيوان وجماد.

قال الله تعالىٰ: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء، الآية: ٤٤]، وأما كيفية تسبيحها فالله عالم به ليس مما تحت قدرتنا معرفته، إلاَّ أن نؤمن به ويزيدنا إيمانا ويقينًا بربنا تبارك وتعالىٰ، وقد سبق الدليل علىٰ تسبيح الإنسان والملائكة الكرام، وهٰذه الأحاديث تبين عن تسبيح الحيوان والجماد.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قرصتْ نملة نبيًا من الأنبياء، فأمر بقريةِ النمل فأُحرقت، فأوحىٰ الله إليه أن قرصَتْكَ نملةٌ أحرقتَ أمةً من الأمم تسبِّح الله»**[4].

وعن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا نعد الآيات بركةً، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فقلَّ الماء، فقال: **«اطلبوا فضلةً من ماء»** فجاءوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: **«حيَّ علىٰ الطهور المبارك، والبركة من الله»** فلقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل[5].

وقد كان النبي ﷺ يستعين بالتسبيح في كشف الملمات والصعاب كما جاء ذٰلك عن عبدالرحمن بن سمرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: **«كنت أرتمي، بأسهم لي بالمدينة في حياة رسول الله ﷺ إذ كسفتِ الشَّمس**

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٧٣) (٢٦٩٨).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١١/ ٢٠٦) (٦٤٠٥).

(٣) المصدر السَّابق (١٠/ ١٤٨) (٢٦١٨).

(٤) المصدر السَّابق (٨/ ٢١٥) (٤٤٨٢).

(٥) صحيح البخاري (٦/ ٥٨٧) (٣٥٧٩).

فنبذتها فقلتُ: والله لأنظرنَّ إلىٰ ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوف الشمس قال: فأتيته وهو قائم في الصلاة، رافع يديه فجعل يسبح ويحمد ويهلل ويكبر ويدعو، حتَّىٰ حسر عنها قال: فلمَّا حُسِرَ عنها، قرأ سورتين وصلَّىٰ ركعتين»[1].

والتسبيح من العبادة التي تشترك فيها جميع المخلوقات كما قال تعالىٰ: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء].

التسبيح من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الصافات، الآية: ١٣٩ ـ ١٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور، الآية: ٣٦، ٣٨].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبحمدك، اللَّهمَّ اغفرلي» يتأول القرآن»[2].

من ثمرات التسبيح:

١ـ أنَّ التسبيح يصل بالمرء المسلم إلىٰ تعظيم ربه وتقديسه.

٢ـ عظم أجر المسبحين.

٣ـ سبب في محبة الله تعالىٰ لعبده المؤمن به.

٤ـ أنَّه يحدث في النفس والبدن قوة ونشاطًا يلحظه المسبح عند التسبيح.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التسبيح:

يمكن للمؤمن أن يحقق ذٰلك بأن يواطأ قلبه لسان في تعظيم الله وتقديسه وتنزيهه وهو علىٰ حاله وكأنَّه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ والله تعالى يسمع تسبيحه ويثيبه عليه يفعل ذٰلك كله ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٢٩) (٩١٣).

(٢) المصدر السَّابق (١/ ٣٥٠) (٤٨٤).

٤ ـ الحمد

الحمد لغة:

مصدر مأخوذٌ من مادة (ح م د) التي تدل علىٰ خلاف الذّم بمعنىٰ الثناء(١)

واصطلاحًا:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه(٢).

وقال الجرجاني ـ رحمه الله ـ: الحمد: هو الثناء علىٰ الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها(٣).

وقال الراغب ـ رحمه الله ـ: الحمدلله تعالىٰ. هو الثناء عليه بالفضيلة(٤).

مكانة الحمد:

المحمود المثنىٰ عليه هو الله عزّوجل وهو الحميد بحمده لنفسه كما قال تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر، الآية: ١] وغيرهما من الآيات كثير جدًا وبحمدِ عباده له أبدًا في الدنيا والآخرة كما قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٩﴾ [إبراهيم].

وقال تعالىٰ عن أهل الجنة: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس، الآية: ١٠]. ويرجع هذا إلىٰ صفات الجلال والعلو والكمال(٥) لذا كان من الواجب على الحامد أن يكون عالمًا بأسماء الله وصفاته ليتحقق حمده إياه(٦).

ولا ريب أنَّ حمدالله تعالىٰ من أعظم أنواع العبادة لذٰلك أمر به في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الإسراء، الآية: ١١١] وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل، الآية: ٥٩] وقد رتَّب الله تعالىٰ علىٰ الحمد أجورًا عظيمة كما جاء علىٰ لسان رسوله محمَّد ﷺ عن أبي مالك الأشعري، ـ رضي الله عنه ـ قال: رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر**

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠)، والصحاح (٢/ ٤٦٦). واللسان (٣/ ١٥٥ـ١٥٨).
(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٩٣).
(٣) التعريفات (٩٣).
(٤) المفردات (١٣١).
(٥) انظر: المقصد الأسنى (١٣٠).
(٦) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٩٣).

الإيمان والحمدلله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمدلله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة، نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[١].

ففي الحديث انفراد الحمد بِمَلْئه الميزان واشترك في مَلْئِهِ ما بين السماوات والأرض، فيالله ما أعظم قدر الحمد وأجزل مثوبته فقد جاء عن رفاعة بن رافع ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا يومًا نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، قال: «سمع الله لمن حمده» قال رجل: ربَّنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «**من المتكلم؟**» قال: أنا قال: «**رأيتُ بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول**»[٢].

والله من فضله وكرمه وجُودِهِ رضي من عبده بالحمد علىٰ نعمه فأعطىٰ الكثير ورضي بالقليل كما جاء عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنعم الله علىٰ عبد نعمة فقال: الحمدلله، إلاَّ كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ**»[٣] والحمد من الكلمات الأربع المحبوبة لله تعالىٰ، يؤيد ذٰلك حديث سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلىٰ الله أربع: سبحان الله، والحمدلله ولا إلـٰه إلاَّ الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت..**»[٤] وقد كان النبي ﷺ يفتتح خطبه بالحمد.

عن أبي شريح أنَّه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلىٰ مكة، ائذن لي أيُّها الأمير، أحدثك قولاً قال به النبي ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي، حين تكلم به. حمدالله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إنَّ مكة حرَّمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة، فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله ﷺ، فيها فقولوا: إنَّ الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعةً من نهارٍ، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب» فقيل لأبي شريح ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم منك يا أبا شريح ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم منك يا أبا شريح ما قال لك عمرو؟ قال أنا أعلم منك يا أبا شريح إنَّ مكة لا تعيذ عاصيًا ولا فارًّا بدمٍ، ولا فارًّا بخربةٍ»**[٥].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٠٣) (٢٢٣).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٢/ ٢٨٤) (٧٩٩).

(٣) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٥٠) (٣٨٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٧٥) (٥٥٦٣).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٦٨٥) (٢١٣٧).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (١/ ١٩٧). (١٠٤).

وكان ﷺ يقول كما في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: **لأن أقول سبحان الله والحمدلله ولا إلـٰه إلاّالله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»**(١).

أنواع الحمد:

الحمد نوعان: الأول: حمداللسان وهو ثناؤه علىٰ الله تعالىٰ بما أثنىٰ به علىٰ نفسه وعلىٰ لسان أنبيائه.

والثاني: حمد الجوارح: وهو الاتيان بالأعمال البدنية، ابتغاء لوجه الله تعالىٰ (٢).

الحمد من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل، الآية: ١٥]. وقال تعالىٰ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٩].

وعن عبدالله بن أبي أوفي ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنَّ النبي ﷺ كان يقول: «**اللَّهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللَّهمَّ طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقىٰ الثوب الأبيض من الوسخ**»(٣)

وقال عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بعد أن لبس ثوبًا جديدًا فلمَّا بلغ ترقوته، قال: «الحمدلله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي»(٤).

وكان عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ لا يؤتىٰ أبدًا بطعام ولا شراب، حتىٰ الدواء فيطعمه أو يشربه، إلا قال: الحمدلله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا، الله أكبر، اللهم ألفتنا نعمتك بكل شر، فأصبحنا منها وأمسينا بكل خير، نسألك تمامها وشكرها، لا خير إلاَّ خيرك، ولا إلـٰه غيرك، إلـٰه الصالحين، ورب العالمين، الحمدلله ولا إلـٰه إلاّالله ما شاء الله ولا قوّة إلاّ بالله، اللهمَّ بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار»(٥).

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٧٢) (٢٦٩٥).

(٢) انظر: التعريفات (٩٢ـ٩٣).

(٣) صحيح مسلم: (١/ ٣٤٦) (٤٧٦).

(٤) عدة الصابرين (١٢٥).

(٥) الموطأ (٩٣٤، ٩٣٥).

من ثمرات الحمد:

١ـ به يتحقق رضاء الله تعالىٰ للحامد.

٢ـ أنه من أرفع الطاعات وأعلىٰ القربات.

٣ـ أنَّه سبب في زيادة النعم.

٤ـ أنَّه سبب في دخول الجنة.

٥ـ أنَّ فيه قوة للبدن.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحمد:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق ذٰلك بأن يواطيء قلبه لسانه بالحمد ثناء علىٰ الله تعالىٰ مع محبته وإجلاله وتعظيمه ابتغاء وجهه وهو علىٰ حالة كأنه ينظر إلىٰ الله جلَّ وعلا.

٥ ـ الحوقلة

الحوقلة لغة:

مصدر حوقل الرجل إذا قال: لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله[١].

قال الراغب ـ رحمه الله ـ: «أما الحولُ في اللغة فأصله تغير الشيء وانفصاله عن غيره[٢].

الحوقلة اصطلاحًا:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في: «لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله» قال: «لا حول بنا علىٰ العمل بالطاعة إلاَّ بالله، ولا قوة لنا علىٰ ترك المعصية إلاَّ بالله»[٣].

وعن زهير بن محمَّد أنَّه سئل، عن تفسير: «لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله» قال: لا تأخذ ما تحب إلاَّ بالله، ولا تمنع مما تكره إلاَّ بعون الله»[٤].

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ والمعنىٰ بهٰذا اللفظ إظهار الفقر إلىٰ الله تعالىٰ بطلب المعونة علىٰ ما يزاوله من الأمور[٥].

حقيقة لا حول ولا قوة إلاَّ بالله:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ليس في الوجود الممكن سببٌ واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثِّر سببٌ البتَّة إلاَّ بانضمام سببٍ آخر إليه وانتفاء مانع يمنع تأثيره هٰذا في الأسباب المشهودة بالعيان، وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية كتأثير الشمس في الحيوان والنَّبات، فإنَّه موقوف علىٰ أسباب أخر، من وجود محلٍ قابل وأسباب أخر تنضم إلىٰ ذٰلك السبب، وكذٰلك حصول الولد موقوف علىٰ عدة أسباب غير وطء الفحل، وكذٰلك جميع الأسباب مع مُسَبَّبَاتِهَا، فكل ما يخافُ ويرجىٰ من المخلوقات فأعلىٰ غاياته أن يكون جزء سببٍ غير مستقل بالتأثير، فإنَّه لو فرض أنَّ ذٰلك سببٌ مستقل وحده بالتأثير لكانت سَبَبِيَّتُهُ من غيره لا منه، فليس له من نفسه قوَّة يفعل بها؛ فإنَّه لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فهو الذي بيده الحول كله والقوة كلها، فالحول والقوة التي يرجىٰ لأجلهماا لمخلوق ويخاف إنَّما هما لله وبيده في الحقيقة، فكيف يخاف ويرجىٰ من لا حول له ولا قوَّة، بل خوفُ المخلوقِ ورجاؤُه أحدُ أسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه،

---

(١) لسان العرب (٨/ ٤٦٨٨)، الصحاح (٤/ ١٦٧٢)، المصباح المنير(٢/ ٦٣٩).
(٢) المفردات: (١٣٧).
(٣) الدر المنثور(١٥/ ٣٩٣).
(٤) الدر المنثور(١٥/ ٣٩٤).
(٥) جامع الأصول (٤/ ٣٩٨).

فإنَّه علىٰ قدر خوفك من غير الله يسلِّط عليك، وعلىٰ قدر رجائك لغيره يكون الحرمان وهـٰذا حال الخلق أجمعه وإن ذهب عن أكثرهم علمًا وحالاً، فماشاء الله كان ولا بد، وما لم يشأ لم يكن، ولواتَّفقت عليه الخليقة(١).

مكانتها:

إذا كانت الحوقلة بهـٰذا المعنىٰ فإنَّها حقيقة العبودية لله تعالىٰ يؤيد ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة، الآية: ٥].

فالمعين علىٰ عبادته تعالىٰ هو وحده دون سواه وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف، الآية: ٣٩] توبيخ علىٰ ترك الإقرار بأنَّ مشيئة الله وقوته وحده دون سواه هي السبب في إعطاء الجنة وما الأسباب الأخرىٰ إلاَّ من مشيئته وقوته تعالىٰ(٢).

وهـٰذه الكلمة الطاهرة هي كنز من كنوز الجنة.

عن أبي موسىٰ الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنَّا مع النَّبي ﷺ في سَفرٍ، فكنا إذا علونا كبَّرنا، فقال: «**اربعوا علىٰ أنفسكم، فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيرًا، قريبًا** ثم أتىٰ علي وأنا أقول في نفسي لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، فقال: «ياعبدالله بن قيس، قل: لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، فإنَّها كنزٌ من كنوز الجنة» أو قال: «ألاَّ أدلك به»(٣).

وهي وصية الرَّسول ﷺ لأتباعه.

عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: «قل لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمدلله كثيرًا، سبحان الله ربِّ العالمين، لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العزيز الحكيم» قال هـٰؤلاءِ لربي، فما لي؟ قال: «قُل اللَّهمَّ اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني»(٤).

عن قتادة: «إنَّ عثمان كان إذا سمع المؤذن يقول كما يقول في التَّشهد والتَّكبير كله، فإذا قال: حيَّ علىٰ الصلاة قال: ما شاء الله ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله..»(٥).

وقال الزمخشري: «لا يقوىٰ أحد في بدنه ولا في ملك يده إلاَّ بالله تعالىٰ، وعن عروة بن الزبير أنَّه كان يثلمُ حائطه أيام الرطب، فيدخل من

---

(١) الفوائد (١/ ٥٢).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير(١٥/ ٣٢٤).

(٣) صحيح البخاري، الفتح(١٣/ ٧٣٨٦).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٧٢) (٢٦٩٦).

(٥) المصنف (١/ ٢٠٦).

شاء، وكان إذا دخله يردد ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله حتىٰ يخرج»[1].

من ثمرات الحوقلة:

١ـ في قولها نجاة من الشيطان.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«إذا خرج الرَّجل من بيته، فقال: بسم الله، توكَّلتُ علىٰ الله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، قال: يقالُ حينئذ: هُدِيتَ وكُفيتَ ووُقِيتَ فتتنحَّىٰ له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدي وكُفِي ووُقِي»**[2].

٢ـ أنَّ قولها سبب في استجابة الدعاء، وقبول الأعمال:

عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعارَّ من الليل فقال: لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، الحمدلله وسبحان الله ولا إلٰه إلاّ الله والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله»**، ثم قال: «اللَّهمَّ اغفرلي أو دعا استُجيب فإن توضَّأ قُبلت صلاته»[3].

٣ـ عظم أجر قائلها: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: **«خرج رسول الله ﷺ من عند جويرية، وكان اسمها برة، فحول اسمها، فخرج وهي في مصلاَّها ورجع وهي في مصلاَّها، ورجع وهي في مصلاَّها، فقال: «لم تزالي في مصلاك هذا؟ قالت: نعم قال، قال: قد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرَّات لو وُزنت بما قلت لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»**[4]

٤ـ أنَّ قولها سبب في دخول الجنة: عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم، الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله، قال: أشهد أن لا إلـٰه إلاّالله ثم قال: أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله، قال: أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله ، ثم قال: حيَّ علىٰ الصَّلاة، قال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ثم قال: حيَّ علىٰ الفلاح، قال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إلـٰه إلاّ الله، قال:**

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٩١).

(٢) سنن أبي داود (٥/ ٣٢٨) (٥٠٩٥). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٥٩) (٤٢٤٩).

(٣) صحيح البخاري ، الفتح (٣/ ٣٩) (١١٥٤).

(٤) سنن أبي داود(٢/ ١٧١) (١٥٠٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٨٠) (١٣٣١).

لا إلـٰه إلاَّ الله من قلبه، دخل الجنة»[1].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحوقلة:

إذا قال المؤمن لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله افتقارًا إلىٰ الله تعالىٰ وتبرءً من كل حيلة وقوة وطلبًا للمعونة من الله وحده دون سواه معتقدًا أنَّه لا يغير ما به من نعمة أو سوء إلاَّ هو تعالىٰ يفعل ذٰلك ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ وهو علىٰ حال وكأنه ينظر إلىٰ الله القوي الغالب فإنَّه قد أحسن في قولها.

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٨٩) (٣٨٥).

٦ ـ الحسبلة (حسبي الله ونعم الوكيل)

وتعريفها:

أ ـ الحسب لغة: اسم فعل بمعنىٰ يكفي(١)

يقول ابن فارس ـ رحمه الله ـ: «الحاء والسين والباء أصول أربعة، فالأول العدُّ والثاني: الكفاية والثالث: الوسادة الصغيرة، والرابع: الذي ابيضت جلدته من داء ففسدت شعرته، كأنه أبرص(٢).

أورد ابن منظور ـ رحمه الله ـ: في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال، الآية: ٦٤] قال جاء التفسير يكفيك الله، ويكفي من اتَّبعك(٣).

ب ـ ونعم لغة: كلمة تستعمل في المدح(٤).

واصطلاحًا:

قال الكفوي ـ رحمه الله ـ: «حسبنا الله» كناية عن قولهم: اعتمدنا كما أنَّ «نعم الوكيل» كناية عن وكلنا أمورنا إلىٰ الله تعالىٰ(٥).

وقال الراغب ـ رحمه الله ـ: و«حَسْب» يستعمل في معنىٰ الكفاية «حسبنا الله» أي كافينا(٦).

مكانتها:

وردت هٰذه العبارة المباركة بهٰذا المعنىٰ في القرآن العظيم في مواضع أعقبها الفرَجُ والرُّوحُ والطمأنينةُ منها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢ ـ ١٧٥].

وهٰذه الآيات الكريمات تحكي ما كان من أمر الرسول ﷺ وأصحابه بعد معركة أحد وقد أصابتهم الجراح فلما بلغ المشركون موضعًا يقال له: الروحاء خطر لهم أن يعودوا إلىٰ المسلمين ليستأصلوهم إلاَّ أنَّهم أرسلوا نعيم بن مسعود الأشجعي ليخبر الرسول ﷺ أنَّ بدرًا موعدهم من قابل ووافق

---

(١) الكليات (٣٩٧).
(٢) المقاييس(٢٦٣) مختصرًا.
(٣) اللسان (١/٣١٢).
(٤) المفردات(٥٢١).
(٥) الكليات (٣٩٨).
(٦) البصائر(٢/٤٦٢).

أنَّ الرسول ﷺ قد انتدب من كان معه في أحد وإن كان جرحه يثغب دمًا إلىٰ الذهاب وراء قريش لترويعهم وليريهم أنَّ بهم قوة وجلدًا، فقابلوا نعيم بن مسعود في حمراء الأسد وأخبرهم الخبر فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فلما كان من قابل خرج الرسول ﷺ ومعه نفر من أصحابه وَوَافَوْا بدرًا فلم يجدوا بها أحدًا من قريش ومكثوا أيامًا يتاجرون وربحوا مالاً وفيرًا، وانقلبو سالمين منتصرين[1].

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال«حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمَّد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[2] [آل عمران، الآية: ١٧٣] والآية الثانية جاءت إرشادًا للمنافقين الذين عابوا على الرسول ﷺ تفريق الصدقات وطعنوا عليه قسمته فيها بقولهم زورًا وبهتانًا إنَّ محمَّدا ﷺ لا يعطي إلاَّ من أحب فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة، الآية: ٥٨ ـ ٦٠].

قال البغوي ـ رحمه الله ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ أي قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ ما نحتاج إليه: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ في أن يوسع علينا من فضله فيُغنينا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس، وجواب ﴿لو﴾ محذوف أي: لكان خيرًا لهم وأعود عليهم[3].

وفي الآية الثالثة يأمر الله تعالىٰ رسوله بالحسبلة بعدما استفرغ الوسع والطاقة في هداية أهل الضلال الذين لم ينفعهم النصح ولم تجد فيهم الموعظة فأعرضوا عن الإيمان وناصبوا الرسول ﷺ العداء إن سرًا فسرًا وإن جهرًا فجهرًا أمر بها ﷺ لتكون زادًا له في مسيرة الدعوة وقوة علىٰ خصوم الإيمان قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٩٣، ٢٩٥).

(٢) صحيح البخاري(٤/ ١٦٦٢) (٤٢٨٧).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ٢٥٥).

كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٢٤ ـ ١٢٩].

وفي الآية الرابعة يأمر الله تعالىٰ رسوله محمّدًا ﷺ أن يقول للمشركين الذين يُخَوِّفُونَهُ الأوثان من دون الله أنَّها لا تملك نفعًا ولا ضرًّا فما كانوا يقرون بذٰلك وإنما يقولون إنَّ لها شفاعة أمره الله تعالىٰ بأن يقول حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون أي يكفيني من بيده النفع والضر وحده دون سواه[١] قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر، الآية: ٣٦ ـ ٣٨] وهٰكذا ينبغي لمن دهمه أمر لا طاقة له به أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل.

الحسبلة صفة من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢] والقائلون هم الرسول محمّد ﷺ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قال: كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار: «حسبي الله ونعم الوكيل»[٢].

عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرنَ واستمع الإذن متىٰ يؤمر بالنَّفخ فينفُخ فكأنَّ ذٰلك ثقُل علىٰ أصحاب النبي ﷺ فقال لهم: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، علىٰ الله توكّلنا**»[٣].

من ثمرات الحسبلة:

١ ـ أنَّ في قولها صدق اللجأ والتوكل علىٰ الله تعالىٰ.

٢ ـ أنَّ قائلها يحقق العبودية لله تعالىٰ بالدعاء.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٥/١٦٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٦٦٢) (٤٢٨٨).

(٣) سنن الترمذي (٤/٦٢٠) (٢٤٣١) وحسنه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٨٤٢) (٤٥٩٢).

٣ـ أنَّها من أهم أسباب النصر على العدو.

٤ـ أنَّها تعين قائلها علىٰ إدراك ما أراد ودفع ما أهمه.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحسبلة:

عندما يقولها المسلم بلسانه، ويعتقد معناها بقلبه، أنَّ الله كافيه ومتولي أمره، علىٰ الحقيقة وهو علىٰ حال وكأنه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ موقنًا بالفرج والظفر والضفر فقد حقق مقام الإحسان في الحسبلة.

٧ ـ الاسترجاع

التعريف لغة:

قال الراغب ـ رحمه الله ـ: اسْتَرْجعَ فلان إذا قال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون[١] وقال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ يقال منه رجَّع واسترْجَعَ[٢].

واصطلاحًا:

هو القول المطابق للاعتقاد لمن أصابته مصيبة أنَّه ملك لله تعالىٰ يتصرف فيه كيف يشاء فلا جزع مما أتاه، مع علمه أنَّه صائر إليه فيثيبه علىٰ ذٰلك[٣].

مكانته وفضله:

امتدح الله تعالىٰ عباده الصابرين الذين لم تنسهم المصيبة ذكر ربهم فصبروا أكمل الصبر وأحسنه المقترن بعلمهم أنَّهم عبادالله تعالىٰ يتصرف فيهم كيف يشاء راجين المثوبة منه تعالىٰ علىٰ ذٰلك فقال جلَّ ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٣ ـ ١٥٧].

وقد جعل الله جزاء من صبر واسترجع عند فقد حبيبٍ له بيننا في الجنة يقال له بيت الحمد.

عن أبي سنان قال: دفَنتُ ابني سِنانًا وأبوطلحة الخولاني جالس علىٰ شفير القبر، فلما أردتُ الخُروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان! قلتُ: بلىٰ فقال: حدَّثني الضَّحاك بن عبدالرحمن بن عرزب عن أبي موسىٰ الأشعري؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبدِ، قالَ الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي! فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثَمرة فؤاده! فيقولون نعم: فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتًا في الجنَّةِ وسمُّوه بيتَ الحمدِ**»[٤]

الاسترجاع صفة المحسنين:

عن أم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ أنَّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) المفردات (١٩٤).

(٢) النهاية(٢/ ٢٠٢).

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير(٢/ ٥٧).

(٤) سنن الترمذي(٣/ ٣٣٢) (١٠٢١) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٢٩٨) (٢٩٨).

يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله إنَّا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهمَّ أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلاَّ أخلف الله له خيرًا منها**».

قالت: فلمَّا مات أبوسلمة قلتُ: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة أول بيتٍ هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قُلتُها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

قالت: أرسل إلىٰ رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: إنَّ لي بنتًا وأنا غيور فقال: «أما ابنتها فندعوالله أن يُغنيها عنها، وأدعوالله أن يذهب بالغيرة»[1].

من ثمرات الاسترجاع:

١ـ أنَّ الاسترجاع للعبد دليل تسليم صادق للقضاء القدر.

٢ـ ما استرجع عبد صادقًا إلاَّ عوضه الله خيرًا مما فاته.

٣ـ عظم ثواب المسترجعين في الجنة.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الاسترجاع: إذا قال العبد عند مصيبته إنَّا لله وإنا إليه راجعون معتقدًا معنىٰ ذٰلك بقلبه محتسبًا أنَّه مِلْكٌ لله تعالىٰ يتصرف فيه كيف يشاء فلا يجزع مما أتاه عالمًا أنَّه صائر إليه فَيُثيبُه علىٰ ذٰلك في الدنيا والآخرة وهو علىٰ حال كأنه حين قولها ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ، فقد بلغ مرتبة الإحسان في استرجاعه حينئذٍ.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٣١) (٩١٧).

٨ ـ الاستغفار

الاستغفار لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (غ ف ر) التي تدل علىٰ السَّتْر، والغَفْرُ، والغفران بمعنىٰ[١].

واصطلاحًا: الاستغفار مِنْ طلب الغُفران بالمقال والفعال، والغفران تغطية الذنب بالعفو عنه، والغفران والمغفرة من الله تعالىٰ: هو أن يصون العبدَ من أن يمسه عذاب[٢].

مكانة الاستغفار:

الاستغفار من أعلىٰ مراتب الأذكار التي رتب الباري جلَّ وعلا عليها المغفرة والأجر الجزيل.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله: يا ابن آدم، إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك علىٰ ما كان فيك ولا أُبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذُنوبك عنان السَّماء ثمَّ استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يابن آدم إنَّك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»**[٣].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبي ﷺ فيما يحكي عن ربِّه عزّوجل قال: **«أذْنَبَ عبدٌ ذنبًا فقال: اللَّهم اغفرلي ذنبي فقال تبارك وتعالىٰ: أذْنب عبدي ذنبًا فعلِم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالىٰ عبدي أذنب ذنبًا فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذَّنب ثم عاد فأذنب فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالىٰ: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذَّنب اعمل ما شئت فقد غفرتُ لك» قال عبدالأعلىٰ: لا أدري أقال في الثالثة أوِ الرَّابعة: «اعمل ما شئتَ»**[٤].

والمراد اعمل ما شئت من الذنوب إن غلبتك نفسك الأمارة بالسوء والهوىٰ والشيطان ثم استغفر الله يغفر لك، ما دام أنَّك علىٰ حالة المجاهدة مع الندم، والاستغفار محبوب لله تعالىٰ لأنَّ فيه الرجوع إلىٰ الله والاعتراف بالذنب وطلب ستره ومحوه والخلوص من عقوبته، وفي حديث أبي هريرة ـ رضي اللهعنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا**

---

(١) اللسان (٥/ ٢٥، ٢٦) باختصار.

(٢) القاموس المحيط (٢/ ١٠٣) والمفردات (٣٦٢).

(٣) سنن الترمذي(٥/ ٥٤٨) (٣٥٤٠).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ٢١١٢) (٢٧٥٨).

لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم»(١).

قال ابن علان ـ رحمه الله ـ «دلَّ الحديث علىٰ محبة الله تعالىٰ للاستغفار، لأنَّه فيه عظم عفو الله عن المذنبين وحسن تجاوزه عنهم»(٢).

ومما يعزز مكانة الاستغفار حديث القرآن الكريم عنه في آيات كثيرة من ذٰلك:

الأمر به في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ [هود، الآية: ٣]. وحثَّ عباده عليه فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة، الآية: ٧٤] وقد شاهدت أنَّ الآيات الواردة في الاستغفار أغلبها ختم بالحلم والرحمة والود والعفو منه سبحانه وتعالىٰ للمستغفرين وما ذاك إلا لِيُحَبّب عباده تعالى في الاستغفار ويحضهم عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء، الآية: ٤٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج، الآية: ١٤] وهٰذه الآيات وأمثالها تفتح للنفس البشرية الباب علىٰ مصراعيه للعودة الصادقة إلىٰ الله تعالىٰ ليتحقق تعبد الله تعالىٰ بهٰذه الصفات والأسماء الحسنىٰ.

ولما كان الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أعرف الخلق بالله تعالىٰ وبسعة رحمته ومغفرته وإحسانه. أمروا أقوامهم بالاستغفار وأبانوا لهم عن فضله ومكانته فهٰذا هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود، الآية: ٥٢] وكذٰلك كانت الرسل عليهم السلام تستغفر لأتباعهم كما قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح، الآية: ٢٨] وقد أثنىٰ الله علىٰ المستغفرين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟

---

(١) صحيح مسلم (٣/٢١٠٦) (٢٧٤٩).

(٢) الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية (٧/١٨١).

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٥، ١٣٦]

قبول الاستغفار:

إذا انتفت موانع صحة الاستغفار وَتَوَافَرتْ شروط قبوله قُبِلَ مهما عظم الذنب.

والموانع هي: الإقامة على الكفر أو الشرك أو النفاق أو المعصية، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال، الآية: ٣٨] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء، الآية: ١١٦] وقال تعالىٰ عن المنافقين: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة، الآية: ٨٠].

وأما الشروط فهي:

الأول: الإيمان بالله تعالىٰ.

الثاني: أن يعلم المذنب أنَّ الله وحده هو الذي يغفر الذنب وحده دون سواه.

الثالث: أن يعتقد العبد أنَّ مغفرة الذنوب داخلة تحت مشيئة الله تعالىٰ.

الرَّابع: النَّدم على ما فات.

الخامس: العزم على عدم العودة إلى الذنب.

السادس: التوبة النصوح الخالصة لوجه الله تعالىٰ.

السابع: أن يستقبل المستغفر العمل الصالح ويداوم علىٰ فعله.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه، الآية: ٨٢] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٥] وقال تعالىٰ: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٤].

وقد سبق قريبًا حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وهو نص في المسألة.

صيغ الاستغفار:

١ ـ أن يقول المستغفر: أستغفر الله.

عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: «**اللَّهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا**

الجلال والإكرام» وقال الوليد: أحد رواة الحديث، فقلتُ للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: «أستغفر الله، أستغفر الله»[1].

٢ـ أن يقول المستغفر: اللَّهمَّ اغفر لي.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللَّهمَّ ربنا وبحمدك، اللَّهمَّ اغفر لي، يتأول القرآن**»[2].

٣ـ سيدالاستغفار:

عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول: اللَّهم أنت ربي لا إلـه إلاَّ أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ماﭐسْتطَعْت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعتمك عليَّ، وأبوءُ لكَ بذنبي اغفر لي، فإنَّه لا يغفر الذُّنُوبَ إلاَّ أنت**» قال: «ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهُو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[3].

الاستغفار من صفات عبادالله المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات، الآية: ١٥ ـ ١٨] وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ٥٨] وقولوا حطة: أي قولوا نستغفر الله[4].

ويستحث الله تعالىٰ عباده إلىٰ المسارعة بالاستغفار ليكتبهم من المحسنين قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤] وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٦ ـ ١٤٨].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤١٤) (٥٩١).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٥٠) (٤٨٤).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (١١/ ٩٧) (٦٣٠٦).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٩).

من ثمرات الاستغفار:

١ـ جلاء القلوب.

عن الأغر المزني ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّه ليغان علىٰ قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرَّة**»[١].

٢ـ مغفرة الذنوب مهما عظمت.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذٰلك: سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك، أشهد أن لاإلـٰه إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلاَّ غفر له ما كان في مجلسه ذٰلك**»[٢]

عن بلال بن يسار بن زيد ـ رضي الله عنه ـ مولىٰ النبي ﷺ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من قال أستغفر الله الذي لا إلـٰه إلاَّ هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فرَّ من الزَّحفِ**»[٣].

٣ـ أمان من عذاب الله تعالىٰ:

قال أبوموسىٰ ـ رضي الله عنه ـ «كان لنا أمانان، ذهب أحدهما، وهو كون رسول الله ﷺ فينا، وبقي الاستغفار معنا، فإن ذهبا هلكنا»[٤] قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال، الآية: ٣٣].

٤ـ أنَّه سبب في نعيم الجنة قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٥، ١٣٦].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الاستغفار:

يستطيع عبدالله المؤمن أن يحقق ذٰلك بأن يطلب المغفرة من الله تعالىٰ بلسان حاله ومقاله وفعاله بعد أن يحقق شروط القبول وانتفاء الموانع مخلصًا لله تعالىٰ وهو علىٰ حال كأنه ينظر إلىٰ ربه يسأله ذٰلك بافتقار وتذلل له جلَّ وعلا.

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٧٥) (٢٧٠٢).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٤٩٤) (٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٥).

(٣) سنن أبي داود(٢/ ١٧٨) (١٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٤) مسند أحمد (٥/ ٥٣٤) (١٩٠١٢).

ثالثًا : ومن أقسام الإحسان القولي: الاعتراف بالفضل والشكر :

الاعتراف بالفضل لغة:

الاعتراف: مصدر اعترف بالشيء أي أقرَّ به، وهو مأخوذمن مادة (ع رَ ف) التي تدل علىٰ معنيين:

الأول: تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، ومن ذٰلك عُرفُ الفَرَس، والآخر السكون والطمأنينة، ومنه المعرفة والعِرفان[1]، وضد الاعتراف الجحود والنكران، وفي القرآن الكريم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل، الآية: ٨٣].

ب ـ وأما الفضل: فهو الإحسان وهو ضد، النَّقصِ والنقيصة ويقال: رجل مِفضَالٌ وامرأة مِفْضَالة على قومها إذا كانت ذات فضل سمْحَةً[2].

الاعتراف بالفضل اصطلاحًا:

هو أن يقرَّ المُحْسَنُ إليه من الناس بإحسان من أسدى إليه الإحسان ولا يجحده أو يتناساه سواء أكان المُحْسِن هوالله تعالىٰ أم غيره[3].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف، الآية: ٢٣].

والآية محتملة أنَّ الإحسان من الله تعالىٰ، أو من عزيز مصر، وقال سبحانه وتعالىٰ آمرًا الزوجين ببذل الفضل والاعتراف به: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة، الآ ية: ٢٣٧].

وهٰكذا يتصف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بهٰذه الصفة الحميدة، ومنهم سليمان ـ عليه السلام ـ كما حكىٰ الله عنه ذٰلك بقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل، الآية: ٤٠]

ويوسف ـ عليه السلام ـ كما قال الله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس، الآية: ٩٠] وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٨١).

(٢) لسان العرب(٦/ ٣٤٢٨، ٣٤٣٠)، والصحاح (٥/ ١٧٩١، ١٧٩).

(٣) مستنبط من التعريف اللغوي.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف، الآية: ١٠٠]

وقد ذم الله عباده الذين لا يعترفون بالفضل أو ينسبونه إلىٰ غير أهله كما جاء عن زيد بن خالد الجهني ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: صلَّىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية علىٰ أثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل علىٰ الناس فقال: «**هل تدرون ما ذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمَّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذٰلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذٰلك كافربي مؤمن بالكواكب**»[١] وقد كان رسول الله ﷺ يعترف بفضل الله تعالى دبر كل صلاة حين يسلم.

عن عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه كان يقول في دُبُرِ كل صلاة حين يسلم: «**لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، لا إلـٰه إلاَّ الله، ولا نعبد إلاَّ إيَّاه له النعمة، وله الفضل وله الثناء الحسن لاإلـٰه إلاَّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**»، وقال: كان رسول الله ﷺ يُهلِّلُ بهنَّ دبر كل صلاة»[٢] وهـٰكذا يجب الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم وإن كانوا كفاراً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله ـ عزَّوجل ـ**»[٣].

تحقيق مرتبة الإحسان في الاعتراف بالفضل لأهله:

إذا أقرَّ المسلم بإحسان من أسدىٰ إليه الإحسان ما يجحده أو يتناساه قَلْبُهُ أو لسانه أو جوارحه سواء أكان المحسن هو الله تعالى أم أحد من خلقه ابتغاء مرضاة الله، وهو على حال وكأنَّه ينظر إلى الله تعالى فقد بلغ مرتبة الإحسان في اعترافه بالفضل لأهله.

ب ـ الشكر:

الشكر لغة:

مصدر شَكَرَ يَشْكُرُ، وهو مأخوذ من مادة (شَ كَ رَ) التي تدل علىٰ «الثناء علىٰ الإنسان بمعروف يُوليكَهُ»[٤].

وقال الراغب ـ رحمه الله ـ: الشكر، تصور النعمة وإظهارها[٥].

---

(١) صحيح البخاري ، فتح (٢/ ٨٤٦).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٤١٥) (٥٩٤).
(٣) مسند أحمد(٢/ ٢٥٨) وصححه أحمد شاكر.
(٤) المقاييس(٣/ ٢٠٧).
(٥) المفردات (٢٦٥).

وقال ابن منظور: ـ رحمه الله ـ: الشكر عرفان الإحسان ونشره[1] وهو بمعنىٰ كلام الراغب ـ رحمه الله ـ.

وقال ابن فارس ـ رحمه الله ـ وحقيقة الشكر الرضا باليسير، ومن ذٰلك فرس شكور وإذا كفاه لسمنه العلف القليل[2].

واصطلاحًا:

قال المناوي: ـ رحمه الله ـ الشكر شكران:

الأول: شكر باللسان: وهو الثناء على المُنعم، والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق والشكور الباذل وسعه في أداء الشُكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا[3].

وشكر الله تعالىٰ: هو ظهور أثر نعمته علىٰ لسان عبده: ثناء واعترافًا، وعلىٰ قلبه شهودًا ومحبة، وعلىٰ جوارحه انقيادًا وطاعة[4].

منزلة الشكر:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**»[5].

قال الشعبي ـ رحمه الله ـ: «الشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»[6].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: قرن الله سبحانه الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء، الآية: ١٤٧] أي إن وفيتم ما خلقكم له، وهو الشُّكر والإيمان فما أصنع بعذابكم؟ وأخبر سبحانه أنَّ أهل الشكر هم المخصوصون بمنّته عليهم من بين عباده فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام، الآية: ٥٣]، وقسّم الله سبحانه وتعالىٰ الناس إلىٰ شكور وكفور فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان، الآية٣] وهـٰذا كثير في القرآن، يقابل سبحانه بين الشُّكر والكفر فهو ضده، وعلّق الله سبحانه

---

(١) اللسان (٤/ ٢٣٠٥، ٢٣٠٨).

(٢) المقاييس (٣/ ٢٠٧).

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (٢٠٦، ٢٠٧).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤).

(٥) سنن الترمذي (٤/ ٦٥٣) (٢٤٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٣١) (٣٩٤٢).

(٦) عدة الصابرين (١٢٤).

المزيد بالشكر والمزيد منه لانهاية له كما لا نهاية لشكره، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم، الآية: ٧] وأوقف سبحانه الجزاء علىٰ المشيئةِ كثيرًا وأطلق ذٰلك في الشكر. فقال تعالىٰ: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ۝١٤٥﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٥] وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٤] فقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل، الآية: ٧٨]، وأخبر سبحانه أنَّه إنَّما يعبده مَنْ شَكَرَهُ، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة، الآية: ١٧٢]، وقد أثنىٰ الله سبحانه علىٰ أوّل رسولٍ بعثه إلىٰ أهل الأرض بالشكر فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء، الآية: ٣] كما أثنىٰ سبحانه علىٰ خليله إبراهيم بشكره نعمَه فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ [النحل، الآية: ١٢٠، ١٢١] فأخبر عنه سبحانه بصفات ثم ختمها بأنَّه شاكر لأنعمه، فجعل الشكر غاية خليله، وأمر الله عزَّوجل عبده موسىٰ أن يتلقىٰ ما آتاه من النبوة والرسالة وتكليمه إياه بالشكر، فقال تعالىٰ: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٤] بل جعل الله ـ عزَّوجل ـ أوَّل وصيَّة وصَّىٰ بها الإنسان بعد ما عقل عنه بالشكر له وللوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝١٤﴾ [لقمان، الآية: ١٤] كما أخبر سبحانه أنَّ رضاه في شكره فقال: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1] [الزمر، الآية: ٧].

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: عليكم بملازمة الشكر علىٰ النعم، فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم»[2].

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ الخير الذي لا شرَّ فيه. العافية مع الشكر، فكم من مُنْعَم عليه غير شاكر»[3] وقال أيضًا: «إنَّ الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يُشْكَرْ عليها قلبها عذابًا، ولهٰذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ، لأنَّه يحفظ النعم الموجودة، والجالب: لأنَّه يجلب النعم المفقودة»[4].

---

(١) عدة الصابرين (١٢٤).

(٢) انظر: عدة الصابرين (١١٨، ١٢١).

(٣) عدة الصابرين (١٤٤).

(٤) الإحياء (٤/ ١٣٤).

أنواع الشكر:

أـ الشكر على نعم الله تعالى نوعان:

الأول: الشكر باللسان.

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»**(١).

والثاني: الشكر بالجوارح وذلك باستعمالهافيما يرضي المنعم جلَّ وعلا.

عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي حتى تَرِمُ قدماه أو ساقاه فيقال له: فيقول: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا»**(٢).

قال أبوحازم ـ رحمه الله تعالى ـ لرجل سأله: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: «إن رأيت بهما خيرًا أعلنته، وإن رأيت بهما شرا سترته، قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرًا وعيته وإن سمعت بهما شرًّا دفعته» قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولاتمنع حقًا لله هو فيهما، قال: فما شكر البطن؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون، الآية: ٥ ـ ٧](٣).

وقال أبوعبدالرحمن السلمي ـ رحمه الله ـ «الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله ـ عزّوجل ـ شكر، وأفضل الشكرالحمد»(٤).

ب ـ الشكر على إنعام المخلوقين:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»**(٥).

وشكر المخلوقين نوعان:

١ـ الشكر بالمكافأة على العطاء بمثله أو أحسن منه.

٢ـ الشكر بالمكافأة على العطاء بالدعاء والثناء الحسن.

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أُعطي عطاءً فوجدَ فليجز به، فإن لم يجد فليثن به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه**

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٩٥) (٢٧٣٤).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٣/ ١٤) (١١٣٠).

(٣) عدة الصابرين (١٣٥ـ ١٣٦)

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨).

(٥) سنن أبي داود (٥/ ١٥٧) (٤٨١١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩١٣) (٤٠٢٦).

فقد كفره»[1].

وعن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صُنعَ إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء**»[2].

شروط الشكر:

قال الفيروز أبادي ـ رحمه الله ـ ومبناه علىٰ خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره فمتىٰ فقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشكر[3].

الشكر من صفات عبادالله المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء، الآية: ٣] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ [النحل، الآية: ١٢٠، ١٢١] وقال تعالىٰ عن سليمان عليه السلام: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾ [النمل، الآية: ١٩]

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «أنَّ رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: **ما هذا اليوم الَّذي تصومونه؟** فقالوا: هذا يومٌ عظيمٌ أنجىٰ الله فيه موسىٰ وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسىٰ شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: **نحن أحق وأولىٰ بموسىٰ منكم** فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه»[4].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: سجد النبي ﷺ في (ص) وقال: سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا»[5].

من ثمرات الشكر:

١ـ الرضا الإلـٰهي عن الشاكر.

٢ـ الزيادة للشاكر في النعم.

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ «من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده

---

(١) سنن أبي دواد (٥/١٥٨) (٤٨١٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٤) (٤٠٢٨).

(٢) سنن الترمذي (٤/٣٨٠) (٢٠٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/١٠٨٩) (٦٣٦٨).

(٣) بصائر ذوي التمييز(٣/٣٣٧).

(٤) صحيح مسلم (١/٧٩٦) (١١٣٠).

(٥) سنن النسائي (٢/١٥٩) (٩٥٧) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٢٠٩) (٩١٧).

بلسانه لم يستتم ذلك حتىٰ يرىٰ الزيادة لقوله تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم، الآية: ٧] وإن من شكر النعمة أن يُحدث بها[١].

٣ـ دليل علىٰ حسن الخلق:

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الشكر.

يمكن للمؤمن أن يحقق ذٰلك بأن يُظهر آثار نعمة الله عليه علىٰ لسانه ثناءً واعترافًا، وعلىٰ قلبه شهودًا ومحبة، وعلىٰ جوارحه انقيادًا وطاعة.

أما نعم المخلوق فبالمكافأة بأحسن من المعروف المسدىٰ إليه مع الدعاء له، والثناء عليه فإن لم يجد ما يكافئوه به فبالدعاء والثناء.

يفعل ذٰلك كله ابتغاء مرضاة الله وهو علىٰ حاله وكأنه ينظر إلىٰ ربه ومولاه جلَّ جلاله.

---

(١) الإحياء (٤/ ١٢٧).

خامسًا : الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ:

الدعوة لغة:

تكون مصدرًا لقولهم: دَعَا فلان إلىٰ كذا دَعْوَةً وهو مأخوذ من مادة (د ع و) التي تدل كما يقول ابن فارس علىٰ إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك.

والدعاة: قوم يدعون إلىٰ بيعة هدىٰ أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلىٰ بدعةٍ أو دين[1].

الدعوة إلىٰ الله اصطلاحًا:

هي دعوة الناس إلىٰ الإسلام بالقول والعمل[2].

أهداف الدعوة: هدف واحد وهو تعبيد الناس لله رب العالمين حقًا.

أقسام الدعوة إلىٰ الله:

تنقسم الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بحسب حال المدعو إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ـ أن يكون المدعو طالبًا للحق محبًا له مؤثرًا له علىٰ غيره إذا عرفه، فهـٰذا يُدعىٰ بالحكمة التي تعني الكتاب والسنة.

٢ـ أن يكون مشغولاً بضدالحق ولـٰكن لو عرفه آثره واتبعه فهـٰذا يحتاج إلىٰ الموعظة بالترغيب والترهيب.

٣ـ أن يكون معاندًا معارضًا فهـٰذا يُجَادَلُ بالتي هي أحسنُ، فإن رجع وإلاَّ أقام عليه الحجة[3].

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].

شروط الداعية:

١ـ الإسلام ٢ـ العقل ٣ـ العلم ٤ـ القدرة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إذا كانت الدعوة إلىٰ الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلاَّ بالعلم الذي يدعو به وإليه[4].

وأكمل أحوال الدعاة مَنْ دعا الناس إلىٰ الله تعالىٰ وهو في نفسه مهتد بما يقول: كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت، الآية: ٣٣] قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ أي دعا

---

(١) لسان العرب (١٤/ ٢٥٨، ٢٥٩).
(٢) تفسير الطبري (١١/ ٥٣).
(٣) انظر: فتح المجيد(٨٦، ٨٧).
(٤) التفسير القيم (٣١٩).

عبادالله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقول فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر، ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلىٰ الخالق تبارك وتعالىٰ، وهٰذه عامة في كل من دعا إلىٰ الخير وهو في نفسه مهتد، ورسوله ﷺ أولىٰ الناس بذٰلك[1].

شروط الدعوة إلىٰ الله:

١ـ أن تكون الدعوة إلىٰ سبيل الله وهو الإسلام.

٢ـ أن تكون مادة الدعوة إلى الله تعالى الكتاب والسنَّة الصحيحة وتفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفي ضوء لغة العرب.

٣ـ أن يراعي في الدعوة الحال والمقال والزمان والمكان، لكل من الداعي والمدعو، وبيان ذٰلك باختصار أنَّه يجب على الداعية معرفة حالته الاجتماعية سنًا ومكانة، وكذا حالة المدعو الإجتماعية سنًا ومكانة، فإنَّه ليس دعوة الكبير للكبير كدعوة الصغير للصغير وكذا دعوة الكبير للصغير، ولا دعوة العالم للأمير كدعوة الأمير للعالم ولا دعوة العالم للعامي كدعوة العامي للعالم وهٰكذا فليست دعوة الموافق كالمعاند فإنَّ المعاند بحاجة إلىٰ مزيد بيان وجدال بالتي هي أحسن كما يجب علىٰ الداعية مراعاة المقال فما يصلح أن يقال بإيجاز لا يصلح فيه الإطناب، فعلىٰ الداعية أن يتخير من الألفاظ أجملها ومن العبارات أسلسها ومن المعاني أوضحها بعيدًا عن العموميات والمثاليات القصوىٰ التي لا يمكن تحقيقها في الواقع فخير الكلام ما قلَّ ودلَّ والبلاغة الإيجاز ويتدرج بالمدعو من حال إلىٰ حال أرفع في يسر وسهولة وأيضًا يجب على الداعية مراعاة الزمان فما يكفي فيه الدقيقة والدقيقتان لا داعي إلىٰ الزيادة أو النقصان فأوقات الناس محترمة وعلىٰ الداعية أن يعرف قيمة وقته ووقت غيره وما لم يمكن إنجازه في وقت ينظر له وقت آخر مناسب فمن رام نجاح دعوته فليأت الناس بدعوته في الزمان المناسب لهم إلاَّ إذا كان هناك أمرٌ بمعروف أو نهي عن منكر فلابدَّ من تغيير في حينه فإنَّه يؤخذ بقدر إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة وختامًا لا بد من مراعاة المكان وملابساته فإنَّ الدعوة في المسجد تلقىٰ من القبول ما لم تلقه في السوق والدعوة في المدرسة تلقىٰ من القبول ما لم تَلْقَهُ في البيت وهٰكذا، وما يقال في مكان لا يصلح أن يقال في مكان آخر، وما يقال لشخص لا يصلح أن يقال لكل شخص ، وما يقال في زمان لا يصلح أن يقال في كل زمان، وما يصلح أن يقال علىٰ انفراد لا يصلح أن يقال في

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٠).

جمع، وهكذا وهذه الأمور الأربعة الأخيرة هي الموعظة الحسنة والبصيرة في الدعوة كما قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف، الآية: ١٠٨] وكما قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].

قنوات الدعوة:

يمكن للداعية أن ينفذ إلىٰ الناس من خلال قنوات عدة منها:

١ـ التربية والتعليم في المدارس والجامعات والمساجد والمنازل

٢ـ التأليف والكتابة والتحقيق والتخريج.

٣ـ المؤسسات الشرعية ذات الصلة بالناس.

٤ـ الإعلام والصحافة.

٥ـ الجهاد في سبيل الله تعالىٰ.

المحسنون دعاة:

أعظم المحسنين قدرًا وأرفعهم درجة أنبياء الله ورسله وكلهم دعاة إلىٰ الله تعالىٰ، ومنهم:

١ـ نوح عليه السلام محسن وداعية.

قال الله تعالىٰ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الصافات، الآية: ٧٩، ٨٠] وقال تعالىٰ عن دعوته لقومه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح، الآية: ٥ ـ ٧].

٢ـ إبراهيم ـ عليه السلام ـ محسن وداعية قال الله تعالىٰ: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات، الآية: ١٠٤، ١٠٥] وقد دعا أباه وقومه إلىٰ التوحيد ونبذ عبادة الأصنام قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الصافات، الآية: ٨٣ ـ ٨٧].

٣ـ موسىٰ وهارون عليهما السلام محسنان داعيان، قال الله تعالىٰ عن إحسانهما: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الصافات، الآية: ١٢٠، ١٢١] وقد دعيا فرعون وقومه قال تعالىٰ: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه، الآية: ٤٣، ٤٤].

٤ـ ويوسف ـ عليه السلام ـ محسن وداعية، قال الله تعالىٰ حكاية عن قول صاحبي السجن: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف، الآية: ٣٦] دعا

إلىٰ الله تعالىٰ حتىٰ داخل السجن، كما قال الله تعالىٰ عنه: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾ [يوسف، الآية: ٣٩، ٤٠].

٥ـ إلياس ـ عليه السلام ـ محسن وداعية كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٢٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ ﴾ [الصافات، الآية: ١٢٣ ـ ١٣١].

٦ـ محمَّد ﷺ محسن وداعية، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ ﴾ [الزمر، الآية: ٣٣، ٣٤]، والذي جاء بالصدق هو محمَّد ﷺ والذي صدق به هو أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ وقد أبلىٰ الرسول ﷺ في الدعوة إلىٰ الله بلاءً حسنًا قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف، الآية: ١٠٨].

من ثمرات الدعوة إلى الله تعالى:

١- أنها دليل صادق على إيمان الداعي بربه تعالى.

٢- أنها تبني مجتمعاً صالحاً سليمًا من الشهوات والشبهات.

٣- أنها تحدث تلاحمًا بين أفراد المجتمع المسلم بعامة وتحقق الأخوة الإسلامية في أرفع معانيها.

٤- أنها تحقق الهدف من عالمية الرسال ة الإسلامية.

تحقيق الإحسان في صفة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ:

يمكن تحقيق الإحسان في صفة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بأن يحقق الداعية ما ذكر سابقًا من أهداف الدعوة وشروط الداعية بإتقان وإخلاص لله تعالىٰ حتىٰ يغلب علىٰ قلبه حال دعوته كأنَّه ينظر إلىٰ ربه تبارك وتعالىٰ.

سادسًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف لغة:

المعروف: كالعُرفِ وهو ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه[1].

واصطلاحًا:

اسم جامع لكل ما فيه رضا الله من قول أو فعل أو اعتقاد[2].

والمنكر لغة واصطلاحًا:

خلاف المعروف [3].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحًا: يعرفان على النحو التالي:

الأمر بالمعروف أمر بما يوافق الكتاب والسنة والنهي عن المنكر نهي عما تميل إليه النفس والشهوة[4] وقيل: النهي عن المنكر تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة وهو ما لا يجوز في دين الله تعالىٰ[5].

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علىٰ كل مسلم ومسلمة وقع تحت درك إحدىٰ حواسه وكان قادرًا على فعله إذا لم يفعله غيره.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]. ومن في قوله[منكم] بيانية وليست تبعيضية كما يتبادر إلىٰ الذهن دلَّ علىٰ ذلك قوله ﷺ: **«من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره. . .»** الحديث[6].

فجاء في الحديث قوله[من] وهي اسم موصول بمعنىٰ الذي، تفيد الوجوب علىٰ العموم إذ هي من ألفاظه وقوله: **«منكم»** بيانية كذٰلك. والسنة شارحة للقرآن ومبينة لمجمله، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ أسلوب حصر قوي يفيد تقييدالنجاة في الدنيا والآخرة من عذاب الله تعالىٰ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واسمع قول الله تعالىٰ معلنًا اللعنة علىٰ تاركي الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر حيث قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا

---

(١) الصحاح (٢/ ٨٣٧).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (٢٣٤).

(٣) اللسان (٥/ ٣٢، ٢٣٣)، والتعريفات (٢٣٤).

(٤) التعريفات (٣٦).

(٥) المرجع السابق (٣٧).

(٦) صحيح مسلم (١/ ٦٩) (٤٩) من روايى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

﴿كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة] وهي غاية في التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر.

وقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فجعل أخص خصائص هٰذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما سواهما فقد شاركت الأمم فيه، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١] فنعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥] فبيَّن أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذٰلك علىٰ الوجوب، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ فقرن ذٰلك مع الصلاة والزكاة لعظمته، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ وأي بر وتقوىٰ أعظم من سد سبل الشر والعدوان.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ﴾ فبين هلاك الجميع إلاَّ القليل الذين كانوا ينهون عن الفساد.

وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء، الآية: ١١٤] والآيات في الباب كثيرة.

ومن السنة:

ما رواه أبوسعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: **«من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذٰلك أضعف الإيمان»**(١).

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: **«إنكم مصيبون ومنصورون ومفتوح لكم، فمن أدرك ذٰلك منكم فليتق الله، وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليْتبوَّأْ مقعده من النَّار»**(٢).

ومن الآثار:

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ «فثبت بالكتاب والسنة وجوب الأمر

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٩) (٤٩).

(٢) مسند أحمد (١/ ٦٤٣) (٣٦٨٦) وصحح إسناده أحمد شاكر (٥/ ٣٦٩٦) (٣٦٩٤).

بالمعروف والنهي عن المنكر ثم إنَّ الله تعالىٰ جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فارقا بين المؤمنين والكافرين لأنَّه قال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] فثبت بذٰلك أنَّ أخص أوصاف المؤمنين وأقواها دلالة علىٰ صحة عقيدتهم وسلامة سريرتهم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: وكل من كان من علماء المسلمين الذين يجمعون بين فضل العلم وصلاح العمل فعليه أن يدعو إلىٰ الأمر بالمعروف ويزجر عن المنكر بمقدار طاقته، فإن كان يُطيقُ إبطال المنكر ورفعه وردع المتعاطي له عَنْهُ فَعَلَهُ وإن كان لا يطيق ذٰلك بنفسه إلاَّ ما كان طريقه طريق الحدود والعقوبة فإنَّ ذٰلك إلىٰ السلطان دون غيره، وإن كان لا يطيق إلاَّ القول، قال، وإن لم يطق إلاَّ الإنكار بالقلب أنكر، والأمر بالمعروف في مثل النهي عن المنكر إن استطاع أن يغيره بيده فعل، وإن لم يقدر إلاَّ علىٰ القول قال: وإن لم يقدر إلاَّ علىٰ الإرادة بقلبه أراده وتمنىٰ علىٰ الله عزَّوجل فلعله أن يشفعه به»[1] اهـ.

ويجب أنْ يعلم أنَّ الآمر والناهي المطلق هو الله تعالىٰ، وغيره آمر بأمره ومأمور منه، وناه بنهيه ومنهي منه خلافًا لأرباب البدع.

قال تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًاۗ﴾ [الرعد، الآية: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٤] وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٤] وقال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٤١﴾ [الحج، الآية: ٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ٢٦﴾ [الشورىٰ، الآية: ٢٦].

مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجبان في المباحات ولا الخلافيات خلاف تنوع، وكذا مسائل الورع، ولا علىٰ سبيل اللزوم في المندوبات.

فالحسبة شيء والورع شيء آخر.

---

(١) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٨٤، ٨٥).

وكذا الدعوة شيء والحسبة شيء آخر وإن كان بينهما عموم وخصوص.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ أبابكر ـ رضي الله عنه ـ دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منىٰ [في عيد الأضحىٰ] تغنيان وتضربان بالدُّف، والنبي ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبوبكر، فكشف النبي ﷺ وجهه، وقال: «**دعهما يا أبابكر فإنَّها أيام عيد**»[1].

والورع حقيقة ترك ما لا بأس به خشية أن يكون به بأس، فلا يُحمل من العزائم الناس علىٰ ما تُحمل به النفس وهنا يجب الحذر من الخلط بين الورع والفتيا.

وأما المندوبات من صيام وقيام وغيره فيُرغِّب فيها لا يأمر بها قصرًا، قال الله تعالىٰ: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩١﴾ [التوبة، الآية: ٩١].

عن طلحة بن عبيدالله ـ رضي الله عنه ـ: «أنَّ أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرَّأس، فقال: يا رسول الله: أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة، فقال: **الصلوات الخمس إلاَّ أنْ تطوع شيئًا**. فقال: أخبرني ما فرض الله عليَّ من الصيام. قال: **شهر رمضان إلاَّ أنْ تطوَّع شيئًا**. قال: أخبرني بما فرض الله عليَّ من الزكاة. قال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام قال: والَّذي أكرمك لا أتطوع شيئًا ولا أنقص ممَّا فرض الله عليَّ شيئًا. فقال رسول الله ﷺ: **أفلح إنْ صدق أو دخل الجنَّة إن صدق**»[2].

والعموم بين الدعوة والحسبة:

اشتراكهما في الغاية، وهي طلب التغيير إلىٰ الأحسن والأكمل شرعًا وعقلاً.

والخصوص بينهما:

أـ أنَّ الحسبة استجابة لحاجة حاصلة تستدعي التغيير، وربما اقتضت التعنيف والزجر.

والدعوة استجابة لحاجة مستقبلية تستدعي التنشئة عليها.

ب ـ أنَّ الحسبة علىٰ الفور لضيق وقتها، كليَّة التغيير حتىٰ لا يفلت المنكر عليها.

مثاله: الأخذ على يد السفيه في حديث المداهن في حدود الله والواقع فيها: [أعني حديث السفينة] فإنَّهم لو لم يأخذوا علىٰ يده على الفور بالكلية

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٣٢٣) (٩٠٧).
(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٥١) (٦٥٥٦).

خرق السفينة. وسيأتي الحديث عنه.

ج ـ الدعوة على التراخي لوسع وقتها ومرحلية التغيير مثاله:

تعامل الرسول ﷺ مع خوات بن جبير قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ مرَّ الظهران قال: فخرجت من خبائي فإذا أنا بنسوة يتحدثن فأعجبنني، فرجعت فاستخرجت عيبتي فاستخرجت منها حلة فلبستها وجئت فجلست معهن، وخرج رسول الله ﷺ من قبته فقال: «**يا أباعبدالله ما يجلسُك معهنَّ**» فلما رأيتُ رسول الله ﷺ هبته واختلطت قلت: يا رسول الله جمل لي شرد، فأنا أبتغي له قيدًا فمضىٰ واتبعته، فألقىٰ إليَّ رداءه ودخل الأراك كأني أنظر إلىٰ بياض متنه في خضرة الأراك، فقضى حاجته وتوضأ، فأقبل والماء يسيل من لحيته علىٰ صدره أو قال: يقطر من لحيته علىٰ صدره، فقال: «**أبا عبدالله ما فعل شِرادُ جملك**»؟ ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلاَّ قال: «السلام عليك أباعبدالله ما فعل شراد ذٰلك الجمل؟» فلما رأيت ذٰلك تعجلت إلىٰ المدينة، واجتنبت المسجد والمجالسة إلىٰ النبي ﷺ فلما طال ذٰلك تحينت ساعة خلوة المسجد، فأتيت المسجد فقمت أصلي، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجأة فصلى ركعتين خفيفتين وطولت رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: «طوِّل أباعبدالله ما شئت أن تطُول فلستُ قائمًا حتىٰ تنصرف» فقلتُ في نفسي، والله لأعتذرن إلىٰ رسول الله ﷺ ولأبرئن صدره فلما قال: السلام عليك أباعبدالله مافعل شَرادُ ذٰلك الجمل؟» فقلت: والذي بعثك بالحق ماشرد ذٰلك الجمل منذ أسلم فقال: «**رحمك الله**» ثلاثًا، ثم لم يعد لشيء ممَّا كان[1].

فانظر ـ رحمك الله ـ إلىٰ هٰذا الخلق الرفيع والمرحلية في التغيير.

ج ـ إذا تحققت استطاعة الإنكار وجب وبوجوبه يجب إتمامه.

ومثاله: من استطاع الحيلولة بين السارق وسرقته فحال بينهما ثم خَلَّى سبيله لغير ضرورة أثم قال ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**. .» الحديث[2].

وقال ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره**. .» الحديث[3].

د ـ الدعوة مستحبة، فإذا تحققت الاستطاعة أُسْتُحِبَّ له الإتمام إذا لم يحتج الموقف إلىٰ بيان شك أو رد شبهة وإلاَّ وجب.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/٢٠٣)(٤١٤٦) وقال الهيثمي في المجمع (٩/٤٠١) رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة.

(٢) صحيح البخاري (٢/٨٦٣) (٢٣١١، ٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) صحيح مسلم (١/٦٩) (٤٩).

يحتج الموقف إلىٰ بيان شك أو رد شبهة وإلاَّ وجب.

مثاله: رجل سأل عن مسألة فأجبته ثم شرعتَ في بيان مسألة أخرىٰ فبدا لك الانصراف فيستحب لك إتمامها أما إذا وقع السامع في مشكل أو تقررت في ذهنه شبهة فيجب البيان والإتمام.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه (أوقال لجاره) ما يحب لنفسه**»[1].

شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

١ـ الإسلام: ويخرج به الكافر فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء، الآية: ١٤١].

٢ـ التكليف: ويخرج به الصبي ، فإذا بلغ المسلم الحلم وجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال جرير بن عبدالله: «بايعت رسول الله ﷺ علىٰ إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[2].

ومن أعظم النصح للمسلمين أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ووجه الدلالة من الحديث:

استواء مَنْ أسلم عن كبر وَمَنْ كبر في الإسلام في التكليف وقد رفع التكليف عن الصغير حتىٰ يكبر.

٣ـ القدرة: ويخرج بها العاجز سواء كان عجزًا معنويًا أوحسيًا، فالمعنوي: كالجاهل أو الجبان جبنًا خارجًا عن العادة، والحسي: كالأعمىٰ في المنكر المرئي والأصم في المنكر المسموع، وعديم الشم والذوق في المنكر المشموم أو المذوق وهٰكذا وهنا لا بد من بيان أنَّ من لم يقدر علىٰ الحسبة بمقاصد الشريعة وجب عليه تعلم ذلك ما لم يعجز عنه.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٦] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن، الآية: ١٦].

٤ـ العقل: ويخرج به المجنون حتىٰ يفيق، والنائم حتىٰ يستيقظ والصغير حتىٰ يكبر.

عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «**رُفِعَ القلم عن ثلاث: عن النائم حتىٰ يستيقظ، وعن المجنون حتىٰ يفيق، وعن الصغير حتىٰ يكبر**»[3].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٧) (٤٥).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣١) (٥٧).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/ ١٠٢) (١٠٠٣). وابن حبان في صحيحه، الإحسان (١/ ٣٥٦٦) =

٥ ـ العلم:

إنَّ الآمر إما عالم وأمره بالحكمة، فأصاب مقاصد الشريعة، أو بغيرها فمفسدة راجحة، ومثل الأخير الجاهل الآمر ولا يكون جهله إلاَّ مركبًا فالأول لله هو كم من نائم أيقظه، وشارد رده. وعابد بصَّره وفتنة دهماء صدها.

ومن أمر بغير حكمة من أهل العلم فقد صد عن سبيل الله، ووقف علىٰ أبواب الهداية، فنفر وأجلب العداوة بخيلها ورجلها.

والجاهل فيما جهله ليس من أهل الأمر والنهي لافتقاره إليه، فإن احتسب فحاصل احتسابه مفسدة محققة، تدور بين صغرىٰ البدع وكبراها.

وفي أهل التصوف والتشيع عبر! وللبيان فإنَّ الحكمة المرادة هنا هي تلك القاعدة الجامعة التي سبق الكلام عنها ومقاصد الشريعة هي تعبيد الناس لله وامتثال الأمر، وتحصيل الأجر، ودرء المفاسد، وجلب المصالح، وقد تقدم الحديث عنها.

والحاصل هنا أنَّ التصرفات العشوائية الممزوجة بالحدة والصلف، أو الجهل جَرَّتْ عداوات علىٰ الحسبة وأهلها متعددة المحاور والأساليب، أخرت مسيرة الإصلاح سنوات قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٩].

وقال ﷺ في حديث أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ : «**يا أيها الناس إنَّ منكم منفِّرين**»[(١)] منفِّرين وإن كانوا علماء لاحتسابهم بغير حكمة، منفرين وإن كانوا جهالاً لافتقار احتسابهم إلى حكمة، مُنَفِّرِين وإن كانوا جهالاً لافتقار احتسابهم إلىٰ الشرعية فالحسبة ليست مكانًا للتنفيس عن النفس بالصراخ، واحتقار العصاة من المسلمين وإنزالهم منزلة الملحدين، أو مكانًا لتجارب الجهال يخلطون الحابل بالنَّابل، بل هي مدرسة إصلاحية دقيقة المنهج والتنفيذ فيا أيها العالم مر بالحكمة، واتَّق الله أيها الجاهل لا تفسد علىٰ الناس دينهم، فالله طلب العلم قبل القول والعمل، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد، الآية: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء، الآية: ٣٦].

ويوم احتسب العالم بغير حكمة والجاهل بغير علم كانت المحصلة مفسدة محققة، وانظر إلىٰ أهل التصوف والشيعة، فإنَّهم جمعو حشفًا وسوء كيل، . يعطلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن احتسبوا احتسبوا بالباطل، فأوقعوا العوام في الضلال المبين، حيث زيَّنوا لهم الموالد، والأعياد

= (١٤٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٥٩) (٣٥١٤).

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٤٠) (٤٦٦).

الباطلة، والغلو في الصالحين، وسلسلة متتابعة من الخرافات يجر بعضها بعضًا، صرفوا الناس عن الكتاب السنة وأوجبوا عليهم طرق المشايخ والسادة، فأفسدوا في الأرض باسم صلاحها، وحاربوا الفضيلة وَوَأَدُوهَا باسم الذب عنها.

وكم يجد الغيور من حرقةٍ من علماء السوء الذين استخفوا بحرمات الله، وحسنوا للناس الاستخفاف بها، لا يجدون حرجًا في إباحة ما حرم الله باسم سماحة الإسلام ويسره، ومن خالفهم وأنكر عليهم كالوا له ألقاب السوء، فاتخذهم الفساق عكازًا.

آداب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

١ـ أن يكون متينًا في دينه، شجاعًا في غير تهور، لينًا من غير ضعف في أمره ونهيه.

٢ـ أن يكون بعيدًا عن الكبر، سالمًا من السخرية في حال أمره ونهيه.

٣ـ أن يتحلىٰ بالصبر الجميل والأناة الدائمة.

٤ـ ألا يخالف قوله فعله، بالعكس.

٥ـ أن يكون عارفًا بأحوال الناس ملمًا بما يجري حوله من الأحداث، مستفيدًا من الجديد النافع.

٦ـ أن يكون مشاورًا في ما أشكل عليه، مستفيدًا ممن سبقه، ولو كان أصغر سنًا منه.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ لإمام المحسنين محمد ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٩].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٦، ١٥٧].

وأخبر تعالىٰ أنَّ من خير النجوى الأمر بالمعروف قال تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء، الآية: ١١٤].

كما أفاد تعالىٰ أنَّ الخيرية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال جلَّ ذكره: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَۖ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١١٠ ـ ١١٥].

وعلمنا العبد الصالح لقمان عليه السلام أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور وهو الإحسان في عبادة الله تعالىٰ حيث قال لابنه كما أخبر عنه الله تعالىٰ بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان، الآية: ١٧]، وأخبر جل ذكره أنَّ الأمر بالعدل خير، كما قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل، الآية: ٧٦].

صور من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وعن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ: «**رأىٰ خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلىٰ جمرةٍ من نارٍ فيجعلها في يده»** فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خُذْ خاتمك انتفع به، قال: لا ، والله لا آخذه أبدًا وقدْ طرحه رسول الله ﷺ »[1].

من ثمرات الحسبة:

١ـ تعبيد الناس لله تعالى .

قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إلـٰه إلاَّ الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذٰلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله**»[2].

٢ـ امتثال أمر الله تعالىٰ:

وقال تعالىٰ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٦٥٥) (٢٠٩٠).

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٧) (٢٥). حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما.

ٱلۡأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان، الآية: ١٧].

٣ـ تحصيل الأجر:

وعن أبي جعفر الخطمي أنَّ جده عمير بن حبيب بن حماشة وكان قد أدرك النبي ﷺ عند احتلامه أوصىٰ ولده فقال: «يا بني إياك ومجالسة السفهاء فإنَّ مجالستهم داء، ومن يحلم عن السفيه يُسرُّ، ومن يجبه يندم، ومن لا يرضىٰ بالقليل مما يأتي به السفيه يرضىٰ بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهىٰ عن المنكر فليوطن نفسه علىٰ الصبر علىٰ الأذىٰ، ويثق بالثواب من الله تعالىٰ، فإنَّه من وثق بالثواب من الله عزَّوجل لم يضره مس الأذىٰ[(١)].

٤ـ تكفير الذنوب:

عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(٢)].

٥ـ درء المفاسد وجلب المصالح:

وقال ﷺ: **«مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء علىٰ الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأسًا، فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك، قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا علىٰ يديه أنجوه، ونجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»**[(٣)].

وقال ﷺ: **« مثل هٰذه الأمة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلمًا، فهو يعمل بعلمه في ماله، ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً، فهو يقول: لو كان لي مثل هٰذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال ﷺ: فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علمًا، فهو يخبط في ماله بالنفقة في غير حقه ورجل لم يؤته علمًا ولا مالاً فهو يقول: لو كان لي مثل هٰذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله ﷺ: فهما في الوزرِ سواء»**[(٤)].

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني (٢/ ٥٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٦٩) رجاله ثقات.

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٦٧٠) (١٧٩٦).

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٩٥٤) (٢٥٤٠) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) سنن ابن ماجه (٢/ ١٤١٣) (٤٢٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٤١٣) (٣٤٠٦).

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يمكن للعبد المسلم أن يحقق ذٰلك بأن يراعي ما سبق من شروط وآداب ابتغاء وجه الله تعالىٰ وهو علىٰ حالة كأنه حين الأمر والنهي ينظر إلىٰ مولاه وسيده سبحانه وتعالىٰ.

سابعًا: النصيحة والتواصي:

النصيحة لغة:

مأخوذة من مادة (ن ص ح) التي تدل علىٰ ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما، وهي خلاف الغش[1].

قال الراغب ـ رحمه الله ـ: النصح مأخوذ من قولهم: نصحت له الوُدَّ أي أخلصته أو من قولهم: نصحتُ الجِلدَ: خِطتُهُ[2].

وقال الأصمعي ـ رحمه الله ـ: الناصح: الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خَلَصَ فقَدْ نصَحَ[3].

واصطلاحًا:

قال الراغب ـ رحمه الله ـ: النُّصحُ إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه[4].

وقال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: النصيحة: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً، وتشمل النصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم[5].

ميادين النصيحة:

النَّصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: النَّصيحة لله: وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهرًا وباطنًا، والرَّغبة في محابِّهِ بفعل طاعته والرَّهبةُ من مساخطه بترك معصيته، والجهاد في ردِّ العاصين إليه، والنَّصيحة لكتاب الله تعلُّمه، وتعليمه وإقامة حروفه في التلاوة وتحريرها في الكتابة، وتفهُّم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذبُّ تحريف المبطلين عنه، والنَّصيحة لرسوله تعظيمه، ونصره حيًّا وميِّتًا، وإحياءُ سنته بتعلمها وتعليمها والاقتداء به في أقواله وأفعاله، ومحبَّته ومحبة أتباعه. والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم علىٰ ما حملوا القيام به، وتنبيههم عندالغفلة، وسدخلَّتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النَّصيحة لهم ببثِّ علومهم، ونشر مناقبهم وتحسين الظنِّ

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٥).

(٢) المفردات (٤٩٤).

(٣) لسان العرب (٧/ ٤٤٣٨).

(٤) الذريعة (٢٩٥).

(٥) جامع العلوم والحكم (٧٦).

بهم، والنَّصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم، والسَّعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذىٰ عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه[1].

وقال عبدالرحمن بن ناصر السعدي: النَّصيحة لله ولرسوله تكون بصدق الإيمان، وإخلاص النيَّة في الجهاد والعزم عليه عندالقدرة، وفعل المستطاع من الحث والترغيب والتَّشجيع للمسلمين عليه[2].

التواصي:

التواصي لغة:

التواصي مصدر قولهم: توَاصىٰ فُلانٌ وفُلانٌ أي أوصىٰ كل منهما صاحبه بمعنىٰ عهد إليه، وأوصىٰ الرجل ووصَّاه بمعنىٰ، والاسم من ذٰلك: الوصيَّةُ والوصاة[3].

التواصي اصطلاحًا:

ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث علىٰ المأمورات[4]

الوصيَّة بكتاب الله عزَّوجل:

قال ابن حجر: المراد بالوصيَّة بكتاب الله تعالىٰ حفظه حسًّا ومعنًى، فيكرم ويصان، ولا يسافر به إلىٰ أرض العدُوِّ ويُتبع ما فيه فيُعمل بأوامره وتُجتنب نواهيه، ويدوام علىٰ تلاوته وتعلُّمه وتعليمه[5].

منزلة التواصي:

لقد أقسم المولىٰ ـ عزَّوجل ـ أنَّ الإنسان لفي خسر واستثنىٰ من ذٰلك من توفَّرت فيه أربع خصال هي:

الإيمان، والعمل الصالح، والتَّواصي بالحق، والتَّواصي بالصَّبر، وذٰلك قوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

وقد قال الشافعي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ «لو تدبر النَّاس هٰذه السورة لوسِعتهم»[6].

ميادين التواصي:

سأل بعضهم شيخ الإسلام ابن تيمية أن يوصيه بما فيه صلاح دينه

---

(١) فتح الباري (١/ ١٦٧).
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي(١/ ٢٧٥).
(٣) انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٩٤).
(٤) فتح الباري (٥/ ٤١٩).
(٥) فتح الباري (٨/ ٦٨٦).
(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٥).

ودنياه فأجاب - رحمه الله - أما الوصيَّة فما أعلم وصيَّة أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتَّبعها قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ١٣١]

ووصَّىٰ النبي ﷺ معاذًا لما بعثه إلى اليمن، فقال: «**اتَّق الله حيثما كنت وأتبع السَّيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[١] فهٰذه وصية جامعة لمن عقلها مع أنَّها تفسير للوصية القرآنية، أما بيان جمعها فلأنَّ العبد عليه حقان:

حق لله عزَّوجل، وحق لعباده، ثم الحقُّ الذي عليه لا بدَّ أن يخل ببعضه أحيانًا، إما بترك المأمور به أو فعل المنهي عنه، وفي قوله ﷺ: «**اتَّق الله حيث ما كنت**» تحقيق لحاجته إلىٰ التقوىٰ في السر والعلانية «وفي كل زمان ومكان»، ثم قال: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» لأنَّه لما كان الذنب للعبد كأنه أمر حتم كان الكيس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات ما يمحو به السيئات، وفي هٰذا إرشاد للخاصَّة والعامَّة بما يُخلِّص النفوس من ورطات الذنوب وهو اتباع السَّيِّئات الحسنات، ولما قضىٰ الرسول ﷺ بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح وإصلاح الفاسد، قال: «وخالق الناس بخلق حسن» وهو حق الناس، وأما بيان أنَّ هٰذا كله في وصيَّة الله فهو أنَّ اسم «تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر به الله به إيجابًا واستحبابًا، ومانهىٰ عنه تحريمًا وتنزيهًا، وهٰذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد»[٢].

النصيحة والتواصي من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ عن نوح - عليه السلام -: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٦١، ٦٢].

وقال تعالىٰ عن هود - عليه السلام - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٦٧، ٦٨]

وقال تعالىٰ عن شعيب - عليه السلام - ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف، الآية: ٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٣٣٥) (١٩٨٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٨١) (٩٧).
(٢) انظر: الفتاوىٰ (١٠/ ٦٥٣، ٦٥٤).

رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ [الأعراف، الآية: ٩١].

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: أعتق رجل من بني عذرة عبدًا له عن دبر فبلغ ذٰلك رسول الله ﷺ فقال: **«ألك مالٌ غيره؟»** فقال: لا فقال: **«من يشتريه مِني؟»** فاشتراه نُعيم بن عبدالله العدوي بثمانية دراهم، فجاء بها سول الله فدفعها إليه، ثم قال: «ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهٰكذا وهٰكذا» يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك»[1].

وأما التواصي فقد قال تعالىٰ عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة، الآية: ١٣٢].

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه ـ رضي اللهعنهما ـ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمرأميرًا علىٰ جيش أو سريَّة، أوصاه في خاصَّته بتقوىٰ الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوابسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا..» الحديث[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني، قال: **لا تغضب فردَّد مرارًا قال، لا تغضب**»[3].

صور من النصيحة والتواصي:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ [القصص، الآية: ٢٠].

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنَّ عبدالله هلك وترك تسع بنات أو قال سبع، فتزوجت امرأة ثيِّبًا فقال لي رسول الله ﷺ: **يا جابر، تزوجت؟» قال: قلت نعم، قال: فبكر أم ثيب؟ قال: قلتُ بل ثيِّب يا رسول الله! قال: «فهلاً جاريةً تلاعبها وتُلاعبك»** أو قال: **تضاحكها وتضاحكك»** قال: قلت له: إنَّ عبدالله هلك وترك تسع بناتٍ (أو سبع) وإني كرهت أن آتيهن أوأجيئهن بمثلهن، فأحببت أن أجيء بامرأةٍ تقوم عليهن وتصلحهن، قال: «فبارك الله لك» أو قال لي خيرًا[4].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٩٢) (٩٩٧).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٣٥٧) (١٧٣١).
(٣) صحيح البخاري (الفتح) (١٠/ ٥١٩) (٦١١٦).
(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٠٨٧) (٧١٥).

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**أوصاني خليلي بثلاثٍ: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحىٰ، وأن أُوتر قبل أن أرقد**»[1].

عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإنَّ لهم ذمة ورحمًا، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبِنة فاخرج منها**»[2].

من ثمرات النصيحة والتواصي:

١ـ أنَّ النصيحة هي دليل خير وصلاح.

٢ ـ في النصيحة والتواصي بالحق السعادة في الدنيا والآخرة والنجاة من الخسارة.

٣ـ عظم أجر الناصح والموصىٰ بالخير.

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ «ما زال لله تعالىٰ نصحاء، ينصحون لله في عباده، وينصحون لعبادالله حق الله، ويعملون لله تعالى في الأرض بالنَّصيحة، أولـٰئك خلفاء الله في الأرض»[3].

تحقيق مرتبة الإحسان في النصيحة والتواصي:

إذا قام المسلم بواجب النصح والتواصي بالحق لأخيه المسلم بما يرضي الله تعالىٰ علىٰ وجه الاتقان والإخلاص لله تعالىٰ وهو علىٰ حال حين النصح والتواصي وكأنه ينظر إلىٰ الله تعالىٰ فإنَّه بذٰلك يحقق مرتبة الإحسان في النصح والتواصي بالحق.

ثامنًا: الإصلاح

الإصلاح لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ص ل ح) التي تدل علىٰ خلاف الفساد والصُّلح: السِّلم[4].

واصطلاحًا:

مأخوذ من الصُّلح: وهو عقد يرفع النزاع بمعنىٰ المصالحة، وهو المسالمة خلاف المخاصمة[5].

الإصلاح في القرآن الكريم:

وقد ورد الإصلاح في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها: قوله

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٩٩) (٧٢١).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٩٧٠) (٢٥٤٣).

(٣) بصائر ذوي التميز(٥/ ٦٧، ٦٨).

(٤) المقاييس (٣/ ٣٠٣) واللسان (٢/ ٥١٦، ٥١٧)، ومختار الصحاح (٣٦٧).

(٥) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (٥/ ٢٩، ٣٠).

تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ ـ عليه السلام ـ يوصي أخاه هارون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٢]. وهو هنا بمعنىٰ الرِّفق.

ومنه قوله تعالىٰ علىٰ لسان نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود، الآية: ٨٨].

وهو هنا بمعنىٰ الإحسان، ومنه قوله تعالى في وصفِ المنافقين: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة، الآية: ١١].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ﴾ [الأعراف، الآية: ٨٥].

قال المفسرون: الإصلاح هنا الطَّاعةُ، ضدُّ الإفساد وهو المعصية، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود، الآية: ١١٧]، والإصلاح هنا بمعنىٰ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر[1].

مكانة الإصلاح:

معنىٰ الإصلاح دال علىٰ حسنه الذاتي، فكم من فساد انقلب به الصلاح إلى الحسنة، ولهٰذا أمر الله تعالىٰ به عند حصول الفساد والفتن بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾ [الحجرات، الآية: ٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ [النساء، الآية: ١٢٨]. قالوا: معناه جنس الصلح خير. .فيعلم بهٰذا أنَّ جميع أنواع الصلح حسنة، لأنَّ فيه إطفاء الثائرة بين الناس، ورفع المنازعات الموبقات عنهم[2].

عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا؟ بلىٰ، قال: صلاح ذات البين، فإنَّ فساد ذات البين هي الحالقةُ**»[3].

من أنواع الإصلاح:

إصلاح ذات البين: ومعنىٰ ذات البين صاحبة البين، والبين في كلام

---

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر(٣٩٧، ٣٩٨).

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيعلي (٥/ ٢٩، ٣٠).

(٣) سنن الترمذي(٤/ ٦٦٣) (٢٥٠٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٠٦) (٢٥٩٥).

العرب يأتي علىٰ وجهين متضادين، فيأتي بمعنى الفراق والفُرقة، ويأتي بمعنىٰ الوصل وإصلاح ذات البين علىٰ المعنىٰ الأول يكون بمعنىٰ إصلاح صاحبةِ الفرقة بين المسلمين وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتسامح والعفو، أو بالتراضي علىٰ وجه من الوجوه، وبهـٰذا الإصلاح يذهب البين وتنحل عقدة الفرقة أما إصلاح ذات البين علىٰ المعنىٰ الثَّاني، فيكون بمعنىٰ إصلاح صاحبة الوصل والتَّحابب والتآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأبِ ما تصدَّع منها وإزالة الفساد الذي دبَّ إليها بسبب الخصام والتَّنازع علىٰ أمرٍ من أمور الدُّنيا[1].

طريقة الإصلاح:

عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللَّاتي بايعن النبي ﷺ أخبرته أنَّها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيرًا وينمي خيرًا**»[2].

قال الفضيل: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل يا أخي اعفُ عنه فإنَّ العفو أقربُ للتَّقوىٰ، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولـٰكن أنتصر كما أمرني الله ـ عزَّوجل ـ قلْ فإن كنت تحسن أن تنتصر مثلاً بمثلٍ وإلاَّ فارجع إلىٰ باب العفوِ فإنَّه بابٌ أوسع؛ فإنَّه من عفا وأصلح فأجره علىٰ الله، وصاحب العفو ينام الليل علىٰ فراشه، وصاحب الانتصار يُقلِّبُ الأمُورَ»[3] هـٰذا علىٰ مستوىٰ الأفراد.

أما علىٰ مستوىٰ الجماعات: فقال العلماء: لا تخلو الفئتانِ من المسلمين في اقتتالهما، إمَّا أن يقتتلا علىٰ سبيل البغي منهما جميعًا، أو لا، فإن كان الأوَّل، فالواجب في ذٰلك أن يُمْشَىٰ بينهما بما يصلح ذات البين، ويثمر المكافَّة والموادعة، فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا علىٰ البغي صِيرَ إلىٰ مقاتلتهما، وأما إن كان الثاني وهو أن تكون إحداهما باغيةً علىٰ الأخرىٰ، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلىٰ أن تكف وتتوب؛ فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل، فإنَّ التحم القتال بينهما لشبهةٍ دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيِّرة والبراهين القاطعة علىٰ مَرَاشد الحق، فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا علىٰ شاكلةِ ما هُديتا إليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه

---

(١) انظر: الأضداد للأنباري (٧٥)، والأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت (٥٢، ٣٥١، ٣٥٢، ٢٢٥).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٠١١) (٢٦٠٥).

(٣) حلية الأولياء(٥/ ١١٢).

لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين[١].

شروط الإصلاح:

١ـ أن يكون فيما يرضي الله تعالىٰ.

٢ـ أن يكون فيه رضاء للخصمين.

٣ـ أن يكون المصلح عالمًا بالوقائع.

٤ـ أن يكون المصلح عازمًا بالواجب.

٥ـ أن يقصد للعدل في صلحه[٢].

قال الطبري عند قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء، الآية: ١١٤]. هو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما ليرجعا إلىٰ ما فيه الأُلفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به[٣].

الإصلاح من صفات المحسنين:

عن سهل بن سعدٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ ناسًا من بني عمرو بن عوفٍ كان بينهم شيءٌ فخرج إليهم النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه يصلح بينهم»[٤].

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمع رسول الله ﷺ صوتَ خصومٍ بالبابِ عالية أصواتهم، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «أين المُتألي علىٰ الله لا يفعل المعروف؟ فقال: أنا يا رسول الله ، فله أيُّ ذٰلك أحبَّ»[٥].

رُويَ أنَّ ابن أبي عذرةَ الدُّؤلي، وكان في خلافةِ عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يخلع النساء اللاَّتي يتزوَّج بهنَّ، فطارت له في النَّاسِ من ذٰلك أُحْدُوثَةٌ يكرهُهَا، فلمَّا علِمَ بذٰلك أخذَ بيد عبدالله بن الأرقم، حتَّىٰ أتىٰ به إلىٰ منزله، ثم قال لامرأته، أنشدك بالله هل تبغضينني؟ قالت: لا تنشدني، قال: فإنِّي أُنشدك الله، قالت: نعم فقال لابن الأرقم: أتسمع؟ ثم انطلقا حتىٰ أتيا عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: إنّكم لتُحدِّثون أنِّي أظلم النساء وأخلعهن فاسألِ ابنَ الأرقم فسأله فأخبره، فأرسل إلىٰ امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمَّتها، فقال: أنتِ الَّتي تحدِّثين زوجك أنَّكِ تبغضينَهُ؟ فقالت: إني أوَّل من تاب وراجع أمر الله تعالىٰ، إنَّه ناشدني فتحرَّجتُ أن أكذبَ، أفأكذب يا أمير

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٠٨).

(٢) انظر: أعلام الموقعين (١/ ١٠٩، ١١٠).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٦).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٥/ ٢٩٧) (٢٦٩٠).

(٥) صحيح البخاري ، الفتح (٥/ ٣٠٧) (٢٧٠٥).

المؤمنين؟ قال: نعم، فاكذبي، فإن كانت إحداكنَّ لا تحب أحدنا فلا تحدِّثه بذلك، فإنَّ أقلَّ البيُوتِ الذي بُني علىٰ الحبِّ ولكن النَّاسَ يتعاشرون بالإسلامِ والأحسابِ»[1].

صور من الإصلاح:

عن كعب بن مالكٍ أنَّه تقاضىٰ ابن أبي حدردٍ دينًا كان له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتىٰ سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج رسول الله ﷺ إليهما حتَّىٰ كشف سِجف حُجرته فنادىٰ كعب بن مالكٍ، فقال: «يا كعب» فقال: لبَّيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشَّطر فقال كعبٌ قد فعلْتُ يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: **«قمْ فاقضهِ»**[2].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: **«اشترىٰ رجلٌ من رجلٍ عقارًا له، فوجد الرَّجُل الَّذي اشترىٰ العقار في عقارِهِ جَرَّةً فيها ذهبٌ، فقال له الذي اشترىٰ العقار: خُذْ ذهبك منِّي، إنَّما اشْتَرَيْتُ منكَ الأرضَ، ولم أبتع منك الذَّهب، فقال الَّذي شرىٰ الأرض: إنَّما بِعتك الأرض وما فيها قال: فتحاكما إلىٰ رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ، فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر، لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا علىٰ أنفسكما منه وتصدقا»**[3].

من ثمرات الإصلاح:

١ـ أنَّه يغرس المودة في القلوب، ويعمق جانب الأخوة الإيمانية بين المسلمين.

٢ـ أنَّه سبب في سعادة الأفراد والشعوب.

٣ـ عظم أجر المصلحين.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الإصلاح:

يمكن أن يتحقق ذلك بأن تتوافر الشروط في المصلح وصلحه وهو علىٰ حال كأنَّه ينظر إلىٰ الله تعالىٰ حال صلحه بين المتخاصمين.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٨).
(٢) صحيح البخاري ، الفتح (٥/ ٣١١) (٢٧١٠).
(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٣٤٥) (١٧٢١).

تاسعًا : الصدق:

الصدق لغة:

مصدر قولهم صَدق يصدُقُ صِدقًا، وهو مأخوذٌ من مادة(ص د ق) التي تدل علىٰ قوة في الشيء قولاً أو غير قول، من ذٰلك الصدق خلاف الكذب لقوته في نفسه ولأنَّ الكذب لاقوّة له وهو باطل، وأصل هٰذا من قولهم شيء صدق أي صلب، ورمح صدقٌ(١).

الصدق اصطلاحًا:

قال الرَّاغب ـ رحمه الله ـ: الصدق مطابقة الضمير والمُخبر عنه معًا، ومتىٰ انخرم شرط من ذٰلك لم يكن صدقًا تامًا، بل إما ألاَّ يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب علىٰ نظرين مختلفين، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمَّد رسول الله فإنَّ هٰذا يصح أن يقال: صدق لكون المُخبِر عنه كذٰلك، ويجوز أن يقال كذبٌ لمخالفة قوله ضميره، ومن الوجه الثاني، إكذاب الله المنافقين حيث قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾(٢) [المنافقون، الآية: ١].

ميادين الصدق: .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: والصدق ثلاثة.

قول ، وعمل، وحال.

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان علىٰ الأقوال كاستواء السنبلة علىٰ ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال علىٰ الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس علىٰ الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح علىٰ الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذٰلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هٰذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته، كما فعل أبوبكر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ (٣).

مدخل الصدق:

قد أخبر سبحانه أنه أكرم عباده المتقين بأن جعل لهم، مدخل صدق، ومخرج صدق، ولسان صدق، وقدم صدق، ومقعد صدق.

وحقيقة الصدق في هٰذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله،

---

(١) المقاييس (٣/ ٣٣٩)، وانظر: المفردات (٢٧٧) ولسان العرب (١٠/ ١٩٢).

(٢) المفردات (٢٧٧).

(٣) مدراج السالكين (٢/ ٢٨١).

الموصل إلىٰ الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذٰلك في الدنيا والآخرة[1].

علامة الصدق.

من علامات الصدق طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب حصول الريبة.

عن أبي محمد الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك، فإنَّ الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»[2].

الصدق شعار عباد الله المحسنين:

أول شعار يلوح من شخصية المحسن لمن عرفه الصدق فهـذا صاحب السجن مع يوسف ـ عليه السلام ـ يحكي عنه بقوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يوسف، الآية: ٤٦] وقالت امرأة العزيز: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف، الآية: ٥١]، وهـٰذا الصدق من يوسف عليه السلام كان جزاءً مما أسهم في زيادة إحسانه حيث قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف، الآية: ٥٦] وكل نبي صديق وليس كل صديق نبي قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء، الآية: ٦٩، ٧٠] وقال الله تعالىٰ عن أم عيسىٰ عليهما السلام: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة، الآية: ٧٥] والصديقية في غير الأنبياء وهي الدرجة الثانية في مرتبة الإحسان.

سميت بذٰلك، لقوله تعالىٰ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم، الآية: ١٢].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم، الآية: ٥٦].

والصديق هو كثير الصدق، ومنهم أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال الله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٨٢).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٦٦٨) (٢٥١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٣٧) (٣٣٧٨).

﴿يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾ [الزمر، الآية: ٣٣، ٣٤].

علامات الصديقية:

الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالمال والنفس والهجرة نصرة للدين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ [الحديد].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات، الآية: ١٥] والصديق أولىٰ من الصادق بالجهاد بالمال والنفس لمزيد صدقه.

وقال تعالىٰ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر، الآية: ٨].

أحسن الحديث أصدقه:

عن مروان بن الحكم والمِسْور بن مخرمة ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «**أحب الحديث إليَّ أصدقه.. الحديث**»[1].

الصدق من وسائل الإحسان:

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الصدق يهدي إلىٰ البر، وإنَّ البر يهدي إلىٰ الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلىٰ النار، وإنَّ الرجل ليكذب حتىٰ يكتب عندالله كذاباً**»[2].

من ثمرات الصدق:

١ـ أنه من أحب الخصال إلى الله تعالى.

٢ـ أنه من أعظم الأسباب الموصلة إلى الإحسان.

٣ـ أنه دليل على قوة إيمان صاحبه.

٤ـ عظم أجر الصادقين عند الله تعالى.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الصدق:

يمكن أن يُحقق المؤمن مرتبة الإحسان في صفة الصدق وذٰلك بأن يستوي لسانه علىٰ الأقوال الصادقة، وأفعاله علىٰ المتابعة الصادقة للرسول ﷺ، وأعمال القلب والجوارح علىٰ الإخلاص الصادق لله تعالىٰ مستفرغًا الوسع والطاقة صدقًا فإذا فعل ذٰلك كله حتىٰ يغلب علىٰ قلبه كأنه يشاهد ربه ومولاه الحق تبارك وتعالىٰ فقد حقَّق الإحسان في صدقه.

---

(١) صحيح البخاري فتح (٤/ ٤٨٣) (٢٣٠٧، ٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري، فتح (١٠/ ٥٠٧) (٦٠٩٤٣).

المطلب الثالث

الإحسان الفعلي في عبادة الله تعالىٰ

أولاً: الاستقامة.

الاستقامة لغةً:

مصدر استقام علىٰ وزن استفعل، وهو مأخوذ من مادة (ق و م) التي تدل علىٰ معنيين:

أحدهما: جماعة من الناس والآخر انتصاب أو عزم، وإلىٰ هٰذا المعنىٰ ترجع الاستقامة في معنىٰ: الاعتدال، يقال قام الشيء واستقام، واستوىٰ، يقال: استقام له الأمر، أي اعتدل.

واصطلاحًا:

الاستقامة: «هي سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة ويشمل ذٰلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذٰلك»(1).

وقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «الاستقامة كناية عن التَّمسك بأمر الله تعالىٰ فعلاً وتركًا»(2).

وقد عبر القرآن الكريم عنها بالعبادة كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يٰس، الآية: ٦١].

أركان الاستقامة:

للاستقامة أربعة أركان وهي: الإيمان بالله، والاعتصام به، وطاعته، وطاعة رسوله محمَّد ﷺ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء، الآية: ١٧٤، ١٧٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء، الآية: ٦٦ ـ ٧٠].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٩٣).
(٢) الفتح (١٣/٢٥٧).

حقيقة الاستقامة:

أورد الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت، الآية: ٠٣].

أن الاستقامة حقيقتها: عدم الاعوجاج والميل والسين والتاء فيهما للمبالغة في التقوم فحقيقة استقام: استقل غير مائل ولا مُنْحَنٍ، وتطلق الاستقامة أيضًا علىٰ ما يجمع معنىٰ حسن العمل والسير على الحق والصدق قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت، الآية: ٦]. وقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود، الآية: ١١٢] فاستقاموا تشمل معنىٰ الوفاء بما كُلِّفوا به، وأول ما يشمل من ذٰلك أن يثبتوا علىٰ التوحيد، أي لا يغيروا ولا يرجعوا عنه، وعن أبي بكر: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ لم يشركوا به شيًا، وعن عمر: استقاموا علىٰ الطريقة لطاعته ثم لم يَرُوغوا رَوَغَانَ الثعالب، وقال عثمان: ثم أخلصوا العمل لله وَعَنْ عَلِيٍّ ثم أدوا الفرائض وكل هٰذه الأقوال ترجع إلىٰ معنىٰ الاستقامة في الإيمان وآثاره.

والاستقامة زائدة في المرتبة علىٰ الإقرار بالتوحيد، لأنَّها تشمله وتشمل الثبات عليه والعمل بما يستدعيه.

وجمع قوله: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ أصلي الكمال الإسلامي فقوله: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يُشير إلىٰ الكمال النفساني، وهو معرفة الحق للاهتداء به.

ومعرفة الخير لأجل العلم به.

وقوله: ﴿استقاموا﴾ يشير إلىٰ أساس الأعمال الصالحة، وهو الاستقامة علىٰ الحق، أي أن يكون وسطًا غير مائل إلىٰ طرفي الإفراط والتَّفريط... فكمال الاعتقاد راجع إلىٰ الاستقامة، فالاعتقاد الحق أن لا يتوغَّل في جانب النَّفي إلىٰ حيث ينتهي إلىٰ التعطيل ولا يتوغَّل في جانب الإثبات إلىٰ حيث يَنتهي إلىٰ التشبيه والتَّمثيل؛ بل يمشي علىٰ الخط الفاصل بين التَّشبيه والتَّعطيل، ويستمر كذٰلك فاصلاً بين الجَبري والقدري، وبين الرَّجاء والقُنوط ، وفي الأعمال بين الغلو والتفريط[1].

والخلاصة أنَّ الاستقامة ـ كما يقول صاحب البصائر ـ كلمةٌ آخذة بمجامع الدِّين، وهي القيام بين يديِ الله تعالىٰ علىٰ حقيقة الصدق والوفاء بالعهد وهي تتعلَّق بالأقوال والأفعال والنيَّات والاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلىٰ أمرالله تبارك وتعالىٰ[2].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير(٢٤/ ٢٨٢، ٢٨٤).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣١٢).

فضل الاستقامة:

١ـ يدرك بها العبد درجة الصوَّام القوَّام.

عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المسلم المسَدِّدَ ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه، وكرم ضريبته**»[1].

والمسدِّد: المستقيم المقتصد في الأمور.

٢ـ أنَّ الاستقامة طريق النجاة:

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ «الاستقامة هي لزوم المنهج القويم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٠] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف، الآية: ١٣] إلىٰ قوله: ﴿يعلمون﴾ وقال تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود، الآية: ١١٢] إلىٰ قوله: ﴿بصير﴾ فبيَّن أنَّ الاستقامة بعدم الطغيان، وهو مجاوزة الحدود، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت، الآية: ٦]، والمقصود من العبدالاستقامة وهي السداد فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، وعند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**سدِّدوا وقاربوا، واعلموا أنَّه لن ينجوَ أحدٌ منكم بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلاَّ أنْ يتغمَّدني برحمةٍ منه وفضلٍ**» فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة وهي السداد والإصابة في النيات والأقوال وأخبر في حديث ثوبان أنَّهم لا يطيقونها فنقلهم إلىٰ المقاربة، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسبِ طاقتهم كالذي يرمي إلىٰ الغرض، وإن لم يصبه يقاربه، ومع هذا فقد أخبرهم أنَّ الاستقامة والمقاربة لا تُنجي يوم القيامة، فلا يركنُ أحدٌ إلىٰ عمله، ولا يرىٰ أنَّ نجاته به؛ بل إنَّما نجاته برحمة الله وغفرانه وفضله، فالاستقامة كلمة جامعةٌ أخذةٌ بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله تعالىٰ علىٰ حقيقة الصدق والوفاء بالعهد.

والاستقامة تتعلَّق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيَّات فالاستقامة فيها، وقوعها لله وبالله وعلىٰ أمر الله[2].

---

(١) مسند أحمد (٢/ ١٧٧) (٦٦٤٨)، وصحح أحمد شاكر إسناده (١٠/ ١٣٤)، وذكره الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٦٤)، (١٩٤٥)، وفي سلسلة الأحايث الصحيحة (٢/ ٥٨) (٥٢٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٣، ١٠٩).

٣ـ إذا استقام القلب استقامت الجوارح:

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «أصل الاستقامة استقامة القلب علىٰ التوحيد، وقد فسَّر أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ الاستقامة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت، الآية: ٣٠] بأنهم لم يلتفتوا إلىٰ غيره، فمتىٰ استقام القلب علىٰ معرفة الله، وعلىٰ خشيته وإجلاله ومهابته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه، والإعراض عمَّا سواه، استقامت الجوارح كلها علىٰ طاعته، فإنَّ القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه وأعظم ما يراعىٰ استقامة بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنَّه ترجمان القلب والمعبر عنه»(١).

الاستقامة من صفات عبادالله المحسنين:

لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود، الآية: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام، الآية: ٨٣ ـ ٩٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٧٠].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١٩٣، ١٩٤).

وهٰؤلاء الأصناف الأربعة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هم المحسنون.

الطريق إلىٰ تحقيق الإحسان في صفة الاستقامة

ويتحقق الإحسان في صفة الاستقامة بأن يفعل المسلم الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، ويترك المنهيات كلها الظاهرة والباطنة علىٰ حال كأنه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ فلا يروغ عن الصراط يمنة أو يسرة، روغان الثعلب.

ثانيًا: عمل الصالحات:

العمل لغة: مصدر مأخوذٌ من مادة (ع م ل) الَّتي تدلُّ علىٰ «كل فعل يُفعلُ»[1].

العمل اصطلاحًا:

وقال الكفوي: العمل المهنة والفعل والعمل يعُمُّ أفعال القلوب والجوارح، ولا يقال إلاَّ لما كان عن فكرٍ ورويَّة ولهٰذا قُرنَ بالعلم حتَّىٰ قال بعض الأدباء: قُلبَ لفظ العمل من لفظ العلم تنبيهًا علىٰ أنَّهُ من مُقْتضاهُ[2].

الصلاح لغة:

مصدر «صلح» الشيء يَصلح ويصلُحُ صلاحًا وهو ضد الفساد.

قال الراغب: قُوبل الصلاح في القرآن تارةً بالفساد وتارةً بالسَّيئة قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة، الآية: ١٠٢] وقال عزَّوجل: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦][3].

واصطلاحًا:

قال الكفوريُّ: الصَّلاح هو سلوك طريق الهدىٰ وقيل: هو استقامة الحال علىٰ ما يدعو إليه [الشرع] والعقل، والصالح: المستقيم الحال في نفسه، وقال بعضهم: هو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد [وحقوق النفس] والكمال في الصَّلاح منتهىٰ درجات المؤمنين ومتمنَّىٰ الأنبياء والمرسلين[4] وهو مرتبة الإحسان غير أنَّ إحسان الأنبياء عليهم السلام لا يبلغه محسن من المؤمنين مهما كان إحسانه.

العمل الصالح:

العمل الصالح، هو العمل المراعى من الخلل، وأصله الإخلاص في النية وبلوغ الوسع في المجادلة بحسب علم العامل وإحكامه وقال بعضهم: العمل الصالح ما دُبر بالعلم[5].

قال الفضل بن عياض ـ رحمه الله ـ في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك، الآية: ٢] قال: أخلصه وأصوبه، إنَّ العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتىٰ يكون خالصًا صوابًا قال: والخالص إذا كان لله عزَّوجل،

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ١٤٠).

(٢) الكليات(٦١٦).

(٣) الصحاح (١/ ٣٨٣)، لسان العرب (٢/ ٥١٦)، القاموس المحيط (١/ ٢٩٣).

(٤) الكليات (٥٦١)، ومابين المعكوفين مما لا بد منه.

(٥) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (٢٤٧).

والصواب إذا كان على السنة[1].

قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف، الآية: ١١٠].

مكانة العمل الصالح:

العمل الصالح هو المراد من إنزال الكتاب الكريم ومن جمع العلم.

قال الفضيل ـ رحمه الله ـ: «إنما نزل القرآن ليعمل به، فاتَّخذ الناس قراءته عملاً، قال: قيل: كيف العمل به؟ قال: أي ليحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه»[2].

وقال أيضًا: إنَّما يراد من العلم العمل والعلم دليل العمل[3].

والعمل الصالح دليل الإيمان في القلب، قال الحسن ـ رحمه الله ـ «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال، من قال حسنًا، وعمل غير صالح، رده الله على قوله، ومن قال حسنًا وعمل صالحًا رفعه العمل، وذلك بأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[4] [فاطر، الآية: ١٠].

وهكذا فهم السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ: أنَّ العمل هو المراد الأول قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ «تعلَّموا فمن علِمَ فليعمل»[5].

يحدوهم إلى ذلك ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فِتنًا كقِطع الليل المظلم، يصبح الرَّجل مؤمنًا ويمسِي كافرًا أو يمسي مُؤمنًا ويصبح كافرا، يبيع دينه بِعرض من الدنيا**»[6].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان أو الدجال، أو الدَّابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**»[7].

وقد كانوا ـ رحمهم الله ـ يتخوفون من السؤال عن العمل بين يدي الله تعالى فيما علموا، قال أبوالدرداء ـ رضي الله عنه ـ «إنَّما أخاف أن يكون أول ما يسألني عنه ربي أن يقول: قد علمتَ فما عملتَ فيما علمت؟»[8].

---

(١) الحلية (٨/ ٩٥).
(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (١٦).
(٣) المرجع السابق (٣٧).
(٤) المرجع السابق (٤٣).
(٥) المرجع السابق(٢٤).
(٦) صحيح مسلم (١/ ١١٠)(١١٨).
(٧) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٦٧) (٢٩٤٧).
(٨) اقتضاء العلم العمل (٤١).

ولأجل هٰذا كانو يتواصون بالاجتهاد في العمل.

قال مطرف بن عبدالله بن الشخير ـ رحمه الله ـ ياإخواني اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجوا من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإنْ يكن الأمر شديدًا نخاف ونحاذر لم نقل: ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كُنَّا نعمل، نقول: قد عملنا فلم ينفعنا[1].

يشير ـ رحمه الله ـ إلىٰ قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾ [الأنعام، الآية: ١٣٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر، الآية: ٣٦، ٣٧]، وقبل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون، الآية: ١٠٠] وقد مايز الله بين فريقين من الناس فريق يعمل الصالحات والآخر نحس يعمل السيئات فقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ [الجاثية، الآية: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾ [غافر، الآية: ٤٠].

وحمل الله كل إنسان مسؤولية عمله فقال تعالىٰ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥﴾ [الجاثية، الآية: ١٥].

وأخبر سبحانه وتعالىٰ أنَّ الجزاء علىٰ مثقال الذرة من الخير أو الشر، ليأخذ كل إنسان حذره قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة، الآية: ٧، ٨].

وأفاد جلَّ ذكره أنَّ أعمال الناس مكتوبة عنده ليوفي كل عامل بعمله ثم يجازي عليه فقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ [الجاثية، الآية: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾ [الأحقاف، الآية: ١٩]. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ [الجاثية].

وقال تعالىٰ عن الفريق الآخر: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا

---

(١) المصدر السابق (٩٥).

تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور، الآية: ١٦].

ويكفي في منزلة العمل الصالح أنَّ أهله هم أفضل الناس قاطبة وأنَّه تعالىٰ راضٍ عنهم، فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة، الآية: ٧، ٨].

وتكفل جلَّ وعلا بأن يجعل لهم ودًا ينعمون به فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم، الآية: ٩٦]، وأخبر تعالىٰ أنَّه لا أحد أحسن عملاً ممن عمل صالحًا فقال تعالىٰ: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت، الآية: ٣٣].

ميادين العمل الصالح:

كل ما دعت إليه الشريعة من عمل علىٰ وجه اللزوم أو الاستحباب فإنَّه عمل صالح في ذاته فإن أداه المؤمن علىٰ وجه الاتقان والإخلاص فقد عمل الصالحات يدخل في ذٰلك ما كان قربة محضة لله تعالىٰ أو ما شرعه الله تعالىٰ من العمل مما له منفعة عائدة علىٰ النفس أو الخلق قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت، الآية: ٥٨، ٥٩] فالصبر والتوكل من الأعمال الصالحة.

الإيمان والعمل الصالح وعلاقتهما بالإحسان:

يتفاوت الإيمان والعمل الصالح من عبد إلىٰ عبد آخر بحسب علمهما ومجاهدتهما علىٰ تحقيقهما فإذا تمكن العبد من تحسين باطنه بالإيمان الصادق وتحسين ظاهره بالعمل الصالح علىٰ وجه الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ فقد صدق عليه بمجموع تحقيقتها اسم الإحسان كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف الآية: ٣٠] يؤيد ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البينة، الآية: ٧] وخير الخلق هم المحسنون.

العمل الصالح صفة المحسنين:

ليس كل من عمل صالحًا محسنًا وكل محسن عاملاً للصالحات قال الله تعالىٰ: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل، الآية: ٩٦، ٩٧] أي

بسبب عملهم البالغ في الحسن[١] وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٢٠، ١٢١].

صور من العمل الصالح:

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قال: صليت مع النبي ﷺ، فلم يزل قائمًا حتىٰ هممت بأمر سوء، قيل له: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ[٢].

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ ينقُل التُراب يوم الخندق حتىٰ أغمر بطنه أو اغبرَّ بطنه، يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ‏ ‏ ‏ ولا تصـدقنـا ولا صلَّينـا

فـأنـزلـن سكينـة علينـا ‏ ‏ ‏ وثبـتِ الأقـدام إن لاقيْنـا

إنَّ الأُلىٰ قد بغوا علينا ‏ ‏ ‏ إذا أرادوا فتنـــةً أبينـــا

ويرفع بها صوته أبينا أبينا[٣]

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**تُعرضُ الأعمال يوم الاثنين والخميس فأُحبُّ أن يُعرضَ عَملِي وأنا صائم**»[٤].

من ثمرات العمل الصالح:

١ـ الأمن في الدنيا والآخرة قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٧٧].

٢ـ المغفرة والأجر العظيم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة، الآية: ٩].

٣ـ الفوز بالجنة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٣].

---

(١) التحرير والتنوير(١٤/ ٢٧٢).

(٢) صحيح البخاري ، الفتح (٣/ ١٩) (١١٣٥).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٧/ ٣٩٩) (٤١٠٤).

(٤) سنن الترمذي (٣/ ١١٣) (٧٤٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١/ ٢٢٧) (٥٩٦).

٤ـ العمل الصالح سبب في تفريج الكروب في الدنيا:

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: **«بينما ثلاثةُ نفرٍ يمشون أخذهم المطرُ، فأووا إلىٰ غارٍ في جبلٍ فانْحَطَتْ علَىٰ فم غارِهِمْ صَخْرَةٌ من الجَبلِ، فانْطَبَقَتْ علَيْهِمْ فقال بعضهم لبَعْضٍ، انظروا أعمالاً عملتمُوهَا صالِحَةً فادعوالله تعالىٰ بها، لعلَّ الله يفرجُها عنكُمْ... الحديث»**[1].

تحقيق مرتبة الإحسان في العمل الصالح: .

إذا تحققت شروط العمل الصالح من الإخلاص لله تعالىٰ والمتابعة لرسوله ﷺ وأداء العبد وهو علىٰ حال كأنه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ فقد أحسن في عمله.

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (١٠/ ٤٠٤ (٥٩٧٤).

ثالثًا : الطاعة:

الطاعة لغة:

هي اِسْمٌ من قولهم: أطاعه يُطيعه طاعةً والمصدر الإطاعة، وكلاهما مأخوذٌ من مادة (ط و ع) التي تدل علىٰ الإصحاب والانقياد[١].

الطاعة اصطلاحًا:

قال الجرجاني: الطاعة هي موافقة عندنا (معشر أهل السنة).

وقال الكفوري: الطَّاعة فعل المأمورات ولو ندبًا وترك المنهيات ولو كراهة، فقضاء الدَّين والإنفاق علىٰ الزوجة والمحارم ونحو ذٰلك طاعةٌ لله وليس بعبادةٍ.

وقال ابن المناوي: (بعد أن نقل كلامَ الجُرجَاني) عُرفَت الطَّاعة أيضًا بأنَّها: كل ما فيه رضا وتقرب إلىٰ الله تعالىٰ[٢].

وقال ابن علاَّن: هي الامتثال ظاهرًا والرضا باطنًا لحكم الله ورسوله وما يقوله من دعا إلىٰ ذٰلك[٣].

الأمر بطاعة الله تعالىٰ، وطاعة رسوله ﷺ:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء، الآية: ٥٩].

المحسنون يطيعون الله تعالىٰ، في المنشط والمكره والعسر واليسر، قال الله تعالىٰ عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصافات، الآية: ١٠١ ـ ١١٠].

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لاننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق، حيثما كنّا، ولا نخاف في الله لومة لائم»[٤].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٤٣١)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٢١)، والصحاح (٣/ ١٢٥٥)، ولسان العرب(٨/ ٢٤٠).

(٢) التعريفات (١٤٥) الكليات (٥٨٢) والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٥).

(٣) دليل الفالحين (١/ ٤٣٠).

(٤) صحيح البخاري، فتح (١٣/ ٧١٩٩، ٧٢٠٠).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويُسرك ومنشطك ومكرهك وأثرةٍ عليك**»[1]

غير أنَّ الشارع الحكيم لم يوجب الطاعة إلاَّ فيما عرف حسنه شرعًا وعقلاً ومما هو داخل تحت استطاعة المكلف.

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: عن النبي ﷺ قال: «**السمع والطاعة علىٰ المرء فيما أحب وكره، مالم يؤمر بمعصية فإذاأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[2].

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا نبايع رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة فيقول لنا: فيما استطعتم»[3].

صور من الطاعة:

١ـ عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ يلبس خاتمًا من ذهب فنبذه فقال: «**لا ألبسه أبدًا**» فنبذ الناس خواتيمهم[4].

٢ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قال رسول الله ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب لا يصلينَّ أحد العصر إلاَّ في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصرفي الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتىٰ نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذٰلك فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم»[5].

الطاعة من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء، الآية: ٦٩].

من ثمرات الطاعة:

١ـ فعلُ الطاعة مرةً يُعْقِبُ فِعْلَ الطاعةِ مرَّةً أخرىٰ بعدها:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: مثال تَولُّد الطَّاعة ونموِّها وتزايدها كمثلِ نواة غرستَهَا فصارتْ شجرةً ثمَّ أثمرت فأكلت ثمرها وغرست نواها فكلَّما أثمر منها شيء جنيتَ ثمرَهُ وغرستَ نواهُ، وكذٰلك تداعي المعاصي فليتدبر اللَّبيبُ هٰذا المثال»[6].

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٤٦٧) (١٨٣٦).
(٢) صحيح البخاري، فتح (١٣/ ٧١٤٤).
(٣) سنن الترمذي (٤/ ١٥٠) (١٥٩٣) وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١١٦) (١٢٩٦).
(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٠٣) (٥٥٢٩).
(٥) صحيح البخاري (١/ ٣٢١) (٩٠٤).
(٦) الفوائد (٤٩).

٢ـ محبة الله تعالىٰ للطائع:

كتب أبوالدَّرداء إلىٰ سلمة بن مخلدٍ: «أما بعد، فإنَّ العبد إذاعمل بطاعة الله أحبَّه الله، وإذا أحبَّه الله حبَّبهُ إلىٰ خلقه، وإذا عمل بمعصيَّةِ الله أبغضه الله فإذا أبغضه بغَّضه إلى خلقه»(١)

٣ـ الفوز العظيم:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب، الآية: ٧٠، ٧١].

٤ـ دخول الجنة: قال الله تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧﴾ [الفتح، الآية: ١٧].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الطاعة:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في صفة الطاعة وذٰلك بأن يسلم للأمر والنهي الشرعي ظاهرًا بالامتثال ويرضىٰ بحكم الله جلَّ وعلا وحكم رسوله ﷺ باطنًا حتىٰ لا يجد في قلبه أدنىٰ حرج وكذا لما يقوله من دعا إليهما، يفعل ذٰلك كله حتىٰ يغلب علىٰ قلبه كأنَّه يعاين الله تعالىٰ يأمره وينهاه حالة كونه مطيعًا له.

---

(١) الزهد للإمام أحمد(١٦٨).

رابعًا: المسارعة في الخيرات:

المسارعة لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (س ر ع) التي تدل علىٰ خلاف البطء[1]

واصطلاحًا:

المسارعة إلىٰ الشَّيء: المبادرة إليه[2].

والخيرات لغة:

جمع خير وهو ضد الشر[3].

واصطلاحًا: اسم لكل ممدوح ومرغوب فيه[4].

والمسارعة في الخيرات: اصطلاحًا:

المبادرة إلىٰ الطاعات والاستكثار منها مع الرغبة فيها.

قال الطاهر بن عاشور: «والمسارعة مستعارة للاستكثار من الفعل، والمبادرة إليه، تشبيهًا للاستكثار والاعتناء بالسير السريع لبلوغ المطلوب[5].

والمراد بالمسارعة إلىٰ الخير هو الارتياح لعمل الخير، وسرعة التفتح النفسي له والإقبال الروحي والعملي عليه، والفرح بالدعوة إليه والتذكيربه، وهٰذه فضيلة من أكرم الفضائل الإنسانية التي تدل علىٰ المعدن الأصيل الطيب عند الإنسان، والاستعداد القوي النبيل للاستجابة في كل موطن من مواطن الخير والبر؛ وكأنَّ صاحب هٰذه الفضيلة يجد متعته النفسية ولذته الروحية في السبق إلىٰ الطيب من القول والعمل بلا تردد أو إبطاء[6].

العلاقة بين المسارعة والمسابقة والمنافسة:

هناك تقارب في المعنىٰ بين تلك الكلمات، وأصل المسابقة التقدم في السير، ويستعار السبق لإحراز الفضل والتَّبريز من ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾ [الواقعة، الآية: ١٠]. أي المتقدمون إلىٰ ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة، نحو قوله: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ﴾[7] [آل عمران، الآية: ١١٤].

فكل مسارعة إلىٰ الخير فيها سبق[8].

---

(١) المقاييس (٣/ ١٥٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ١١٣).

(٣) اللسان (٤/ ٢٦٤).

(٤) نزهة الأعين النواظر(٢٨٥).

(٥) التحرير والتنوير(٤/ ٥٨).

(٦) موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي (٢٤١).

(٧) المفردات (٢٨٨).

(٨) موسوعة أخلاق القرآن (٢٤٨).

والمنافسة: مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر علىٰ غيره[1]. قال الله تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين، الآية: ٢٦].

منزلة المسارعة في الخيرات:

عندما قسم الله تعالىٰ مراتب عباده المستجيبين لدعوة الرسول ﷺ إلىٰ ثلاث مراتب، جعل مرتبة السابقين بالخيرات، أفضلها فقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر، الآية: ٣٢]. لأنَّ المسارعة في الخيرات والسبق إليها والمنافسة في أدائها دليل علىٰ فرط الرغبة فيها والحب لها والحرص على ألاَّ تفوت لعارض من العوارض أو حائل من الحوائل، وَمَنْ فعل تلك الخصلة الحميدة صار من المتحلين بمكارم الأخلاق لأنَّ من شأن المؤمن أن لا يتباطأ عن مواطن الخير.

قال أبوحيان ـ رحمه الله ـ في قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [آل عمران، الآية: ١١٤] المسارعة في الخير ناشئة عن فرط الرغبة فيه، لأنَّ من رغب في أمر بادر الله إلى القيام به وآثر الفور علىٰ التراخي[2] وإلىٰ هـٰذه المرتبة دعا الله تعالىٰ عباده فقال تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣] والمسارعة إلىٰ المغفرة والجنة: هي المبادرة إلىٰ أسبابهما من فعل الحسنات واجتناب السيئات علىٰ الدوام وقال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٤٨] وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد، الآية: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين، الآية: ٢٢ ـ ٢٦].

وقد كان النبي ﷺ يوصي أتباعه ويأمرهم بالمبادرة خشية العوائق.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: عن النبي ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فِتنًا كقطعِ اللَّيل المظلم، يصبحُ الرَّجلُ مُؤمنًا ويمسي كافرًا، يبيعُ دينهُ بعرضٍ**

---

(١) المفردات (٥٢٣).

(٢) البحر المحيط (٣/ ٣٨).

من الدُّنيا[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: طُلُوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**»[2].

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يعظه: «**اغتنم خمسًا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقركَ، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتكَ**»[3]، وحذَّر اللهُ عباده المؤمنين من التثاقل والتباطىء في فعل الطاعات فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء، الآية: ١٤٢] وكما حذَّر تعالىٰ من الكسل في أداء القربات أخبر جلَّ ذكره عن حال الكفار ومسارعتهم في باطلهم كبرًا وعنادًا وحال المنافقين ومسارعتهم في أهل الباطل تحذيرًا للمؤمنين من أفعالهم القبيحة، وتجاهلهم للحقيقة فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاق، الآية: ١١]. وقال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة، الآية: ٥٢].

وقد فهم السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ منزلة المسابقة وأهمية المسارعة وفضيلة المنافسة[4].

فعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: إنَّ للقلوب شهوةً وإدبارًا فاغْتنِمُوهَا عند شهوتها وإقبالها، ودعوهَا عند فترتِهَا وإدبارها[5].

قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ «كل شيء من الخير يُبادرُ به»[6].

وقال محمَّد بن نَصرٍ العابد: «وشاورتُهُ (أي الإمام أحمدَ) في الخروج

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٠) (١١٨).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٦٧) (٢٩٤٧).

(٣) المستدرك للحاكم (٤/ ٣٤١) (٧٨٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٤٣) (١٠٧٧).

(٤) المفردات (٥٢٣).

(٥) الفوائد (٢٠٢).

(٦) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٣٩).

إلىٰ الثغر فقال: بادرْ بَادِرْ»[1].

ميادين المسارعة والمسابقة والمنافسة في الخيرات:

ما دام أنَّ الخيرات اسم لكل ممدوح ومرغوب فيه من الطاعات وترك السيئات فإنَّها بعمومها ميدان رحْب للمسارعة والمسابقة والمنافسة، ومما يمكن أن يمثل به هنا.

ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون، الآية: ٥٧ ـ ٦١] وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران، الآية: ١١٣، ١١٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء، الآية: ٩٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد، الآية: ٢١].

المسارعة والمسابقة والمنافسة صفة المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٤].

وقال تعالىٰ عن نبي الله المحسن زكريا ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٩، ٩٠].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي ﷺ أسبقهم، على فرس وقال: وجدناه بحرًا»[2].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٦/ ٣٥) (٢٨٢٠).

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: مرَّ رسول الله ﷺ وأنا معه وأبوبكر علىٰ عبدالله بن مسعود وهو يقرأ، فقام فسمع قراءته، ثم ركع عبدالله وسجد، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**سل تُعطه**» قال: ثم مضىٰ رسول الله ﷺ وقال: «**من سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فليقرأهُ من ابن أم عبدٍ**» **قال: فأدلجتُ إلىٰ عبدالله بن مسعود لأُبشره بما قال رسول الله ﷺ: فلما ضربتُ البابَ، أو قال: لمَّا سمع صوتي قال: ما جاء بك هٰذه الساعة؟ قلتُ: جئتُ لأُبشرك بما قال رسول الله ﷺ قال: قد سَبَقَكَ أبُوبكر، قلتُ: إن يفعل فإنَّه سبَّاقٌ بالخيرات، مااستبقنا خيرًا قطُّ إلاَّ سبقنا إليه أبوبكر**»[١].

صور من المسابقة:

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذٰلك مالاً، فقلتُ: اليوم أسبقُ أبابكر إن سبقتُهُ يومًا، قال: فجئت بنصفِ مالِي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلكَ؟» قلتُ: مثلَهُ، وأتىٰ أبوبكر بكُلِّ ما عنده، فقال: يا أبابكرٍ: ما أبقيتَ لأِهلكَ؟ قال: أبقيتُ لهُمُ الله ورسوله، قلتُ: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا»[٢].

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**عُرِضتْ عليَّ الأمَمُ فأخذ النبي يمرُّ معه الأمة، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرتُ فإذا سوادٌ كثيرٌ، قلتُ: يا جبريل هٰؤلاء أمتي؟ قال: لا ولٰكن انظر إلىٰ الأُفقِ فنظرتُ فإذا سوادٌ كثيرٌ، قال: هٰؤلاءِ أُمَّتُكَ، وهٰؤلاءِ سبعُونَ ألفًا قُدَّامَهُمْ لا حساب عليهم ولا عذاب، قلتُ: ولِمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقُون، ولا يتطيَّرون وعلىٰ ربهم يتوكلون**»، فقام إليه عُكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**اللَّهمَّ اجعلهُ منهم**».

ثم قام إليه رجلٌ آخرُ فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**سبقك بها عُكاشة**»[٣].

من ثمرات المسابقة:

١ـ أنَّ فيها مرضاة للرب تبارك وتعالىٰ.

٢ـ أنَّها دليل علىٰ قوة الإيمان وطلب الإحسان.

٣ـ أنَّها توجد في النفس نموًا مطردًا إلىٰ بلوغ أعلىٰ الدرجات.

---

(١) مسند أحمد(١/٣٨) (٢٦٥)، وصحيح أحمد شاكر، إسناده (١/ ٢٦٥) (٢٦٥).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٦١٤) (٣٦٧٥)، وقال حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٢) (٢٩٠٢).

(٣) صحيح البخاري ، الفتح (١١/ ٤٠٥) (٦٥٤١).

٤ـ عظم أجر أهلها.

٥ـ الفوز بالجنة، ونعيمها في الآخرة.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة المسابقة والمسارعة والتنافس في الخيرات

إذا بادر العبد إلىٰ الطاعات وترك المخالفات علىٰ وجه الإخلاص والاتقان وكأنَّه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ بقلبه فقد أحسن في ذٰلك.

خامسًا: الطهارة:

الطهارة لغة:

النظافة من الأقذار حسية كانت أو معنوية[1] وهي مصدر مأخوذ من مادة (ط هـ ر) التي تدل على نقاء وزوال دنس، والتطهر التنزه عن الذم وكل قبيح[2].

واصطلاحًا:

الطهارة ضربان:

طهارة جسم وطهارة نفس، ولكل معناه الاصطلاحي.

فطهارة النفس: ترك الذنب والعمل للصلاح وتنقية النفس من المعائب قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٣].

وطهارة الجسم: رفع حدث أو إزالة نجس أو ما في معناهما وعلى صورتهما[3].

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٢]

قال الجرجاني ـ رحمه الله ـ: الطهارة في الشرع: عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة[4].

مكانة الطهارة

عندما تحدث القرآن الكريم عن الطهارة بضربيها السابقين كانت العناية أكبر بتطهير النفس من الذنوب والمعاصي، وذلك لمزيد الأهمية.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إنَّ اللهَ سبحانه بحكمته جعل الدخول إلى جنته موقوفًا على الطِّيبِ والطهارة، فلا يدخلها إلاَّ طيب طاهر، فهما طهارتان:

طهارة البدن، وطهارة القلب[5].

فمن تطهر في الدنيا ولقي الله طاهرًا من نجاساته دخل الجنة بغير معوق، وأما من لم يتطهر في الدنيا فإن كانت نجاسته عينية كالكافر لم يدخلها بحال، وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعدما يتطهر في النَّار

---

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي (٢/ ٣٩٢)، والتعريفات للجرجاني (١٤٢).

(٢) المقاييس (٣/ ٤٢٨).

(٣) انظر: المفردات (٣٠٧) والمجموع شرح المهذب (١/ ٧٩).

(٤) التعريفات (١٤٦).

(٥) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٦٩).

من تلك النجاسة ثم لم يخرج منها[1] أي من الجنة.

قال أبوالعالية ـ رحمه الله ـ في قوله تعالىٰ:

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة، الآية: ١٠٨]

إنَّ الطهور بالماء لحسن، ولـٰكنهم المطهرون من الذنوب»[2] وقال الأعمش ـ رحمه الله ـ: التوبة من الذنوب والتطهر من الشرك[3] وقد أمر الله تعالىٰ رسوله محمد ﷺ بالطهارة فقال جلَّ ذكر: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤﴾ [المدثر، الآية: ٤].

وقد عمم ابن القيم ـ رحمه الله ـ الآية في الطهارة من الكفر والفسوق والطهارة من الحدث والطهارة من الأعيان الخبيثة، التي هي نجسة، وقال: إن كان طهارة القلب، فطهارة الثوب، وطيب مكتسبه تكميل للذٰلك، فإن خُبثَ الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة، كما أنَّ خُبث المطعم يكسبه ذٰلك، ولذا حرم ما حرم من اللباس، لما تُكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات التي تُلبسُ جلُودها فإنَّ الملابس الظاهرة تَسرِي إلىٰ الباطن، والمقصود أنَّ طهارة الثوب وكونه من مكسب طيب، هو من تمام طهارة القلب وكماله، فإن كان المأمور به ذٰلك فهو وسيلة مقصودة بغيرها، فالمقصود لنفسه أولىٰ أن يكون مأمورًا به، وإن كان المأمور به طهارة القلب وتزكية النفس فلا يتم إلاَّ بذٰلك[4] وقد حث الشارع الحكيم علىٰ طهارة الباطن بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٢].

وقد كان النبي ﷺ يدعو الله في الطهارة كما جاء عن عبدالله بن أبي أفىٰ ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهمَّ لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللَّهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللَّهمَّ طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقىٰ الثوب الأبيض من الوسخ**»[5].

وامتدح الله تعالىٰ أهل مسجد قباء حينما بالغوا في طهارة الجسم فكانوا إذا استجمروا بالأحجار أتبعوا ذٰلك بالماء فقال تعالىٰ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة، الآية: ١٠٨].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٧١)).
(٢) تفسير ابن كثير(٢/ ٣٩١).
(٣) المرجع السابق.
(٤) إغاثة اللهفان (١/ ٦٩) بتصرف.
(٥) صحيح مسلم (١/ ٣٤٦) (٤٧٦).

وهي شطر الإيمان كما جاء عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان...**»[1].

وما من مسلم يبيت علىٰ طهر ثم يستقيظ فيدعو الله إلاَّ استجاب الله له.

عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يبيت علىٰ ذكر طاهرًا، فيتعار من الليل فيسأل الله خيرًا من الدنيا والآخرة إلاَّ أعطاه الله إيَّاه**»[2].

ولا يقبل الله صلاة عبد بغير طهور، فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه دخل علىٰ عامر يعوده وهو مريض، فقال: ألا تدعو الله لي ياابن عمر؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول» الحديث[3].

ومرَّ الرسول ﷺ علىٰ قبرين يعذبان أحدهما لعدم استبرائه من البول.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: مرَّ رسول الله ﷺ علىٰ قبرين، فقال: «**أما إنَّهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير. أماأحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» قال فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين، ثم غرس علىٰ هـٰذا واحدًا، وعلىٰ هـٰذا واحدًا، ثم قال: «لعلَّه أن يخفف عنهما مالم ييبسا»، وفي رواية: «وكان الآخر لا يستنزه عن البول أو من البول»[4].

وباالجملة فقد حث الشارع الحكيم علىٰ الطهارة بعامة سواء في الجسم أم في الملبس أم في المنزل أم في الآنية، كمشروعية غسل الجمعة، واستعمال السواك والاستنجاء والاستجمار.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عشر من الفطرة قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط وحلق العانة، وانتقاص الماء**» قال زكرياء قال مصعب: ونسيت العاشرة، إلاَّ أن تكون المضمضة»[5] وفي اللباس ومشروعية نظافته يقول ﷺ في حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله

(١) صحيح مسلم (١/٢٠٣) (٢٢٣).
(٢) سنن أبي داود (٥/٢٩٦) (٥٠٤٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥١) (٤٢١٦).
(٣) صحيح مسلم (١/٢٠٤) (٢٢٤).
(٤) صحيح مسلم (١/٢٤٠) (٢٩٢).
(٥) صحيح مسلم (١/٢٢٣) (٢٦١).

عنه ـ «**إنَّ الله جميلٌ يحب الجمال**»[1].

وعن طهارة المكان قال ﷺ في حديث سعد ـ رضي الله عنه ـ «**طهروا أفنيتكم، فإنَّ اليهود لا تطهر أفنيتها**»[2].

الطهارة من صفات المحسنين:

عن سفينة صاحب رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يغتسل بالصَّاع ويتطهر بالمد»[3].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ يتوضأ كل صلاة» قلتُ: كيف كنتم تصنعون؟ قال: يجزيء أحدنا الوضوء مالم يحدث»[4] والسائل هو: الراوي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء، فيصلي صلاة إلاَّ غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها**»[5].

وإحسان الوضوء هنا إتقانه ومبالغته وإسباغه علىٰ ما جاء في السنة من غير إسراف.

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رجلاً توضأ فترك موضع ظُفُرٍ علىٰ قدمه فأبصره النبي ﷺ فقال: «**ارجع فأحسِن وضوءك**» فرجع ثم صلىٰ[6].

صور من إحسان الطهارة:

عن نعيم بن عبدالله المجمر؛ قال: رأيتُ أباهريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنىٰ حتىٰ أشرع في العضد ثم يده اليسرىٰ حتىٰ أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنىٰ حتىٰ أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرىٰ حتىٰ أشرع في السَّاق، ثم قال: هٰكذا رأيتُ رسول الله ﷺ يتوضأ، وقال: قال رسول الله ﷺ: «**أنتم الغرُّ المحجَّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطِل غرَّته وتحجيله**»[7].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٩٣) (٩١).

(٢) معجم الطبراني الأوسط (٣/ ١٣٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٣٠) (٣٩٣٥).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٥٨). (٣٢٦).

(٤) صحيح البخاري (٨٧١) (٢١١).

(٥) صحيح مسلم (١/ ٢٠٥)(٢٢٧).

(٦) صحيح مسلم (١/ ٢١٥) (٢٤٣).

(٧) صحيح مسلم (١/ ٢١٦) (٢٤٦).

من ثمرات إحسان الطهارة:

١ـ أنّها سببٌ في تكفير الذنوب:

ما روي عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتىٰ تخرج من تحتِ أظفاره»**[1].

وعن حمران مولىٰ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: توضأ عثمان بن عفان يومًا وضوءًا حسنًا، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: «من توضأ هٰكذا ثم خرج إلىٰ المسجد لا ينهزه إلاَّ الصلاة غفر له ما خلا من ذنبه»[2].

ومن ثمرات الطهارة العامة:

٢ـ أنها تحدث انشراحًا في النفس ونشاطًا في البدن.

٣ـ أنها سبب قوي في الحفاظ علىٰ صحة الجسم.

٤ـ أنّها عنوان علىٰ صحة إسلام المرء وقوة إيمانه.

٥ـ بلوغ محبة الله للعبد وتحصيل الثواب الجزيل.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الطهارة:

إذا طهر العبد باطنه من الذنوب والمعاصي والاعتقادات الفاسدة وطهر ظاهره بإتقان الغسل والوضوء وإسباغهما واستن بسنن الفطرة وتجمل في ملبسه وأدام نظافة منزله وآنيته ابتغاء مرضاة الله وهو علىٰ حال وكأنّه ينظر إلىٰ الله بعيني قلبه فإنّه ولا ريب محسن في صفة الطهارة.

---

(١) صحيح مسلم (١/٢١٦) (٢٤٥).

(٢) صحيح مسلم (١/٢٠٨) (٢٣٢).

سادسًا: الصلاة:

تعريف الصلاة لغة:

اسم مصدر من قولهم صلىٰ صلاةً وهو مأخوذ من مادة (ص ل و ي) التي تدل علىٰ أمرين:

الأول: النار وما شابهها من الحمىٰ. والآخر جنس من العبادة وهي الدعاء[1] قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ: وقال بعضهم إنَّ أصل الصلاة في اللغة التعظيم وسميت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب[2] تعالىٰ.

واصطلاحًا:

أقوالٌ وأفعالٌ مفتتحةٌ بالتكبير مختتمةٌ بالتسليم بشرائط مخصوصة[3].

حكم الصلاة:

الصلاة فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة، وقد فرضها الله في آيات عدة من كتابه منهاقوله تعالىٰ: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء، الآية: ١٠٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٨].

وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إلـٰه إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت**»[4].

مكانتها وفضلها:

اهتم القرآن العظيم بالصلاة فجاء ذكرها في قرابة مائة آية منه، وفي كل آية إما وعد المُصلين بالكرامة، أو أوعد التاركين لها بالعقوبة والملامة، أولها: قوله تعالىٰ في المتقين: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة، الآية: ٣].

وآخرها قوله لنبيه ﷺ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر، الآية: ٢]. ومنهاقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٥]. فهي الركن الثاني من أركان الإسلام وعمود الدين وأفضل الأعمال والعبادة التي فرضت في السماء وقد كان النبي ﷺ يبايع

---

(١) انظر: مقاييس (٣/ ٣٠٠).

(٢) النهاية(٣/ ٥٠).

(٣) الفقه علىٰ المذاهب الأربعة للجزري وجماعة (١/ ١٧٥).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤٥) (١٦).

أصحابه عليها، ويعلمهم إياها، وهي نور المؤمن في الدنيا والآخرة، وراحته النفسية، ومفزعه عند الشدائد، وكفارته من الذنوب، والعلامة الفارقة لصحة إيمان المرء، ومن حافظ عليها كان له عهد عندالله تعالىٰ أن يدخله الجنة[1]، وفي كل ذٰلك أحاديث صحاح وحسان منها:

١ـ حديث معاذبن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»[2].

٢ـ حديث جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: «بايعت رسول الله ﷺ علىٰ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[3].

٣ـ حديث أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «. . . **والصلاة نور** . . .»[4].

٤ـ وحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الصلاة الخمس، والجمعة إلىٰ الجمعة، كفارة لما بينهنَّ ما لم تغش الكبائر**»[5].

٥ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ سئل عن أفضل فقال: «**الصلاة علىٰ ميقاتها** . . .»[6].

٦ـ حديث رجل مِنْ أَسلم ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا بلال أرِحنا بالصلاة**»[7].

٧ـ حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبهُ أمرٌ صلىٰ»[8].

فضل صلاة الفريضة:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتَّىٰ أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي**

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٣٨).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ١١) (٢٦١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٢٨) (٢١١٠).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٣١) (٥٧).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٢٠٣) (٢٢٣).

(٥) صحيح مسلم (١/ ٢٠٩) (٢٣٣).

(٦) صحيح البخاري (٣/ ١٠٢٥) (٢٦٣٠).

(٧) مسند أحمد(٢٢٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٠٧) (٧٨٩٢).

(٨) سنن أبي داود (٤/ ٧٨) (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٥٨) (٤٧٠٣).

يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنَّه وما ترددْتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفسِ المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[1].

فضل صلاة الفجر:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قال ﷺ أفضل الصلوات عندالله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة»[2].

فضل الصلاة علىٰ وقتها:

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت النبي ﷺ أي: العمل أحب إلىٰ الله قال: **الصلاة علىٰ وقتها** قلت: ثم أي، قال: **ثم برُّ الوالدين** قلت: ثم أي قال: **الجهاد في سبيل الله** حدثني بهن، ولو استزدته لزادني[3].

فضل صلاة الجماعة:

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة**»[4].

وهي واجبةٌ علىٰ كل مسلم مستطيع ولو كان أعمىٰ.

صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن**»[5].

أفضل الصفوف:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[6].

أفضل المصطفين للصلاة:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خياركم ألينكم مناكب في الصلاة**»[7].

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٨٥) (٦١٣٧).

(٢) الحلية (٤/ ٩١) (١٥٦٦) وصححه الألباني في الصحيحة(٤/ ٩١) (١٥٦٦).

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٩٧) (٥٠٤).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤٥٠) (٦٥٠).

(٥) سنن أبي داود(١/ ٣٨٢) (٥٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١١٣) (٥٣٠).

(٦) صحيح مسلم (١/ ٣٢٦) (٤٤٠).

(٧) سنن أبي داود (١/ ٤٣٥) (٦٧٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود(١/ ١٣١) (٦٢٤).

أفضل أعمال الصلاة القيام:

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»[١].

أفضل القراءة في الصلاة:

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشىٰ الله**»[٢].

أفضل التطوع مكانًا:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورًا**»[٣].

عن زيد بن ثابت أنَّ رسول الله ﷺ اتَّخذ حجرة قال: حسبت أنَّه قال: من حصير في رمضان فصلىٰ فيها ليالي فصلىٰ بصلاته ناس من أصحابه فلما علم بهم جعل يقعد فخرج إليهم فقال: قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم فصلوا أيهاالناس في بيوتكم فإنَّ أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلاَّ المكتوبة.[٤]

أفضل التطوع زمانًا:

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يرفعه قال: سئل النبي ﷺ أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان فقال: «**أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم**»[٥].

فضل القيام في النافلة:

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعدًا فقال: «**إن صلىٰ قائمًا فهو أفضل ومن صلىٰ قاعدًا فله نصف أجر القائم ومن صلىٰ نائمًا فله نصف أجر القاعد**»[٦].

أفضل صلاة التطوع:

عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»[٧].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٢٠) (٧٥٦).
(٢) سنن ابن ماجه (١/ ٤٢٥) (١٣٣٩)، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٣).
(٣) صحيح البخاري (١/ ٣٩٨) (١١٣١).
(٤) صحيح البخاري(١/ ٢٥٦) (٦٩٨).
(٥) صحيح مسلم (٣/ ٢١٧١) (٢٨١٩).
(٦) صحيح البخاري (١/ ٣٧٥) (١٠٦٤).
(٧) صحيح مسلم (١/ ٥٥٠) (٧٢٥).

فضل السجدة الواحدة في آخرالزمان:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد حتىٰ تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبوهريرة واقرءوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[1] [النساء، الآية: ١٥٩].

إقامة الصلاة والمحافظة عليها والإكثار منها صفة المحسنين:

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود، الآية: ١١٤، ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور، الآية: ٣٦، ٣٨]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء، الآية: ٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [لقمان، الآية: ١ ـ ٤].

وقال تعالىٰ علىٰ لسان لقمان في وصيته لابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان، الآية: ١٧].

صورة من إحسان الصلاة:

عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**إنَّ النبيَّ ﷺ صلىٰ حتىٰ انتفخت قدماه فقيل له: أتكلف هـٰذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال:** «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[2].

وفي الحديث دلالة علىٰ كثرة الصلاة وطول القيام فيهاوكل ذٰلك يستدعي طول القراءة والركوع والسجود والخشوع وكثرة الذكر.

---

(١) صحيح البخاري(٣/ ١٢٧٢) (٣٢٦٤).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢١٧١) (٢٨١٩).

تحقيق مرتبة الإحسان في إقام الصلاة:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: والنَّاسُ في الصلاة: علىٰ مراتب خمسٍ:

إحداها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانية: من يحافظ علىٰ مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووُضوئها لـٰكن قد ضيَّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس، والأفكار.

الثالثة: من يُحَافظ علىٰ حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغولٌ بمجاهدة عدُوه لئلا يسرق صلاته، فهوفي صلاةٍ وجهادٍ.

الرابعة: من إذا قام إلىٰ الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلاَّ يضيع شيئًا منها، بل همُّه كله مصروف إلىٰ إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالىٰ فيها.

الخامسة: من إذا قام إلىٰ الصلاة قام إليها كذٰلك، ولـٰكن مع هـٰذا قدأخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ـ عزَّوجل ـ ناظرًا بقلبه إليه، مُراقبًا لهُ، ممتلئًا من محبَّته وعظمته كأنَّه يراه ويشاهده، وقد اضمحلَّتْ تِلك الوساوس والخطراتُ، وارتفَعتْ حُجُبُها بينهُ وبين ربه، فهـٰذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهـٰذا في صلاته مشغولٌ بربه ـ عزَّوجل ـ: قريرُ العين به.

فالقسم الأول: معاقبٌ، والثاني محاسبٌ، والثالث مكفَّرٌ عنه، والرابع مُثَابٌ، والخامس مُقرَّبٌ من ربه ـ عزَّوجل ـ.[1]

وإذا قام العبد المسلم بالجمع بين المرتبة الرابعة، والخامسة استحق مرتبة الإحسان في إقام الصلاة.

ثمرات إقام الصلاة:

١ـ استشعار عظمة الله تعالىٰ.

٢ـ مغفرة الذنوب ورفع الدرجات.

٣ـ ما يجده المصلي من راحة النفس والنشاط في البدن.

٤ـ تهذب النفوس وتقوي الروابط بين المؤمنين.

٥ـ تَنْهىٰ عن الفحشاء والمنكر.

---

(١) الوابل الصيب (٤٩، ٥٠).

سابعًا : القنوت:

القنوتُ لغةً:

مصدر قَنَت يقنتُ قُنوتًا، وهو مأخوذ من مادة (ق ن ت) التي تدل علىٰ طاعة وخير في دين، والأصل فيه الطاعة، ثم سُمِّيت كل طاعة في طريق الدِّين قنوتًا، وسمي السكوت في الصلاة والإقبال عليها قنوتًا[1]، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٨].

وقال ابن منظور: القنوت دوام الطاعة، وقيل: الدعاء في الصلاة، والقنوت الخشوع، والإقرار بالعبودية، وقيل: القيام، وزعم ثعلبٌ أنه الأصل، وقيل: إطالة القيام، ويقال للمصلي قانتٌ وفي الحديث: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم**» أي المصلي، ويرد القنوت بمعانٍ متعددة، كالطَّاعة ، وقد تقدم بعضها، فيصرفُ في كلٍّ واحد من هٰذه المعاني إلىٰ ما يحتمله لفظُ الحديث الوارد فيه.

ونقل الفيروزأبادي: عن ابن الأعرابي قوله: أقنت: دعا علىٰ عدوه وأقنت إذا أطال القيام في الصلاة، وأقنت إذا أدام الحج، وأقنت إذا أطال الغزو، وأقنت إذا تواضع لله تعالىٰ[2].

القنوت اصطلاحًا:

قال الراغب: القنوت لزوم الطَّاعة مع الخضوع وفُسر في كل واحد منهمافي قوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ وقوله عزّوجل: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾[3] [البقرة، الآية: ١١٦].

وقال المناوي: القُنوت ثباتُ القائم بالأمر علىٰ قيامه تحقُّقًا بتمكُّنه فيه. . .ودعاء القنوت هو دُعاء الانتصاب في الصلاة[4].

أهمية القنوت:

ترجع أهمية القنوت لأمر الله تعالىٰ عباده به واتصاف أنبيائه وأوليائه به، قال الله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٣٨، ١٣٩].

قال مجاهد ـ رحمه الله ـ في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٨].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٣١).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٩٨).

(٣) المفردات (٤١٣).

(٤) التوقيف(٢٧٥).

قال : من القنوت الركوع، والخشوع وغض البصر، وخفض الجناح من رهبة الله[1].

وقال تعالىٰ آمرًا مريم عليها السلام بالقنوت: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٤٢ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ ﴾ [آل عمران، الآية: ٤٢، ٤٣]. وقد امتدح الله تعالىٰ القانتين بقوله: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٩ ﴾ [الزمر، الآية: ٨، ٩]. والاستفهام هنا إنكاري والتقدير: أمن هو قانت أفضل أم من هو كافر؟ والقانت هو العابد وخص القنوت بالليل، لأنَّ العبادة فيه أعون علىٰ تمحض القلب لذكر الله، وأبعد عن مداخلة الرياء ودليل علىٰ إيثار عبادة الله علىٰ حظ النفس من الراحة والنوم، وقدم السجود علىٰ القيام في الآية لأفضليته، وقيل: القانت في الآية هو النبي ﷺ أو غيره من الصحابة أمثال أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقد اشتمل القنوت علىٰ طول السجود والقيام وشدة الخوف والرجاء وهـٰذه الأوصاف الأربعة، تتحقق في المثابرين علىٰ قيام الليل[2].

قال ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: «ما أعرف القنوت إلاَّ طول القيام»[3].

وروي عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ: «كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا صاحبه في حاجته حتىٰ نزلت: ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ فأمرنا بالسكوت[4].

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»[5].

وقدكان النبي ﷺ يُضْرَبُ به المثل لعلو مكانته.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل للنبي ﷺ ما يعدل الجهاد في سبيل الله ـ عزَّوجل ـ؟ قال: «لا تستطيعونه» قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذٰلك يقول: «لا تستطيعونه» وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفترُ من صيام ولا صلاة، حتىٰ يرجع المجاهد في سبيل الله تعالىٰ»[6].

---

(١) شرح السنة للبغوي (٣/ ٣٦٢).
(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٤/ ٣٤٥، ٣٤٦).
(٣) بصائر ذوي التميز(٤/ ٢٩٨).
(٤) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٩٨).
(٥) صحيح مسلم(١/ ٥٢٠) (٧٥٦).
(٦) صحيح مسلم (١/ ١٤٩٨) (١٨٧٨).

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوَّام بآيات الله عزَّوجل لكرم ضريبته وحسن خُلقه**»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله** وأحسبه قال: (شك القعنبي أحدالرواة) **كالقائم لا يَفْتُرُ وكالصائم لا يفطر**»[2].

القنوت صفة المحسنين:

قال الله تعالىٰ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل، الآية: ١٢٠، ١٢٢].

قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إنَّ معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ كان أمة قانتًا لله حنيفًا فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأُمَّةُ وما القانت؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله وللرسول، وكان معاذ يعلم الناس الخير ومطيعًا لله ولرسوله ﷺ[3].

وقال تعالىٰ عن مريم ـ عليها السلام ـ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم، الآية: ١٢].

صور من القنوت:

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: صليت مع النبي ﷺ فلم يزل قائمًا حتىٰ هممت بأمر سوء، قيل له: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ[4].

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّىٰ فكان إذا مرَّ بآية رحمة سأل، وإذا مرَّ بآية عذاب استجار، وإذا مرَّ بآية فيها تنزيه لله سبح»[5]

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»[6].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من

---

(١) مسند أحمد(٢/ ٢٢٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٢٢).
(٢) صحيح البخاري، الفتح (١٠/ ٤٣٧) (٦٠٠٧).
(٣) حلية الأولياء (١/ ٢٣٠).
(٤) صحيح البخاري ، الفتح (٣/ ١٩) (١١٣٥).
(٥) سنن ابن ماجه (١/ ٤٢٩) (١٣٥١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٢٥) (١١١).
(٦) صحيح البخاري ، الفتح (٤/ ٢٦٩) (٢٠٢٤).

الليل يتهجد قال: «**اللهمَّ لك الحمدُ، أنت قيِّمُ السماوات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمَّد ﷺ حق، اللهمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكَّلت، وإليك أنبتُ، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخَّرت، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إلـٰه إلاَّ أنت، أو لا إلـٰه غيرك**»[1].

وعن عبدالله بن الشِّخير ـ رضي الله عنه ـ قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ وفي صدره أزيزٌ كأزيز الرَّحىٰ من البكاء ﷺ»[2].

تحقيق مرتبة الإحسان في القنوت:

إذا خضع المؤمن لربه مطيعًا له، في أمره ونهيه، وأقام الصلاة في سكون، مقبلاً علىٰ الله بها، في طول قيام وركوع وسجود وكثرة دعاء خوفاً من عذابه وطمعًا في رحمته علىٰ الدوام وهو علىٰ حالة من الإتقان والإخلاص، وكأنَّه ينظر إلىٰ ربه ومولاه وإلـٰهه بعيني قلبه، ليس بينه وبينه حجاب، فقد استحق هـٰذه المرتبة الشريفة.

ثمرات القنوت:

١ـ فيه دليل علىٰ صلاح العبد وكمال إيمانه وقوة مجاهدته.

٢ـ أنه اتباع لطرق النبيين والصالحين واستجابة لأمر رب العالمين عزَّوجل.

٣ـ المغفرة والأجر العظيم كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [الأحزاب، الآية: ٣١] والقنوت هنا بمعنىٰ الطاعة.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٥].

---

(١) صحيح البخاري، الفتح(٣/ ٣) (١١٢٠).

(٢) سنن أبي داود (١/ ٥٥٧) (٩٠٤). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٧٠) (٧٩٩).

ثامنًا : الزكاة:

الزكاة لغة:

يقول ابن فارس: الزايُ والكاف والحرف المعتل أصلٌ يدل علىٰ نماءٍ وزيادةٍ، ويقال الصَّدقة زكاة المال قال بعضهم: سُميت بذٰلك لأنَّها مما يرجىٰ به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه وقال بعضهم: سُمِّيتْ زكاة لأنَّها طهارةٌ قالوا: وحجة ذٰلك قوله جلَّ ثناؤه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة، الآية: ١٠٣].

والأصل في ذٰلك كله راجعٌ إلىٰ هٰذين المعنيين وهما النماء والطهارة[١].

ويعتقد الرَّاغب أنَّ النموَّ في الزكاة ناتج عن بركة الله تعالىٰ فيقول: «أصل الزَّكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالىٰ، ويُعتبر ذٰلك بالأمور الدنيوية والأخروية ويقال زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة... ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حقِّ الله تعالىٰ إلىٰ الفقراء، وتسميته بذٰلك لما يكون فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، أولهما جيمعًا فإنَّ الخيرينِ موجودان فيها[٢].

الزكاة اصطلاحًا:

اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوصٍ علىٰ أوصافٍ مخصوصة لطائفةٍ مخصوصة[٣] بنية.

وعند الجرجاني: «عبارة عن إيجاب طائفةٍ من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص»[٤].

قال الماوردي: الصَّدقة زكاة، والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتَّفق المسمىٰ[٥].

منزلة الزكاة وفضلها والترهيب من منعها:

تأتي الزكاة في الدَّرجة الثالثة في الإسلام حيث إنَّها الركن الثالث من أركانه الخمسة المعروفة، وقد فرضها الله علىٰ عباده الأغنياء فجاء ذكرها في قرابة إحدىٰ وخمسين آية من كتابه العزيز وكثيرًا ماجاءت مقرونة بالصلاة للأهمية فلا تقبل إلاَّ بها وقد نوه الرسول ﷺ بذكرها في سنته بين الأمر بها

---

(١) مقاييس اللغة(٣/ ١٧).

(٢) المفردات (٢١٨).

(٣) المجموع شرح المهذب (٥/ ٣٢٥).

(٤) التعريفات (١١٤).

(٥) نقلاً عن فقه الزكاة للقرضاوي (١/ ٤٠).

والنهي عن تركها وثواب فاعلها وعقوبة تاركها ومقاديرها ومصارفها في عشرات الأحاديث، ومن الآيات الآمرة بها قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة، الآية: ٤٣]، وهي وصية الله لرسله حيث قال تعالىٰ لعيسىٰ عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم، الآية: ٣١]. وهي وصية الرسل لأتباعهم حيث قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم، الآية: ٣١]. وهي وصية الرسل لأتباعهم حيث قال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم، الآية: ٥٤، ٥٥] وهي مصداق الإيمان والفيصل بين الأخوة الإسلامية: . وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة، الآية: ١١].

وقد أمر الله تعالىٰ بمقاتلة مانعي الزكاة في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة، الآية: ٥] ولا تتحقق الهداية إلا بإيتائها كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٨] وعسىٰ هنا تفيد تحقق الوقوع.

وإيتاء الزكاة سبيل الرحمة الإلـٰهية كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور، الآية: ٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة، الآية: ٧١].

وهي عنوان الفلاح للعبد في الدنيا والآخرة، كما قال جلَّ ذكره: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون، الآية: ١ ـ ٤].

والزكاة من محاسن هـٰذا الدين تؤكد روح التراحم والتعاطف والتعاون بين المسلمين وتزيل الأحقاد بين الأغنياء والفقراء، وهي طهرة للمال من الأدران ونماء وبركة وحفظ له من الآفات كما قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٠٣].

والمال الذي لم يزك يشتعل علىٰ صاحبه يوم القيامة نارًا يتكوىٰ به،

كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة، الآية: ٣٤، ٣٥] وكل مال لم تخرج زكاته فهو كنز استحق صاحبه هٰذه العقوبة.

وأما من السنة فما جاء عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُني الإسلام علىٰ خمسة: علىٰ أن يوحدالله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان والحج»**(١).

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إلٰه إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذٰلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله»**(٢)

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ـ رحمه الله ـ: «أبىٰ الله أن يقبل الصلاة إلاَّ بالزكاة، وقال: يرحم الله أبابكر ما كان أفقهه» يعني لما قاتل مانعي الزكاة»(٣).

وعن جابر بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ: قال: «بايعتُ النبي ﷺ علىٰ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»(٤).

وقد جعلها النبي ﷺ برهان إيمان المرء.

فعن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان، والحمدلله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمدلله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك، أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»**(٥).

وهي كفارة لفتنة الرجل في أهله وولده وجاره كما جاء عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ عن الفتنة؟ قال: قلتُ: أنا أحفظه كما قال: قال: إنَّك عليه لجريء،

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٥) (١٦).
(٢) صحيح البخاري (١/ ١٧) (٢٥).
(٣) تفسير ابن كثير(٢/ ٣٣٦).
(٤) صحيح مسلم (١/ ٧٥) (٥٦).
(٥) صحيح مسلم (١/ ٢٠٣) (٢٢٣).

فكيف قال؟ قلت: فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف...» الحديث[1]

وهي من موجبات الجنة كما ورد عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمسٌ مَنْ جاء بهنَّ مع إيمان دخل الجنة، من حافظ علىٰ الصلوات الخمس، علىٰ وضوئهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطىٰ الزكاة طيبة بها نفسه، وأدىٰ الأمانة**» قالوا: يا أبا الدرداء: وما أداءُ الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة[2].

تاسعًا: الإنفاق:

ورد هٰذا المصطلح في الكتاب والسنة وهو الزكاة والصدقة متفقة في المقاصد.

الإنفاق لغة:

مصدر أنفق، يقال: أنفق يُنفق إنفاقًا فهو مُنفقٌ وتدور هٰذه المادة حول معنيين:

أحدهما: يدل علىٰ انقطاع شيء وذهابه.

والآخر: علىٰ إخفاء شيء وإغماضه، وصفةُ الإنفاق إنَّما هي من المعنىٰ الأول[3].

واصطلاحًا:

الإنفاق إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات[4] وفي النفقة علىٰ العيال والأهل يقول ابن علان ـ رحمه الله ـ النفقة هي سائر المؤن من كسوة ونفقة، وسكن علىٰ من يعول من زوجة وولد وخادم[5] [أو ممن تلزمه نفقة] وهي مقدرة بالكفاية[6].

حكم الإنفاق:

أكثر ما يكون الإنفاق علىٰ سبيل التطوع، وقد يكون واجبًا إذا قام عليه الدليل إلاَّ أنَّ المحسنين يلزمون أنفسهم به لمقام الإحسان[7]، وقد حث

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (٣/ ٣٠١) (١٤٣٥).

(٢) سنن أبي داود (١/ ٢٩٨) (٤٢٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٨٧) (٤١٤).

(٣) لسان العرب (٨/ ٤٥٠٨) والصحاح (١/ ١٥٦).

(٤) دليل الفالحين (٢/ ٥١٤).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٥١٤).

(٦) المغني لابن قدامة (٧/ ٥٦٤، ٥٦٥).

(٧) انظر: التفسير القيم (١٤٨، ١٥١).

الإسلام علىٰ الإنفاق ورغب فيه وأثاب فاعليه الأجر الجزيل من ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [البقرة، الآية: ٢٧٠].

وأخبر جلَّ ذكره أن ترك الإنفاق في سبيله يؤدي إلىٰ التهلكة فقال جلَّ شأنه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٩٥﴾ تعميم بعد تخصيص فبعد أن أمر الله تعالىٰ بالإنفاق في سبيله أمر بالإحسان عمومًا علمًا أنَّ الإنفاق نوع من الإحسان وفيه دلالة علىٰ أهمية الإنفاق.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: في معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٥].

صدَّر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن معنىٰ الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر، والمعنىٰ: هل أحد يبذل هٰذا القرض الحسن، فيجازىٰ عليه أضعافًا مضاعفة؟

وسمي ذٰلك الإنفاق قرضًا حسنًا حثا للنفوس، وبعثًا لها علىٰ البذل؛ لأنَّ الباذل متىٰ علم أنَّ عين ماله يعود إليه ولا بد، طُوِّعت له نفسه، وسهُل عليه إخراجه، فإن علم أنَّ المستقرض مليء وفي محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أنَّ المستقرض يتَّجر له بما اقترضه، وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنَّه مع ذٰلك كله يزيده من فضله وعطائه أجرًا آخر من غير جنس القرض، فإنَّ ذٰلك القرض حظ عظيم وعطاءٌ كريم؛ فإنَّه لا يتخلَّف عن قرضه، إلاَّ لآفة في نفسه من البخل والشح، أو عدم الثقة بالضمان وذٰلك من ضعف إيمانه، ولهٰذا كانت الصدقة برهانًا لصاحبها وهٰذه الأمور كلها تحت هٰذه الألفاظ التي تضمنتها الآية، فإنَّه سمَّاه قرضًا، وأخبر أنَّه هو المقترض لا قرض حاجة، ولٰكن قرض إحسان إلىٰ المقرض واستدعاء لمعاملته، وليعرف مقدار الربح فهو الذي أعطاه ماله واستدعىٰ منه معاملته به ثم أخبر عما يعطيه فوق ذٰلك من الزيادة وهو الأجر الكريم، وحيث جاء هٰذا القرضُ في القرآن

قيده بكونه حسنًا، وذٰلك يجمع أمورًا ثلاثة:

أولها: أن يكون من طيبِ ماله، لا من رديئه وخبيثه.

ثانيها: أن يخرجه طيِّبة به نفسه، ثابتة عند بذله ابتغاء مرضاة الله.

ثالثها: أن لا يمنَّ به ولا يؤذي.

فالأول: يتعلَّق بالمال.

والثاني: يتعلَّق بالمنفق بينه وبين الله.

الثالث: بينه وبين الآخذ.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٦١]، فقد شبه الله سبحانه النفقة في سبيله، سواء كان المراد بها الجهاد أو جميع سُبُل الخير بمن بذر بذرًا فأنبتتْ كل حبَّةٍ منه سبع سنابل اشتملت كل سُنبلة علىٰ مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء فوق ذٰلك بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه، وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها، ووقوعها موقعها، فإنَّ ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص والتثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابتٍ، قد انشرح صدره بإخراجه وشُرحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه غير جزع ولا هلع ولا متَّبِعتُه نفسه، ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق وبحسب مصادفته لموقعه، وبحسب طيبِ المنفق وزكائه وتوضيح هٰذا المثل من النفقة: أنَّه سبحانه شبَّه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره، باذرٌ ماله في أرض زكية فمغله بحسب بذره وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي، ونفي الدَّغل والنبات الغريب عنه فإذا اجتمعت هٰذه الأمور ولم يحرقْ الزرعَ نارٌ، ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال، وكان مثله كمثل جنة بربوة فتتربىٰ الأشجار هناك أتم تربية فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر فروَّاها ونمَّاها فآتت أكلها ضعفي ما يؤتيه غيرها، بسبب ذٰلك الوابل فإن لم يصبها وابل فطلٌ فيكفيها لكرم منبتها، فتزكو علىٰ الطل ، وتنمو عليه وفي هٰذا إشارة إلىٰ نوعي الإنفاق الكثير والقليل فمن الناس من يكون إنفاقه وابلاً، ومنهم من يكون إنفاقه طلاًّ، والله لا يضيع مثقال ذرة.

والآيات الدالة علىٰ الأمر بالإنفاق واستحبابة كثيرة ومن الأحاديث:

ماجاء عن خُريم بن فاتك ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له بسبعمائة ضعف**»[1].

---

(١) سنن السنائي (٦/ ٤٩) (٣١٨٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١١٠).

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد مسلم ينفق من كل مالٍ له زوجين في سبيل الله إلاَّ استقبلته حَجَبَةُ الجنة كلهم يدعوه إلىٰ ما عنده»** قلتُ: وكيف ذٰلك قال: «إن كانت إبلاً فبعيرين، وإن كانت بقرًا فبقرتين»[1].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه كان جالسًا مع أصحابه إذ جاءه قَهرمانٌ له، فدخل فقال: أعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال: لا قال: فانطلق فأعطهم قال: قال رسول الله ﷺ: **«كفىٰ بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته»**[2] **والقهرمان هو: الخازن.**

مقدار ما تكون النفقة:

قد يشكل على المنفق القدر الذي تستحب بعده النفقة وقد سُئل النَّبي ﷺ عن ذٰلك فتولىٰ الله تعالىٰ الإجابة بقوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٩ ـ ٢٢٠] والعفو: ما سُهل وتيسر وفضل، ولم يشق علىٰ القلب إخراجه[3]. والمعنىٰ: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة.

أوقات الإنفاق وأحواله:

ليس للإنفاق وقت محدد ولا حالة يجب التقيد بها كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٧٤] إلاَّ أنَّ صدقة السر أفضل كما سيأتي.

التوسط في النفقة:

وصف الله تعالىٰ عباده المؤمنين بصفات جميلة منها:

التوسط في النفقة، والاعتدال فيها وذٰلك لدوامها ودفع الضرر الناتج عن الإفراط في إخراجها حتىٰ لا تحصل لهم العاقة أو التفريط في عدم إخراجها بسبب الشيطان الذي يأمر بالبخل قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان، الآية: ٦٧].

---

(١) سنن النسائي (٦/٤٨) (٣١٨٥) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٠).

(٢) صحيح مسلم (١/٦٩٢) (٩٩٦).

(٣) انظر: المفردات (٣٥٢).

عاشرًا : صدقة التطوع:

الصدقة لغة:

اسم لما يتصدق به وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدل علىٰ قوة في الشيء قولاً أو غيره، ومن ذٰلك أخذ الصدق لقوّته في نفسه، ومن الصدق أخذت الصدقة، لأنّها تدل علىٰ صدق العبودية لله تعالىٰ والصدقة ما تصدقتَ به علىٰ الفقراء أو مَنْ في حكمهم، والمتصدِّقُ هو الذي يعطي الصدقة.

وقد تشمل الصدقة، الصدقة المفروضة أو الواجبة.

قال الراغب ـ رحمه الله ـ: وقد يُسمَّى الواجب صدقة إذا تحرىٰ صاحبها الصدق في فعله قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة، الآية: ٦٠].

ويقال أيضًا: لما يتجافىٰ عنه الإنسان من حقه، تصدق به، ومن ذٰلك قوله عزَّوجل: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة، الآية: ٤٥]. وقوله عزَّ من قائل: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة،الآية: ٢٨٠]. أجرىٰ ما يسامح به المعسر مُجرىٰ الصدقة وعلىٰ هـٰذا ما ورد عن النبي ﷺ: «**ما تأكله العافية فهو صدقة**» وقول الله عزَّوجل: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [المنافقون، الآية: ١٠] ويحتمل أن يكون من الصدق أو من الصدقة(١).

واصطلاحًا:

قال الجرجاني: هي العطيَّة يُبتغىٰ بها المثوبة من الله تعالىٰ.

وقال الراغب: ما يخرجه الإنسان من ماله علىٰ وجه القربة كالزكاة، لـٰكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوِّع به، والزكاة للواجب(٢).

وقال التهانوي: الصدقة: عطية يراد بها المثوبة لاالتكرمة؛ لأنَّ بها يظهر الصدق في العبودية وهي أعمُّ من الزكاة ، وقد تطلق عليها أيضًا(٣).

حكم صدقة التطوع وحكمتها وفضلها:

ليس في المال علىٰ المسلم صدقة واجبة سوىٰ الزكاة وما عداها فهو مستحب إلاَّ أنَّ أهل الإحسان أوجبوها علىٰ أنفسهم وهي الزيادة علىٰ الحق

---

(١) انظر: مقاييس اللغة(٣/٣٣٩)، والصحاح (١٥٠٦/٤)، ولسان العرب(٢٤١٩) والمفردات (٢٧٨).

(٢) التعريفات (١٣٨) والمفردات (٢٧٨).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ٢٦٠).

المفروض كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات، الآية: ١٥ ـ ١٩].

وقد أخبر جلَّ ذكره أنَّ مرتبة الإحسان لا تنال إلاَّ بالصدقة كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران، الآية: ٩٢].

والبرُّ هنا سعة الإحسان وشدة المرضاة والخير الكامل الشامل ولذٰلك توصف الأفعال القوية بالإحسان فيقال: بر الوالدين، وبر الحج[1] وقد دعا الإسلام إلىٰ الصدقة بأساليب تستهوي الأفئدة المؤمنة، بما يبعث فيها كوامن الخير، والبر، والإحسان، وذٰلك للتخلص من شح النفس، وحب الذات فقط، وتوثيق أواصر الأخوة الإيمانية، وسد حاجات المجتمع المسلم، إذ أنَّه لا يسوغ أن يرىٰ المسلم أخاه يجوع ويعرىٰ وهو قادر علىٰ إطعامه، ولم يقيد هٰذه الصدقة بزمان ولا مكان ولا نصاب، بل أطلق ذٰلك كله إلىٰ حالة المتصدق وما تجود به نفسه الكريمة.

ومن النصوص الداعية إلىٰ الصدقة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة، الآية: ٢٦١] وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٥] وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾ [الحديد، الآية: ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء، الآية: ١١٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون، الآية: ١٠]

وعن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اتَّقوا النار ولو بشق تمرة»**[2].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا حسد إلاَّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىٰ هلكته في الحق، ورجل

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير(٢/ ١٢٨).

(٢) صحيح البخاري(٢/ ٥١٤) (١٣٥١).

آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[١].

وعن أسماء ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال لي النبي ﷺ: **«لا توكي فيُوكي عليك»**[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«ما من يوم يصبح العباد فيه، إلاَّ ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمَّ أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللَّهمَّ أعط ممسكًا تلفًا»**[٣].

أقسام الصدقات:

المتبادر إلىٰ الذهن أنَّ المراد بالصدقات هي ما يقدمه الأغنياء إلىٰ الفقراء من مال، ولـٰكن في الحقيقة الشرعية الأمر أوسع من ذٰلك، فإنَّ كل معروف صدقة، سواء ما كان بين المسلم وربه جلَّ وعلا من العبادة المفروضة أو المستحبة فإنَّهاصدقة يتصدق بها المرء علىٰ نفسه، أم ما يكون بين المسلم ونفسه أم أخيه المسلم أم الحيوان النافع، أم البيئة التي يعيش فيها، فإنَّ كل ذٰلك وغيره من الإحسان صدقة يؤجر عليها.

فعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال نبيكم ﷺ: **«كل معروف صدقة»**[٤].

وقال تعالىٰ عن موسىٰ ـ عليه السلام ـ ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص، الآية: ٢٣، ٢٤].

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنَّ ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نُصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: **«أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إنَّ بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة. ونهي عن منكرصدقة، . وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: « أرأريتم لووضعها في حرام أكان عليه فيها وزرٌ، فكذٰلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»**[٥].

---

(١) صحيح البخاري(٥١٠٢) (١٣٤٣).
(٢) صحيح البخاري (٢/ ٥٢٠) (١٣٦٦).
(٣) صحيح البخاري (٢/ ٥٢٢) (١٣٧٤).
(٤) صحيح مسلم (١/ ٦٩٧) (١٠٠٥).
(٥) صحيح مسلم (١/ ٦٩٧) (١٠٠٦).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّهُ خلق كل إنسان من بني آدم علىٰ ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبَّر الله، وحمدالله وهلَّل الله. وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى، فإنَّه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»(١).

وعن أبي بردة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «علىٰ كل مسلم صدقة» قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «يعملُ بيديه فينفع نفسه ويتصدق» قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قال قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يأمر بالمعروف أو الخير» قال: أرأيت إن لم يفعل قال: «يمسك عن الشر فإنَّها صدقة»(٢).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس» قال: تعدل بين الاثنين صدقة» «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه، صدقة» قال: والكلمة الطيِّبة صدقة وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذىٰ عن الطريق صدقة(٣).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلبٍ يلهث، يأكل الثَّرىٰ من العطش، فقال: لقد بلغ هـٰذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خُفَّه ثم أمسكه بفيه، ثم رقَّىٰ فسقىٰ الكلب، فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجرًا؟ قال: في كل كبدٍ رطبةٍ أجر»(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦].

من آداب إخراج الزكاة والنفقة والصدقة:

١ـ الإخلاص لله تعالىٰ في النفقة وغيرها كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٥].

٢ـ أن يكون المال المنفق طيبًا، فلا ينفق من خسيس المال ورديئه؛ لأنَّ الله تعالىٰ طيب لا يقبل إلاَّ طيبًا، قال عزَّوجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن

---

(١) صحيح مسلم (١/٦٩٨) (١٠٠٧).
(٢) صحيح مسلم (١/٦٩٩) (١٠٠٨).
(٣) صحيح مسلم (١/٦٩٩) (١٠٠٩).
(٤) صحيح البخاري(٢/٨٣٣) (٢٢٣٤).

طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٧].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلاَّ أخذها الله بيمينه، فيُربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصة، حتىٰ تكون مثل الجبل أو أعظم**»[1].

٣ ـ عدم المنِّ بها، لأنَّه محبط لها وهو دليل علىٰ عدم الإخلاص فيها لله تعالىٰ وعنوان شح النفس بها، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٧٤] وقد أعد الله تعالىٰ للذين يطيبون نفسًا بما ينفقون الأجر العظيم وانتفاء الخوف والحزن في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٢].

وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ سئل عن المن؟ فقال: «أن يَذْكُرهُ ويتحدث به»[2].

٤ـ أن يتحرىٰ المتصدق بصدقته أهلها الذين أمر الله تعالىٰ بالتصدق عليهم، وهم الأصناف الثمانية، وذٰلك تأسيًا بفعل النبي ﷺ كما في حديث عبيدالله بن عبدالله بن الخيار، ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلين جاءاه في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها، فرفع النظر إليهما، وخفضه فرآهما جَلدين فقال: «إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني ولا لقويٍّ مكتسب»[3].

٥ـ إخفاء الصدقة عن أبصار الناس؛ لأنَّ ذٰلك أدعىٰ للإخلاص وأستر للسائل.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفقُ يمينه، ورجل ذكر الله**

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٧٠٢) (١٠١٤).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٦٧).

(٣) سنن أبي داود(٥/ ٩٩) (١٦٣٣) وصحيح إسناده الألباني في الإرواء (٣/ ٣٨١).

خاليًا ففاضت عيناه»[1].

٦ـ ردالسائل بالقول الجميل إذا لم يكن صدقة، أو تعثرت النفس في عدم التخلص من الشح والمنَّة في صدقة التطوع، لقوله تعالىٰ: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٣].

٧ـ عدم شراء المتصدق صدقته إذا تصدق بها، ثم وجدها تباع في السوق، حتىٰ لا يعود في صدقته.

فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يحدث أنَّ عمر بن الخطاب ـ رضي اللهعنه ـ تصدق بفرس في سبيل الله، فوجده يُباع فأراد أن يشتريه، ثم أتى النبي ﷺ فاستأمره، فقال: «لا تعد في صدقتك»[2].

٨ـ إخراجها بنفس طيبة، ودليل ذٰلك ابنساط الوجه، ولين العريكة، وحسن الكلام.

٩ـ الحذر من الاستعلاء بها علىٰ المؤمنين المستحقين لها، إذ الأصل أن يؤكد أواصر المودة والتراحم لا أن يقطعها، ودواء ذٰلك أن يضع المتصدق نفسه مكان المتصدق عليه، ويعامله بما يحب أن يعامل به لو كان مكانه.

١٠ـ استشعار إحسان الله إليه بما آتاه، وأنه خليفة عن الله تعالىٰ فيه يضعه فيما أمر جلَّ وعلا، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص، الآية: ٧٧].

أفضليات تتعلق بالزكاة والإنفاق والصدقة:

١ـ أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح:

لما روىٰ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أتىٰ رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم: «وفي رواية» قال أي الصدقة أفضل؟ فقال: **«أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشىٰ الفقر وتأمل الغنىٰ، ولا تهمل حتىٰ إذا بلغت الحلقوم، قلتُ: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان»**[3].

٢ـ أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنىٰ:

كما جاء عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال: أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم (١/٧١٥) (١٠٣١).
(٢) صحيح البخاري(٢/٥٤٢) (١٤١٨).
(٣) صحيح مسلم (١/٧١٦) (١٠٣٢).

قال: «**أفضل الصدقة (أو خير الصدقة) عن ظهر غنًى واليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وأبدأ بمن تعول**»[١].

٣ـ من أفضل الصدقة ما يعطى للقريب الذي يضمر عداوته، عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**إنَّ أفضل الصدقة الصدقة علىٰ ذي الرحم الكَاشِحِ**»[٢].

٤ـ من أفضل الصدقة صدقة من يملك القليل.

لما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «**جُهدُ المُقلِّ وابدأ بمن تعول**»[٣]

٥ـ أفضل الصدقة سقي الماء:

عن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ يا رسول الله إنَّ أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم» قلتُ: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «**سَقْيُ الماء**»[٤].

٦ـ أفضل الرقاب عتقًا:

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله**».

قلتُ: أي الرقاب أفضل؟ قال: «**أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمنًا**» قال: قلتُ فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين صانعًا أو تصنع لأخرقَ**» قال: قلتُ: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «**تكف شرك عن الناس، فإنَّها صدقة منك علىٰ نفسك**»[٥] والأخرق الذي ليس بصانع.

٧ـ من أفضل الصدقة صدقة السرِّ

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾

[البقرة، الآية: ٥٧١].

٨ـ من أفضل الصدقة حط الدين عن المعسر أو بعضه، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ

---

(١) صحيح مسلم (١/٧١٧) (١٠٣٤).

(٢) مسند أحمد(٦/٥٧٨) (٢٣٠١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٤٩) (١١٠).

(٣) سنن أبي داود(٢/٣١٢) (١٦٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٤٩) (١١١٢).

(٤) سنن النسائي (٦/٢٥٤) (٣٦٦٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٥٠) (١١١٣).

(٥) صحيح مسلم (١/٨٩) (٨٤).

تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٠].

٩ـ من أفضل الصدقة النفقة على الأهل، والدَّابة، والأصحاب:

عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ مولىٰ رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه علىٰ عياله، ودينار ينفقه الرجل علىٰ دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه علىٰ أصحابه في سبيل الله»**(١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به علىٰ مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته علىٰ أهلك»**(٢).

إيتاء الزكاة والإنفاق والتصدق من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ٧٢، ٧٣]

وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [لقمان، الآية: ١ ـ ٥]

وقال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾﴾ [النور، الآية: ٣٦ ـ ٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٢٠، ١٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٩١) (٩٩٤).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٦٩٢) (٩٩٥).

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور، الآية: ٢٢] وهـٰذه الآية نزلت في المحسن الثاني في هـٰذه الأمة وهوأبوبكر ـ رضي الله عنه ـ كان ينفق علىٰ مسطح بن أثاثة المطلبي، إذ كان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين فلما علم بخوضه في قصة الإفك أقسم أن لا ينفق عليه، ولما تاب مسطح وتاب الله عليه لم يزل أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ واجدًا في نفسه عليه فعاتبه الله في ذٰلك وكفَّر عن يمينه وأعاد النفقة عليه[1]، وأولوا الفضل هم أصحاب الإحسان والمعروف.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات، الآية: ١٥ ـ ١٩]

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل، الآية: ٢٠].

وفي حديث الثلاثة الذين خلفوا رضي الله عنهم أنَّ كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ وهو أحدهم قال: قلتُ يا رسول الله إنَّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلىٰ الله وإلىٰ رسوله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أمسك بعض مالك فهو خير لك**»[2]

وقال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لما حُوصِر بعد أن أشرف عليهم أنشدكم الله، ولا أنشدُ إلاَّ أصحاب النبي ﷺ ألستم تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال: من حفر رُومة فله الجنة فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنَّه قال: من جهز العسرة فله الجنة؟ فجهَّزْتُهُ! فصدقوه بما قال».[3] ورومة بئر في المدينة.

صورٌ من إيتاء الزكاة والإنفاق والصدقة:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «**ما سُئل رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام شيئًا إلاَّ أعطاه قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه، فقال: يا قوم أَسْلموا فإنَّ محمَّدًا ﷺ يعطي عطاءَ من لا يخشىٰ الفاقة**»[4].

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير(١٨/ ١٨٨، ١٨٩).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢١٢٧) (٢٧٦٩).
(٣) صحيح البخاري، الفتح(٥/ ٤٠٦) (٢٧٧٨).
(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٨٠٦) (٢٣١٢).

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، نظرت إلىٰ صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمَّد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء»(١).

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فإنَّ رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»(٢).

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنَّه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرَّةٍ فقال للغلام: اذهب بها إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح ثم تَلَهَّ ساعة في البيت حتىٰ تنظر ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين، اجعل هٰذه في بعض حاجتك فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال تعالي ياجارية اذهبي بهٰذه السبعة إلىٰ فلان، وبهـذه الخمسة إلىٰ فلان، حتىٰ أنفدها فرجع الغلام وأخبره فوجده قد أعدَّ مثلها إلىٰ معاذ بن جبلٍ، فقال: اذهب بهٰذا إلىٰ معاذ بن جبل ثم تله في البيت حتىٰ تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين، اجعل هٰذا في بعض حاجتك، فقال ـ رحمه الله ـ ووصله تعالي يا جارية، اذهبي إلىٰ بيت فلان بكذا فاطَّلعتِ امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة إلاَّ ديناران، فنحا بهما إليها ورجع الغلام إلىٰ عمر فأخبره وسرَّ بذٰلك وقال: إنَّهم إخوةٌ بعضهم من بعض(٣).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أبوطلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلُها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما أنزلت هٰذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران، الآية: ٩٢] قال أبوطلحة: وإنَّ أحب أموالي إليَّ بيرُحاء، وإنَّها صدقة لله أرجو برها وذخرهَا عندالله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«بَخ، ذلك مالٌ رابح، ذٰلك مالٌ رابحٌ، وقد سمعت ما قلتَ، وإني أرىٰ أن نقسمها في الأقربين»** فقال أبوطلحة: افعل يا رسول الله فَقَسَّمَهَا أبوطلحة

(١) صحيح مسلم (١/ ٧٣١) (١٠٥٧).
(٢) صحيح البخاري، الفتح (٦/ ٣٠٥) (٣٢٢٠).
(٣) الزهد لابن المبارك (٥١١) الحلية لأبي نعيم (١/ ٢٧).

في أقاربه وبني عمه»[1]

وقال شبيبُ بن شَيبة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ كنا بطريق مكة وبين أيدينا سفرة لنا ببغداد في يوم قائظ فوقف علينا أعرابي ومعه جارية له زِنجيَّة فقال: يا قوم أفيكُم أحدٌ يقرأ كلام الله حتىٰ يكتُبَ لي كتابًا؟ قال: قلنا أصبْ من غدائنا حتىٰ نكتب لك ما تريد، قال: إني صائم فعجبنا من صومه في تلك البريَّة فلما فرغنا من غدائنا دعونا به فقلنا ما تريد؟ فقال: أيها الرجل إنَّ الدُّنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، فإني أردتُ أن أُعتق جاريتي هـٰذه لوجه الله، وليوم العقبةِ أتدري ما يوم العقبة؟ قوله عزَّوجل: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد، الآية: ١١ ـ ١٣] فاكتب ما أقول لك ولا تزيدن عليَّ حرفًا هـٰذه فلانة خادم فلان قد أعتقها لوجه الله وليوم العقبة، قال: شبيبٌ فقدمتُ البصرة فأتيتُ بغداد فحدَّثتُ بهـٰذا الحديث المهدي، قال: مائة نسمةٍ تُعتق علىٰ عُهدَةِ الأعرابي[2].

تحقيق الإحسان في إيتاء الزكاة، والإنفاق والصدقة:

إذا بلغ المؤمن في إيتاء الزكاة والإنفاق ودفع الصدقات الواجب وزاد عليه طيبة بها نفسه من ما يحب من ماله متحريًا آدابها وهو علىٰ حالة من الإخلاص والإتقان وكأنه ينظر إلىٰ ربه تعالىٰ فإنَّه محسن ولا ريب.

ثمرات إيتاء الزكاة والصدقة:

١ـ تحقيق لأحد أركان الإسلام، ودليل على حسن الظن بالله والثقة به.

٢ـ تطهير للمال، وتزكية النفوس من الشح.

٣ـ يدفع الله بها المصائب والنقم.

٤ـ تقوى العلاقات الاجتماعية، وإشاعة التراحم والتَّوادّ في المجتمع المسلم.

٥ـ تحل مشاكل الفقر وما ينتج عنه من انحرافات.

---

(١) صحيح البخاري ، الفتح (٣/ ٣٢٥) (١٤٦١).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٨/ ٨٤) وقال مخرجه إسناده صحيح.

الحادي عشر : الصوم:

تعريفه :

الصوم لغة :

مصدر صام يصوم صومًا وصيامًا، مأخوذٌ من مادةِ (ص و م) الَّتي تدل علىٰ «إمساك وركودٍ في مكانٍ» من ذٰلك صوم الصَّائم وهو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما مُنعه، ويكون الإمساك عن الكلام صومًا.

قال أهل اللغة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم، الآية: ٢٦] إنه الإمساك عن الكلام أي الصمت، وأما الركود فيقال: للقائم صائم[1]

واصطلاحًا :

قال الجرجاني: الصوم في الشرع عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلىٰ المغرب مع النية[2].

حقيقة الصوم :

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ (في الصوم): هو لجام المتَّقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين، من بين سائر الأعمال، فإنَّ الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس، وتلذذاتها، إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطَّلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه علىٰ ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشرٌ وتلك حقيقة الصوم[3].

فضله :

يعد الصوم من أفضل العبادات وأشرفها وأحبها إلىٰ الله تعالىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٨٤] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٥].

وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ أنَّه سأل رسول الله ﷺ: «أي

---

(١) المقاييس (٣/ ٣٢٣)، لسان العرب(١٢/ ٣٥٠، ٣٥١).

(٢) التعريفات(١٤١).

(٣) زادالمعاد (٢/ ٢٩).

العمل أفضل؟» قال: «**عليك بالصوم فإنَّه لا عدل له**»[1] أي لا مثيل له.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ قال: الله عزّوجل: «**كل عمل ابن آدم له إلاّ الصيام فإنَّه لي وأنا أجزي به**» والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقُل إني امرؤ صائم، والذي نفسي محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر، فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[2]

وعن أبي سعيدالخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله، إلاّ باعد الله بذٰلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[3].

وعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**إنَّ في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون، يوم القيامة، لا يدخل معهم أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أُغلق، فلم يدخل منه أحد**»[4].

فوائده:

للصيام فوائد دينية ودنيوية منها:

أنَّه ينمي عندالمسلم خلق التقوىٰ الذي هو من أرفع صفات المحسنين، ويحبس النفس البشرية عن الشهوات والتعلق بالعادات، ويحدث اعتدالاً في المزاج، ويساعد على القيام بأعباء العبادات الأخرى علىٰ تنوعها، ويسدد الخلل الناتج عن الإساءة أو التقصير في بعض العبادات والسلوك مثل: كفارات القتل، والصيام، واليمين، والحج وغيرها، كما أنَّه شعار للأمة الإسلامية في اتحاد السلوك ولمدة شهر كامل، تتعزز به روابط الأخوة الإسلامية، إضافة لما يحدثه في الجسم من تخلص من الأخلاط الرديئة والأمراض المستعصية.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وللصوم تأثيرٌ عجيبٌ في حفظ الجوارح الظاهرة والقوىٰ الباطنة، وحمايتها من التَّخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولَت عليها أفسدتهاواستفراغ المواد الرَّديئة المانعة لها من

(١) سنن النسائي (٤/ ١٦٥) (٢٢٢٣) وصححه الألباني في الصحيحة(١٩٣٧).
(٢) صحيح البخاري ، الفتح (٤/ ١١٨) (١٩٠٤).
(٣) صحيح مسلم (١/ ٨٠٨) (١١٥٣).
(٤) صحيح مسلم (١/ ٨٠٨) (١١٥٢).

صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون علىٰ التقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[1] [البقرة، الآية: ١٨٣]

الصيام صفة عباد الله المحسنين:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل النبي ﷺ على أم سُليم فأتته بتمر وسمن، قال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه، فإني صائم»[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبوبكر ـ رضي الله عن ـ أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امريء إلاّ دخل الجنة**»[3].

صورة من إحسان الصيام:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: أُخبر رسول الله ﷺ أنّه يقول: لأقومن الليل ولأصومنَّ النهار، ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: **أنت الذي تقول ذٰلك؟** فقلتُ: له: قد قلته، يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «**فإنَّك لا تستطيع ذٰلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإنَّ الحسنة بعشر أمثالها، وذٰلك مثل صيام الدهر**» قال: قلتُ: فإني أطيق أفضل من ذٰلك قال: «**صم يومًا وأفطر يومين**» قال: قلتُ: فإني أطيق أفضل من ذٰلك ، يا رسول الله! قال: «**صم يومًا وأفطر يومًا، وذٰلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام**» قال: قلتُ فإني أطيق أفضل من ذٰلك قال رسول الله ﷺ: «**لا أفضل من ذٰلك**»[4].

تحقيق مرتبة الإحسان في الصوم:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق هٰذه المرتبة الشريفة وذٰلك بأنَّ يحقِّق شروط قبول الصوم وينتفي عنه موانع قبوله مع مراعاة آدابه الظاهرة والباطنة مكثرًا منه، وهو علىٰ حالة من الإتقان والإخلاص والخشية وكأنه ينظر إلىٰ

---

(١) زاد المعاد(٢/ ٢٩).
(٢) صحيح البخاري (٢/ ٦٩٩) (٨٨١).
(٣) صحيح مسلم (١/ ٧١٣) (١٠٢٨).
(٤) صحيح مسلم (١/ ٨١٢) (١١٥٩).

ربه تعالىٰ لا يحجبه عنه شيء.

قال جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ «**إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، والمآثم، ودع أذىٰ الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم صيامك وفطرك سواء**»[١].

وقال أبوذر ـ رضي الله عنه ـ : «**إذا صمت فتحفظ ما استطعت وكان طليق [أحد الرواة] إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلاَّ لصلاة**»[٢].

وقال ميمون ـ رحمه الله ـ: «إنَّ أهون الصوم ترك الطعام والشراب»[٣].

من ثمرات الصوم:

١ـ الوعد بالبشري والفوز بالجنة.

٢ـ طهرة للنفس ووقاية للبدن.

٣ـ يثمر محبة الله وطاعته.

٤ـ يُهذب الطباع ويكبح جماح النفس.

٥ـ دليل علىٰ صلاح العبد واستقامته.

٦ـ فيه أمن من الوقوع في المحرمات.

٧ـ يورث الخشية من الله عزَّوجل.

٨ـ ينمي حسن المراقبة لله عزَّوجل في السر.

٩ـ فيه صحة للبدن من كثير من الآفات!

١٠ـ فيه حرب للشيطان.

١١ـ فيه إحساس بآلام الفقراء ومشاركة لهم.

١٢ـ فيه إحساس بوحدة الأمة الإسلامية وتماسكها[٤]

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٧١) (٨٨٨٠).

(٢) المراجع السابق(٨٨٧٨).

(٣) المراجع السابق(٢/ ٢٧٢) (٨٨٨٣).

(٤) انظر: نضرة النعيم(٧/ ٢٦٦٢).

الثاني عشر : الحج والعمرة:

الحج لغة:

مصدر قولهم حجَّ يحجُّ وهو مأخوذ من مادَّةِ (ح ج ج) التي تدل علىٰ أربعة معان:

الأول: القصد، وكل قصد حج.

والثاني: الحِجَّةُ وهي السنة.

والثالث: الحِجَاجُ (بفتح الحاء وكسرها)، وهو العظمُ المستدير حول العين.

والرابع: الحَجْحَجَةُ بمعنىٰ النُّكوص والحجُّ المذكور هنا إنَّما يرجع إلىٰ المعنىٰ الأول، وهو القصد أو القصد للزيارة، يُقال: ورجل محجُوجٌ أي مقصودٌ، وحجَّهُ يحُجُّهُ حجًا: قصده، وقد حجَّ بنو فلانٍ فلانًا إذا أطالوا الاختلاف إليه[1].

واصطلاحًا:

قال الجرجاني: قصدٌ لبيت الله تعالىٰ بصفةٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوصٍ بشرائط مخصوصةٍ.

وقال الحافظُ: الحجُّ في الشَّرع: القصد إلىٰ البيت الحرام بأعمال مخصوصةٍ.

وقال العينيُّ: الحج قصدٌ إلىٰ زيارة البيت الحرام علىٰ وجه التَّعظيم بأفعال مخصوصة[2].

العمرة لغة:

العمرة والاعتمار: الزيارة التي فيها عمارة البيت.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة، الآية: ١٨] إما من العمارة التي هي حفظُ البناء أو من العمرة التي هي الزيارة، أو من قولهم عمرتُ بمكان كذا أي أقمتُ به، وقال ابن فارس: إنَّ العمرة بمعنىٰ الزيارة إنما هي مأخوذةٌ من مادَّةِ (ع م ر) التي تدل علىٰ الصِّياح والجلبَةِ، يقال: اعتمر الرَّجل إذا أهلَّ بعمرته، وذٰلك رفعُهُ صوته للتَّلبيَة للعمرة.

وقال الجوهري: والعمرة في الحج وأصلها من الزيارة والجمع العمر.

وقال ابن منظور، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٦]

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٠٠) والصحاح (١/ ٣٠٤) ولسان العرب(٢/ ٣٠).

(٢) انظر: التعريفات (٨٢) وفتح الباري (٣/٣٧٨)، وعمدة القاريء (٩/ ١٢١) ودليل الفالحين (٤/ ٧٣).

قال الزجاج: معنىٰ العمرة في العمل: الطوافُ بالبيتِ والسَّعي بين الصفا والمروة فقط، والفرقُ بين الحج والعمرة، أنَّ العمرة تكون للإنسان في السنة كلها، والحج وقت واحدٌ في السنة، وتمام العمرة أن يطوف بالبيت ويسعىٰ بين الصفا والمروة، والحج لا يكون إلاَّ مع الوقوف بعرفة يوم عرفة[1].

واصطلاحًا:

زيارة البيت الحرام علىٰ وجهٍ مخصوص وبشروط مخصوصةٍ[2].

الحج عبادة العمر:

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ : إنَّ الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين، فعلىٰ كل حاجٍّ ومعتمر أن يبدأ بالتوبة، وردِّ المظالم وقضاء الديون، وإعداد النَّفقة لكلِّ مَنْ تلزمه نفقته إلىٰ وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه، كما ينبغي أن يلتمس رفيقًا صالحًا محبًّا للخير معينًا عليه، إن ذكره الله أعانه، وإن جبُن شجَّعه، وإن عجز قوّاه، وإن ضاق صدرُهُ صبَّرهُ[3].

حكم الحج والعمرة:

الحج فرض عين علىٰ كل مسلم ومسلمة مرَّة في العمر، إذا استطاع إليه سبيلاً، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران، الآية: ٩٧] ولما جاء عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله يقول: «**بني الإسلام علىٰ خمس، شهادة أن لا إلـٰه إلاَّ الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»[4]

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيُّها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**» فقال رجل: أكُلَّ عام؟ يا رسول الله ! فسكت حتىٰ قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: **لو قلتُ نعم، لوجبت، ولما استطعتم» ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنَّما هلك من كان قبلك بكثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»[5] .

---

(١) المفردات (٣٤٧) المقاييس (٤/ ١٤١) والصحاح (٢/ ٧٥٧)، واللسان (٢/ ٣١٠).
(٢) انظر: الروض المربع (١٣٣).
(٣) الإحياء (١/ ٢٣٩، ٢٤٧).
(٤) صحيح البخاري ، الفتح (١/ ٤٩) (٨).
(٥) صحيح مسلم (١/ ٩٧٥) (١٣٣٧).

إلاَّ أنه يستحب تكرار الحج والإكثار منه، لما جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنَّ المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد**»(١).

وأما العمرة فإنَّها من السنن المؤكدة وقيل واجبه لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٦].

فضلهما:

والحج كذٰلك من أفضل الأعمال عندالله تعالىٰ فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله**» قال ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قال: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»(٢).

والحج جهاد من لا يقدر علىٰ الجهاد في سبيل الله، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّها قالت: يا رسول الله، نرىٰ الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «**لا لٰكن أفضل الجهاد حج مبرور**»(٣).

والحج والعمرة من أعظم الشعائر الإسلامية التي ينال بهما العبد المغفرة والثواب الجزيل، لما روىٰ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتىٰ هٰذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه**»(٤).

وعنه ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلىٰ العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة**»(٥).

والمبرور: هو الذي لم يخالطه إثم.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أنْ يعتق الله فيه عبدًا من النَّار من يوم عرفة، وإنَّه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هٰؤلاء؟**»(٦).

حكمتها:

من الحكم الظاهرة أنَّ الحج والعمرة يهدفان إلىٰ إقامة ذكر الله تعالىٰ

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٩٦٤) (٢٨٨٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٣٣٤).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٨٨) (٨٣).

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٥٥٣) (١٤٤٨).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٩٨٣) (١٣٥٠).

(٥) صحيح مسلم (١/ ٩٨٣) (١٣٤٩).

(٦) صحيح مسلم (١/ ٩٨٢) (١٣٤٨).

علىٰ مستوىٰ الجماعة الإسلامية، المتوحدة في المشاعر المقدسة على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٠٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج، الآية: ٣٤، ٣٥] يفسر ذٰلك حديث أمنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله تعالىٰ**»[١].

ومن الحكم تعظيم حرمات الله تعالىٰ لقوله جلَّ وعلا: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ﴾ [الحج، الآية: ٣٠].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هي جميع المناهي في الحج: فسوق وجدال، وجماع، وصيد، وتعظيمها أن لا يحوم حولها[٢] وقال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج، الآية: ٣٢]. وشعائر الله تعالىٰ هي: مواضع الحج كلها من منىٰ وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغيرها[٣] يؤيد ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٨].

ومن الحكم كذٰلك التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بذبح الهدي ، وفي ذٰلك تزكيةٌ للروح وتخليصٌ لها من صفة البخل الذميمة، وتعويدٌ للمسلم علىٰ الإنفاق في سبيل الله من بعد الحج كما قال تعالىٰ: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٦].

ومن الحكم الظاهرة تربية النفوس وتعويدها علىٰ ضبط السلوك بما في الحج والعمرة من أحكام وآداب فردية واجتماعية.

منها: النفقة وإعداد الراحلة واختيار الرفقة والقيام بحقوقها، والصبر

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٥٤).

(٢) انظر: روح المعاني (٦/ ١٧، ١٥٤).

(٣) الأصل في معرفة أحكام الحج والعمرة قول النبي ﷺ وفعله وتقريره لقوله ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسككم، فإنّي لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**». صحيح مسلم (١/ ٩٤٣) (١٢٩٧)»

علىٰ مشقة السفر، والتخلص من الأخلاق الرذيلة مثل: الرفث والفسوق والجدال، إذ أنَّ اجتماع الحجاج في المشاعر المقدسة وانتقالهم من مشعر إلىٰ آخر مظنة اختلاف أو زلل لذلك حذَّر الله من الوقوع فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٧].

وهناك حكم أخرىٰ لا يتسع المقام لذكرها، تستشف من قوله تعالىٰ: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج، الآية: ٢٨] والآية دليل علىٰ عموم المنافع الدينية.

أداء الحج والعمرة من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج، الآية: ٢٥ـ٣٧].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق فقال: أي وادٍ هٰذا؟ فقالوا: هٰذا وادي الأزرق قال: كأني أنظر إلىٰ موسىٰ ـ عليه السلام ـ هابطًا من الثَّنية وله جؤار إلىٰ الله بالتلبية، ثمَّ أتىٰ على ثنية هَرْشَىٰ، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثنية هرشي، قال: «كأني أنظر إلىٰ يونس بن متَّىٰ عليه السلام علىٰ ناقة حمراء جعدة عليه جُبَّة من صوف، خطام

ناقته خُلبة وهو يلبي»[1]

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يحدث عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده ليُهلَّنَّ ابن مريم بفجِّ الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنيهما**»[2]

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثني أبوبكر الصديق في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع، في رهط يؤذنون في الناس يوم النَّحر: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان»[3].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت النبي ﷺ يخطب يقول: «**لا يخلون رجل بامرأة إلاَّ ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلاَّ مع ذي محرم**» فقام رجل فقال: يا رسول الله! إنَّ امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: انطلق فحج مع امرأتك»[4].

صور من إحسان الحج والعمرة:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون، إنَّه يقدم وقد وهنتهم حُمَّىٰ يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلاَّ الإبقاء عليهم»[5].

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : «**غدونا مع رسول الله ﷺ من منىٰ إلىٰ عرفات، منا الملبِّي ومنَّا المكبر**»[6].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة، فإنَّ البِرَّليس بالإيضاع»[7] أي ليس بالإسراع.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر علىٰ إثر كل حصاة ثم يتقدم حتىٰ يُسهل ثم يرمي الوسطىٰ، ثم يأخذ ذا الشمال فيُسهلُ ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو، ويرفع يديه ويقوم طويلاً، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي ولا يقف

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٥٢) (١٦٦).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٩١٥) (١٢٥٢).
(٣) صحيح مسلم (٢/ ٩٨٢) (١٣٤٧).
(٤) صحيح مسلم (٢/ ٩٧٨) (١٣٤١).
(٥) صحيح البخاري، الفتح(٣/ ٤٦٩) (١٦٠٢).
(٦) صحيح مسلم (١/ ٩٣٣) (١٢٨٤).
(٧) صحيح البخاري، الفتح (٣/ ٥٢٣) (١٦٧١).

عنده، ثم ينصرف فيقول: هكذا رأيت النبي ﷺ يفعله[1].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «ما آسى علىٰ شيء فاتني من الدنيا إلاَّ أنني لم أحج ماشيًا حتىٰ أدركني الكبر، اسمع قول الله تعالىٰ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾[2] [الحج، الآية: ٢٧].

وقال الأصمعي ـ رحمه الله ـ: «دعا أعرابي بمكة، فقال: «اللَّهم لا تمنعني خير ما عندك بسوء ما عندي، وإن كنت لم تقبل نَصَبِي فلا تحرمني أجر المصاب علىٰ مصيبته»[3].

تحقيق مرتبة الإحسان في الحج والعمرة:

إذا أتىٰ العبد المؤمن بالحج والعمرة مثبتًا أركانهماومحققا شروطهما ومحافظًا علىٰ سننهما وآدابهما كما جاءت به السنة علىٰ وجه الإخلاص والإتقان مستشعرًا ما يقول معظمًا له ولشعائر الله تعالىٰ وهو في سكينة ووقار يرجوالثواب ويخاف التفريط وهو علىٰ حال وكأنه يرىٰ الله تعالىٰ ويخاطبه ويتبتل له فقد أحسن كل الإحسان.

من ثمرات الحج والعمرة:

١ـ طاعة الله وتلبية النداء الأول بالحج.

٢ـ إعلان العبودية له وحده وخلع ما سواه.

٣ـ التجريد والتحرر من شهوات النفس وملذاتها.

٤ـ ينمي روح المحبة والوصية والتعاون بين المسلمين.

٥ـ طهارة النفس من أوزار الذنوب والمعاصي.

٦ـ فيه إذلال للشيطان.

٧ـ تعود علىٰ المشاق وأخذ العبر من السير في الأرض.

٨ـ تعويد علىٰ النفقة في سبيل الله تعالىٰ.

---

(١) صحيح البخاري الفتح (٣/ ٥٨٢) (١٧٥١).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٥٣٧).
(٣) المرجع السابق (٨/ ١٢٣).

الثالث عشر : الجهاد:

الجهاد لغة:

مصدر قولهم جَاهَدَ يُجَاهِدُ مأخوذ من مادةِ (جَ هَـ دَ).

التي تدل في الأصل علىٰ المشقة ومصدر الثلاثي من ذٰلك قولهم : جَهْدٌ (بالفتح) وجُهْدٌ (بالضم) وكلاهما يعني : إما الوُسعَ والطاقة، أو التعب والمشقة[1]

اصطلاحًا:

قال الراغب ـ رحمه الله ـ الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع، في مدافعة العدو[2] قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج، الآية: ٧٨].

مكانته: عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل العمل: الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله»[3].

أقسام الجهاد:

والجهاد: أربعة أقسام وهي:

الأول: جهاد النفس بتعلم أمور الدين، وبفعل ما أمرت به، وترك ما نهيت عنه، وهٰذا النوع مقدم علىٰ غيره.

الثاني: جهاد الشيطان وذٰلك بدفع ما يأتي به من الشبهات باليقين، وما يزينه من الشهوات بالصبر، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر، الآية: ٦].

الثالث: جهاد الكفار والمنافقين بالقلب، واللسان، والمال والنفس، وأخص جهاد الكفار باليد، والمنافقين، أخصه باللسان، قال تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التوبة، الآية: ٤١]

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان، الآية: ٥٢] أي بالقرآن الكريم.

الرابع: جهاد الفساق، ويكون باليد ثم اللسان، ثم القلب[4] لحديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذٰلك**

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٨٦).

(٢) المفردات (١١٠).

(٣) صحيح البخاري فتح (٥/ ١٤٨) (٢٥١٨).

(٤) انظر: زاد المعاد(٣/ ١٠، ١٢) فتح الباري (٦/ ٥).

أضعف الإيمان»(١)

حكم الجهاد:

جهاد النفس في ذات الله تعالىٰ، وجهاد الشيطان فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد.

وأما جهاد الكفار والمنافقين وَمَنْ في حكمهم من أهل البدع فهو فرض كفاية قد يكتفي فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد(٢)

أهداف الجهاد:

١ـ إقامة الدين، وحماية جناب التوحيد كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٣] يدخل في ذٰلك أهل الكتاب وغيرهم.

٢ـ نصرة المستضعفين من المؤمنين كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء، الآية: ٧٥]

٣ـ قتال المعتدين، وصد هجماتهم عن الدولة الإسلامية كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٩٠]

فضل الجهاد:

الجهاد من أفضل الأعمال عند الله تعالىٰ وأعظمها أجرًا وأنفعها للمسلمين في الدنيا.

فعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله...**»(٣).

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟**» قلتُ: بلىٰ يا رسول الله قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»(٤).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: دُلَّني علىٰ عمل يعدل الجهاد، قال: «**لا أجده**» قال: «**هل تستطيع إذا**

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٩) (٤٩).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٢).

(٣) صحيح البخاري ـ الفتح (٥/ ١٤٨) (٢٥١٨).

(٤) سنن الترمذي (٥/ ١١) (٢٦١٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩١٣) (٥١٣٦).

خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تُفتُر، وتصوم ولا تفطر؟» قال: ومن يستطيع ذٰلك؟ قال: أبوهريرة: إنَّ فرس المجاهد ليستَنُّ في طوله فيكتب له حسنات»[1]

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في هٰذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٦٩] قال: إنا قد سألنا عن ذٰلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَضَمَّنَ الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلاَّ جهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلىٰ مسكنه الذي خرج منه نائلاً مانال من أجر، أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما من كلمٍ يُكلَمُ في سبيل الله، إلاَّ جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِمَ، لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده، لولا أن يشق علىٰ المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولٰكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أَنْ يتخلفوا عني، والذي نفسُ محمدٍ بيده لوددتُ أني أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزوا فأقتل، ثم أغزو فأقتل**»[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم، وتكفل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة**»[4].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهد في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنَّه أوسط الجنة، وأعلىٰ الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[5].

وعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**رِبَاطُ يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من**

---

(١) صحيح البخاري، الفتح(٦/ ٤) (٢٧٨٥).
(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٥٠٢) (١٨٨٧).
(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٤٩٥) (١٨٧٦).
(٤) صحيح البخاري الفتح (٦/ ٦)، (٢٧٨٧).
(٥) صحيح البخاري الفتح (٦/ ١١) (٢٧٩٠).

الدنيا وما عليها»[1].

أفضل الجهاد:

عن عمر بن عنبسة ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله ! . . . أي الجهاد أفضل؟ قال: «من عُقِرِ جواده وأهرِيقَ دمه»[2].

الجهاد صفة المحسنين:

والمحسنون هم الثُّلَّة التي تحققت فيهم صفة الجهاد بجميع أنواعه كما قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت، الآية: ٦٩] وقال تعالىٰ ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة، الآية: ١٢٠، ١٢١].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: «**رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شِعْبٍ من الشعاب يعبدالله ويدع الناس من شره**»[3]

عن بريدة عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: «غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن»[4].

صور من جهاد المحسنين:

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رجلاً سأله فقال: أكنتم وليتم يوم حنين؟ ياأبا عمارة، فقال: أشهد علىٰ نبي الله ﷺ ما وَلَّىٰ ولـٰكنَّه انْطَلَقَ أَخِفَّاء مِنْ الناسِ وَحُسَّرٌ إلىٰ هـٰذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبلٍ كأنها رِجلٌ من جرادٍ، فانكشفوا، فأقبل القوم إلىٰ رسول الله ﷺ وأبوسفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب، اللَّهمَّ نزل نصرك» قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به، وإنَّ الشجاع منا للذي يحاذي به

---

(١) صحيح البخاري، الفتح(٣/ ١٠٥٩). (٢٧٣٥).

(٢) سنن ابن ماجه (١/ ٩٣٤) (٢٧٩٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٨) (٢٢٥٣).

(٣) صحيح البخاري، الفتح(١١/ ٣٣٠) (٦٤٩٤).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٤٤٨) (١٨١٤).

يعني النبي ﷺ»(١).

وعن إياس بن سلمة حدَّثني أبي قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا تُرويها قال: فقعد رسول الله ﷺ علىٰ جبا الرَّكيَّة فإما دعا وإما بسق فيها قال: فجاشت، فسقينا واستقينا قال: ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة قال: فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتىٰ إذا كان في وسط من الناس قال: «بايعْ يا سلمة!» قال: قلتُ: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، قال: «وأيضًا» قال: ورآني رسول الله ﷺ عزِلاً (يعني ليس معه سلاح) قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حجفة أودرفة ثم بايع حتىٰ إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني؟ ياسلمة! قال: قلتُ قد بايعتك يا رسول الله! في أول الناس وفي أوسط الناس، قال: «وأيضًا» قال: فبايعته الثالثة، ثم قال لي: «يا سلمة! أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟ قال قلتُ: يا رسول الله لقيني عمي عامر عَزِلاً فأعطيته إياها قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال: «**إنك كالذي قال الأول، اللَّهمَّ أبغني حبيباً هو أحبُّ إلي من نفسي**» ثم إنَّ المشركين راسلونا الصلح حتىٰ مشىٰ بعضنا في بعض واصطلحنا قال: وكنت تبيعًا لطلحة بن عبيدالله أسقي فرسه وأحلسه وأخدمه وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجرًا إلىٰ الله ورسوله ﷺ قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيتُ شجرة فكسحتُ شوكها فاضطجتُ في أصلها قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم فتحوَّلتُ إلىٰ شجرة أخرىٰ وعلَّقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذٰلك إذ نادىٰ منادٍ من أسفل الوادي: يا للمهاجرين ! قتل ابن زُنَيم قال: فاخترطتُ سيفي، ثم شدَّدتُ علىٰ أولٰئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثاً في يدي، قال: ثم قلتُ: والذي كرَّم وجه محمَّد! لا يرفع أحد منكم رأسه إلاَّ ضربتُ الذي فيه عيناه، قال: ثم جئتُ بهم أسوقهم إلىٰ رسول الله ﷺ قال: وجاء عمي عامر برجلٍ من العبلات يقال له مُكْرَزٌ يقوده إلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ فرس مُجَفَّفٍ في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «**دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه**» فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح].

قال ثم خرجنا راجعين إلىٰ المدينة فنزلنا منزلاً بيننا وبين بني لحيان جبل وهم المشركون فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقىٰ هٰذا الجبل الليلة،

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٤٠٠) (١٧٧٦).

عبدالرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله، فاستاقه أجمع وقتل راعيه. قال فقلت: يا رباح! خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيدالله، وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ المشركين قد أغاروا على سَرْحِهِ. قال: ثمَّ قمت على أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثًا: يا صباحاه! ثمَّ خرجت في آثار القوم أرميهم بالنَّبل، وأرتجز أقول: أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع. فألحق رجلاً منهم. فأصك سهمًا في رحْلِهِ. حتى خلص نصل السهم إلى كتفه، قال قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع، قال: فوالله! ما زلت أرميهم وأُعَقْرِبُهم. فإذا رجع إليَّ فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها، ثمَّ رميته، فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة. قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺإلاَّ خلفته وراء ظهري. وخلوا بيني وبينه. ثمَّ أتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحًا يستخفون ولا يطرحون شيئًا إلاَّ جعلت عليه آرامًا من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه حتىٰ أتوا متضايقًا من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون (يعني يتغدَّون) وجلستُ علىٰ رأس قرنٍ قال الفزاري: ما هـٰذا الذي أرىٰ؟ قالوا: لقينا من هـٰذا البرح والله! ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتىٰ انتزع كل شيء في أيدينا قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة قال: فصعد إلي منهم أربعة في الجبل قال: فلما أمكنوني من الكلام قال قلتُ: هل تعرفوني؟ قالوا: لا ومن أنت؟ قال: قلتُ: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرَّم وجه محمَّد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلاَّ أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني قال أحدهم: أنا أظن قال: فرجعوا فما برحت مكاني حتىٰ رأيتُ فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر قال: فإذا أولهم الأخرمُ الأسدي علىٰ إثره أبوقتادة الأنصاري وعلىٰ إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذتُ بعنان الأخرم قال: فولَّوْا مدبرين، قلت: يا أخرم! احذرهم لا يقتطعوك حتىٰ يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه قال: يا سلمة! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أنَّ الجنة حق والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة قال: فخليته فالتقىٰ هو وعبدالرحمن قال: فعقر بعبدالرحمن فرسه، وطعنه عبدالرحمن فقتله، وتحوَّل علىٰ فرسه، ولحق أبوقتادة فارس رسول الله ﷺ بعبدالرحمن فطعنه فقتله فوالذي كرَّم وجه محمَّد ﷺ لتبعتهم أعدو علىٰ رجليَّ حتىٰ ما أرىٰ ورائي من أصحاب محمَّد ﷺ ولا غبارهم شيئًا، حتىٰ يعدلوا قبل غروب الشمس إلىٰ شعب فيه ماء، يقال له ذا قردٍ ليشربوا منه وهم عطاش قال: فنظروا إليَّ أعدو وراءهم، فخلَّيتهم عنه (يعني أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية قال: فأعدوا

فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نغض كتفِهِ قال: قلتُ: خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرُّضع، قال: يا ثكلته أمه! أكوعه بكرة قال قلت: نعم ياعدو نفسه! أكوعك بكرة قال: وأرادوا فرسين علىٰ ثنية قال: فجئت بهما أسوقهما إلىٰ رسول الله ﷺ قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربتُ ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو علىٰ الماء الذي خلأتهم عنه فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل، وكل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي استنقذت من القوم وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلتُ يا رسول الله! خلني فأنتحب من القوم مائة رجلٍ فأتبع القوم فلا يبقىٰ منهم مخبر إلاَّ قتلتُه قال: فضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه، في ضوء النار فقال: «يا سلمة! أتُراك كنت فاعلاً» قلتُ: نعم والذي أكرمك ! فقال: «إنَّهم الآن ليقرون» في أرض غطفان قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزورًا، فلما كشفوا جلدها رأو غبارًا فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هاربين فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «**كان خير فرساننا اليوم أبوقتادة وخير رجالتنا سلمة**» قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الرَّاجل، فجمعهما لىٰ جميعًا ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه علىٰ العضباء راجعين إلىٰ المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذٰلك قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تُكرِم كريمًا، ولا تهاب شريفًا؟ قال: لا إلاَّ أن يكون رسول الله ﷺ قال: قلتُ يا رسول الله! بأبي وأمي ! ذرني فلأسابق الرجل، قال: «إن شئت» قال: قلتُ: اذهب إليك ، وثنيتُ رجليَّ فظفرتُ فعدوت قال: فربطتُ عليه شرفًا أو شرفينِ أستبقي نفسي ثم عدوتُ في إثره فربطتُ عليه شرفًا أو شرفين، ثم إني رفعتُ حتىٰ ألحقه قال: فأصكُه بين كتفيه قال: قلتُ قد سُبقْتَ والله! قال: أنا أظن. قال: فسبقته إلىٰ المدينة قال: فوالله! ما لبثنا إلاَّ ثلاث ليالٍ حتىٰ خرجنا إلىٰ خيبر مع رسول الله ﷺ قال: فجعل عمِّي عامرُ يرتجز بالقوم:

تالله! لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصـدقنـا ولا صلَّينـا

ونحن عن فضلك ما استغنينا ... فثبـتِ الأقـدام إن لا قينـا

وأنزلن سكنيةً علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هٰذا» قال: أنا عامر قال: «غفر لك ربك» قال: وما استغفر رسول الله لإنسان يخصه إلاَّ استشهد قال: فنادىٰ عمر بن الخطاب، وهو علىٰ جمل له: يا نبيَّ الله! لولا ما متَّعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحبٌ يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحبُ ... شـاكـي السـلاح بطـل مجـربُ

إذا الحروب أقبلتْ تلهَّبُ

قال: وبرز له عمِّي عامر، فقال:

قد علمتْ خيبر أني عامرُ شاكي السلاح بطل مُغَامِرُ

قال: فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحبٍ في تُرس عامرٍ، وذهب عامر يسفلُ له فرجع سيفُه علىٰ نفسه، فقطع أكحله فكانت فيها نفسه.

قال سلمة: فخرجتُ فإذ نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بَطَلَ عملُ عامر، قال رسول الله ﷺ: «**من قال ذٰلك؟ قال قُلتُ ناسٌ من أصحابك قال: كذب من قال ذٰلك بل لهُ أجره مرتين**» ثم أرسلني إلىٰ علي، وهو أرمدُ فقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله» قال: فأتيتُ عليًّا فجئت به أقوده وهو أرمد، حتىٰ أتيتُ به رسول الله ﷺ فبسق في عينيه فبرأ وأعطاه الرَّاية وخرج مرحبٌ فقال:

قد علمتُ خيبرُ أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهَّبُ

فقال علي:

أنا الذي سمَّتني أمي حيدرة كليثِ غاباتٍ كريه المنظرة

أُوفِيهم بالصاع كيلَ السَّندرة

قال: فضرب رأس مرحبٍ فقتله ثم كان الفتح علىٰ يديه[1].

ميزات جهاد المحسنين:

١ـ أنَّ جهادهم في سبيل الله، ولرفع كلمة الله تعالىٰ ، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء، الآية: ٧٦].

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل حَمِيَّةً، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياءً فأيُّ ذٰلك في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[2].

٢ـ معرفة أحوال عدوهم الدينية والتثبت منها، والحكم علىٰ الناس بظواهرهم، وهٰذه الميزة وإن كانت واجبة في حق كل مجاهد إلاَّ أنَّ المحسنين أشد تثبتًا لها، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٤٣٣) (١٨٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٧١٤) (٧٠٢٠)، ومسلم (٢٤٠٦). واللفظ له.

فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء، الآية: ٩٤].

٣ـ أنهم قوم صُبُرٌ عنداللقاء، لا يهنون، ولا يضعفون، ولا يستكينون لما أصابهم.

٤ـ الاستغفار من الذنوب لعلمهم أنّها أول طلائع الهزيمة.

٥ـ اليقين بأنَّ الثبات والنصر بيدالله لا بأيديهم وأنَّ الدعاء سبب في حصوله.

٦ـ طلب الثواب من الله تعالىٰ وحده.

يدل علىٰ ذٰلك كله قوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٦، ١٤٨].

٧ـ الاستمرارية في الجهاد وإن نالتهم الرماح وأخذت منهم السيوف لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢].

٨ـ الثقة بوعد الله لمن نصره بالنصر كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج، الآية: ٤٠].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الجهاد:

إذا قام المؤمن بشعيرة الجهاد بأنواعه الأربعة المذكورة علىٰ وجه الإخلاص التام والإتقان الكامل لأعماله حتىٰ يغلب علىٰ قلبه كأنه يشاهد ربه تعالىٰ آمرًا له به ومرغِّبًا له فيه يمده بالصبر والثبات واليقين بالنصر الموعود استحق مرتبة الإحسان.

من ثمرات الجهاد:

١ـ أنَّه من أفضل الأعمال وأحبها عندالله تعالىٰ.

٢ـ عظم أجر المجاهدين.

٣ـ فيه إعلاء كلمة الله في الأرض.

٤ـ فيه صون لحرمات المسلمين ومقداساتهم.

٥ـ دليل علىٰ حسن الظن بالله وقوة الدين.

٦ـ فيه تزكية للنفوس ودفع للشيطان والهوىٰ.

٧ـ فيه دعم لموارد الدولة الإسلامية وأفرادها.

الرابع عشر : الهجرة:

الهجرة لغة:

الهجرة: هي الاسم من الهَجر أو الهِجران، مأخوذة من مادة (هـ ج ر) التي تدل معنيين:

الأول: القطيعة، والآخر: شد شيء وربطه، فمن الأول: أخذ الهجرُ: ضدالوصل وكذٰلك الهجران، وقولهم هاجر القوم من دار إلىٰ دار: تركوا الأولىٰ للثانية، كما فعل المهاجرون، حين هاجروا من مكة إلىٰ المدينة.

وقال ابن منظور ـ رحمه الله ـ الهِجْرَةُ والهُجْرَةُ: الخروج من أرض إلىٰ أرض... والمهاجرون الذين ذهبوا مع النبي ﷺ مُشْتَقٌّ منه[١].

واصطلاحًا:

هي ترك الوطن الذي بين الكفار، والانتقال إلىٰ دار الإسلام[٢].

وقال الراغب ـ رحمه الله ـ: الهِجرةُ الخروج من دار الكفر إلىٰ دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلىٰ المدينة، وقيل: مقتضىٰ ذٰلك هجران الشهوات والأخلاق الذميمة، والخطايا وتركها ورفضها[٣].

المراد بدار الكفر، ودار الإسلام:

١ـ دار الكفر: هي التي يحكمها الكفار، وتجري فيها أحكام الكفر، ويكون النفوذ فيها للكفار وهي علىٰ نوعين:

أـ بلاد كفار حربيين.

ب ـ بلاد كفار مهادنين بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة فتصير إذا كانت الأحكام للكفار. دار كفر، ولو كان بها كثير من المسلمين.

٢ـ ودار الإسلام: وهي التي يحكمها المسلمون، وتجري فيها الأحكام الإسلامية ويكون النفوذ فيها للمسلمين ولو كان جمهور أهلها كفارًا[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها، بل هي صفة عارضة بحسب سكانها، فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذٰلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذٰلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذٰلك الوقت، فإنَّ سكنها غير ما ذكرنا وتبدلت

---

(١) مقاييس اللغة (٦/ ٣٤) واللسان(٥/ ٢٥٠).

(٢) التعريفات (٢٥٦).

(٣) المفردات (٥٣٧).

(٤) الفتاوىٰ السعدية للشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١/ ٩٢).

بغيرهم فهي دارهم[1] فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلمًا، وتارة كافرًا وتارة مؤمنًا، وتارة منافقًا، وتارةً برًا، وتارةً فاسقًا وتارةً فاجرًا شقيًا»[2].

أقسام الهجرة:

تنقسم الهجرة إلىٰ قسمين رئيسين:

الأول: الهجرة المكانية، والثانية الهجرة القلبية والسلوكية.

والهجرة الأولىٰ نوعان:

النوع الأول: الانتقال من بلد الكفر إلىٰ بلد الإيمان، ويشترط فيها أن تكون الدولة والغلبة لأهل الإيمان بحيث تقام الشريعة وشعائر الدين.

والنوع الثاني: الانتقال من بلد الكفر الذي لا يأمن المرء المسلم فيه علىٰ دينه، ولا يستطيع القيام بشعائره إلىٰ بلد كافر يأمن فيه علىٰ دينه ويستطيع القيام بشعائره ويشترط فيه شرطان:

الأول: أن لا يوجد دار للإيمان أصلاً وليس هناك، عصبة مؤمنة تسعىٰ لإيجادها أو لا تستطيع.

والثاني: أن يكون بلد الكفر المهاجر إليه بلد يدفع الظلم عن المسلم ويؤمن له الحرية الدينية، في ممارسة شعائرة، وأن لا ينوي الإقامة الدائمة، بحيث إنه لو وجدت دار إيمان كان عليه الهجرة إليها.

يؤيد ذٰلك هجرة المسلمين في صدر الإسلام إلىٰ الحبشة فرارًا من أذىٰ قريش، وهجرة رسول الله ﷺ والمسلمين قبله وبعده ومعه إلىٰ المدينة.

القسم الثاني: الهجرة القلبية والسلوكية، وهي نوعان:

النوع الأول: الهجرة القلبية وهي: الهجرة إلىٰ الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللَّجأ والافتقار في كل نَفَسٍ إليه.

والنوع الثاني: الهجرة السلوكية وهي الهجرة إلىٰ رسول الله ﷺ في حركاتنا وسكناتنا الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله تعالىٰ ومرضاته ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد[3].

قال العز بن عبدالسلام ـ رحمه الله ـ: «الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان، وأفضلها هجرة الإثم والعدوان لما فيها

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٢٨٢).

(٢) المرجع السابق (٨/ ٢٨٤).

(٣) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (١/ ٢٠).

من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان»[1] يدعم ذلك ما روي عن عبدالله بن السعدي ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا تنقطع ما دام العدو يُقاتِلُ**» فقال معاوية وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله ابن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم ـ إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الهجرة خصلتان:**

إحداهما أن تهجر السيئات والأخرىٰ أن تهاجر إلىٰ الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلَتْ التَّوبةُ، ولا تزال التوبةُ مقبولةً حتىٰ تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبع علىٰ كل قلب بما فيه، وكُفي الناسُ العمل»[2].

وعن عبدالله بن عمروبن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهىٰ الله عنه**»[3].

وقد يردُ اشكال مع هٰذه الأحاديث وما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ يوم افتتح مكة: «لا هجرة ولٰكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا. . .»[4] الحديث.

ووجه الإشكال إثبات الهجرة في النصوص السابقة ونفيها هنا، ومما يحل هٰذا الاشكال أن يقال لا هجرة بعد الفتح من مكة لأنَّها صارت دار إسلام، وأما الهجرة من دار الكفر إلىٰ دار الإسلام فهي باقية إلىٰ يوم القيامة.

وأما الهجرة في القسم الثاني فلا إشكال فيها وهي واجبة علىٰ كل أحد.

فضل الهجرة:

ممَّا طبع عليه الإنسان حب بلده الذي نشأ وترعرع فيه واستنشق عبيره، وسار في جنباته، وارتوى من مائه، وتغذى من نتاج ترابه حتىٰ امتزج بلحمه ودمه يستسهل مقارعة الخطوب والمخاطرة بالنفس من أجله يصعب عليه مفارقته وإن كان إلىٰ بلد آخر، أحسن مقيلاً منه، من هنا كانت الهجرة عسيرة علىٰ النفس يضاف إلىٰ ذٰلك ما يجده المهاجر في المفارقة من لوعة علىٰ الأهل والمال، ومشاق جسام في السفر كما جاء عن عبدالله بن عدي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله إنَّك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليَّ، ولولا أني أُخرِجْتُ منك ماخرجت**»[5] يعني مكة

---

(١) شجرة المعارف والأحوال (٣٨٣).

(٢) مسند أحمد(١/ ١٩٢) (١٦٧٦) وصحح إسناده أحمد شاكر (٣/ ١٣٣، ١٣٤) (١٦٧١).

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٣) (١٠).

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٦٥١) (١٧٣٧).

(٥) سنن الترمذي(٥/ ٧٢٢) (٣٩٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٩٢) (٧٨٠٩). =

والهجرة أصدق الأعمال علىٰ صحة الإيمان لذا كانت الهجرة من أشرف الأعمال الإيمانية قاطبة وأعظمها أجرًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة، الآية: ٢٠ ـ ٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢١٨] وقال تعالىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٣ ـ ١٩٥]وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل، الآية: ٤١، ٤٢] وقد زكىٰ الله المؤمنين المهاجرين وشهد لهم بالإيمان والصدق كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال، الآية: ٧٤] وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر، الآية: ٨] وعن أبي فاطمة ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: يا رسول الله! حدثني بعمل أستقيم عليه وأعمله قال له رسول الله ﷺ: «**عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها**»(١).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ يومًا حين طلعت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «**سيأتي أناس من أمتي يوم القيامة نورهم كضوء الشمس**» قلنا: من أولئك يا رسول الله؟ فقال: «فقراء المهاجرين، الذين تتقىٰ بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره يحشرون من أطار الأرض»(٢).

وقد قرر القرآن الكريم والسنة النبوية أفضلية السابق بالهجرة علىٰ اللاحق كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

---

(١) سنن النسائي (٧/ ١٤٥) (٤١٦٨) وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع (٣٩٢٤) وانظر: الصحيحة (١٩٣٧).

(٢) مسند أحمد(٢/ ١٧٧) (٦٦٥٩) وصحح أحمد شاكر إسناده (١٠/ ١٣٦) (٦٦٥٠).

﴿ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠]

وعن أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانو في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا، ولا يؤمن الرجلُ الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته علىٰ تكرمته إلاّ بإذنه»**(١)

وقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يرون أفضلهم أقدمهم هجرة إلىٰ الرسول ﷺ فعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، اللهمَّ أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلاَّ أخلف الله له خيرًا منها، قالت: فلما مات أبوسلمة قلتُ: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلىٰ رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ . .» الحديث**(٢)

وقد كان النبي ﷺ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتخوفون علىٰ ثواب هجرتهم؛ لعظم أجرها كما جاء عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل مكة قال: **«اللَّهمَّ لا تجعل منايانا بها حتىٰ تخرجنا منها»**(٣).

وفي حديث سعد بن أبي وقاص وقال: ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«. . اللهمَّ أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم علىٰ أعقابهم، لـٰكن البائس سعد بن خولة، يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة»**(٤)

الهجرة عند الحاجة إليها من صفات المحسنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر، الآية: ١٠]

وقال الله تعالىٰ عن موسىٰ ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٦٥) (٦٧٣).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٦٣١) (٩١٨).

(٣) مسند أحمد(٢/ ٢٥) (٤٧٧٧) وصحح أحمد شاكر إسناده (٧/ ٩) (٤٧٧٨).

(٤) صحيح البخاري ، الفتح (٣/ ١٦٣) (١٢٩٥).

وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

[القصص، الآية: ٢٠ ـ ٢٥]

وقال تعالىٰ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِي وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت، الآية: ١٦ ـ ٢٦]

وقال تعالىٰ عن محمد ﷺ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

[التوبة، الآية: ٤٠]

صور من هجرة المحسنين:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: **«هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء، فأرسل إليه أن يا إبراهيم مَنْ هٰذه التي معك؟ قال: أختي، ثم رجع إليها فقال: لا تُكذِّبي حديثي، فإني أخبرتهم أنك أختي والله إنْ علىٰ الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك، فأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت توضأ، وتصلي فقالت: اللهمَّ إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلاَّ علىٰ زوجي فلا تسلط عَلَيَّ الكافر فغُطَّ حتى ركض برجليه»**.

قال الأعرج: قال أبوسلمة بن عبدالرحمن: إنَّ أبا هريرة قال: «**قالت: اللَّهم إنْ يمُت يقال هي قتلته فأرسل ثم قام إليها فقامت توضأ وتُصلي وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلاَّ علىٰ زوجي، فلا تسلط عليَّ هـٰذا الكافر فغُطَّ حتىٰ ركض برجله**»

قال أبوسلمة بن عبدالرحمن: قال أبوهريرة: فقالت: «**اللهمَّ إن يمُت فيُقال هي قتلته فأرسل في الثانية أو في الثالثة، فقال: والله ما أرسلتم إليَّ إلاَّ شيطانًا أرجعوها إلىٰ إبراهيم وأعطوها أجرًا، فرجعت إلىٰ إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقالت: أشعرت أنَّ الله كبت الكافر وأخدم وليدة**»(١)

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: أقبل نبي الله إلىٰ المدينة وهو مُردف أبابكر وأبوبكر شيخٌ يعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف قال: فيلقىٰ الرجل أبابكر فيقول: يا أبابكر! من هـٰذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هـٰذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسِبُ الحاسب أنَّه إنما يعني الطَّريق، وإنَّما يعني سبيل الخير، فالتفت أبوبكر فإذا هو بفارسٍ قد لحقهم فقال: يا رسول الله! هـٰذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: اللهم اصرعه فصرعه الفرس، ثم قامت تُحمحم، فقال يانبي الله مرني بما شئت قال: فقف مكانك، لا تتركنَّ أحدًا يلحق بنا قال: فكان أول النَّهار جاهدًا علىٰ نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له، فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرَّة ، ثم بعث إلىٰ الأنصار، فجاءوا إلىٰ نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا: ركبًا آمنين مطاعين فركب نبي الله ﷺ وأبوبكر وحفُّوا دونهما بالسلاح فقيل في المدينة: جاء نبي الله جاء نبي الله ﷺ فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله فأقبل يسير حتىٰ نزل جانب دار أبي أيوب، فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبدالله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلىٰ أهله فقال نبي الله ﷺ: «**أي بيُوت أهلنا أقرب؟**» فقال أبوأيوب: أنا يا نبي الله هـٰذه داري وهـٰذا بابي قال: فانطلقْ فَهَيِّءْ لنا مَقِيلاً، قال: قومنا علىٰ بركة الله فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبدالله بن سلام فقال: أشهد أنَّك رسول الله ﷺ وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمتُ قالوا فِيَّ ما ليس فيَّ فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود! ويلكم اتَّقوالله، فوالذي لا إلـٰه إلاَّ هو إنَّكم لتعلمون أني رسول الله حقًا وأني جئتكم بحقٍ**

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٧٧٢) (٢١٠٤).

فأسلموا» قالوا: ما نعلمه قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مِرار قال: «فأي رجل فيكم عبدالله بن سلا م؟» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم قال: «يابن سلامٍ، اخرج عليهم فخرج» فقال: يا معشر اليهود، اتَّقوا الله، فوا الذي لا إلـٰه إلاَّ هو، إنّكم لتعلمون أنَّه رسول الله، وأنَّه جاء بحقٍ فقالوا: كذبتَ ، فأخرجهم رسول الله ﷺ[1]».

تحقيق مرتبة الإحسان في الهجرة:

إذا هاجر المؤمن إلىٰ الله تعالىٰ بقلبه وقالبه، وفارق دار الكافرين ابتغاء مرضاة الله، ونصرة للدين، وتكثيرًا لسواد المؤمنين؛ متوكلاً علىٰ الله تعالىٰ، صابرًا علىٰ لوعة الفراق، ومشاق السفر واستشعر معية الله ونصرته، وحفظه وتأييده له يسأله من فضله، وهو علىٰ حالة من الإخلاص والإتقان، وكأنه يرىٰ ربه تعالىٰ لا يحجبه عنه شيء، فقد أحسن في هجرته ووقع أجره علىٰ الله تعالىٰ.

من ثمرات الهجرة:

١ـ دليل علىٰ صدق الإيمان ومحبة الله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

٢ـ وسيلة فاعلة لإصلاح النفس وزيادة الإيمان.

٣ـ السعة في الرزق كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء، الآية: ١٠٠].

٤ـ فيها تقوية للعصبة المؤمنة علىٰ ممارسة شعائرها وإقامة دولتها.

٥ـ الفوز بالرضوان الإلـٰهي والكرامة الأخروية.

---

(١) صحيح البخاري، الفتح (٧/ ٢٤٩) (٣٩١١).

المبحث الثالث
إحسان الإنسان مع نفسه باطنًا وظاهرًا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **الإحسان مع النفس باطنًا**

المطلب الثاني: **الإحسان مع النفس ظاهرًا**

المطلب الأول
الإحسان مع النفس باطنًا

عندما تحدثت الشريعة الإسلامية ممثلة في الكتاب العزيز والسنة النبوية عن باطن الإنسان كان الحديث يدور علىٰ عدة مسميات ربما يعبر بواحد منها عن الجميع وربما يعبر بواحد منها عن مجموعة وربما يعبر عن كل واحد بانفراده وذٰلك لما بين تلك المسميات من تقارب وارتباط وتشابه في الوظائف والأداء وهٰذه المسميات هي: النفس أو الروح، والصدر، والقلب، والفؤاد، والفكر، واللب، والعقل، والحِجر والنهي، وحيث إنَّ هٰذه الوحدات جعل الله لها القدرة علىٰ الاستجابة للخير والشر وفقًا لمؤثرات معينةٍ، وأنَّ ما يصدر عنها من سلوكيات للإنسان هو نتاج تلك المؤثرات فيها كان لا بد من الإحسان إليها بالمؤثرات الخيرية ودفع المؤثرات الشريرة عنها تلك المتمثلة في وساوس الشيطان الداعية للإثم والعدوان، وفي استعراض سريع عن معرفة هٰذه الدواخل الإنسانية نستطيع أن نحددها ونحدد صفاتها وكيفية الإحسان إليها:

أولاً: النفس :

أ ـ نشأتها:

المقرر في الشريعة أنَّ النفس الإنسانية مخلوقة لله تعالىٰ وأنَّ النفوس جميعًا من أصل نفس واحدة وهو آدم عليه السلام، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء، الآية: ١] وقد يراد بها الروح والجسد أو الروح فقط.

ب ـ نهاية النفس:

النفس هي التي تذوق الموت، وهٰذا يعني أنَّ لها عمرًا ترد فيه إلىٰ الله لمجازاتها عما قدمت إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء، الآية: ٣٥]

ج ـ أصناف النفوس:

النفوس ثلاثة أصناف:

الأولىٰ: النفس المطمئنة، وهي التي قبلت الهدىٰ وعملت به ودعت إليه قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر، الآية: ٢٧ ـ ٣٠]

والثانية: النفس اللوامة وهي النفس التي تلوم صاحبها علىٰ فعل الشر والتقصير في فعل الخير قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾

[القيامة، الآية: ٢].

والثالثة: النفس الأمارة بالسوء أو المسولة وهي النفس التي لم تقبل الهدىٰ وتدفع بصاحبها إلىٰ الإثم كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾ [يوسف، الآية: ٥٣] وقال تعالىٰ: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ ﴾ [يوسف، الآية: ١٨]

الإحسان إلىٰ النفس:

يقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـࣳـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ ﴾ [الإسراء، الآية: ٧] والإحسان إلىٰ النفس يكون بأخذ الأسباب التي تصير بها مطمئنة وهي:

١ـ أمر النفس بالبر كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة، الآية: ٤٤].

٢ـ عمل الصالحات كما قال تعالىٰ: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ ﴾ [فصلت، الآية: ٤٦].

٣ـ وقايتها من عذاب الله كما قال تعالىٰ: ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم، الآية: ٦].

٤ـ التسليم لأحكام الشريعة الإسلامية كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾ [النساء، الآية: ٦٥].

٥ـ ذكر الله تعالىٰ وطلب المغفرة منه: كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ ﴾ [آل عمران، ا لآية: ١٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ . . ﴾ [القصص، الآية: ١٦]

٦ـ أداء الزكاة والصدقات كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ۝٢٠ ﴾ [المزمل، الآية: ٢٠].

٧ ـ السمع والطاعة للأوامر الشرعية كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ ﴾ [التغابن، الآية: ١٦].

٨ـ البعد عن اليأس والقنوط من رحمة الله كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ

ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر، الآية: ٥٣].

٩- الحذر من تزكية النفس كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم، الآية: ٣٢].

١٠- العدل كما قال تعالىٰ: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا﴾ [النساء، الآية: ١٣٥].

١١- الحذر من الشح كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ [فاطر، الآية: ١٨] وقوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس، الآية: ٩، ١٠].

١٢- تزكية النفس بالطاعات كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ [فاطر، الآية: ١٨].

١٣- الجهاد بأنواعه كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ [العنكبوت، الآية: ٦] وقال تعالىٰ ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة، الآية: ١١١].

١٤- شكر الله تعالىٰ على القليل والكثير، كما تعالىٰ: ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [لقمان، الآية: ١٢].

١٥- ملازمة الصالحين والإفادة منهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف، الآية: ٢٨]

١٦- نهىٰ النفس عن الهوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠﴾ [النازعات، الآية: ٤٠].

١٧- التقديم للنفس بالذرية الصالحة كما قال تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٣].

١٨- ترك الأسف علىٰ من أخلد إلىٰ الأرض واتبع هواه مع القيام بواجب النصح له كما قال تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء، الآية: ٣].

١٩- الهجرة إلىٰ بلد الإيمان كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ [النساء، الآية: ٩٧].

٢٠ـ التفكر في النفس وما تحمله من مشاعر كما قال تعالىٰ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات، الآية: ٥١][1]

وبالجملة فكل معصية ظلمٌ للنفس وكل طاعةٍ إحسانٌ إليها ومما يحسن به إلىٰ النفس التخفف مما يُلْحِقُ بها العناء والتعب من الدنيا وزينتها.

١٢ـ البعد عن كل ما يرهق النفس ويضرها من المطعومات والمشروبات والمشاهدات، والمسموعات، والمقروءات إلخ. والوسائل لها حكم المقاصد ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾.

---

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية لحبنكة(١/ ٢٣٣ـ ٢٥٦).

ثانيًا: الصدر :

جاءت الآيات القرآنية مفردة الصدر بأوصاف وأعمال بمعرفتها ومعرفة أضدادها يمكن تحديد مبدأ الإحسان إليه وهٰذه الخصائص الصدرية هي:

الانشراح والضيق: كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٥] ويحصل في الصدر مشاعر الرهبة والكبر، والغيظ، والغل والبغضاء والإكبار، والإعظام قال تعالىٰ: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم﴾ [الحشر، الآية: ١٣] وقال تعالىٰ: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾ [غافر، الآية: ٥٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف، الآية: ٤٣] وقال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٠، ٥١] وحاجات النفس تتمركز في الصدر كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر: ٩] وأنَّ وساوس الشيطان تصل إلىٰ مشاعره كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس] وأنَّ منابع الأعمال القيادية في الصدر لذٰلك فهي التي يُوَجَّهُ لها الامتحان الرباني كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٤] وأنَّ في الصدر تثبت آيات القرآن التي تُجَلِّي الحقائق له ويشفي بها من الأمراض النفسية، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٩] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس، الآية: ٤٩].

والإحسان إلىٰ الصدر يكون بجلب المنافع له ودفع المضار عنه وسبيل تحصيل المنافع له ودفع المضار عنه يكون بالآتي:

١ـ اليقين التام بأنَّ القرآن وحده الشفاء لمافي الصدور من الآلام والمشاعر السيئة.

٢ـ إدامة تلاوة القرآن الكريم بتدبر وحفظ المستطاع منه.

٣ـ الاستعاذة بالله تعالىٰ من وساوس شياطين الإنس والجن.

٤ـ الدعاء الصادق واللجأ إلىٰ الله تعالىٰ بانشراح الصدر.

٥ـ التحرز بأخذالوسائل والاحتياطات اللازمة لدفع المشاعر السلبية عن الصدر.

٦ـ المراقبة الدائمة والمحاسبة الصادقة لما يجده الإنسان في صدره علىٰ ضوء الموازين الشرعية.

٧ ـ عدم اليأس من انشراح الصدر وسلامته وإدامة المجاهدة لصلاحه.

ثالثًا: القلب:

خصائصه، ووظائفه، وأمراضه، ودواؤه[1]، والإحسان إليه.

عندما نتتبع آيات القرآن الكريم نجد أنَّ القلب يكون عبارة عن المركز الرئيس للنفس.

والقلب إما أن يكون سليما طاهرًا بريئًا من العلل والأمراض وهي الشبهات والشهوات وعندئذ يكون الإنسان متمتعًا بعمق الصحة النفسية القلبية، والقلب السليم الطاهر هو القلب المؤمن بالله الذاكر له، المخبت الخاضع المطمئن المستسلم لأحكامه وشرائعه، الراضي بقضائه وقدره الواثق بفضله ورحمته، والبريء من خلائق السوء وإرادات المعصية، ونيات الإثم والفسوق والعصيان قال الله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء، الآية: ٨٧، ٨٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [الصافات، الآية: ٨٣ ـ ٨٧]

وإما أن يكون القلب سقيمًا لما يتعرض له من العلل والأمراض، فتهبط درجات الصحة النفسية القلبية لديه إلىٰ مستويات متفاوتة حسب تلك العلل والأمراض، ومتىٰ تكاثرت علىٰ القلب أدناس الإثم والعدوان وإرادات السوء والشر، أصابته الأمراض الخطيرة وأشدها النفاق والكفر بالله تعالىٰ.

ودوام العلل المرضية تميت فيه حِسَّ الخير، فيقسو ويتصلب حتىٰ يكون كالحجارة أو أشد قسوة، لا يتذكر مهما ذكر بالخير ومن باب أولىٰ أن لا يستجيب له، فينصرف عن آخرته وما يقرب إلىٰ ربه إلىٰ دنياه وشهواته العاجلة بل يقف أحيانًا عدوًا للحق ويحمله وهٰذا هو القلب الميت إلاَّ أنَّه من رحمة الله تعالىٰ أن يسَّر للقلوب المريضة علاجًا تشفى به إن هي أخذته بحقه.

أسباب أمراض القلوب:

مهما تعددت الأسباب فإنَّها في الجملة لا تخرج عن سببين:

الأول: أسباب تعود إلىٰ الشبهات منها:

١ـ الشك في قدرة الله علىٰ معرفة ما في القلوب كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ۝٢٩﴾ [محمد، الآية: ٢٩]

٢ـ الشك في قدرة الله تعالىٰ علىٰ تحويل المستحيلات، كما قال تعالىٰ عنهم في معركة بدر لما رأوا قلة المسلمين وكثرة المشركين: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ

---

(١) انظر الحديث عن هذه العناصر الأربع في الأخلاق الإسلامية لحبنكة (١/ ٢٦٥ـ ٣٠٩).

﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنفال، الآية : ٤٩].

والسبب الثاني: يعود إلىٰ الشهوات، ومنها:

١- الرغبة والميل إلىٰ النساء المحرمات عليه كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٢].

٢- ومنها الاستغراق في متاع الحياة الدنيا وزينتها كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنبياء، الآية: ٣].

٣- ومنها طول الأمد في النعمة والرفاهية المادية وارتكاب المعاصي، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد، الآية: ١٦].

دواء القلوب:

كما أنَّ القلوب تمرض فكذٰلك تشفىٰ، فلكل داء من أدوائها دواء يستطب به، فمن أخذه بحقه متوكلاً علىٰ الله مستيقنًا بقدرته تعالىٰ علىٰ الشفاء صابرًا عافاه الله منه.

فعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تُعْرَضُ الفِتَن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبها نُكِتَ فِيه نكتة سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكت فيه نكت بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنةٌ مادامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبادًّا، كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلاَّ ما أُشرب من هواه»**(١).

وأدوية أمراض القلوب كثيرة وأهمها:

١- اليقين التام بأنَّ الله تعالىٰ يعلم ما في القلوب، وما يلج إليها، وما يصدر عنها، وقدرته تعالىٰ علىٰ الحيلولة بين المرء وقلبه، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب، الآية: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

---

(١) صحيح مسلم (١/١٢٨) (١٤٤).

﴿يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال، الآية: ٢٤] فلا يكون في القلب شيء ولا يصدر منه شيء إلاَّ ويعلمه الله وما لم يرده تعالىٰ مما يخالف قدره العام يمنعه تعالىٰ من الدخول.

وهٰذا يستدعي الحرص التام علىٰ سلامة القلوب، وطهارتها قبل مرضها، والسعي الحثيث علىٰ صحتها بعد مرضها، بالوسائل الشرعية.

٢ـ العلم بأنَّ مرض القلب وشقاءَهُ مقدور للعبد وأوله بيده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف، الآية: ٥] وقال تعالىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة، الآية: ١٠] وفي المقابل يقول تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد، الآية: ١٧] وكل ذٰلك إرادة الله تعالىٰ.

٣ـ العلم النافع المبدد للشبهات، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٢].

٤ـ الإيمان بالله تعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن، الآية: ١١]، وهٰذا يستلزم الإيمان بشرائع الدين كلها، وأولها وأهمها التوبة النصوح، التي تفرغ القلب من أمراضه وتبعثه من موته.

٥ـ معرفة مكائد الشيطان والحذر من اتباع خطواته والمجاهدة في دفع وساوسه وسد مداخله علىٰ القلب، وذٰلك باللجوء إلىٰ الله تعالىٰ والاستعاذة به جلَّ وعلا منه، وطلب النصرة علىٰ هٰذا العدو الذي لا يفتر إذ أنَّ كل خطيئة هو سببها كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر، الآية: ٦] وكما حكىٰ الله تعالىٰ قول الشيطان لعنه الله: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٦، ١٧].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: **«إذا نودي بالصلاة أدبر، فإذا قضي أقبل حتىٰ يخطر بين الإنسان وقلبه فيقول: اذكر كذا وكذا حتىٰ لا يدري أثلاثًا صلىٰ أم أربعًا فإذا لم يدر ثلاثًا صلَّىٰ أو أربعًا سجد سجدتي السهو»**(١).

وعن سليمان بن صرد ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ

---

(١) صحيح البخاري (٣/١١٩٦) (٣١١١).

ورجلان يستبان فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد، فقالوا له إنَّ النبيَّ ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون**»(1)

ومكائد الشيطان كثيرةٌ جدًّا يطول حصرها، وقد أطال الحديث عنها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان.

٦ـ الدعاء الصادق، والتضرع الحثيث إلىٰ الله تعالىٰ، بإزالة ما في القلوب من أمراض، ودوام معافاتها كما قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر، الآية: ١٠] وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران، الآية: ٨].

والأحاديث في هـٰذا كثيرة منها:

ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول: «**اللَّهمَّ إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شرِّ فتنة الغنىٰ وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال اللهمَّ اغسل عني خطاياي بالماء والثلج والبرد ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب**»(2).

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان أكثر دعائه ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**»، قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك: «**يامقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**»؟ قال: «**يا أم سلمة، إنَّه ليس آدمي إلاَّ وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**»(3).

٧ـ إدامة ذكر الله تعالىٰ بقراءة القرآن الكريم والأذكار الصحيحة النبوية كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد، الآية: ٢٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء، الآية: ٨٢].

٨ـ التفكر والتأمل والتدبر في ملكوت الله تعالىٰ، مما خلق في الأرض

---

(1) صحيح لبخاري (٣/ ١١٩٥) (٣١٠٨).
(2) صحيح البخاري (٤/ ٢٣٤١) (٦٠٠٧).
(3) سنن الترمذي(٥/ ٢٣٨) (٣٥٢٣). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٧١) (٢٧٩٢).

والسماء، كما قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج، الآية: ٤٦].

٩ـ تعظيم شعائر الله تعالىٰ لقوله جلَّ وعلا: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج، الآية: ٣٢].

١٠ـ ومن الأدوية أدوية طبعية مثل إزالة مرض حزن القلب وهمه بإزالة المادة التي تسببت فيه.

الإحسان إلىٰ القلب:

إذا عرفنا ما سبق فإنَّ الإحسان إلىٰ القلب علىٰ وجه الاختصار يكون بتوفير ما يحتاج إليه مما يحفظ عليه قوته وهو الإيمان وإرادة الطاعات وحميته عن المؤذي الضار، وذٰلك باجتناب الآثام والمعاصي ، وأنواع المخالفات، واستفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له، وذٰلك بالتوبة النصوح، وإبعاده عن كل مطعوم، أو مشروب، أو مركوب، أو ملبوس، أو منكوح حرام، واستغفار غافر الخطيئات[1].

---

(١) انظر: إغاثة اللفهان لابن القيم(١/١٧).

رابعًا: العقل:

تعريفه في اللغة: يقول ابن فارس ـ رحمه الله ـ العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عُظمُه علىٰ حُبْسَةٍ في الشيء أو ما يقارب الحُبْسة ومن ذلك العقل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل(١).

واصطلاحًا:

هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة العقل أيضًا، ويقال: لما يَحْبِس النفس عن هواها عقل(٢)

ويسمىٰ الحجر والنُّهَي لأنَّه يمنع صاحبه وينهاه عما لا يحسن ويسمىٰ اللب: وهو العقل الخالص من الشوائب(٣) وضده الحماقة.

موارد تنمية العقل وكماله:

هناك موارد بموجبها ينمو العقل ويؤدي وظائفه وهي:

المورد الأول: مورد التلقي ويجب أن يكون سالمًا من الخطأ وأصح الموارد العلمية كتاب الله تعالىٰ وما صحَّ من سنة رسوله ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النور، الآية: ٦١].

المورد الثاني: التفكر والنظر في الآيات الكونية وأحوال الأمم السابقة وعواقب الأمور كما قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج، الآية: ٤٦] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون، الآية: ٨٠] وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنعام، الآية: ٥٠] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنعام، الآية: ٣٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الصافات، الآية: ١٣٨] وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ

(١) مقاييس اللغة (٦٧٢).
(٢) انظر: بصائر ذوي التميز (٤/ ٨٥).
(٣) انظر: المفردات (٤٤٦).

لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه، الآية: ١٢٨]

معوقات العقل:

مما يعوق حقيقة العقل عدم استناده إلىٰ النتائج العلمية الصحيحة فتكون إدارته حمقاء وإن كانت حازمة لأنَّها خاضعة للهوىٰ وشفاء ذٰلك العلم الصحيح المستند إلىٰ الكتاب والسنة، والأدهىٰ من ذٰلك أن يبتكر العقل علومًا نافعة غير أنَّها لم تكن حاجزة للنفس عن رعوناتها، التي تدفع بها إلىٰ الهلكة، وشفاء ذٰلك معرفة الله تعالىٰ

بأسمائه وصفاته واليقين بمبدأ الثواب والعقاب الإلٰهي.

الإحسان إلى العقل:

مما سبق يمكن استخلاص الكيفية التي يمكن، بموجبها الإحسان إلىٰ العقل وذٰلك أولاً بتنمية الاستعدادات الفطرية التي تتقبل العلم ودفع الصوارف عنها ومنها: ما هو طبيعي كالإنصات والاستماع والمذاكرة والسؤال والتفكر والنظر والتأمل والحفظ ومنها ما هو شرعي ويتمثل في فعل الطاعات فإنَّها تنور العقل وتصقله وترك المعاصي فإنَّها تحجب العقل وتسوده قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٢].

وثانيًا: باهتدائه بالمعارف النافعة في الدنيا والآخرة وخيرها ما كان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وماله علاقة بهما.

وثالثًا: بالاستجابة لأوامره ونواهيه الحقة المنطلقة من الشريعة الإسلامية وعدم معارضتها بمعقولات أخرىٰ أو تسلُّطٍ من النفس الشهوانية.

صفات العقول الحسنة:

جاء في سورة الرعد صفات أولي الألباب في قوله تعالىٰ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد، الآية: ١٩ـ ٢٢].

وهـذا هو الحق الذي يسلم به الكافرون يوم القيامة عندما يقولون فيما حكىٰ الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك]

والمعنىٰ أنَّهم نفوا عن أنفسهم العقل المدرك والموجه للخير؛ لأنَّهم لم يقوموا بما أوجب الله تعالىٰ عليهم.

خامسًا: الفؤاد

الفُؤاد: أصله القلب، ويطلق كثيرًا علىٰ العقل[1].

وقال الراغب ـ رحمه الله ـ الفؤاد كالقلب لٰكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنىٰ التفؤد أي التوقد[2]

ومما يظهر من النصوص الشرعية أن الفؤاد أعماق النفس البشرية مما له ارتباط بالعقل فكأنَّ العقل هو المحرك الرئيسي لما استقر في تلك الأعماق من مشاعر ووجدانات وإرادات.

الإحسان إلىٰ الفؤاد:

بما أنَّ الفؤاد اسم يطلق علىٰ أعماق القلب أو العقل أو هما معًا فإنَّ الإحسان إليه يكون بمعرفة الإحسان إلىٰ كل واحد بانفراده وقد سبق الحديث عن الإحسان إليهما.

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٣٢).

(٢) المفردات (٣٨٢).

المطلب الثاني
الإحسان مع النفس ظاهرًا

من مقاصد الشريعة الإسلامية أن يتميز المسلمون بالعناية بأجسادهم وظواهرهم مطعمًا، ومشربًا، وملبسًا ونظافة، وصحة ومركبًا، وتوسطًا بين الراحة الجسمية والعمل وغيرها من الضروريات التي لا تقوم الحياة إلاَّ بها والحاجيات التي بفقدها تصعب الحياة والتحسينات التي تجعل الحياة جميلة، ولئن كان طائفة من المسلمين أفرطوا في ذٰلك أو فرطوا فإنَّ المحسن الحق هو أولىٰ الناس بتحقيق هٰذا المقصد الشرعي والتوسط فيه، تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ، وأداءً لحق الجسد، وقدوة حسنة للناس فلا يهمل ظاهره لاشتغاله بباطنه ولا يفصل مظهره عن مخبره، بل يجمع بين جمال الظاهر والباطن.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال لي النبي ﷺ: «**ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار» قلتُ: إني أفعل ذٰلك قال: فإنَّك إذا فعلت ذٰلك هَجَمَتْ عينُك وتفهتْ نفسُك، وإنَّ لنفسك حقًا ولأهلك حقًا، فصم وأفطر، وقم ونم**»(1) ومعنىٰ هَجَمَتْ عينك أي: غارت ودخلت في موضعها(2).

وهٰكذا فإنَّ الشريعة الإسلامية عند ما حثت علىٰ العناية بالجسد والاهتمام بالمظهر وأخذ الزينة حذرت من الإفراط والمبالغة في ذٰلك بحيث يصبح المسلم عبدًا لها تُعَدُ شغله الشاغل وهمه الدائم، بل يجب التوسط والاعتدال في ذٰلك كله بما يحقق التوازن بين مطالب الباطن والظاهر.

قال الله تعالىٰ: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾**﴾ [الأعراف، الآية: ٣٢، ٣٣]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة**»(3)

وهٰذا الأمر ينسحب علىٰ ما عداه مما يمكن الإحسان به إلىٰ ظاهر الإنسان.

وهٰذا الظاهر الذي يجب الإحسان إليه يتمثل فيما يأتي:

---

(1) صحيح البخاري(١/ ٣٨٧) (١١٠٢).

(2) النهاية (٥/ ٢٤٧).

(3) سنن النسائي (٥/ ٧٩) (٢٥٥٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٣٩٩).

أولاً: الإحسان مع النفس بالمطعم:

هو أول ما يجب علىٰ المحسن فعله إذ الحياة الإنسانية لا يمكن أن تقوم بغيره وعليه أن يتخير من الطعام أطيبه كما أمر الله تعالىٰ رسله عليهم السلام، والمؤمنين بقوله جلَّ ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون، الآية: ٢٣] وضد الطيب الخبيث وهو حرام علىٰ أهل الإيمان كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٧] والأطعمة نوعان:

حيوان وغيره.

أما الحيوان فكله مباح إلاَّ ما كان نجسًا أو مضرًا أو مستقذرًا وهو نوعان:

حيوان بحري، و بري.

فأما البحري فكله حلال إلاَّ الخبيث المستقذر، وأما البري فكله حلال إلاَّ كل ذي ناب من السباع والخنزير، وكل ذي مخلب من الطير والحمر الأهلية والبغال وما يأكل الجيف وما يستخبث من الحشرات والزواحف[1].

ويشترط لصحة أكله أن يكون داخلاً عليه من وجه حلال إما بتملك أو ما في حكمه وخير الأكل ما كان من كسب اليد، وقد كان نبي الله داود يأكل من كسب يده. وأن تحصل له الذكاة الشرعية إن كان من حيوان البر، وأن لايكون مذبوحًا لغير الله، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ [الأنعام، الآية: ١٤٥] وقال تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾ [المائدة، الآية: ٤، ٥].

والنوع الثاني من الأطعمة ما أحله الله مما تخرج الأرض من نبات وغيره والأصل الإباحة ما لم يكن مستخبثًا قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة، الآية: ١٦٨] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة، الآية: ٨٧] والمحسنون يتحرون الطيبات في مطاعمهم كما حكىٰ الله تعالىٰ عن الفتية المؤمنة التي آوت إلىٰ الكهف

---

(١) انظر: العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي(٢/ ١٨٩، ١٩١).

بقول جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف، الآية: ١٩] والطيب ما كان حلالاً وصحيحًا ومتوازنًا ولا شك أنَّ بعض الطعام أطيب من بعض لذا كان حقًا علىٰ أهل الإحسان أن يحسنوا إلىٰ أنفسهم بأطيب الطيبات إن تيسر ومن ذٰلك ما روىٰ عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان أحب العُراق إلى رسول الله ﷺ عُراقُ الشاة»(١)(٢)

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ يعجبه الذراع، قال: وسُمَّ في الذراع، وكان يرىٰ أنَّ اليهود هم سمُّوه»(٣).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أرادت أمي: أن تُسَمِّنني لدخولي علىٰ رسول الله ﷺ، فلم أقبل عليها بشيء مما تريد، حتىٰ أطعمتني القِثَّاء بالرُّطب فسَمنت عليه كأحسن السِّمَن»(٤).

وكان النبي ﷺ يفضل الثريد علىٰ سائر الطعام.

فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**فضل عائشة علىٰ النساء، كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام**»(٥).

والثريد: هو الخبز مع اللحم النضيج في المرق(٦).

وكان ﷺ يحب الحلواء والعسل، كما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: وكان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل»(٧).

وليس المقصود هنا استقصاء الأطعمة وأنواعها وإنما الإشارة إلىٰ ما ينبغي للمحسن من إحسانه إلىٰ نفسه بتخير ما هو حسن تميل إليه النفس بطبعها مما له فائدة تعود علىٰ الجسم بالصحة والقوة والشبع، وقد أكل النبي ﷺ الحلوىٰ والعسل، وكان يحبهما كما سبق وأكل لحم الجزور، والضأن، والدجاج ولحم الحباري والأرنب، وطعام البحر، وأكل الشواء، وأكل

---

(١) العُراق: جمع عرق بالسكون، العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم، يقال: عرقت العظم وإذا أخذت عنه اللحم بأسنانك، النهاية (٣/ ٢٢٠).

(٢) سنن أبي داود(٤/ ١٤٦)، (٣٧٨٠) وصححه الألباني في صيحح سنن أبي داود (٣١١).

(٣) سنن أبي داود(٤/ ١٤٦) (٣٧٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣١١).

(٤) سنن أبي داود(٣/ ٢٢٤)(٣٩٠٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٣٩) (٣٣٠٣).

(٥) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٧٠) (٥١١٢).

(٦) انظر: النهاية (١/ ٢٠٩).

(٧) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٧١) (٥١١٥).

الرطب والتمر، وأكل القثاء بالرطب، وأكل الأقط، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد كما سبق، وأكل الخبز بالإهالة، وهي الودك، وهو الشحم المذاب، وأكل من الكبد المشوية، وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزيت، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد، وكان يحبه، ولم يكن يردُّ طيِّبًا، ولا يتكلفه، بل كان هديه أكل ما تيسر، فإن أعوزه، صبر حتىٰ إنه ليربط علىٰ بطنه الحجر من الجوع[1].

ومن المسلم به أنَّ الرسول ﷺ أكل هٰذه الأشياء متفرقة، في أوقات وأماكن مختلفة، فإنَّه ﷺ أكل الأطيب الأحسن من غيره عندما وجده وأكل ما هو دونه عند ما لم يجد غيره.

وعلىٰ المحسن أن يجتنب الأطعمة ذات الروائح الكريهة مثل: البصل والثوم والكراث، وما شابهها إلاَّ لضرورة مع إماتة البصل والثوم طبخًا فعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا**»[2].

آداب الطعام:

١ـ التسمية عند أول الطعام والحمد في آخره، فيقول بسم الله، وعند فراغه يقول: «الحمدلله، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفي ولا مُودَّع، ولا مستغنًىٰ عنه ربنا».

٢ـ الأكل باليد اليمنىٰ بثلاثة أصابع إن أمكن.

٣ـ الأكل مما يلي الإنسان من القصعة ونحوها.

٤ـ عدم الأكل مُتَّكِئًا.

٥ـ الاعتدال في الطعام، بقدر الحاجة، من غير شره ونهم، والاكتفاء بما يقيم الصلب، ويحفظ علىٰ الجسم قوته ونشاطه.

فعن مقدام بن معديكرب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما ملأ آدمي وعاءً شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم أُكُلات يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»[3].

٦ـ لعْقُ الأصابع.

٧ـ غسل اليدين والفم.

٨ـ عدم الأكل في آنية الذهب والفضة.

---

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ١٤٧، ١٤٨).

(٢) صحيح البخاري(٥/ ٢٠٧٧)، (٥١٣٧).

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٥٩٠) (٢٣٨٠) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٨١) (١٩٣٩).

ثانيًا: الإحسان إلىٰ النفس بالمشرب:

وكما يجب الإحسان إلىٰ النفس بالطعام كذا يجب الإحسان إليها بالشراب الطيب فإنَّ الآيات الآمرة بتحري الطيب من الطعام، تشمل الشراب إذ أنَّ الجميع غذاء، وكل الأشربة مباحة إلاَّ ما أسكر أو كان نجسًا أو فيه ضرر علىٰ الجسم أو لم يكن مملوكًا أو في حكم المملوك أو فيه ضررٌ علىٰ الجسم، وقد كان النبي ﷺ يحب الحلو البارد، وشرب العسل بالماء، واللبن خالصًا ومشويًا، وشرب نقيع التمر، وشرب زمزم وكان ﷺ يتحرىٰ الماء الطيب كما جاء عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يقول كان أبوطلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالآمن نخل أحبُّ ما له إليه بَيْرُحَاءَ مُستقبلة المسجد وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب..» الحديث[1]

وخير مشروب علىٰ وجه الأرض ماء زمزم وهو لما شرب وهو طعام طعم وشفاء سقم، فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ «**ماء زمزم لما شرب له**»[2] وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «**زمزم طعام طعام، وشفاء سقم**»[3].

وعن أبي بكر بن عبدالله المزني قال: كنت جالسًا مع ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عند الكعبة، فأتاه أعرابي، فقال: مالي أرىٰ بني عمكم يسقون العسل واللبن، وأنتم تسقون النبيذ، أَمِنْ حاجة بكم أم من بُخل، فقال ابن عباس: الحمدلله ما بنا حاجة ولا بخل قدِمَ النبي ﷺ علىٰ راحلته وخلْفَهُ أسامة فاستسقىٰ، فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب، وسقىٰ فضلهُ أسامة، وقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ[4].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أُسري بي رأيتُ موسىٰ وإذا هو رجل ضَرْبٌ، رجل كأنه من رجال شنوءة ورأيتُ عيسىٰ فإذا هو رجل رَبْعَةٌ أحمر كأنما خرج من ديماس وأنا أَشْبَهُ ولدِ إبراهيم ﷺ به ثم أُتِيتُ بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقال: اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقيل: أخذت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك»[5]. والديماس بكسر الدال وفتحها: هو الحمَّام وقيل الكِنُّ[6].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٦٥٩) (٤٢٧٩).

(٢) مسند أحمد(٤/ ٣٢٧) (١٤٤٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

(٣) مصنف عبدالرزاق (٥/ ١١٨) (٩١٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧٢).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٩٥٣) (١٣١٦).

(٥) صحيح البخاري (٣/ ١٢٤٣) (٣٢١٤).

(٦) النهاية (٢/ ١٣٣).

والديماس: بكسر الدال وفتحها: هو الحمَّام وقيل: الكِنُّ[1]

من آداب الشراب:

١ـ التسمية عند أوله والحمد عند آخره.

٢ـ عدم الشرب من فم القِربة أو نحوها.

٣ـ عدم النفخ في الشراب.

٤ـ عدم الشرب قائمًا إلاَّ لضرورة لا بد منها.

٥ـ الشرب ثلاث مرات والتنفس خارج الإناء.

٦ـ عدم الشرب في آنية الذهب والفضة.

٧ـ إذا سقىٰ قومًا كان آخرهم شربًا.

٨ـ إذا شرب ناول مَنْ علىٰ يمنيه.

٩ـ إذا شرب ما يحتاج إلىٰ المضمضة تمضمض.

ويتحقق الإحسان إلىٰ النفس بالشراب بأن يتخير المحسنُ من الأشربة أطيبها مذاقًا ورائحة وأنفعها للجسد، ويتوسط في شرابه فلا يشرب شرب النهم بل يأخذ حاجته باعتدال مع مراعاة الآداب الشرعية، ويتجنب ما فيه ضرر عليه وإن كان عند عموم الأصحاء مستحب.

---

(١) النهاية: (٢/١٣٣)

ثالثًا: الإحسان إلىٰ النفس باللباس:

إنَّ مما يحسن بالمحسن العناية بلباسه وهندامه، فلا يرىٰ إلاَّ في هيئة حسنة، أنيق المظهر متناسق اللباس والزينة تلذ لمرآه الأعين، وتأنس به الأنفس، كأنَّه الشامة، فلا يقابل ربه، ولا يخرج علىٰ الناس في هيئة مزرية، بدعوىٰ التقشف والزهد، بل يتفقد نفسه قبل خروجه، فيتجمل بلبس أحسن ما يقدر عليه قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ ﴾ [الأعراف، الآية: ٢٦] وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ۝٨١ ﴾ [النحل، الآية: ٨١] وقال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٣ ﴾ [الأعراف، الآية: ٣٢، ٣٣].

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة قال: «**إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكِبْر بطَرُ الحق وغَمْطُ الناس**»(١) وليس المراد من الحديث الاقتصار علىٰ الثوب والنعل فقط وإنما كل ما يلبس ويتزين به.

وعن عبدالله بن سرجس المُزني أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**السَّمتُ الحسن والتُّؤدةُ والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة**»(٢) والسَّمت هو الهيئة الحسنة في المظهر الخارجي من طريقة الحديث والصمت والحركة والسكون والدخول والخروج واللباس والسيرة العملية في الناس بحيث ينسبه الناس للخير والصلاح.

ومع ما في الهيئة الحسنة من ارتياح نفسي للإنسان ذاته ولمن يعاشره فإنَّ ذلك إظهار لنعمة الله عليه كما جاء عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده**»(٣)

---

(١) صحيح مسلم (١/٩٣) (٩١).

(٢) سنن الترمذي (٤/٣٦٦) (٢٠١٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٣٥).

(٣) سنن الترمذي (٥/١٢٣) (٢٨١٩) وحسنه وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٦٠) حسن صحيح.

وقد لبس النبي ﷺ الحلل.

فعن البراء ـ رضي الله عنه ـ يقول: «كان النبي ﷺ مربوعًا وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيتُ شيئًا أحسن منه»[١].

والحلة: إزار ورداء وهما بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود وليست حمراء بحته فإنَّ ذٰلك منهي عنه[٢].

وكان من هديه ﷺ الإنكار علىٰ سيء الهيئة حتىٰ يصلحها.

فعن أبي الأحوص عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ فرآني سيء الهيئة فقال النبي ﷺ: **«هل لك من شيء»** قال: نعم من كل المال قد آتاني الله فقال: **«إذا كان لك مال فلْيُر عليك»**[٣].

ومن البداهة بمكان أنَّ المحسنين ينبغي أن يكونوا أحسن الناس هيئة، وأجملهم مظهرًا وأتمهم أناقة، وأكثرهم جاذبية؛ ليظهروا نعمة الله عليهم، وليكونوا علىٰ مستوىٰ جمال بواطنهم، وأقدر علىٰ رسم القدوة الصالحة لغيرهم، وذلك يوصلهم إلىٰ قلوب ذوي الطبع الرائق، والذوق السليم.

وقد كان عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ يلبس البُرد أو الحُلَّة تساوي خمسمائة أو أربعمائة[٤].

واشترىٰ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ثوبًا بألف درهم فلبسه[٥].

وكل ذٰلك دليل إباحة الطيب من اللباس والزينة لمن يقدر عليه مادام لم يخرجه إلىٰ الإسراف والخُيلاء فتصبح شغله الشاغل وهمه الدائم أما إذا قصد بها الشهرة والاختيال والفخر فلا غرو أنَّه بذٰلك جانب التوسط والاعتدال وأصبح عبدًا للباسه وزينته فقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كل ما شئت، والبس ما شئت، واشرب ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرفٌ أو مخيلةٌ[٦].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«تعس عبدالدينار والدرهم، والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض»**[٧].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: فالذين يمتنعون عما أباح الله لهم من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدًا وتعبدًا بإزائهم طائفة قابلوهم، فلا

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢١٩٨) (٥٥١٠).

(٢) انظر: زاد المعاد(١/ ١٣٧).

(٣) سنن النسائي (٨/ ١٩٦) (٥٢٩٤) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٨٨٨).

(٤) الطبقات لابن سعد(٣/ ١٣١).

(٥) الحلية(١/ ٣٢١).

(٦) ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا (٥/ ٢١٨١).

(٧) صحيح البخاري (٣/ ١٠٥٧) (٢٧٣٠).

يلبسون إلاَّ أشرف الثياب، ولا يأكلون إلاَّ ألين الطعام ، فلا يرون لُبس الخشن ولا أكله تكبرًا وتجبرًا، وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي ﷺ ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشهرتين عن الثياب العالي، والمنخفض[1].

والمقصود أنَّ من لبس الحسن من الثياب للشهرة والخيلاء والفخر، فإنَّه مذموم، ومن لبسه تجملاً وإظهارًا لنعمة الله فإنَّه حسن، وقربة إلىٰ الله تعالىٰ، وإذا خشي المحسن علىٰ نفسه من الوقوع في الخيلاء والفخر استحب له لبس ما دونه، وإذا لم يتحقَّقْ له ذٰلك وجب له لبس الدنيء مع مجاهدة نفسه.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلَّة، تعجبه نفسه مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إذ خسَفَ الله به، فهو يتجلجل إلىٰ يوم القيامة**»[2] ويشترط لصحة الملبوس شروط منها ما هو خاص باللباس ومنها ما هو خاص باللابس.

وهي الآتي:

١ـ أن يكون الملبوس حلالاً فلا يكون من حرير فإنَّه محرَّم علىٰ الرجال حلال علىٰ النساء.

٢ـ أن يدخل عليه من وجه حلال إما بتملك أو نحوه فلا يحل لبس المغصوب أو المسروق ونحوه.

٣ـ أن لا يكون أحمر صرفًا فإنه منهي عن لبسه علىٰ الرجال.

٤ـ أن لايكون ثوب شُهرة والمراد به ما يلفت أنظار الناس إليه مصحوبًا بالخيلاء والفخر.

٥ـ أن لا يكون فيه مشابهة للبس النساء إذا كان اللابس رجلاً ولا يكون فيه مشابهة للبس الرجل إذا كانت اللابسة امرأة وأن لا يكون مشابهًا لألبسة الكفار التي لا يعرفون إلاَّ بها.

٦ـ وأن يكون ساترًا للمفروض سواء للرجل أم المرأة والمفروض ستره للرجل من السرة إلىٰ الركبة والمرأة كلها إلاَّ موضع الحلي إذا كانت بين النساء أو المحارم من الرجال وأما إذا خرجت إلى مكان فيه رجال أجانب فالواجب عليها ستر جميع بدنها بما فيه الوجه والكفان.

٧ـ أن لا يكون ضيقًا بحيث يحجم العورة أمام من لا يباح له النظر إليها.

٨ـ أن لا يكون شفافًا يَشِفُّ عما تحته من العورة أو شيء منها لمن لا يحل

---

(١) زاد المعاد (١/ ١٤٥).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢١٨٢) (٢٤٥٢).

له النظر إليها، وهٰذان الشرطان للرجال والنساء.

٩ـ أن لا يكون ثوب زينة للمرأة إذا أرادت الخروج من بيتها.

١٠ـ أن لا يكون ثوب الرجل مضمخًا بالزعفران أو الورس.

١١ـ وأن يكون خاليًا من التصاوير لذوات الأرواح[١].

١٢ـ وأن يكون اللباس سالمًا من الإسبال، والإسبال للرجل ما زاد عن الكعبين وللمرأة ما زاد عن ذارع.

هدي النبي ﷺ في اللباس:

قد كانت طريقة رسول الله ﷺ التي سنها، وأمر بها، ورغب فيها، وداوم عليها في اللباس: أن يلبس ما تيسر من اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة والكتان تارة، ولبس البرود اليمانية، والبرد الأخضر، ولبس الجبة، والكساء والقباء ، والقميص والسراويل، والإزار، والرداء والخف والنعل، وأرخىٰ الذؤابة من خَلفه تارة ، وتركها تارة، ولبس البيضة: التي تسمىٰ الخوذة، ولبس الدرع والخاتم، يلبس في كل موطن ما يناسبه.

وكان أحب الثياب إليه القميص والحِبرة وهي ضرب من البرود فيه حمرة وأحب الألوان إليه البياض، ولبس الأحمر، والأخضر المشوب بلون آخر، وكان كمه إلىٰ الرسغ ونهىٰ عن ما تحت الكعبين للرجال وما زاد عن الذراع للنساء.[٢]

آداب اللباس، وهي:

١ـ الدعاء عند لبسه إن كان جديدًا وقد كان النبي ﷺ إذا استجد ثوبًا، سماه وقال: كما في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد له ثوبًا سماه باسمه: عمامة أو قميصًا أو رداء، ثمَّ يقول: «اللَّهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صُنِعَ له، وأعوذ بك من شره وشر ما صُنِعَ له»[٣].

٢ـ يبدأ بميامِنِهِ عنداللباس وبمياسره عند الخلع.

---

(١) كل هٰذه الشروط أدلتها معلومة تركناها خشية الإطالة وتراجع في مظآنها من كتب اللباس والزينة لمن أراد الوقوف عليها.

(٢) انظر: زادالمعاد (١٣٥، ١٤٧).

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٢٣٩) (١٧٦٧). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ١٥٢) (١٤٤٦).

رابعًا: الإحسان إلىٰ النفس بالنظافة، والطيب، والزينة:

أـ الإحسان إليها بالنظافة:

المحسن الحق هو الأشد تعاهدًا لجسمه وثوبه ومرافقه التي يسكن فيها أو يركبها بين الحين والحين، فلا يرضىٰ أن يشم منه رائحة كريهة، أو يُرىٰ عليه ثوبٌ متسخٌ، فهو نظيف جدًا، وتتمثل هٰذه النظافة في الآتي:

١ـ نظيف في جسمه بالاغتسال كلما دعت إليه الحاجة ولو كان كل يوم وبخاصة يوم الجمعة كما في حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال ﷺ: «**اغتسلوا يوم الجمعة، واغسلوا رؤوسكم، وإن لم تكونوا جُنُبًا، وأصيبوا من الطيب**»(١).

٢ـ ونظيف بالعناية الفائقة بسنن الفطرة، كما جاء عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية، والسواك واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**» «قال أحد الرواة» نسيت العاشرة إلاَّ أن تكون المضمضمة» وقال وكيع: انتقاص الماء يعني: الاستنجاء(٢).

والبراجم عقد الأصابع ومفاصلها(٣).

٣ـ ونظيف بالعناية الدائبة بفمه وأسنانه بالسواك، والفرشاة والمطهرات والمنظفات، بحيث يبقىٰ فمه نقيًا، معطر الأنفاس، كما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لولا أن أشق علىٰ أمتي أو على النَّاس، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»(٤).

٤ـ ونظيف في ثوبه، وما يلبسه، وما يفترشُهُ، وما يلتحف به، وقد كان النبي ﷺ ينكر علىٰ مَنْ خرج للناس بثيات متسخة ويأمرهم بغسلها كما جاء عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: أتانا رسول الله ﷺ فرأىٰ رجلاً شعثًا قد تفرق شعره فقال: «أما كان يجد هٰذا ما يُسكِّنُ به شعره» ورأىٰ رجلاً آخر وعليه ثياب وِسِخةٌ فقال: «**أمَّا كان هٰذا يجد ماءً يغسل به ثوبه**»(٥).

---

(١) صحيح البخاري(١/ ٣٠٢) (١/ ١١٣).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٠٣) (٢٦١).
(٣) انظر: النهاية (١/ ١١٣).
(٤) صحيح البخاري (١/ ٣٠٣) (٨٤٧).
(٥) سنن أبي داود(٤/ ٣٣٣) (٤٠٦٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٨٤) (١٣٣٣).

وكان ﷺ يستحب ألا يخرج الرجل بثوب المهنة إلىٰ الناس وكان ﷺ يخص الجمعة بمزيد اهتمام كما روىٰ عن يوسف بن عبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ما علىٰ أحدكم إن وجد، أو ما علىٰ أحدكم إن وجدتم أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوىٰ ثوبي مهنته**»[1]

٥ـ ونطيف المسكن والمرافق كما عن سعد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**طهروا أفنيتكم، فإنَّ اليهود ولا تطهر أفنيتها**».

وفي رواية له: «**طيِّبوا ساحاتكم، فإنَّ أنتن الساحات ساحات اليهود**»[2]

الإحسان إلىٰ النفس بالطيب:

يجتهد المحسنون أن تتضوع ثيابهم بالطيب وتفوح أجسامهم بالروائح العطرة الزكية، إرضاءً لربهم تبارك وتعالىٰ وتأسيًا بالرسول ﷺ، وقيامًا بحقوق أنفسهم، وأدخال للسرور علىٰ غيرهم، كما روىٰ أنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**ما شممتُ عنبرًا قط ، ولا مسكًا، ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ**»[3]

وكان مما حُبب إليه ﷺ من الدنيا الطيب، ولكل محسن فيه أسوة حسنة، كما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حبب إليَّ النساء والطيب ، وجعلت قرَّة عيني في الصلاة**»[4] وقد خصَّ الرسول ﷺ لكل من الرجال والنساء ما يناسبهم من الطيب فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه**»[5].

واستحب ﷺ المسك علىٰ غيره كما جاء عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **أطيب الطيب المسك**»[6].

وقد كره الرسول ﷺ لمن أهدي له طيبٌ أن يرده.

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ لا يرد الطيب»[7].

---

(١) سنن أبي داود(١/ ٦٥٠) (١٠٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٥).
(٢) معجم الطبراني الأوسط (٥/ ٤٢) (٤٠٦٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٣٥، ٣٩٤١).
(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٨١٤) (٢٣٣٠).
(٤) سنن النسائي (٧/ ٦١) (٣٩٤٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).
(٥) سنن الترمذي (٥/ ١٠٧) (٢٧٨٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٣٧).
(٦) سنن الترمذي (٣/ ٣٠٨) (٩٩١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣٢).
(٧) صحيح البخاري (٢/ ٩١٢) (٢٤٤٣).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عرض عليه طِيب فلا يرده، فإنَّه طيب الريح خفيف المحمل»**[١].

وقد استعمل رسول الله ﷺ من الطيب المسك، والعنبر، والغالية، والفاغية، وغيرها، وكره للرجال الزعفران.

ويستحب الطيب في كل وقت وكل مكان إلاَّ للمحرم والمحرمة وللحادة علىٰ زوجها أو المرأة تريد الخروج من بيتها، ويتأكد استحبابه في يوم الجمعة، وقبل الإحرام، وبعد الحل منه، وعقب الحيض للمرأة، ولمن أراد الجماع.

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كنت أطيب رسول الله ﷺ، ثم يطوف علىٰ نسائه، ثم يصبح محرمًا ينضخ طيبًا»[٢].

ويوضع الطيب في الأماكن التي هي مظَنَّةُ انبعاث الروائح الكريهة بعد غسلها، وفي مفرق الرأس، واللحية، واليدين، وغيرهما ممَّا يبادر الناس بها.

وللطيب فوائد منها: أنه يجم النفس، ويعدل المزاج، ويحدث في النفس قوة مضاعفة.

ج ـ الإحسان إلىٰ النفس بالزينة والتجمل:

والزينة: اسم جامع لكل شيء يتزين به[٣].

وقال الراغب ـ رحمه الله ـ الزينة الحقيقية ما لايشينُ الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما ما يزينه في حالة دون حالة فهو من جهةٍ شَيْنٌ، والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية، كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة، وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه فقوله تعالىٰ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات، الآية: ٧] فهو من الزينة النفسية، وقوله: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف، الآية: ٣٢] فقد حمل علىٰ الزينة الخارجية.. وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [القصص، الآية: ٧٩] هي الزينة الدنيوية من المال والأثاث والجاه يقال زانه كذا وزيَّنه إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول[٤].

الزينة والتجمل بالحلي واللباس وغيرهما:

أباح الإسلام للناس الزينة والتجمل بما لايخرجهم عن حد الاعتدال، وخصَّ كلا من الرجال والنساء بما يصلح له ويناسب حاله، قال الله تعالىٰ:

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٤٠٠) (٤١٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٩٣).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٨٤٩) (١١٩٢).

(٣) اللسان(١٣/ ٢٠٢).

(٤) المفردات (٢٢٣).

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ . . . ﴾ [الأعراف، الآية: ٣٢] وقال تعالىٰ عن البحر: ﴿ وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [النحل، الآية: ١٤] وراعىٰ الإسلام جانب زينة المرأة وجمالها بمزيد سعة حيث إنها ميالة إليه بطبعها، والجمال يمكنها من إظهار حسنها أمام زوجها، قال الله تعالىٰ: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزخرف، الآية: ١٨] وبما أنَّ النفس الإنسانية قد تطغىٰ وتتجاوز إلىٰ ما ليس بجمال وزينة، حد الإسلام لها حدودًا تقف عندها، فحرم علىٰ الرجال الذهب والحرير، والتشبه بالنساء، وأباح لهم الفضة، وأباح للنساء الذهب والحرير والمجوهرات، وحرم علىٰ الرجال والنساء نتف الشيب، والنمص وهو أخذ شعر الوجه، وحرم عليهم وصل الشعر، وتفليج الأسنان، والوسم، والتحلي بالحديد أو النحاس.

وأباح للمرأة أن تتحلىٰ في جميع جسدها وللرجل بخاتم الفضة في أصبعه الخنصر من يده اليمين أو اليسرىٰ وحرم علىٰ الرجل التشبه بالمرأة في مواضع الزينة.

وأما التجمل باللباس فمحمود علىٰ ما سبق بيانه.

التزين والتجمل بإعفاء اللحية وإحفاء الشارب:

يتأكد الوجوب علىٰ المحسن بإعفاء لحيته، كما يتأكد عليه استحباب إكرامها بالغسل بالماء والمنظفات إن احتاج ذٰلك، وتطييبها وتسريحها، وخضبها بغير السواد إن كان فيها شيب، ويحرم عليه وعلىٰ كل مسلم حلقها أو قصها أو نتفها أو عقده، لما فيها من الزينة والهيبة والوقار، وحسن الأسوة بالرسل والأنبياء والصالحين، ولأنَّها من سنن الفطرة التي خلق الله الرجال عليها، وميزهم بها من دون النساء والصبيان.

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**احفوا الشوارب وأعفوا اللِّحىٰ**»[(١)] وتحف الشوارب حتىٰ يبدو أطراف الشفة وهو الإطار، ولو قصَّه حتىٰ يبدو بياض الشفة فلا بأس ولا يمثل به.

التزين والتجمل بتسريح شعر الرأس وإكرامه:

إذا اتخذ المحسن شعرًا وأطاله، كان عليه إكرامه بالغسل والمنظفات، حتىٰ لا يكون مأوىٰ للحشرات، ومكانًا تتجمع فيه الوساخات، حفاظًا علىٰ صحته وتزينًا وتجملاً به، واستحب له دهنه إن احتاج إليه، والإكثار فيه من الطيب، وتسريحه، ويحرم عليه حلق بعضه دون بعض.

وقد كان للرسول الله ﷺ شعرٌ حسنٌ، جعله مرة جمه، ومرة لمة، ومرة أرخاه حتىٰ بلغ منكبيه، وكان يرجله ﷺ كما جاء عن عائشة ـ رضي الله

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٢٢) (٢٥٩).

عنها ـ قالت: «كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض»[1] والترجيل تسريح الشعر وتحسينه إلاَّ أنَّه كان ينهىٰ عن الترجل إلاَّ غبًا كما جاء عن عبدالله بن مغفل ـ رضي الله عنه ـ قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن التَّرجل إلاَّ غبا»[2]

أي يومًا بعد يوم، وهٰذا فيه معنىٰ الاعتدال، وله أن يفرقه أو يسدله، ولا يحل للمرأة أن تجعله كالسنام فوق رأسها، أو تقصه تشبه بالرجال، أو الكافرات أو توصله بغيره، ويجوز لكل من الرجال والنساء خضاب شعر الرأس بالحناء والكتم وغيرهما ما لم يكن أسود.

التزين والتجمل بتقليم الأظفار، والحناء في اليدين للنساء:

يأمر الإسلام أتباعه بتقليم أظفارهم وتعاهدها بالنظافة، حتىٰ لا تكون كهوفًا تتجمع فيها القاذورات، ومصدرًا للروائح الكريهة، ومنظرًا سيئًا يدعو للاشمئزاز، وجعل ذٰلك من سنن الفطرة التي لا يعذر أحد بتركها.

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من الفطرة حلق العانة وتقليم الأظفار وقص الشارب**»[3].

ويستحب تقليمها كلما طالت، ولا يجوز تركها فوق أربعين يومًا، كما روىٰ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «**وُقِّتَ لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة، أن لانترك أكثر من أربعين ليلة**»[4].

ويستثنىٰ من ذٰلك من أراد أن يضحي، إذا دخل عليه العشر من ذي الحجة، فلا يأخذ من شعره ولا من ظفره حتىٰ يذبحها.

فعن أم سلمة ترفعه قالت: «**إذا دخل العشر، وعنده أضحية، يريد أن يضحى، فلا يأخذنَّ شعرًا، ولا يقْلِمنَّ ظفرًا**»[5]

وتغير المرأة لون يدها وأظفارها بالحناء، لما روىٰ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ امرأة مدت يدها إلىٰ النبي ﷺ بكتاب فقبض يده فقالت: يا رسول الله مددت يدي إليك بكتاب، فلم تأخذه، فقال: «إني لم أدر أيد امرأة أو رجل» قالت: بل يد امرأة قال: «لو كنت امرأة لغيرت أظفارك

---

(١) سنن النسائي (١/١٤٨) (٢٧٧). وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٥٧) (٢٦٧).

(٢) الشمائل، للترمذي (٥٢) (٣٥) وصححه الألباني. في صحيح الجامع (٢/١١٥٨) (٨٧٠).

(٣) صحيح البخاري (٥/٢٢٠٩) (٥٥٥١).

(٤) صحيح مسلم (١/٢٢٢) (٢٥٨).

(٥) صحيح مسلم (٢/١٥٦٥) (١٩٧٧).

بالحناء»[1]

وعلىٰ المحسن والمحسنة مراعاة ذٰلك والقيام به أكثر من غيرهما.

التزين والتجمل بالكحل للرجال والنساء:

مما يباح للرجال والنساء الاكتحال، مالم تكن المرأة مُحدَّةٌ علىٰ زوج.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر وينبت الشعر**»[2]

(١) سنن النسائي(٨/ ١٤٢) (٥٠٨٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٧١٢).

(٢) سنن النسائي (٨/ ١٤٩) (٥١١٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١٠٤٨) (٤٧٣١).

خامسًا: الإحسان إلىٰ النفس بتلمس أسباب الصحة:

يحرص المحسن علىٰ صحة جسمه، وقوة بدنه، وأن يكون سالمًا من الأمراض والعاهات؛ ليتمكن من القيام بواجب العبادة والكسب، فيلزم عليه اتخاذ الوقاية من الأمراض ، فلا يرد علىٰ الوباء إذا نزل بأرض أو شخص مرض معدٍ، مع اعتقاد أنَّ المرض بذاته لا يمرض، وإنما الذي يمرض ويشفي هو الله تعالىٰ، كما روىٰ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**لا عدوىٰ ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفِرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد**»[1] وخير وقاية اعتدال الطعام والشراب والجماع والنوم، وأن لا يتعرض للبرد الشديد، أو الحر الشديد، أو الشمس الشديدة، ويتجنب الأطعمة المتسخة، والأماكن المستقذرة، والإرهاق في العمل، ويمارس من الحركة البدنية بقدر ما يحفظ عليه لياقته، ومن الصيام أو الحمية ما يذهب عنه التخمة والسمنة إن وجدت، ويلزم علىٰ المحسن التداوي، إذا شعر بمرض كما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ما أنزل الله داءً إلاَّ أنزل له شفاء**»[2] فيعرض نفسه علىٰ المختص الحاذق، ويجوز التداوي بكل مباح شرعًا، ويتجنب الأدوية ذات السموم، وما يمكن أن يكون له مضاعفات علىٰ الجسم والخزعبلات والذهاب إلىٰ السحرة والكهان، وخير ما تداوى به العبد القرآن الكريم وما صحَّ من الرُّقىٰ والتعاويذ، وماء زمزم والعسل والحجامة والكي، إذا لم ينفع غيره ، وتمر العجوة من المدينة النبوية، والسنا والسنوت والحبة السوداء، والقسط الهندي أو البحري، والتلبينة، وألبان الإبل وأبوالها[3]. وتعاطي الأدوية يحتاج إلىٰ ماهر بها.

---

(١) صحيح البخاري (٥/٢١٥٨) (٥٣٨٠).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢١٥١) (٥٣٥٤).

(٣) انظر: أدلتها في كتاب الطب من صحيح البخاري (٥/٢١٥١، ٢١٨٠).

سادسًا: الإحسان إلىٰ النفس بالمسكن الواسع والمرأة الصالحة والمركب الهنيء، والخادم القوي الأمين:

عن نافع بن عبدالحارث ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**من سعادة المرء الجار الصالح، والمركب الهنيء والمسكن الواسع**»(١).

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاء، فمن السعادة المرأة الصالحة تراها فتحبك، وتغيب عنها فتأمنها علىٰ نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة، فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأة، تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها علىٰ نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفًا، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار ضيقة قليلة المرافق**»(٢)

فيستحب للمحسن أن يكون له منزلٌ واسعٌ يفي بحاجاته وحسن القيام علىٰ ضيفة شريطة ألا يكون عبثًا، أو للمباهاة؛ لأنَّ الإسلام عندما أباح البناء كرهه عبثًا كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء]. وأن لايكون منه شيء مهجور، لأنَّ كل ما زاد عن حاجة الإنسان من الدور والفرش يفترشه الشيطان.

عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «**فِرَاشٌ للرجل، وفِرَاش لامرأته، والثالث للضيف، والرَّابع للشيطان**»(٣).

ويجب علىٰ المحسن الزواج ويستحب أن تكون زوجته صالحة، خيِّرة ديِّنة، جميلة حسيبة، نسيبة غنية، عؤودة ولودة عوينة، أمينة، حسنة الملكة، قعدة بيتها تعفه ويتمم بها نصف دينه، ويسكن إليها، تشاطره آماله وآلامه، وتسعىٰ جاهدةً علىٰ إدخال السرور إليه، تعينه على البر والتقوىٰ قال تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء، الآية: ٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم، الآية: ٢١].

كما رُوي عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»(٤).

وعن أبي أذينة الصدفي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) مسند أحمد: (٤/ ٤١٣) (١٤٩٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٣٠٢٩).

(٢) مستدرك الحاكم(٢/ ١٧٥) (٢٦٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٦).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٦٥١) (٢٠٨٤).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٠٩٠) (١٤٦٧).

«**خير نسائكم الولود المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلاَّ مثل الغراب الأعصم**»(١).

وكما روىٰ أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(٢).

وفقه الحديث أنَّ المرأة يدعو الرجال لنكاحها هٰذه الخصال مجمعة أو متفرقة، فإذا اجتمعت في امرأة كانت أولىٰ من غيرها، وإذا لم يجد إلاَّ من فيها بعض هٰذه الصفات مع الدين نكحها، فإن لم يجد إلاَّ دينة غير جميلة ولا نسيبة ولا حسيبة نكح الدينة دون غيرها من الجميلات والنسيبات والغنيات.

كما يستحب للمحسن أن يكون له مركبٌ هنيءٌ، ينقله وينقل حوائجه في يسر وسهولة، ويتجمل به في غدوه ورواحه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل،الآية: ٥ ـ ٨] وفي حديث سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمىٰ العضباء لا تُسْبَقُ. . »(٣).

وقد ركب الرسول ﷺ الخيل والإبل، والبغال والحمير، وركب الفرس مسرجة تارة، وعريًّا أخرىٰ، وكان يجريها في بعض الأحيان، وكان يركب وحده وهو الأكثر، وربما أردف خلفه علىٰ البعير وربما أردف خلفه وأركب أمامه، وكانوا ثلاثة علىٰ بعير، وربما أردف الرجال، وأردف بعض نسائه، وكان أكثر مراكبه الخيل والإبل، وأما البغال، فالمعروف أنه كان عنده بغلة واحدة أهداها له بعض الملوك، ولم تكن البغال مشهورة بأرض العرب(٤).

هٰذا وقد أنعم الله علىٰ البشرية الآن بمراكب شتىٰ كالسيارات والطائرات والبواخر وغيرها فإذا تيسر للمحسن مال عليه أن يتخير من المراكب أريحها وأكثرها سلامة وأمنًا وأقدرها قوة وسبقًا وأجملها منظرًا

---

(١) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٧/ ٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٣٠).
(٢) صحيح البخاري (٥/ ١٩٥٨) (٤٨٠٢).
(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٠٥٣) (٢٧١٧).
(٤) انظر: زاد المعاد(١/ ١٥٩).

وسعةً بحيث تفي بحاجاته وحاجات أهله، وأن يتمكن من قيادتها مراعيًا قواعد السير والسلامة.

ويُباح للمحسن أن يكون له خادمٌ يسعىٰ في حوائجه وحاجات أهل بيته من قوت ونحوه، ويقف علىٰ خدمته وشأن مركبه، ويستحب أن يكون قويًا حتىٰ يتمكن من القيام بأعباء الخدمة وأمينًا علىٰ ماله وبيته، فلا يطلع علىٰ عورة، وإذا كلفه ما يشق عليه أعانه ويطعمه إذا طعم ويكسوه إذا اكتسىٰ وقد خدم النبيَّ ﷺ أنسُ بن مالك، وكان علىٰ حوائجه، وعبدالله بن مسعود صاحب نعله وسواكه، وعُقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته، يقود به في الأسفار، وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته، وبلال بن رباح المؤذن، وسعد مولى أبي بكر الصديق، وأبوذر الغفاري وأيمن بن عبيد وأمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، وكان أيمن على مطهرته وحاجته[1]، خلافًا عن مواليه ومنهم: زيد بن حارثة بن شراحيل، حِبُّ رسول الله ﷺ أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة.

ومنهم أسلم، وأبورافع وثوبان، وأبوكبشة سُليم وشقران واسمه صالح، ورباح نوبي ويسار نوبي أيضًا، وكان علىٰ ثقله ﷺ وكان يمسك راحلته عند القتال يوم خيبر، ومنهم أنجشة الحادي وسفينة بن فروخ واسمه مهران، وسماه رسول الله ﷺ «سفينة» لأنَّهم كانوا يُحملونه في السفر متاعهم، وغيرهم ومن النساء سلمىٰ أم رافع، وميمونة بنت سعد، وحفدة وغيرهن[2] علىٰ أنَّه يجب علىٰ المحسن مراعاة أحوال خدمه، وضبط سلوكياتهم، والحذر من الخدم الكفرة والفسقة، وأخذ الحيطة في البيوت بحيث لا يكون الخدم مدعاة للرذيلة، كما يحرص كل الحرص من خدمة النساء الأجانب بحيث لايكنَّ معه في البيت إلاَّ بقدر، وعند الضرورة الشرعية القصوىٰ، وبدون خلوة، وذٰلك لما يترتب عليه من المحاذير الدينية والدنيوية.

---

(١) زاد المعاد (١/ ١١٥).

(٢) انظر: زاد المعاد(١/ ١١٥، ١١٦).

سابعًا: الإحسان إلىٰ النفس بإنجاب الذرية الصالحة:

فطر الله تعالىٰ الأبوين علىٰ محبة الولد، وأودع في قلبيهما من المشاعر ما يسهم إلىٰ حدٍّ كبير في حمايته والشفقة عليه، والقيام علىٰ تربيته، فالأولاد نعمة كبيرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإسراء، الآية: ٦] وقرة عين إذا كانوا صالحين كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان، الآية: ٧٤] وزينة الحياة الدنيا كما قال جلَّ ذكره: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف، الآية: ٤٦]

وقد كان المحسنون يدعون الله أن يهبهم الولد الصالح كما حكىٰ الله تعالىٰ عن زكريا عليه السلام بقوله تعالىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٩] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات، الآية: ١٠٠، ١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ٧٢] ولا يظن بالمحسن عند طلبه الولد والحرص عليه الاستكثار به وادخاره للدنيا بل المحسن الحق من يطلبه بالأصالة نصرة للدين وزيادة في عبادالله الصالحين، وبالتبع يرجو بره وإحسانه دينًا ودنيًا كما قال تعالىٰ عن زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم،الآية: ٥،٦] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم، الآية: ٤٠] ويخطيء كثير من الناس خطأً فاحشًا عندما يفرقون بين الذكر والأنثىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل، الآية: ٥٩].

والحق أنه كم من أنثىٰ تزن ملايين الرجال مثل مريم وخديجة وفاطمة وعائشة وآسيا امرأة فرعون وغيرهن عليهن السلام وإذا كان الذكر يحمل أعباء الدعوة والجهاد والكسب خارج الدار، فإنَّ الأُنثىٰ قائمة بمثل ذٰلك في بيتها ممَّا لا يمكن أن تقوم حياة صالحة بغيرها، ناهيك عن ما يحصده الأب من الأجر في تربية البنات، كما جاء عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهم وضم أصابعه**»[(١)].

---

(١) صحيح مسلم(٣/ ٢٠٢٧) (٢٦٣١).

فيجب العدل بين البنين والبنات وتربيتهم التربية الصالحة الراشدة علىٰ وفق الشريعة الإسلامية، ليحقق الغرض من إنجابهم شرعًا.

فعن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأةً ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه ثم الثالثة، فقال: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**»(١).

ومن المسلَّم به أنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّما سيكاثر بالأخيار لا بالأشرار.

---

(١) سنن أبي داود (٢/٥٤٢) (٢٠٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٥٦٦) (٢٩٥٤٠).

ثامنًا: الإحسان إلى النفس بالمال الصالح:

جعل الله تعالىٰ النفس الإنسانية بطبعها ميالة إلىٰ المال، كما قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٤] وأفصح تعالىٰ عن حب الإنسان للمال فقال: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر، الآية: ٢٠] وجعله زينة الحياة حيث قال جلَّ ذكره: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف، الآية: ٤٦] ولم يُمْدَحْ المالُ أو يُذَمُّ لذاته، بل لما يعمل فيه؛ لأنَّه وسيلة خير أو شر، فهو وسيلة خير للنفوس الصالحة التي تجمعه من حله، ولم تجعله همها وقصدها، وأدت حق الله فيه، وهو وسيلة شر للنفوس الدنيئة التي تجمعه من غير حله، وجعلته همها وقصدها لا تؤدي حقَّ الله فيه، بل تُكاثر وتُفاخر به وتدفعه في وجوه الشر.

والإسلام دعا إلىٰ التكسب والضرب في الأرض كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾ [الملك، الآية: ١٥] ودعا إلى الترشيد في إنفاقه وعدم توليته السفهاء لا لذاته بل لما يترتب علىٰ حصوله من غنىٰ عن الناس وسد لحاجات المسلم ومن يعول، وإسهام في فعل الخيرات فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان، الآية: ٦٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء، الآية: ٥]

وجاء عن المقدام ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبي الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده**»(١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أفضل الصدقة ما ترك غنىٰ، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وابدأ بمن تعول**»(٢)

وفي حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**..وإن هـٰذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم، ما أعطىٰ منه المسكين، واليتيم، وابن السبيل**»(٣).

ولذٰلك يجب علىٰ المحسن أن يكون له حرفة أو تجارة مباحة ليتكسب منها ما يسد منه حاجاته، ويحمي به وجهه عن ذل السؤال، ويغني به مَنْ خلفه، ويدفع منه في وجوه البر والإحسان، وأن لا يكون عالة علىٰ غيره،

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٧٣٠) (١٩٦٦).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٤٨) (٥٠٤٠).

(٣) صحيح البخاري(٢/ ٥٣٢) (١٣٩٦).

يدًا سفلىٰ يتربص إحسان الناس، فليس من الإسلام في شيء ما يعتقده بعض العباد أنَّ الفقر خير من الغنىٰ ، فيعكفون علىٰ العبادة وينقطعون لها وَيَدَعُون التكسب.

كما يجب أن يحذر المحسن من مطاردة المال في جميع مظآنه، واستفراغ الوقت والجهد في تحصيله، فلم يُخْلق لذٰلك، بل الواجب العدل والتوسط بين الأمرين، وأن يحذر من الكسب الخبيث، وإن كان مباحًا، ويجب عليه أن يسعد بماله، ويسعد من حوله، بما يباح، وبقدر عليه، وأن يجعل في ماله حقًّا معلومًا للسائل والمحروم.

تاسعًا: الإحسان إلى النفس بتربيتها على الشجاعة:

الشجاعة لغة:

مصدر شجُع فلان أي صار شُجاعًا، وهو مأخوذ من مادة (ش ج ع) التي تدل علىٰ الجُرأةِ والإقدام، ومن ذٰلك قولهم الرَّجل الشُّجاع وهو المقدام(١).

واصطلاحًا:

قال الجاحظ: الشجاعة هي الإقدام علىٰ المكاره والمهالك عند الحاجة إلىٰ ذٰلك، وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت(٢).

وقال الجرجاني ـ رحمه الله ـ: هي هيئة حاصلة للقوة، بين التهور والجبن، بها يقدم علىٰ أمور ينبغي أن يُقدِمُ عليها، كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا علىٰ ضعف المسلمين(٣).

منزلة الشجاعة:

قال الطرطوسي ـ رحمه الله ـ: واعلم أنَّ كل كريهة تُرفعُ، أو مَكْرُمَةٍ تُكْتَبُ لا تتحقق إلاَّ بالشجاعة، ألا ترىٰ أنَّك إذا هممت أن تمنح شيئًا من مالك خار طبعُك، ووهن قلبُك، وعجزت نفسك، فشححت به، وإذا حققت عزمك، وقويت نفسك، وقهرت ذٰلك العجز، أخرجت المال المضنون به، وعلىٰ قدر قوة القلب وضعفه تكون طيبة النفس بإخراجه، أو كراهة النفس لإخراجه، وعلىٰ هٰذا النمط جميع الفضائل، إذا لم تقارنها قوَّةُ نفسٍ لم تتحقق، وكانت مخدوعة، فالجبان يفرُّ عن أمه وأبيه، والشجاع يقاتل عمن رحله، فبقوة القلب يُصابُ امتثال الأوامر والانتهاء عن الزواجر، وبقوة القلب يُصاب اكتساب الفضائل وبقوة القلب يُنتهىٰ عن اتباع الهوىٰ والتَّضمُّح بالرذائل وبقوة القلب يصبر الجليس علىٰ إيذاء الجليس وجفاء الصاحب، وبقوة القلب يَكتُم الأسرار ويدفع العار، وبقوة القلب يقْتَحِم الأمور الصعاب وبقوة القلب يتحمل أثقال المكاره، وبقوة القلب يصبر على أخلاق الرجال، وبقوة القلب تُنفَّذُ كل عزيمة أوجبها الحزم والعدل.

وليس الصَّبرُ والشجاعة وقوة النفس أن تكون مصرًّا في المحال لَجُوجًا في الباطل، ولا أن تكون جلْدًا عند الضرب، صبورًا علىٰ التَّعبِ، مُصَمِّمًا علىٰ التَّغْرير والتَّهوُّر، فإنَّ هٰذه صفة الحمير والخنازير، ولٰكن أن تكون صبورًا علىٰ أداء الحقوق عليك صبورًا علىٰ سماعها وإلقائها إليك، غالبًا

---

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٢٠٠، ٢٢٠١) والمقاييس (٣/ ٢٤٨) والصحاح (٣/ ١٢٣٧، ١٢٣٨).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٧).

(٣) التعريفات (١٢٥).

لهواك، ، مالكًا لشهواتك، ملتزمًا للفضائل بجهدك، عاملاً في ذٰلك علىٰ الحقيقة التي لا يحيلك عنها حياةٌ ولا موتٌ ، حتىٰ يكون عندك موتك علىٰ الخير الذي أشار به العلم وأوجبه العدل خير من البقاء علىٰ ما أوجب ورفض العلم والعدل(١).

وقال الأبشيهيُّ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: اعلم أنَّ الشَّجاعة عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة يُعبر عنها بالصبر وقوة النفس.

قال الحكماء وأصل الخير كله في ثبات القلبِ، والشجاعة عند اللقاء علىٰ ثلاثة أوجهٍ:

الوجه الأول: إذا التقىٰ الجمعان، وتزاحف العسكران وتكالحتِ الأحداق بالأحداق برز من الصف إلىٰ وسط المعترك يحمل ويكِر وينادي هل من مبارز.

والثاني: إذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت، يكون رابط الجأش، ساكن القلب، حاضر اللُّبِ، لم يُخالطه الدَّهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلُّب المالك لأموره القائم علىٰ نفسه.

والثالث: إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضربُ في وجوه القوم، ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب أصحابه ويزجي الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل، ويُشجع نفوسهم فمن وقع أقامه، ومن وقف حملهُ، ومن كبا به فرسُهُ حماه حتىٰ ييأس العدو منهم: وهٰذا أحمدهم شجاعة، وعن هٰذا قالوا: إن المقاتل من وراء الفارِّين كالمستغفر من وراء الغافلين، وَمِنْ أكرم الكرم الدفاع عن الحُرَم(٢).

حقيقة الشجاعة وعوامل تقويتها:

يقول الراغب: الشجاعة إن اعتبرت وهي في النفس فصرامة القلبِ علىٰ الأهوال وربط الجأش في المخاوف وإن اعتبرت بالفعل فالإقدام علىٰ موضع الفرصة وهي فضيلة بين التهور والجبنِ وهي تتولد من الفزع والغضب إذا كانا متوسطين، فإنَّ الغضب قد يكون مفرطًا كمن يحتد سريعًا من أشياء صغيرةٍ، وقد يكون مقتصرًا كمن لا يغضب من الاجتراء علىٰ حرمه وشتم أبيه وأمه وقد يكون متوسطًا علىٰ ما يجب في وقت ما يجب وبقدر ما يجب، وكذٰلك الفزع قد يكون مفرطًا فيتولَّد منه الجُبُن الهالع، ومقصرًا فيتولد عنه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من شتم آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه وقد يكون متوسطًا كما يجب وبقدر ما يجب ولكونهما أعني الغضب والفزع علىٰ

---

(١) انظر: سراج الملوك للطرطوسي (٢٠/٦٦٨، ٦٧٠).

(٢) المستطرف (١/ ٣١٠).

حالين محمود ومذموم صارا يحمدان تارةً ويذمَّان أخرىٰ؛ فإنَّ الغضب في نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ والفزع في نحو قول الشاعر فزِعتُ لظلمـةِ... إلـخ.. محمـودان والتهـور هـو الثبـات المـذمـوم فـي الأمـور المعطبة[1]

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة(٣٢٨).